

# حصاد المنابر

تأليف

أ.د خالد المصلح

أستاذ الفقه بجامعة القصيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.

فإنَّ خيرَ ما في يوم الجمعة صلاحُها، فهي شعار ذلك اليوم، ولذلك أمر الله تعالى المؤمنين بالسَّعي إليها، ونهاهم عن كل ما يشغلهم عنها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة: ٩]، وذكرُ الله المأمور بالسَّعي إليه هو خطبة الجمعة وصلاتها. وإنما سميت خطبة الجمعة ذكر الله؛ لأنها تُعرَّف بالله تعالى وتُذكر به، وتُبين الطريق الموصلة إليه، وعلى هذا المعنى دارت خطب النبي ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله: "وكان مدارُ خطبه على حمد الله، والثناء عليه بآلائه، وأوصاف كماله ومحامده، وتعليم قواعد الإسلام، وذكر الجنة والنار والمعاد، والأمر بتقوى الله، وتبيين موارد غضبه، ومواقع رضاه، فعلى هذا كان مدار خطبه" اهـ.

وقد يسَّر الله تعالى لي عبر عشرين عاماً مضت الخطابة في مساجد عديدة، وهأنذا أضع بين أيديكم جملة مما يسَّر الله تعالى إعداده وكتابته من تلك الخطب، وقد وسمته "حصاد المنابر"، وقد راعيتُ في ذكر الخطب تقاربَ الموضوعات، واعتنيتُ بتخريج ما جاء فيها من أحاديث وآثار، وعزو الأبيات الشعرية والنقول إلى مصادرها.

والله أسأل أن يجعلها خالصةً لوجهه وأن ينفع بها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أ.د خالد المصلح

١ / ٣ / ١٤٣٥ هـ

## ١- الإخلاص وفوائده

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، أيها الناس اتقوا الله وأطيعوه؛ فإنه تعالى أمركم بذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(١)</sup>.

أيها الإخوة الكرام.

إن الله تعالى خلق الخلق لعبادته، وبعث الرسل إلى الناس ليعبدوه وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال جل ذكره: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٣)</sup>،

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة البينة: ٥.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٥.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(١)</sup>.

وعبادة الله - سبحانه وتعالى - لا تقوم إلا بالإخلاص له، فالإخلاص هو حقيقة الدِّين، ولبُّ العبادة، وشرطٌ في قبول العمل، وهو بمنزلة الأساس للبناء، وبمنزلة الرُّوح للجسد؛ ولذلك لما كانت أعمال الكفار لا توحيد فيها ولا إخلاص جعلها الله

تعالى هباءً منثوراً، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا الإبطال والإحباط نصيب كل من لم يخلص العمل لله تعالى، وقصد غيره، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوْفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ \* أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النارُ وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون<sup>(٣)</sup>.

فيا خبيثة من جاء بأعمالٍ مثل الجبال، يجعلها الله هباءً منثوراً، ويكبُّه على وجهه في النار! فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة الفرقان: ٢٣.

(٣) سورة هود: ١٥-١٦.

فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ<sup>(١)</sup> نعوذ بالله من الخذلان.

فسبحان من لا تخفى عليه خافية، بل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإن المرء مهما ضلل الناس وخذعهم ظاهره وصورته، فإن هذه الظواهر والصور، وهذا التزييف والتضليل، لا يغني عنه شيئاً.

أما عند الله تعالى فقد قال في كتابه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»<sup>(٣)</sup>.

أما الناس فسرعان ما ينكشف الستار، وتبدو الحقيقة للأنظار، إما في الدنيا أو في دار القرار، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٢) سورة النساء: ١٤٢.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١﴾ .

أيها المسلمون.

اعلموا أن من أعظم أسباب تخلُّف الإخلاصِ وغيابه في الأعمالِ هو طلبُ الدنيا، أو محبةُ المدحِ والثناءِ، قال ابن القيم رحمه الله: "لا يجتمع الإخلاصُ في القلبِ ومحبةُ المدحِ والثناءِ والطمعُ فيما عند الناسِ، إلا كما يجتمعُ الماءُ والنَّارُ والضبُّ والحوتُ" وقال رحمه الله: "فإذا حدَّثتكَ نفسُك بطلبِ الإخلاصِ فأقبلْ على الطَّمعِ أولاً فاذبحه بِسكِّينِ اليأسِ، وأقبلْ على المدحِ والثناءِ فازهدْ فيهما زهدَ عشاقِ الدنيا في الآخرة، فإذا استقامَ لك ذبحُ الطمعِ والزهدِ في الثناءِ والمدحِ سهَّلَ عليك الإخلاصُ، فإن قلت: وما الذي يسهِّلُ علي ذبحِ الطمعِ والزهدِ في الثناءِ والمدحِ؟ قلت: أما ذبحُ الطمعِ فيسهِّلهُ عليك يقيُنكَ أنه ليس شيءٌ يُطمعُ فيه إلا هو بيدِ الله وحده، لا يملكه غيره، ولا يُؤتى العبدُ منه شيئاً سواه" (٢).

وأما الزهدُ في الثناءِ والمدحِ فيسهِّلهُ عليك عِلْمُكَ أنه ليس أحدٌ يَنفَعُ مدحُه ويزينُ، ويضُرُّ ذمُّه ويشينُ، إلا اللهُ وحده، قال ذلك الأعرابيُّ للنبيِّ ﷺ: «إن مدحي زينٌ، وذمي شينٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «ذلك الله عز وجل» (٣).

(١) سورة الرعد: ١٧.

(٢) الفوائد (١٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث البراء بن عازب ؓ (٣٢٦٧)، وأخرجه أحمد من حديث الأقرع بن حابس

ؓ (١٥٥٦١)، والحديث حسنه الترمذي.

فازهد في مدح من لا يزينك مدحه، وفي ذم من لا يشينك ذمه، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه، وكل الشين في ذمه.

فإذا جاهد العبد نفسه حتى زهد في الدنيا، وفي مدح الناس وثنائهم، وقصد الله في عمله كان من أهل الإخلاص الذين أعمالهم كلها لله تعالى، وأقواهم لله، وحبهم لله وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده، لا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هرباً من ذمهم، وبهذا تكون أقوى الناس؛ لأنّ وليك حينئذ هو مولاك القوي المتين، وبهذا تكون من أهل الكرامة في هذه الدار، وفي دار الجزاء.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

أيها المسلمون.

إن لإخلاص العملِ لله تعالى فوائدَ كثيرةً، أذكرُ بعضَها عسى أن تكونَ حافزةً لنا إلى مزيدٍ من الاجتهادِ والعملِ في تحقيقِ الإخلاصِ لله تعالى، في الأقوالِ والأعمالِ. اعلموا أن من فوائدِ الإخلاصِ: أن الأقوالَ والأعمالَ لا تقبلُ إلا إذا صاحبها الإخلاصُ، فالأعمالُ مهما حسن أدائها إذا لم يصاحبها إخلاصُ لله تعالى فهي مردودةٌ حابطةٌ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصاً، وابتغي به وجهه»<sup>(١)</sup>.

وكذلك الأقوالُ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصفٍ من أسعدُ الناسِ بشفاعتهِ يومَ القيامةِ: «من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن الإخلاصَ سببٌ لقوةِ القلبِ ورباطةِ الجأشِ، وتحملِ أعباءِ العبادةِ وتكاليفِ الدعوةِ، ولو تأملَ الواحدُ منَّا حالَ بعضِ المخلصين الصادقين لتبينَ له ذلك، فمن ذلك رباطةُ جأشِ النبي صلى الله عليه وسلم وقوتهُ مع توافرِ أسبابِ الهلاكِ عليه، حيث قال

(١) أخرجه النسائي (٣١٤٠)....

(٢) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لصاحبه وهو في الغار: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(١)</sup> ، فالإخلاص والصدق مع الله تعالى يعين على النهوض بالحق، ومجاهدة الباطل مهما عظمت قوة الباطل، فهذا نبي الله هود لم تكن له آية بارزة، كما كان لغيره من الأنبياء، دعا قومه إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، فجادله قومه وقالوا كما قص الله علينا نبأهم في كتابه: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ \* إن نقول إلا اعتراك بعض آلِهتنا بسوء قال إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون \* من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون<sup>(٢)</sup> .

ومنها: أن من فوائد الإخلاص التخلص من كيد الشيطان وتسلطه، قال الله تعالى إخباراً عما قاله إبليس لما طلب أن ينظره رب العالمين: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومنها: أنه سبب لصرف السوء والفحشاء، قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومنها: أن العمل القليل مع الإخلاص سبب للفوز برضا الله تعالى، ومن أمثلة

(١) سورة التوبة: ٤٠ .

(٢) سورة هود: ٥٣-٥٥ .

(٣) سورة الحجر: ٤٠ .

(٤) سورة يوسف: ٢٤ .

ذلك قوله: ﷺ «اتقوا النار ولو بشقِّ تمرّة»<sup>(١)</sup>، فشقُّ التمرّة مع الإخلاص يقي النار بمِنَّةِ الكريمِ المَنَّانِ، وأطنانُ التمرِ مع الرِّياءِ تولُّجُ أسفلِ النيرانِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله:

والله لا يَرْضَى بِكَثْرَةِ فِعْلِنَا لَكُنْ بِأَحْسَنِهِ مَعَ الْإِيمَانِ  
فَالْعَارِفُونَ مُرَادُهُمْ إِحْسَانُهُ وَالْجَاهِلُونَ عَمَوْا عَنِ الْإِحْسَانِ<sup>(٣)</sup>

بقي من الفوائد: أن العبدَ يُنصَرُ بإخلاصِهِ، قال النبي ﷺ فيما أخرجه النسائي عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظنَّ أن له فضلاً على مَنْ دونه من أصحابِ النبي ﷺ، فقال ﷺ: «إِنَّمَا يُنصَرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»<sup>(٤)</sup>.

أيها الإخوة المؤمنون..

اعلموا - وفقكم الله - أن الأعمال والطاعات لا تتفاضلُ بصورها وعددها، وإنما تتفاضلُ بتفاضلِ ما في القلوبِ، فتكونُ صورةُ العملينِ واحدةً، وبينهما من التفاضلِ كما بين السماء والأرضِ، والرجلان يكونُ مقامهما في الصفِّ واحداً، وبين صلاتيهما كما بين

(١) أخرجه البخاري (١٤١٧) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) سورة النساء: ١٤٥.

(٣) القصيدة النونية (٣٥).

(٤) سنن النسائي (٣١٢٧)، وصححه الألباني

السماء والأرض، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرجل لينصرف وما كتبت له إلا عشرُ صلاته، تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها»<sup>(١)</sup>.

فيا إخواني عليكم بتصحيح النيات والأعمال لله تعالى.



(١) أخرجه أبو داود (٦٧٥)، وحسنه الألباني .

## ٢- أهمية الإخلاص

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فيا أيها الناس.

اتقوا الله وأطيعوه، وأخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، فإن الله خلق الخلق وبعث الرسل وأنزل الكتب؛ ليكون الدين كله لله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن عبادة الله لا تقوم ولا تستقيم إلا بالإخلاص له، فالإخلاص لله هو حقيقة الدين، ولبب العبادة، وشرط قبول العمل، فهو بمنزلة الأساس للبناء، وبمنزلة الروح للجسد، فلا عبادة ولا عبودية لمن لا إخلاص له، قال الله سبحانه وتعالى مخبراً عن

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٣) سورة البينة: ٥.

أعمال الكفار التي لا إخلاصَ فيها ولا توجية: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾<sup>(١)</sup> فهذا الإحباط للعمل، والإبطال للسعي نصيب كل من لم يخلص لله تعالى في قوله وعمله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

اتقوا الله وأخلصوا أعمالكم لله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ

(١) سورة الفرقان: ٢٣.

(٢) سورة هود: ١٥-١٦.

فَعَلَتْ لِيَقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ<sup>(١)</sup> نعوذ بالله من حال أهل النار.

أيها المؤمنون.

إن من أعظم أسباب غياب الإخلاص في أعمال كثير منّا هو طلب الدنيا ومحبة المدح والثناء، فإن الإخلاص لا يقتر في قلب مليء بمحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، قال ابن القيم رحمه الله: "إذا حدثتكَ نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً، فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عَشَاقِ الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع، والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص"<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إنّ مما يعيننا على ترك الطمع ويسهله علينا يقيننا أنّ الخير كلّهُ بيد الله تعالى، لا يملكه غيره، فمن أرادَه طلبه منه، وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهله علمك أنه ليس أحدٌ ينفع مدحه ويزين، ويضرّ ذمّه ويشين إلا الله تعالى.

فازهد يا عبد الله في مدح من لا يزينك مدحه، وفي ذم من لا يشينك ذمّه. وارغب في مدح من كل الزين في مدحه، وكل الشين في ذمّه.

فجاهدوا يا عباد الله أنفسكم حتى تكونوا من أهل الإخلاص، الذين أعمالهم كلّها

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٢) الفوائد (١٤٩).

لله وحده، لا يُريدون بذلك من الناسِ جزاءً ولا شكوراً.  
أيها المؤمنون..

إن لإخلاصِ العملِ فوائدَ كثيرةً، منها:  
أن الأقوالَ والأعمالَ لا تُقبلُ -مهما حُسُنَ أداؤُها- إذا لم يصاحبها إخلاصُ لله  
تعالى: فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا،  
وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ»<sup>(١)</sup>، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في وصفِ أسعدِ الناسِ بشفاعةِ النبيِّ  
صلى الله عليه وسلم يومَ القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إلهَ إلا اللهُ خالِصاً من قلبه»<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد الإخلاص: أن العملَ القليلَ مع الإخلاصِ سببٌ للفوزِ برضا الله  
تعالى، ومن أمثلة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «اتقِ النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ»<sup>(٣)</sup>، فشقُّ التمرة مع الإخلاصِ  
يقي النارَ بمئةِ الكريمةِ المنان، كما أن كثيرَ العملِ مع الرياءِ يولجُ العبدَ أسفلَ النيرانِ، كما  
قال العزيزُ القهارُ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.  
ومن فوائد الإخلاص: أن الأعمالَ تتفاضلُ بتفاضلِ ما في القلوبِ من التوحيدِ  
والإخلاصِ، فتكونُ صورةَ العملَيْنِ واحدةً، وبينهما من التفاضلِ كما بين السماءِ

(١) أخرجه النسائي (٣١٤٠)، وحسنه الألباني كما في الجامع الصغير (٢٧٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٧) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٤) سورة النساء ١٤٥.

والأرض، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل لينصرفُ وما كتب له إلا عشرُ

صلاته، تسعها ثمنها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها»<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وأخلصوا لله رغبتكم وعملكم، فإنه لا يضيع عمل

المخلصين.




---

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٦) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، والحديث حسنه الألباني .

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وأخلصوا لله سبحانه وتعالى، فإن الإخلاص سبب لقوة القلب، وثبات اليقين عند توافر الفتن والزيف، فهذا نبيكم ﷺ لما كمل مراتب الإخلاص أنزل الله على قلبه السكينة، فثبت فؤاده ونصره على أعدائه، فالعبد يُنصر بإخلاصه لله تعالى.

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»<sup>(١)</sup>.

فالإخلاص والصدق مع الله يُعين العبد على النهوض بالحق، والقيام به، والدعوة إليه مهما عظمت قوة الباطل، فهذا نبي الله هود عليه الصلاة والسلام تحدى قومه، كما قص الله علينا نبأهم في كتابه، حيث قال: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ \* إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالإخلاص أعظم ما يُعين العبد على القيام بالحق.

أيها المؤمنون.

إن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ

(١) أخرجه النسائي (٣١٧٨)، والحديث صححه الألباني في الجامع الصغير (٤١٥٣).

(٢) سورة هود: ٥٣-٥٤.

الْغَاوِينَ ﴿١﴾، وقد بيّن الله سبحانه هؤلاء العباد في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ  
الْمُخْلِصِينَ﴾ (٢)، فالملصون الموحدون محفوظون بحفظ الله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ  
السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ (٣).

فاجتهدوا أيها المؤمنون في إخلاص العمل لله، عسى أن تحصلوا تلك الفضائل  
والمناقب.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

❖❖❖❖❖❖

---

(١) سورة الحجر: ٤٢.

(٢) سورة الحجر: ٤٠.

(٣) سورة يوسف: ٢٤.

## ٣- فضائل لا إله إلا الله

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فيا أيها المؤمنون، اتقوا الله ربكم، فإن الله - جل ذكره خلقكم ببالغ قدرته ونافذ حكمته، لأمرٍ عظيمٍ جليلٍ، ألا وهو توحيدُه جلَّ وعلا، وإفراذه بالعبادة دون غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup> وقد أنزل الله لذلك الكتب وأرسل الرسل، قال تبارك وتعالى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالله - عز وجل - خلقكم أيها الناس لعبادته وحده لا شريك له، لا ليتقوى بكم من ضعيفٍ، فهو القويُّ العزيزُ، ولا ليتكثر بكم من قلةٍ، فهو الغنيُّ الحميدُ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى في الحديث الإلهي: (يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في

(١) سورة الذاريات (٥٦).

(٢) سورة النحل (٢).

(٣) سورة فاطر (١٥).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(١)</sup>. قال تعالى:

أيها المؤمنون، إن أساس العبادة التي خلقكم الله من أجلها، هو شهادة أن لا إله إلا الله، ف: "لا إله إلا الله" كلمة قامت بها السماوات والأرض، و"لا إله إلا الله" فطرة الله التي فطر الناس عليها، و"لا إله إلا الله" دعوة الرسل جميعاً، و"لا إله إلا الله" كلمة التقوى وشعار الإسلام، و"لا إله إلا الله" مفتاح الجنة دار السلام. عباد الله، أيها المؤمنون..

إن لكلمة التقوى والإخلاص فضائل عديدة، ومناقب كثيرة، فحقيق بمن نصح نفسه، وأحب سعادته ونجاته أن يتعرف على هذه الفضائل، وتلك المناقب، عسى أن يكون من أهل لا إله إلا الله.

فمن فضائل هذه الكلمة المباركة، كلمة: "لا إله إلا الله": أنها أول ما يُطالب به العبد ليدخل في دين الإسلام الذي قال الله عنه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي قصة بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له ﷺ: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب،

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) سورة فصلت (٤٦).

(٣) سورة آل عمران (٣٥).

فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن من فضائل كلمة التقوى والإخلاص: أن بها تحصل عصمة دم العبد وماله، ففي صحيح مسلم قال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.  
أيها المسلمون..

إن من فضائل هذه الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله" أنه من لقي الله بها أدخله الجنة، جنة عرضها السماوات والأرض، دار السلام، قال ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بها عبداً غير شاك فيهما، فيُحجَبُ عن الجنة»<sup>(٣)</sup>.

ومن فضائلها أيها المؤمنون: أنها تحرم على النار من قالها صادقاً مخلصاً، ففي الصحيحين من حديث عتبان بن مالك الأنصاريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»<sup>(٤)</sup>.

ومن فضائلها يا عباد الله: أنها سبب لخروج صاحبها من النار إذا دخلها بتقصير منه، وتفريط في حقوق هذه الكلمة وشروطها، قال ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٠١)، ومسلم (١٥٢٨) من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه.

وزنُ بُرَّةٍ من خيرٍ، ويخرجُ من النارِ من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزنُ ذرَّةٍ من خيرٍ<sup>(١)</sup>.  
أيها المؤمنون..

إن من فضائل كلمة التقوى: أنه من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة.  
ومن فضائلها: أنه لا تحصلُ شفاعَةُ النبي ﷺ إلا بها، فإن أسعدَ الناسِ بشفاعةِ  
النبي ﷺ من قال: ((لا إله إلا الله خالصاً من قلبه))<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون! إن لا إله إلا الله لا يعدها شيءٌ في الميزان، ففي مسند الإمام أحمد  
بسند جيد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن نوحاً قال لابنه عند  
موته: أمرك بلا إله إلا الله؛ فإن السماواتِ السبعِ والأرضين السبعِ لو وُضعت في كفةٍ،  
ووضعت لا إله إلا الله في كفةٍ، رجحت بهن لا إله إلا الله))<sup>(٣)</sup>.

ولذلك فإن هذه الكلمة المباركة تطيِّشُ بسجلاتِ الذنوبِ، وتثقلُ ميزانَ العبدِ،  
وترفعُ درجاته يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.  
أيها المؤمنون! إن قولَ لا إله إلا الله من أعظمِ أسبابِ تفریحِ الكُرْبَاتِ، وحلِّ  
المعضلاتِ، وكشفِ النوازلِ والنكباتِ، فهذا نبيُّ الله يونسُ، لما التقمه الحوتُ وهو  
مُليِّمٌ، نادى في الظلماتِ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجابَ اللهُ له،  
ونجَّاه من الغمِّ.

(١) أخرجه البخاري (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٦٥٤٧)، والحاكم (١٥٤)، وصححه.

فافزعوا أيها المؤمنون إلى هذه الكلمة المباركة عند حلول الكرب، ونزول الضيم.  
أيها المسلمون..

إن ربكم - سبحانه وتعالى - قد ضرب لهذه الكلمة مثلاً في كتابه، ودعاكم لتدبره وتأمله، فقال جلّ وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فشبّه الله تعالى هذه الكلمة الطيبة، كلمة التوحيد، كلمة: "لا إله إلا الله" بالشجرة الطيبة ثابتة الأصل، باسقة الفروع يانعة الثمر، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ف: "لا إله إلا الله" إذا ثبتت في قلب العبد - يا عباد الله - أثمرت العمل الصالح، والعلم النافع.

فجميع العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة إنما هي ثمرة هذه الكلمة المباركة، والشجرة الطيبة، فمن ثبت "لا إله إلا الله" في قلبه إيماناً وتصديقاً، محبةً وعلماً، انقادت جوارحه لشرع الله تعالى وحكمه عملاً وتطبيقاً وامثالاً وتنفيذاً. فاحرصوا أيها المؤمنون، على رعاية هذه الشجرة المباركة، وتعاهدوها في كل وقت، بالعلم النافع والعمل الصالح، فإن الشجرة لا تبقى حيةً إلا بإدّة، تسقيها وتنمّيها وتحفظها، اللهم احفظ لنا ديننا الذي ارتضيته لنا.



(١) سورة إبراهيم (٢٤-٢٥).

## الخطبة الثانية

أما بعد .

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن معنى هذه الكلمة المباركة، كلمة: "لا إله إلا الله"، التي سمعتم شيئاً من فضائلها، أنه لا معبود بحق إلا الله، فقولك أيها المسلم: "لا إله إلا الله" هو إقرارٌ بأنه لا يستحقُّ أحدٌ أن يعبدَ إلا الله تعالى، فكلُّ من عبَدَ من دونه فهو باطلٌ، فلا يجوزُ أن تُصرفَ العباداتِ الظاهرةُ والباطنةُ لغيرِ الله تعالى، فمن قال: لا إله إلا الله، وأحبَّ غيرَ الله محبةً عباديةً، أو اعتمد على غيرِ الله تعالى في جلبِ المنافعِ ودفْعِ المضارِ، أو دعا وسألَ غيرَ الله تعالى، أو استغاثَ أو استعانَ بغيرِ الله تعالى، فيما لا يقدرُ عليه إلا الله جلَّ ذكره، فقد وقعَ في الشِّركِ الذي لا يغفرُ الله لصاحبه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من قال: "لا إله إلا الله" ثم تقربَ للمخلوقين أو المقبورين بالسجودِ أو بالذبحِ أو بالنذرِ لهم، أو بغيرِ ذلك من العباداتِ والقرباتِ، فإنه مُتَوَعَّدٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فاحذروا- أيها المؤمنون- الشركَ بالله تعالى، دقيقه وجليله، صغيره وكبيره، فإنه ظلمٌ عظيمٌ وإثمٌ كبيرٌ، خافه إمامُ الحنفاء إبراهيم- عليه السلام- على نفسه وبنيه، فقال

(١) سورة النساء (٤٨).

(٢) سورة المائدة (٤٢).

سائلاً ربّه ومولاه: ﴿وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد خافه النبي ﷺ على خير القرون، خافه على أصحابه فقال ﷺ: «أخوف ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر، فقالوا: وما الشرك الأصغر؟ فقال: الرِّياء»<sup>(٢)</sup>. اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.  
أيها المؤمنون.

إن فضائل لا إله إلا الله ومناقبها لا تحصل بمجرد قول اللسان، بل لا بد من إيمان القلب وعمل الجوارح والأركان، وإذا أردت - يا عبد الله - دليلاً لذلك، فانظر إلى المنافقين، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>، فهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، مع أنهم يقولونها بألسنتهم، فإياكم - أيها المؤمنون - أن تكونوا من الذين جعلوا القرآن عضين! فإنه من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الإيـان بهذه الكلمة لا يتم إلا بقول وعمل، قال ﷺ: «الإيـان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيـان»<sup>(٤)</sup>.

فالله الله أيها الناس، تمسكوا بكلمة التقوى والإيـان، اعرفوا معناها، واستقيموا

(١) سورة إبراهيم (٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٠)، والحاكم (٧٩٣٧) وصححه.

(٣) سورة النساء (١٤٥).

(٤) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليها، وجاهدوا فيها، أحبُّوا أهلها والدَّاعين لها، واجعلوهم إخوانكم في الدِّين، ولو كانوا عنكم بعيدين، واكفروا بكلِّ ما يُعبد من دونِ الله، فإنه من يكفُر بالطاغوتِ ويؤمنُ بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقى، لا انفصامَ لها.

اللَّهُمَّ بِأَسْمَائِكَ الْحَسَنِيَّ وَصِفَاتِكَ الْعَلِيَّا اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ آخِرَ كَلَامِنَا مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

## ٤- التقوى.

## الخطبة الأولى

الحمد لله الذي عمّر بتقواه قلوب المتقين وجعل تقواه سبيل النجاة للأولين والآخرين، فمن رام الفوز والفلاح ورغب في السلامة والنجاح فعليه لزوم نهج المتقين، وسلوك سبيل المحسنين.

أحمده تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم النبيين، أما بعد..

عباد الله اتقوا الله وأطيعوه، فالتقوى وصية الله للأولين والآخرين، كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup> وهي من أول ما صح به المرسلون في أقوامهم، كما حكى الله عن رسوله فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ

أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿إِذْ قَالَ

لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وكان نبينا

ﷺ يوصي بها أصحابه في خطبه ومواظبه، فيقول لهم: عليكم بتقوى الله، وقد أمر الله

(١) سورة النساء: ١٣١.

(٢) سورة الشعراء: ١٠٦.

(٣) سورة الشعراء: ١٢٤.

(٤) سورة الشعراء: ١٦١.

(٥) سورة الشعراء: ١٧٧.

سبحانه وتعالى بها نبيه ﷺ خاصة، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ  
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>، والمطالع لكتاب الله ﷻ يرى ويشهد بأنه سبحانه أمر بالتقوى  
كثيراً، حتى إنني لأظن أن الله - تبارك وتعالى - لم يكرّر الأمر بشيء من محبوباته، كما  
كرّر وروّد الأمر بالتقوى.

وأنت أيها الأخ المبارك لا يكاد يمرُّ عليك عددٌ من الأيام، إلا ويطرُق سمعك الأمر  
بتقوى الله تعالى، إما في خطبة الجمعة أو غيرها من المواعظ، أو في قراءتك للسنة  
النبوية أو القرآن، ولا شك أن تكرّر هذا الأمر وتردده وعناية الله به واتفاق الرسل في  
دعوة أقوامهم إليه يوجب أن يقف عنده المتدبرون ويتأمله العارفون، فيكشفوا حقيقته  
وسرّ اعتناء الله ورُسله به، ويتعرفوا على فضل التقوى وصفات أهلها، عسى أن  
يكونوا من المتّقين الفائزين.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه  
ويحذره وقايةً تقيه وتحميه، فتقوى العبد لربه سبحانه هي أن يجعل بينه وبين ما يحشاه  
من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقايةً بفعل أو امره وترك نواهيهِ رغبةً ورهبةً، قال  
عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل والتخليط  
فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرّم الله وأداء ما افترض الله"<sup>(٢)</sup>.

فتقوى الله أيها المؤمنون ليست شعوراً جامداً محبوساً في قلب العبد، ليس له أثرٌ ولا

(١) سورة الأحزاب: ١.

(٢) الزهد الكبير ٢/٤٨٠.

ثُمَّ، بل التقوى هي حارسٌ قائمٌ في أعماقِ الضمير، يحمل المؤمنَ على امتثالِ أمرِ ربِّه وتركِ نهيهِ، فكلُّ حركةٍ وسكونٍ لا بد فيها من تقوى الحيِّ القيوم، فتقوى الله تعالى يحتاجها العبدُ كلما تردَّد نفسه أو خفيق قلبه أو نبض عرقه أو تحرك لخطئه، يحتاجها الصغيرُ والكبيرُ والذكرُ والأنثى؛ ولذلك كانت وصيةُ النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ولكلِّ

مؤمنٍ ومؤمنةٍ: « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ »<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله عبادَ الله، والتزموا شرعَه في العسرِ واليسرِ والفقيرِ والغني والمنشطِ والمكروه والغيبِ والشهادةِ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فتقوى الله يحتاجها كلُّ أحدٍ، احتاجها المرسلون في تبليغِ رسالةِ ربِّهم، وتقوى الله يحتاجها العلماءُ والدعاة للوفاء بما أخذ عليهم من بذلِ الحقِّ والصدقِ به والنصحِ للأئمةِ والأمةِ صغيرِها وكبيرِها ذكرِها وأنثاها، ليكونوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يتبين لنا خطأ الذين ظنُّوا أن تقوى الله تعالى هي الشعورُ الكامنُ في القلبِ، الذي لا يتدخلُ في شؤونِ الجوارحِ، فتجدُ صاحبَ هذا الظنِّ يقصِّرُ في الطاعاتِ، ويغامرُ في أنواعٍ من المنكراتِ، ثم إذا قلتَ له: "اتقِ الله" دارتِ حماليقُ عينه وفارَ الدمُ في عروقه، وقال لك بلسانِ الواثقِ ضارباً بيده على صدره، حتى إنك لتخشى على

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٥٤) والترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، و صححه الترمذي.

(٢) سورة الحجر: ٩٩.

(٣) سورة آل عمران: ١١٠.

أضلاعه من شدة الضرب: التقوى هاهنا ! التقوى هاهنا ! التقوى هاهنا!  
الله أكبر! ما أخطر انقلاب المفاهيم وتبدل الأفكار، إنها والله كلمة حق أريد بها  
باطل، فهل يصح عند أولي العقول والأبصار فضلاً عن المتقين الأخيار أن يتقلب العبدُ  
بين ترك الواجبات وانتهاك المحرمات، ثم يكون ممن امتحن الله قلوبهم للتقوى؟! لا  
والله وألف لا، وما أراد النبي ﷺ كما قال: «التقوى هاهنا» وأشار إلى صدره، ما يزعمه  
أصحاب هذا الفهم المغلوط والدين المنقوص، إنما أراد ﷺ أن يبين أن أصل التقوى في  
القلب، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>، فإن  
ما في القلوب من خيرٍ أو شرٍّ لا بد وأن ينكشف عنه الستر، إما في الدنيا أو يوم تُبلى  
السرائرُ

ومهما تكن عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ      وإن خالها تخفى على الناس تُعلم<sup>(٢)</sup>

أيها المؤمنون.

إن تقوى الله سبحانه وتعالى إذا استقرت في القلوب وارتسنت بها الأقوال والأعمال  
والأحوال أثمرت وأعقت من الفضائل والفوائد والشار شيئاً كثيراً، به تصلح الدنيا  
والآخرة، دار القرار.

أيها المؤمنون..

إن من فوائد التقوى وثمارها: أنها سبب لتيسير العسير، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ

(١) سورة الحج: ٣٢.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى في معلقته

اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿١﴾ .

وتقوى الله تعالى سبب لتفريج الكروب، وإيجاد المخارج والحلول عند نزول الخطوب.

وهي سبب لفتح سبيل الرزق، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ

مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ﴿٢﴾ .



(١) سورة الطلاق: ٤ .

(٢) سورة الطلاق: ٢-٣ .

## الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين والصلاة على إمام المتقين نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.  
أما بعد! فيا أيها المؤمنون.

إن تقوى الله تعالى هي خير ما يقدم به العبد على الله يوم العرض ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ  
الزَّادِ التَّقْوَى﴾<sup>(١)</sup>.

هذه بعض فوائد التقوى وثمارها في هذه الدنيا، أما يوم المعاد ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا  
بُنُونَ﴾ إلا من أتى الله بقلب سليم<sup>(٢)</sup>، فإن تقوى الله تعالى أعظم جنة يحتوي بها العبد  
في ذلك اليوم، قال ابن القيم رحمه الله:

وخذ من تقى الرحمن أعظم جنة ليوم به تبدو عياناً جهنم

ويأتي إله العالمين لوعده فيفصل ما بين العباد ويحكم<sup>(٣)</sup>

فتقوى الله سبب لنجاة العبد من الهلاك والعذاب والسوء، قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ

الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وهي سبب لتكفير السيئات  
ورفع الدرجات والفوز بالغرف والجنات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٣) طريق الهجرة (٩٦).

(٤) سورة الزمر: ٦١.

وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿٢﴾ .

فاتقوا الله عباد الله، فإن تقوى الله تعالى هي أكرم ما أسررتهم، وأعظم ما ادخرتهم، وأزین ما أظهرتهم، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٣﴾ ، والآيات في بيان جميل عاقبة المتقين كثيرة عديدة، وكفى بقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤﴾ على ذلك دليلاً.

فتزودوا أيها المؤمنون من تقوى الله تعالى، فإنها خير زاد، كما قال الله تعالى:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ﴿٥﴾ ولا نجاة إلا بهذا الزاد

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولا قيت يوم الحشر من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثلِه وأنت لم تُرصد كما كان أُرصدًا ﴿٦﴾

(١) سورة الطلاق: ٥ .

(٢) سورة الزمر: ٢٠ .

(٣) سورة آل عمران: ١٥ .

(٤) سورة القصص: ٨٣ .

(٥) سورة البقرة: ١٩٧ .

(٦) ديوان الأعشى (٤) .

فاتقوا الله عباد الله، وتواصوا بينكم بذلك، فإن هذا هو سبيل المتقدمين من السلف الصالحين المتقين، كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ابنه عبد الله: "من عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن عمر، أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نُصبَ عينيك وجلاء قلبك" (١).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجلٍ من أصحابه: "أوصيك بتقوى الله، فإنها أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت، وأفضل ما ادخرت، أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها".

ولما كان هذا هو سبيل الأولين بارك الله في أعمالهم وأقوالهم وأرزاقهم، وفتح عليهم من الخيرات ما لم يكن منهم على بالٍ، فكانوا خير أمة أُخرجت للناس، في دينهم ودنياهم. وكلُّ من أراد العزَّ في الدِّين والدنيا، والبركة في الرزق والوقت والعمل، فعليه بتقوى الله تعالى، فإنها من أعظم ما استنزلت به الخيراتُ واستدفعت المكرهاتُ. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢).

❖❖❖❖❖❖

(١) الفوائد لابن منده (١٧٦).

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

## ٥- نظرات في الأسماء والصفات

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من أعظم وسائل وأسباب تحقيق التقوى معرفة العبد ربه، فإنه من عرف الله تعالى اتقاه وأحبه ورجاه، وتوكل عليه، وأتاب إليه، واشتاق إلى لقاءه، وأنس بقربه، وأجله وعظمه.

فمعرفة الله تعالى منها تتفجر ينابيع الخيرات، ومنها تصدر أحسن العبادات وأكمل المقامات؛ لذا لما كان النبي ﷺ أكمل الأمة معرفةً بالله تعالى كان أتقاهم له وأخشاهم، قال ﷺ: «أما والله، إني لأتقاكم لله وأخشاكم له»<sup>(١)</sup>.

فمعرفة الله سبحانه بها تحيا القلوب، وتزكو الأرواح، وتقبل على الله تعالى، وتشتغل به، فليس عند أولي العقول والنهي أحلى ولا ألد ولا أطيّب ولا أنعم من معرفة الله سبحانه، وإنما يحصل تمام المعرفة وكمالها برؤية الله سبحانه، فليس الخبر كالمعاينة، ولو شاهد العباد ربهم سبحانه، ورأوا جلاله وجماله وكماله، لكان لهم في عبادته وحبّه وتعظيمه شأن آخر، وقد قال الله في الحديث القدسي عن الذين اجتمعوا

(١) أخرجه مسلم (١١٠٨) من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنها.

لذِكْرِهِ: «كيف لو رأوني؟ قالت الملائكة: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تحميداً وتمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً»<sup>(١)</sup>.

لكن لما كانت رؤيته - سبحانه وتعالى - ممتنعة في هذه الدار، وهي لا تناسب قدرة الخلق وطاقتهم وحالهم، فتحَّ اللهُ لعباده طريقاً أخرى، يتعرَّفون بها عليه، فذكر سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ كثيراً من أسمائه وصفاته، وما يجب له وما يستحقه، فمن رامَّ تحصيل المعرفة بالله تعالى، فعليه أن يديم النَّظَرَ في كتابِ اللهِ تعالى، وما فيه من الأسماء والصفات.

فأسماءُ اللهِ تعالى وصفاته ومعرفته وإثباتها وتعلُّق القلب بها وشهودها هو مبدأ طريق العبودية ووسطه وغايته.

فمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته هي الروح التي يسير بها السالكون إلى الله تعالى، وهي حاديتهم في سيرهم ومحرك عزيמתهم إذا فتروا، ومثير همهم إذا قصرُوا. وقد بعث اللهُ رسله ليعرفوا به وبأسمائه وصفاته، فجاءوا به معرفين، وإليه داعين، قال ابن القيم رحمه الله في بيان ما قامت به الرسل: "فعرَّفوا الربَّ المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله، تعريفاً مفصلاً حتى كأنَّ العباد يشاهدونه سبحانه، وينظرون إليه فوق سماواته على عرشه، يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته، ويسمع أصوات خلقه، ويرى أفعالهم وحركاتهم، ويشاهد بواطنهم، كما يشاهد ظواهرهم، يأمر وينهى، ويرضى ويغضب، يضحك من قنوطهم وقرب غيره، ويحيب دعوة مضطربهم،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويغيث ملهوفهم، ويعين محتاجهم، ويجبر كسيرهم، ويغني فقيرهم، ويميت ويحيي ويمنع ويعطي، يؤتي الحكمة من يشاء، مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كل يوم هو في شأن، يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويفك عانياً، وينصر مظلوماً، ويقصم ظالماً، ويرحم مسكيناً، ويغيث ملهوفاً، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها . ذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة<sup>(١)</sup>.

وقد أمر الله سبحانه عباده بأن يتعرفوا عليه، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>، والأمر بدعائه بأسمائه يتناول دعاء المسألة والطلب، ودعاء الحمد والعبادة والثناء، ولا يتم امتثال هذا الأمر إلا بالتعرف على أسمائه الحسنى وصفاته العلاء. وقد رتب الله ﷻ على معرفة أسمائه وإحصائها الأجر العظيم والثواب الجزيل، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(٤)</sup>، وإحصاؤها يتحقق بحفظ ألفاظها، وفهم معانيها، والتعبد لله بها.

(١) مدارج السالكين ٣/٣٦٤

(٢) سورة الأعراف (١٨٠).

(٣) سورة الإسراء (١١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

وكلُّ هذا يوضح لنا ما لأسماءِ الله وصفاته من أثرٍ في تحقيقِ العبادة وإقامةِ الدين، إذ لا تستقرُّ للعبدِ قدمٌ في الإيمانِ إلا بمعرفةِ الله الواحدِ الديانِ، فالإيمانُ بأسماءِ الله وصفاته، ومعرفةُها وإثباتها أساسُ دينِ الإسلامِ، وقاعدةُ الإيمانِ، وثمرَةُ شجرةِ الإحسانِ، ولا تستقيمُ للعبدِ محبةُ الله سبحانه إلا بهذه المعرفةِ، وإنما تفاوتت منازلُ عباداتِ الناسِ ومراتبُهم في محبةِ الله تعالى وتعظيمه بسببِ تفاوتِ منازلهم ومراتبهم في معرفةِ الله تعالى وأسمائه وصفاته، فكلما أدام العبدُ النظرَ في أسماءِ الله والتأمَّلَ في صفاته ازدادت محبتهُ لربه، وإقباله على طاعته، وتحققت له لذةُ عبادته، فأنسَ بربه واشتاقَ إلى لقائه. ومعرفةُ أسماءِ الله وصفاته تحملُ العبدَ على الإكثارِ من ذكرِ الله وشكره، والثناءِ عليه ومدحه، والحمد له.

وذكرُ الله سبحانه ومدحه من أعظم ما يقربُ إليه، فإنه لا أحدَ أحبُّ إليه المدحُ من الله تعالى، من أجلِ ذلك مدحَ نفسه، كما قال النبي ﷺ. ومهما بلغَ العبدُ من تمجيدِ الله تعالى وتقديسه، فإنه لم يوفِّه حقه، ولم يقدره حقَّ قدره، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ولذلك كان من دعاءِ النبي ﷺ: «لا أحصي ثناءً عليك»<sup>(٢)</sup>، فهو سبحانه فوق ما يشني عليه المشنون، وفوق ما يحمده الحامدون، كما قال الأول:

(١) سورة الزمر (٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وما بلغ المهدون نحوك مدحةً وإن أطنبوا إنَّ الذي فيك أعظمُ  
 لك الحمدُ كلُّ الحمدِ لا مبدالَه ولا منتهى واللهُ بالحمدِ أعلمُ  
 ومعرفةُ أسماءِ الله وصفاته سبيلٌ يستدلُّ بها الخواصُّ من أولي البصائرِ والألبابِ  
 على أفعالِ ربِّ الأربابِ، وشاهدُ هذا ومثاله: ما أخرجه أحمد وابن ماجه والطبراني  
 بسند يقبل - فيه لين وهو قابل التحسين - عن أبي رزين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
 «ضحك ربنا من قنوطِ عباده وقربِ غيرِه، قال: قلتُ يا رسول الله أويضحك ربنا؟  
 قال: نعم، قلت: لن نعدم من ربِّ يضحك خيراً»<sup>(١)</sup>، فهذا أبو رزين رضي الله عنه استدلَّ على جميلِ  
 فعلِ الله تعالى بصفيةٍ من صفاته، وهذا بابٌ مهجور ودربٌ متروك، قلَّ سالكُه وشذَّ  
 طارقُه، ولا يركبه إلا الخُلصُّ من المؤمنين.



(١) أخرجه أحمد (١٥٧٥٤)، وابن ماجه (١٨١).

## الخطبة الثانية

أما بعد .

فاعلموا - بارك الله فيكم - أنه لما غفل كثيرٌ من الناس، وذهلوا عن هذا الباب العظيم من أبواب معرفة الله الجليل، حُجِبَ أكثرُ الخلق عن تحقيق الإيمان بالله تعالى، فإن صفاته إذا أغفلها الناس، ووضعوا أعلامها عن القلوب، وطمسوا آثارها وعطلوا معانيها، ضربوا بسياط البُعد عن الله، وأسبل دوتهم حجاب الطرد والإبعاد، وتخلَّفوا مع المتخلفين وقعدوا مع القاعدين؛ ولذا فإن كثيراً من الناس يسمعون أسماء الله وصفاته، فلا يؤثر ذلك في قلوبهم، ولا يزيد في عبادتهم، ولا يصلح أقوالهم ولا أعمالهم ولا أحوالهم، فقد ضرب بينهم وبين الله ومعرفة حجاب من الشبهات والشهوات والجهل والغفلة.

واعلموا أيها الإخوة الكرام، أن لكل اسم من أسماء الله تعالى معنى يُتَعَبَدُ لله به، ويتقرب إليه بمقتضاه، وقد أطال ابن القيم - رحمه الله - في نونيته في بيان معاني بعض أسماء الله تعالى، التي يتعبد الله تعالى بها، وقد اخترت بعض الأسماء التي ذكرها رحمه الله لأبين أثر معرفة أسماء الله تعالى على العبد، فمما قال رحمه الله:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما	في الكون من سرٍّ ومن إعلان
ولكل صوتٍ منه سمعٌ حاضر	فالسرُّ والإعلان مستويان
وهو البصير يرى دبيب النملة الس	سوداءٍ تحت الصخرِ والصوَّانِ
وهو العليمُ أحاط علماً بالذي	في الكونِ من سرٍّ ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه	فهو المحيطُ وليس ذانسيان

وهو الحليم فلا يعاجل عبده وهو العفو فعفوؤه وسع الورى  
 بعقوبة ليتوب من عصيان لولاه غار الأرض بالسكان  
 وهو الرقيب على الخواطر واللووا حظ كيف بالأفعال بالأركان<sup>(١)</sup>

ومضى رحمه الله يذكر أسماء الله تعالى الحسنى، وما فيها من المعاني العظيمة العليا، وهذا بيّن لنا المنهج السليم في باب الأسماء والصفات، وهو أن يقرن الإثبات للأسماء والصفات بالتعبّد لله تعالى بمعانيها، وقد ظنّ أقوامٌ أن السلف -رحمهم الله- إنما اعتنوا واهتموا بإثباتها فحسب؛ لذا انحصرت جهود هؤلاء في جانب الإثبات والرد على من ضلّ في هذا الباب، من معطلة لصفات الله، أو ممثلة لله سبحانه وتعالى بخلقه، ولا شكّ عند من لديه معرفة بمنهج السلف، أنهم -رحمهم الله- لم يقتصروا على جانب الإثبات النظريّ، بل اهتموا كثيراً بجني ثمار هذا الإثبات في عبادتهم لله تعالى، فعلى من أراد سلوك سبيل السلف الصالحين والأئمة المهديين أن يجتهد في إحياء التعبّد لله تعالى بأسمائه وصفاته، وألا يكتفي منها بمجرد الإثبات العلميّ والدراسة النظرية، فإن من سمات السلف الظاهرة أنهم كانوا أشد الأمة لله تعظيماً وتمجيداً وثناء وعبادة، فأثمر ذلك أنهم كانوا خير الأمة علماً ودعوةً وعملاً، فالإثبات النظري للأسماء والصفات يجب أن يرتبط بالشعور الإيماني والسلوك العملي، ومن الخطأ اختزال منهج الصحابة والتابعين وتابعيهم في باب الأسماء والصفات على جانب الإثبات النظري المجرد، فإن الله - سبحانه وتعالى - ذكر أسماء وصفاته ليعبده بها المؤمنون دعاءً وطلباً

(١) القصيدة النونية (٢٠٧).

ومسألةً وثناءً وحمداً؛ لذا لما كان الضَّلالُ في بابِ الأسماء والصفاتِ يفضي إلى تخلفِ هذه الشَّارِ، وتعطيلِ ما أراد اللهُ من معرفةِ الخلقِ به سبحانه وعبادتهم له، اشتدَّ نكيرُ السلفِ على المعطلةِ والممثلةِ، قال ابن القيم رحمه الله: " فلما تمَّ للمعطلةِ مكرهم ترتبَ عليه الإعراضُ عن الله، وعن ذكره ومحبته والثناءِ عليه بأوصافِ كماله ونعوتِ جلاله، وانصرف كثيرٌ من الخلقِ بحبِّهم وعبادتهم إلى غيرِ الله تعالى؛ إذ القلوبُ مفطورةٌ على محبةِ المحسنِ المتَّصفِ بصفاتِ الكمالِ، فلما جرَّده المعطلون عن أسمائه وصفاته شغلَ الخلقُ بغيره وانصرفوا عنه" (١).



(١) مدارج السالكين ٣/٣٦٧

## ٦- التوكُّلُ على الله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وطهروا قلوبكم من الآثام والذنوب، فإن آثام القلوب دقيقةٌ خفيةٌ، حتى إن كثيراً من المتزهِين عن الكبائر والآثام الحسنية من الزنى وشرب الخمر وغيرهما يتورطون في ألوان من الكبائر القلبية مثلها أو أعظم منها، ولا يخطرُ ببال أحدهم أنه مريض القلب، سقيم الفؤاد فضلاً عن أن يتوب منها أو يقلع عنها، وما ذاك إلا لخبائثها وغفلة الناس عنها.

فكم هم أصحاب القلوب المريضة بالعجب والرياء، وكم هي القلوب المشحونة بالغل والحسد والحقد، وكم هي الأفتدة التي بليت بمحبة غير الله تعالى، وخوف غيره أو الاغترار به سبحانه، أو سوء الظن به؟! إنها والله كثيرة.

ومن ينبج منها ينبج من ذي عزيمةٍ وإلا فإني لا إخالك ناجياً<sup>(١)</sup>  
أيها المؤمنون.

إن خطايا القلوب وآثامها خطيرةٌ عظيمةٌ، فالقلب سيد الجوارح، وهو المتصرف

(١) البيان والتبيين (١٩٢).

فيها والجوارحُ تابعةٌ منقادَةٌ له، تكتسبُ استقامتَها وضلالَها منه، ويشهد لذلك وينطق به، ما أخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً: «ألا وإنَّ في الجسدِ مضغَةً، إذا صلحت صلحَ الجسدِ كُلِّه، وإذا فسدت فسَدَ الجسدُ كُلُّه، ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن من الآفاتِ الكبارِ والآثامِ العظامِ، التي غَزَتْ قلوبَ كثيرٍ من الناسِ وأفسدتها، وصرفتها عن صحَّتها واستقامتها تعلقها بغيرِ الله تعالى، واعتمادها على غيره في جلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِ، واستعانتها وركونها إلى غيرِ الله تعالى، وكل هذه الأمراضِ تدلُّ على ضعفِ إيمانِ صاحبها، فإن قوةَ التوكُّلِ وضعفه بحسبِ قوةِ الإيِّانِ وضعفه، فانظر يا عبد الله إلى إيمانك فإنه كلما قويَ إيمانك بالله كان توكُّلكَ عليه أقوى، فإذا ضعفَ الإيِّانُ ضعفَ التوكُّلُ، وإذا كان التوكُّلُ على الله ضعيفاً، فهو دليلٌ على ضعفِ الإيِّانِ ولا بدَّ، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فجعل سبحانه التوكُّلَ شرطاً في الإيِّانِ، فدَلَّ على انتفاءِ الإيِّانِ عندَ انتفاءِ التوكُّلِ، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فذكر اسمَ الإيِّانِ هاهنا دونَ سائرِ أسمائهم دليل على استدعاءِ الإيِّانِ للتوكُّلِ.

وجعل سبحانه التوكُّلَ من أخصِّ صفاتِ المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) سورة المائدة (٢٣)

(٣) سورة آل عمران (١٢٢)

يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون حوائجهم إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، لا شريك له ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب؛ ولهذا قال سعيد بن جبير: "التوكل على الله جماع الإيمان" (٢).

قال ابن القيم رحمه الله: " فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فإدامت في القلب علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة" (٣).

فيا ليت شعري كم نقص من إيمان وتوحيد أولئك الذين ركنت قلوبهم إلى ما يجري لهم، من الرواتب والأجور من الدولة وغيرها، أم ليت شعري ما حال أولئك الذين تعلقت قلوبهم بالأطباء والقراء في حصول الشفاء وزوال الداء، أم ليت شعري كيف توكل أولئك الذين جابوا الفياض والقفار وقطعوا الصحاري والبحار يلاحقون السحرة والمشعوذين والدجالين والمحرّفين، يطلبون منهم رفع البلاء أو دفعه، أين هؤلاء جميعاً من قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٤)!!؟

(١) سورة لأنفال (٢)

(٢) تفسير ابن كثير ١٢/٤.

(٣) مدارج السالكين ١٢٠/٢.

(٤) سورة النساء (٨١)

أيها المؤمنون.

إن التوكل على الله تعالى الذي هو صدقُ الاعتمادِ عليه سبحانه في جلبِ المنافعِ، ودفعِ المضارِ، وعدمِ الالتفاتِ إلى الأسبابِ هُوَ من أَجَلِّ القُرْبَاتِ وأشرفِ الطاعاتِ، حتى قال بعضهم: التوكلُ نصفُ الدينِ، والإنابةُ نصفُه الثاني، قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup>، وهذه الآيةُ جماعُ الدينِ، والتوكلُ هو الاستعانةُ، والإنابةُ هي العبادةُ.

وللتوكلِ على الله تعالى فوائدٌ عديدةٌ كثيرةٌ، منها:

أن الله ﷻ جعلَ التوكلَ عليه سبباً لحصولِ المطلوبِ واندفاعِ المرهوبِ، قال ابن القيم رحمه الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: كافي من يثق به في نوائبه ومهائمه، يكفيه كل ما أهمه وأقلقه، وكلما كان العبدُ حسنَ الظنِّ بربه حسنَ الرجاءِ له صادقَ التوكلِ عليه، فإن الله تعالى لا ينجبَ أملَ آملٍ صادقٍ، ولا يُضيعَ عملَ عاملٍ<sup>(٣)</sup>؛ لذا قال النبي ﷺ فيما أخرجه أحمد والترمذي بسند جيد عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لو أنكم توكلتم على الله حقَّ توكلِهِ لرزقكم كما يرزق الطيرَ، تغدو خصاصاً؛ أي: تذهب في الصباحِ جائعةً «وتروحُ بطاناً»<sup>(٤)</sup>؛ أي: ترجع في المساءِ شبعة.

(١) سورة الفاتحة (٥)

(٢) سورة الطلاق (٣)

(٣) مدارج السالكين ١/٤٧١.

(٤) أخرجه أحمد (٢٠٥)، والترمذي (٢٣٤٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصححه الترمذي.

وقد أجاد من قال:

**تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ      أَرَدْتَ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِي وَيَقْدِرُ**

ومن فضائل التوكل وفوائده: أنه يكسب العبد قوة لا يحصلها بغيره، قال بعض السلف: "من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى"، فإن القوة مضمونة للمتوكل، والكفاية والحسب والدفع عنه حاصل له؛ ولذا كان الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - أقوى الخلق إيماناً، وأصلبهم ثباتاً، وأرسخهم يقيناً، وأصلبهم مراساً، ولأتباعهم الصادقين وورثتهم العاملين نصيبٌ من ذلك كله، فهذا نبينا ﷺ وأصحابه لما قال لهم الناس: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأُولَٰئِكَ جَنَّاتُ الْجَنَّةِ الَّتِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، فهذا نبينا ﷺ وأصحابه لما قال لهم الناس: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأُولَٰئِكَ جَنَّاتُ الْجَنَّةِ الَّتِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

ومن مزايا التوكل وفضله: أن المتوكل موعودٌ بأجرٍ عظيمٍ وفضلٍ كبيرٍ، ففي "الصحيحين" في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، قال النبي ﷺ في بيان من هم: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون»<sup>(١)</sup>.

هذه أيها الأخوة بعض فضائل التوكل، ولو لم يكن فيه إلا أن أهله هم أحبّ الله

(١) سورة آل عمران (١٧٣ - ١٧٤)

(٢) "صحيح البخاري" (٥٧٥٢)، ومسلم (٢١٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

لكفاه فضلاً ومنقبةً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قال الغزالي رحمه الله: " فأعظم بمقامٍ موسومٍ بمحبةِ الله تعالى صاحبه، ومضمونٍ بكفايةِ الله تعالى مُلابسه، فَمَنَ اللهُ تعالى حسبه وكافيه ومُحِبُّهُ ومُراعِيه فقد فازَ الفوزَ الكبيرَ، فإنَّ المحبوبَ لا يَعْدُبُ ولا يبعُدُ ولا يَحِجُبُ"<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إنه لا منافاة بين التوكل الصادق وبين الأخذ بالأسباب، فهذا نبيكم ﷺ إمام المتوكلين وسيدهم كان يأخذ بالأسباب، فقد ظاهر يوم أُحُدٍ بين درعين، وكان يدخر قوت أهله سنةً وهو سيد المتوكلين.

فالواجب على المؤمن الصادق أن يتوكل على الله تعالى بقلبه، وذلك بأن يعلم ويؤمن بأن الله تعالى كافيه، وأنه سبحانه يقوم بما توكل عليه فيه حق القيام، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فإنه سبحانه كفى به وكيلاً.

وعليه مع هذا أن يأخذ بالأسباب التي جعلها الله تعالى سبيلاً لتحصيل الغايات، وطريقاً لكسب المقاصد والمبتغيات، فاسألوا الله من فضله، وعلقوا قلوبكم به، فإنه لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يرفع الشر إلا هو.



(١) سورة آل عمران (١٥٩)

(٢) إحياء علوم الدين ٢/٢٣٣.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اعلموا أنه لا غنى بأحد من الخلق عن التوكّل على الله تعالى في حصولِ مطلوبه وإصابةِ مقصوده، ويشهد لذلك أن التوكّل يقعُ من المؤمنين والكفار، ومن الأبرار والفجار، بل ومن الطيرِ والوحشِ والبهائمِ، فأهلُ السماواتِ والأرضِ جميعهم محتاجون إلى التوكّلِ على الله تعالى في تحصيلِ مراداتهم، وتحقيقِ مبتغياتهم على اختلافِها وتنوعِها.

أيها المؤمنون.

إن كثيراً من الناسٍ لا يفهمون من التوكّلِ على الله إلا التوكّلَ عليه في تحصيلِ رزقٍ أو عافيةٍ أو زوجةٍ أو ولدٍ، أو غير ذلك من جلبِ حوائجِ العبدِ وحظوظه الدنيوية، أو دفعِ الشرورِ والمصائبِ الدنيوية، ولا شك أن هذا مما يجبُ على العبادِ أن يعلّقوا قلوبهم فيه على الله تعالى، فإنه لا يأتي بالخيرِ إلا هو، ولا يدفعُ الشرَّ إلا هو سبحانه، ولا يكفي العبدَ أن يتوكّلَ على الله بلسانه وقلبه، وقد انجفل إلى المخلوقين واشتغلَ بالأسبابِ عن مسببها، بل لا بد من ركونِ القلبِ إلى الله تعالى واعتماده عليه وسكونه إليه.

وفوق هذه المرتبةِ من التوكّلِ مرتبةٌ أخرى خصَّ الله بها أوليائه المتقين وحزبه المفلحين، وهي التوكّلُ عليه في الإيِّانِ به وفي نصرته دينه وإعلاءِ كلمته وجهادِ أعدائه، وفي حصولِ محابّته والقيامِ بأوامره، فهذه المرتبة هي من أخصِّ مقاماتِ المؤمنين، قال

الله تعالى في بيان موقف رسله وأوليائه من كيد أعدائه وتهديداتهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الخليل حين ألقى في النار: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، وقالها محمد ﷺ وأصحابه عندما قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم، فعلى أتباعهم من طلبية العلم وحملة الرسالة وأهل الدعوة والصحة أن يسلكوا سبيلهم، وأن يحدوا حذوهم في التوكل على من بيده ملكوت كل شيء في نصر دين الله وإعزاز جنده وإعلاء كلمته وجهاد أعدائه، بعد أخذهم بالأسباب من العلم والتعليم والبذل والدعوة والنصح للخلق والصبر على ذلك.

فما لنا يا ورثة الأنبياء ويا حملة الرسالة ويا دعاة الحق أن لا نتوكل على الله، ونحن نأوي إلى ركن شديد ونعتم بحبل متين، فقوموا -بارك الله فيكم - بما افترضه الله عليكم من نصره دينكم والدعوة إليه والصبر عليه، وتوكلوا على الله تعالى في تحقيق آمالكم، ولا يروعنكم تكالب أعدائكم، ولا توالي كيدهم ولا تماديهم في غيهم؛ فإن عاقبتهم الفشل في الدنيا والآخرة، فإن الله لا يصلح عمل المفسدين، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فراغمو أعداء الله ورسوله، واصدعوا بالحق وانصحوا للخلق، فإن الغلبة

(١) سورة إبراهيم (١٢).

(٢) سورة الأنفال (٣٦).

والظهورَ والعزةَ والتمكينَ لأولياءِ الله تعالى ولأتباعِ رسلي ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن صدقَ توكله على الله تعالى في نصرِ دينه وإِعلاءِ كلمته كفاه الله ما أهمّه وأعانّه على أمورِ دينه ودنياه.

جعلنا الله وإياكم من أولياءه المتوكلين عليه الذين يبلغون رسالاتِ الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله.



## ٧- من مظاهر ضعف التوكل

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فيا أيها المؤمنون، عباد الله.

اتقوا الله واعبدوه وحده لا شريك له، وأفرِّدوه سبحانه وتعالى بالرغبة والرَّهبة والخوف والرجاء والسؤال والتوكل، فإن التوكل جماع الإيمان، فإنه لا إيمان لمن لا توكل معه، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال عز جنابه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. فاتقوا الله عباد الله، وحققوا إيمانكم بصدق الاعتماد عليه جلَّ شأنه في جلب كل خير، واعلموا أيها المؤمنون، أنه لا يستقيم لكم إيمان إلا بالتوكل على الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إيَّاه، ولا يلودون إلا بجنابه، ولا يطلبون حوائجهم إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا معقَّب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه،

(١) سورة المائدة: ٢٣

(٢) سورة آل عمران: ١٢٢

(٣) سورة الأنفال: ٢

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذُوهُ وَكِيلاً.

أيها المؤمنون.

إِنْ مِنْ أَكْبَرِ الْآفَاتِ وَأَعْظَمِ الْآثَامِ الَّتِي بُيِّبَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ضَعْفَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّعَلُّقَ بغيرِهِ، وَالاعْتِمَادَ عَلَى سِوَاهِ.

أيها المؤمنون.

إِنْ عِلَامَاتِ ضَعْفِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرَةٌ فِي حَيَاةِ النَّاسِ الْيَوْمَ، فَمَنْ تِلْكَ الْمَظَاهِرِ:

أَنْ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ الْأَمْرَاضُ، أَوْ أَصَابَتْهُمْ الْأَسْقَامُ، تَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْأَسْبَابِ الْحِسِيَّةِ، وَغَفَلُوا عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>(١)</sup>، فَتَجِدُ فَرِيقاً مِمَّنْ أَصِيبُوا بِالْأَمْرَاضِ عُلَّقُوا قُلُوبَهُمْ بِالْأَطْبَاءِ أَوْ الْأَدْوِيَةِ، وَرَجَوْا مِنْهُمْ الشِّفَاءَ وَزَوَالَ الدَّاءِ، وَمِنْهُمْ فَرِيقٌ جَابَ الْفِيَاثِ وَالْقَفَارَ، وَقَطَعَ الصَّحَارِيَّ وَالْبَحَارَ، وَشَرَّقَ وَغَرَّبَ فِي الْأَمْصَارِ، يَلْحَقُ السَّحْرَةَ وَالْمَشْعُودِينَ، يَرْجُو مِنْهُمْ رَفْعَ الْبَلَاءِ، وَكَشْفَ الضَّرَّاءِ، فَخَرَّبُوا قُلُوبَهُمْ لِإِصْلَاحِ أَسْبَابِهِمْ، فَفَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ، وَوَهِنَتْ أَسْبَابُهُمْ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾<sup>(٢)</sup>.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنْ مِنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ سَاحِراً أَوْ كَاهِناً فَسَأَلَهُ فَصَدَقَهُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَيْفَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، تَطْلُبُ الشِّفَاءَ مِنَ السَّحْرَةِ وَالْكَفَرَةِ الَّذِينَ لَا

(١) سورة الشعراء: ٨٠

(٢) سورة الجن: ٦.

حول لهم ولا قوة، وتغفل عن الله الذي يجيب المضطرَّ إذا دعاه ويكشفُ السوء؟!!

كيف تياس من روحه ورحمته، وقد وسعت رحمته كل شيء؟!!

أما سمعت نبي الله أيوب، عليه السلام، وهو يقول: ﴿أَيُّ مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>!؟

ألم تر كيف أجابه الكريم المنان ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ

وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، وإياكم إياكم أن تأتوا هؤلاء الكهنة والمشعوذين تحت

أي ظرف، فلأن تموت يا عبد الله، مريضاً موحداً مؤمناً خيراً لك من أن تموت صحيحاً

معافى مشركاً، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من مظاهر ضعف التوكل أنهم إذا نزلت بهم المصائب، وأصابتهم النوائب

فزِعُوا إلى غير مفرع، وفرَّوا إلى غير مهرب، فتجد الواحد من هؤلاء إذا نالته نائلة توجَّه

إلى مخلوق مثله يطلب شفاعته وغيوثه وتحقيق طلبه، ولو أن هؤلاء صدقوا الله لكان

خيراً لهم، طرَقوا كل باب، وسلَكوا كل سبيل، إلا أنهم غفلوا عن الله، الذي إذا أراد شيئاً قال

(١) سورة الأنبياء: ٨٣.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٤.

(٣) سورة المائدة: ٧٢.

له كُنْ فيكون، فإنه سبحانه قد قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: كافٍ من يثق به في نوائبه ومهاتمه، يكفيه ما أهمه وأقلقه.

فاتقوا الله عباد الله، وأنزلوا حاجاتكم بالذي ينادي كل ليلة، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟

جاء رجلٌ إلى الربيع بن عبد الرحمن يسأله أن يكلم الأمير في حاجة له، فبكى الربيع رحمه الله، ثم قال: أي أخي، اقصد إلى الله عز وجل في أمرك تجده سريعاً قريباً، فإني ما طلبت المعونة من أحدٍ في أمرٍ أريده إلا الله، فأجده كريماً قريباً لمن قصده وتوكل عليه.

عباد الله، إن من مظاهر ضعف التوكل عند بعض الناس: التشاؤم، والتطير ببعض الأسماء أو الأشخاص أو الأرقام أو الألوان أو الأيام أو الشهور وغير ذلك، فإن ذلك من الشرك المحرم قال ﷺ: «من رددته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنه لا يأتي بالحسنات إلا الله جل وعلا، ولا يدفع السيئات إلا الله سبحانه، فعلقوا قلوبكم بالله يا عباد الله، واعتقدوا قوله جل وعلا: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.



(١) سورة الطلاق: ٣.

(٢) أخرجه أحمد (٧٠٠٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؟

(٣) سورة يونس: ١٠٧.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي لا إله إلا هو، عليه توكلتُ وعليه فليتوكل المتوكلون، أحمدُه جل وعلا، فهو كافٍ من يتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

فاتقوا الله عباد الله.

أيها المؤمنون.

أنتم أحق من يتوكل على الله، فإن أهل السماوات وأهل الأرض، إنسهم وجنهم محتاجون إلى التوكل على الله تعالى في تحصيل مُرادهم، وتحقيق مُبتغياتهم على اختلافها وتنوعها.

فتوكلوا أيها المؤمنون، على من بيده الأمر وله الحكم، فإن التوكل على الله -جل وعلا- من أعظم أسباب حصول المطلوب، والأمن من المهوَب، قال النبي ﷺ: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً -أي: تذهب في الصباح جائعة- وتروح بطاناً؛ أي: ترجع في المساء شبعى»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من فضائل التوكل أن أهله هم أقوى الخلق إيماناً، وأصلبهم ثباتاً، وأرسخهم يقيناً، وهم أحببأ الله وأهل نُصرته وتأييده، إن الله يحب المتوكلين، ومن يكن الله تعالى حسبه وكافيّه ومراعيه فقد فاز الفوز الكبير، فإن المحبوب لا يُعذب ولا يُبعد ولا يُحجب.



(١) تقدم تخريجه في ص (٤٦).

## ٨- التشاؤم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فيا أيها الناس.

اتقوا رَبَّكُمْ وَعَلَّقُوا قُلُوبَكُمْ بِهِ، وادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا، رَغَبًا وَرَهَبًا لَعَلَّكُمْ تفلحون، فَإِنَّ أَصَلَ الدِّينِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ النَّبِيِّينَ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: ﴿وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إِنَّ رَبَّكُمْ الَّذِي تَعْبُدُونَ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إِنَّ إِلَهَكُمْ الَّذِي تَرْغَبُونَ وَتَرْهَبُونَ هُوَ الَّذِي ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

(١) سورة البينة (٥).

(٢) سورة الحشر (٢٢-٢٣).

أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴿١١﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾.

لا مانع لما أعطى، ولا مُعْطِي لما مَنَعَ، قَدَّرَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وله في ذلك الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالْقُدْرَةُ النَّافِذَةُ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿١٣﴾.

فكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ﴿١٤﴾.

عِبَادَ اللَّهِ، إِذَا عَلِمَ الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ صَدَقَ فِي تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِي جَلْبِ كُلِّ خَيْرٍ وَدَفْعِ الضَّرِّ، وَعَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ مِنْ أَقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ لِيَخْطِئَهُ وَيَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَمَا تَعَدَّاهُ وَأَخْطَاهُ إِلَى غَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَتَخَلَّصُ الْعَبْدُ مِنْ أَوْضَارِ الشَّرِكِ، وَلَوْثَاتِ الْوَثْنِيَّةِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ فَوَائِدِ التَّوْحِيدِ الصَّادِقِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا السَّعَادَةَ وَالْأَمْنَ وَالْإِهْتِدَاءَ، الَّذِي يَجِدُهُ الْمُؤْمِنُ الْمُحَقِّقُ لِتَوْحِيدِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

(١) سورة الحديد (٤).

(٢) سورة الحج (٧٠).

(٣) سورة الحديد (٢٢).

(٤) سورة القمر (٤٩-٥٠).

بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١﴾.

أيها المؤمنون.

إن مما ابتلي به بعض الناس التشاؤم بالأيام أو الشهور، أو التشاؤم ببعض الأشخاص أو الحيوانات أو الأحداث، أو غير ذلك، من المسموعات أو المعلومات أو المرئيات، ولا شك أن التشاؤم بهذه الأشياء، واعتقاد أنها سبب للشور من الشرك الذي يذهب الإيآن، وينكد على المرء حياته، ويلحقه الضيق والكدر فيها، بلا سبب شرعي ولا مسوغ حقيقي.

أوهام وظنون وخيالات ووساوس، فالخير كله بيد الله تعالى، لا راد لما أعطى ولا معطي لما منع؛ ولذلك نهى النبي ﷺ عن التشاؤم والتطير، فهما من أعمال الجاهلية، ومن المحرمات الشرعية، ففي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك، الطيرة شرك»<sup>(١)</sup>. وقال الصادق المصدوق عليه السلام: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»<sup>(٢)</sup>، فنفى النبي ﷺ ما كان يعتقد أهل الجاهلية من العدوى أن الشيء يعدي بنفسه، دون تقدير الله تعالى، ونفى ما كانوا يعتقدونه من التشاؤم بالطيور وبعض الشهور، كشهر صفر أو غير ذلك من الأمور.

إن ما يجده المرء من كراهة للشيء بسبب التشاؤم والتطير، إنما هو وهم يجده في

(١) سورة الأنعام: ٨٢.

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٧٩)؛ وأبو داود (٣٩١٠)؛ وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نفسه، فلا يجوز الالتفات إليه، ففي صحيح مسلم قال معاوية بن الحكم رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ: «ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»<sup>(١)</sup>؛ أي: عما أردتم وقصدتم من الأعمال، فالواجب على المؤمن إذا عزم على أمر وأرادَه، ثم عرَض له التشاؤم بسبب مسموع يسمعه، أو معلوم يُدرّكه، أو مرئي يشاهده، ألا يرجع عما عزم عليه، بل يمضي متوكلاً على الله تعالى.

وقد روي عن النبي ﷺ لما سُئِلَ عن الطيرة، فقال: «لا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»<sup>(٢)</sup>.

وليعلم المؤمن أنه إذا استجاب لهذه الظنون الكاذبة، والأوهام الفاسدة، التي يلقيها الشيطان في قلبه بسبب التشاؤم، فقد وقع في الشرك، فليتب إلى الله عز وجل، وليمض في عمله، وليقل: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك، فإن الطيرة لا تدل على الغيب، ولا تخبر عنه. فدون الغيب أقفال.

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصي- ولا زاجرات الطير ما الله صانع<sup>(٣)</sup>

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.



(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث أبي سلمة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩١٩).

(٣) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه (١٥٧|١)

(٤) سورة النمل (٦٥).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، وحققوا إيمانكم بصدقِ الاعتمادِ على الله، في جلبِ كلِّ خيرٍ،  
ودفعِ كلِّ ضرٍّ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup>.

أما مَنْ رَكَنَ إِلَى الطَّيْرَةِ وَالتَّشَاوَمِ فِي أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ فَتَحَ عَلَى قَلْبِهِ بَاباً عَظِيماً مِنْ  
الشَّرِّ، تَدْخُلُ مِنْهُ الْوَسَاوِسُ وَالْأَوْهَامُ، فَيُضَعِّفُ قَلْبَهُ وَيَخَافُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَتَعَلَّقُ  
بِالْمَخْلُوقِينَ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَنْقَلِبُ حَيَاتُهُ هَمًّا وَغَمًّا وَحُزْناً وَنُكْدًا؛ وَهَذَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ  
عَنِ الطَّيْرَةِ، وَأَمَرَ مَنْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَجَاهِدَهُ غَايَةَ الْمَجَاهِدَةِ، قَبْلَ أَنْ  
يَتِمَكَّنَ فِيهِ فَتَفْسُدُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ.

أيها المؤمنون.

إنَّ الشَّرِيعَةَ حَرِصَتْ غَايَةَ الْحَرِصِ عَلَى دَفْعِ كُلِّ مُؤْذٍ وَمَنْغَصٍّ؛ وَلِذَلِكَ نَهَتْ عَنْ  
أَسْبَابِهَا، وَحَثَّتْ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ سَبَبٌ لِلْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ؛ وَلِذَلِكَ شَرَعَتْ طُرُقُهَا، فَقَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ: «لَا عُدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيَعْجِبُنِي الْفَأَلُ». قِيلَ: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ  
الطَّيْبَةُ»<sup>(٢)</sup>.

فَالْفَأَلُ لَا حَرْجَ فِيهِ، بَلْ هُوَ مِمَّا يُعْجِبُ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِذَا اسْتَبَشَرَ الْمُؤْمِنُ بِالْكَلِمَةِ  
الطَّيْبَةِ، وَزَادَهُ ذَلِكَ نَشَاطًا عَلَى الْخَيْرِ، أَوْ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ حَرْجٌ

(١) سورة الطلاق (٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

عليه، وصفةٌ ذلك أن يعزّم العبدُ على أمرٍ من أمورِهِ، ثم يسمعَ كلاماً ييسُرُهُ، كأنَّ يسمعَ:  
يا راشدُ أو سالمُ أو غانمُ، فيفرحَ بذلك ويستبشِرَ، وتزدادَ رغبتهُ في ذلك الأمرِ، فليس في  
ذلك محذور.



## ٩- السَّحْرُ وَشَوْمُهُ.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فاتقوا الله عباد الله، فإنه من يتق الله يجعل له من أمره يسراً، ألا وإن من تقوى الله أيها المؤمنون شكره - سبحانه وتعالى - في السَّراءِ، والصَّبرِ على قضائه وقدره في الضَّراءِ وعند البلاءِ، فإنَّ الله - جلَّ وعلا - يبتليكم بما تُحبون وبما تكرهون، ليرى شُكْرَكُمْ فيما تُحِبُّون، وصبرَكُمْ على ما تكرهون، ثم بعد ذلك إليه تُرجعون، فينادى الصابرون والشَّاكرون أن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ، أُورِثْتُمُوهَا بما كنتم تعملون.  
أيها المؤمنون.

إن مما يبتلي الله به بعض عباده الأمراض والأسقام والعلل على اختلاف ألوانها وأنواعها، إلا أن أشدها وأعظمها البلاء بالسَّحْرِ، فإنه داءٌ عظيمٌ، وبلاءٌ مبینٌ، وشُرٌّ مستطيرٌ، يُفسدُ العقولَ والألبابَ، وينكسُ الآراءَ والأذواقَ، يُفرِّقُ بين الأحبابِ، ويُفسدُ عيشَ الأصحابِ، وصدقَ اللهُ حيثَ قالَ فيه: ﴿يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِبَصَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة البقرة (١٠٢).

أيها المؤمنون.

إن السحرَ ذنبٌ عظيمٌ، ووزرٌ كبيرٌ، وجُرمٌ خطيرٌ، قرنه اللهُ تعالى بالكفرِ والشكِّ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد جعله ﷺ رديفَ الشركِ، فقال ﷺ فيما يرويه البخاري: «اجتنبوا الموبقات : الشُّركَ باللهِ والسِّحْرَ»<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من السِّحْرِ ما هو كفرٌ باللهِ العظيمِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، هذا جزاؤه في الآخرة.

وأما جزاؤه في الدنيا فضربةٌ بالسيفِ، تبيِّنُ رأسه عن جسده، تقطعُ شره، وتبطلُ سعيه، وتحذِّرُ من غيئه.

أيها المؤمنون.

إن من أعظمِ الجنايةِ على المسلمِ عملَ السِّحْرِ له، أو السَّعيِ في ذلك والتسبُّبِ فيه، فإن ذلك ظلمٌ عظيمٌ، وبغيٌّ مرتعٌ وخيمٌ، فإن من ضعافِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ من يلجأُ إلى السِّحْرِ أو أهله لتحقيقِ مآربه الفاسدةِ، ونيلِ أغراضه المنحرفةِ، وتحصيلِ

(١) سورة البقرة (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أهدافه الرديئة، فيذهب إلى السحرة ليسحروا له فلاناً أو فلانة؛ بغياً وعدواً وظلماً  
إفساداً في الأرض، وإيذاءً للخلق، وإسخاطاً للرب.  
أيها المؤمنون.

إن هؤلاء البغاة الجناة المفسدين في الأرض، الذين يسحرون الناس، أو يتسببون  
في ذلك قد تبرأ منهم النبي ﷺ، فيما صحَّ عنه فقال ﷺ: « ليس منّا من تطير أو تطير له،  
أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له »<sup>(١)</sup>.  
فيا خيبة من تبرأ منه محمد ﷺ والمؤمنون.

فاتقوا الله عباد الله، وإياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.  
أيها المؤمنون..

إن السحر ضرر لا نفع فيه بوجه من الوجوه، كما قال جل وعلا: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا  
يُضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ كما أن من سحر مسلماً أو سعى في سحره فإنه لا يحصل  
مقصوده مهما فعل؛ لأن الله -جل وعلا- تكفل بإبطال سعي المفسدين، فقال: ﴿إِنَّ  
اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ  
أَتَى﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وصححه الألباني كما في  
صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤١).

(٢) سورة يونس (٨١).

(٣) سورة طه (٦٩).

فاتقوا الله عباد الله، وذروا ظاهر الإثم وباطنه، وإياكم ودروب الشقاء، ومسالك الردى.

أيها المؤمنون.

إن من أعظم أسباب الوقاية من هذا البلاء الممين: كثرة ذكر الله تعالى، فإن القلب إذا كان ممتلئاً بذكره - جل وعلا - لم يضره شيء، فحافظوا عباد الله على الأذكار الشرعية، والأوراد النبوية، والرقي الإلهية، كقراءة أم الكتاب، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، وسورة الإخلاص والمعوذتين، وغير ذلك من الأدعية والأذكار.

ومن أسباب الوقاية أيضاً: صدق الاعتماد على الله تعالى، والتوكل عليه في جميع الأمور: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: كفيه، فعليه توكلوا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.



(١) سورة الطلاق (٣).

## الخطبة الثانية

أما بعد .

فيا أيها المؤمنون.

إن الواجب على من ابتلي بالسحر أو بغيره من الأمراض والأسقام الصبر على قضاء الله وقدره، فإن الصبر والاحتساب مكسب لحظوظ جزيلة، وأجور كثيرة: ﴿ إِنَّمَا يُؤِثِقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

فاصبر يا عبد الله، فإن مرض المؤمن وبلاءه يجعله الله برحمته كفارة له ومُستعتباً، وعليك بالدعاء والتضرع إلى الله، وسؤاله الشفاء، فإنه لا شفاء إلا شفاؤه: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾<sup>(٢)</sup>، واصلق الله في الدعاء، وأظهر الحاجة والفاقة، فإن الدعاء الصادق عدو البلاء، يرفعه ويعالجه: ﴿ آمَنُ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾<sup>(٣)</sup>. أسلك الأسباب الشرعية في رفع هذا البلاء الكبير، وإياك ثم إياك ثم إياك وملاحقة السحرة والمشعوذين، أو تتبع الدجالين والمخرفين، فإن هؤلاء يفسدون القلوب، ويخرّبون الأبدان، ويوقعون في غضب الله الملك الديان: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾<sup>(٤)</sup>، فلا خير عندهم، بل والله هم

(١) سورة الزمر (١٠).

(٢) سورة الشعراء (٨٠).

(٣) سورة النمل (٦٢).

(٤) سورة الجن (٦).

منبَعُ الشُّرُورِ وَسَيِّئِ الْأُمُورِ، وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِيْتَانِهِمْ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ سَاحِرًا فَصَدَّقَهُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»<sup>(١)</sup>.

فَاتَّقِ اللَّهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، فَلَيْنَ تَمُوتَ مَرِيضًا مُؤْمِنًا مُوَحَّدًا خَيْرٌ لَكَ - وَاللَّهُ - مِنْ أَنْ تَمُوتَ صَاحِحًا مَعَافِيٍّ مُشْرِكًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِكِ كُلِّهِ.



(١) أخرجه البزار (١٨٧٣)، وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤٩).

## ١٠ - تحقيق العبودية

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فيا عبادَ الله، اتقوا الله وأطيعوه، واعلموا أن الله تعالى قد خلقكم، إنسكم وجنكم لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

عبادة الله تعالى، وإفرادها لله وحده لا شريك له، هي الغاية القصوى، والمطلب الأسمى، والمقصود الأعلى من الخلق، كما دلَّت عليه الآية، فإن الله تعالى ذكر ذلك بالنفي والاستثناء، اللذين هما أقوى صور الحصر والقصر، فنفي أي غاية لوجود الإنس والجن غير عبادته سبحانه، وهو تعالى ذكره، وتقدّست أسأوه، لما خلقنا لذلك لم يتركنا هملاً بلا بيان، ولا توضيح للعبادة التي خلقنا لها وأمرنا بها، بل بين لنا معنى العبودية لله سبحانه، ووضّح سبيل ذلك، فبعث الرُّسل مبشرين ومنذرين، وإلى عبادته وحده داعين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

فكُلُّ رَسولٍ جَاءَ إِلَى قومِهِ كَانَ أَوَّلَ مَا يَقولُ لَهُم: "يا قومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مالِكُمْ مِنْ إِلِهِ غَيْرِهِ"، وهذه الدعوة التي جاءت الرُّسُلُ بها أمرٌ فَطَرَ اللَّهُ تَعَالَى الخَلْقَ عَلَيْهِ، وَمَعَ ذَلِكَ انْقَسَمَ الخَلْقُ حِيالَ دَعْوَةِ الرُّسُلِ إِلَى قِسْمَيْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ إِلَى الإِيْمَانِ، فَهُوَ عَلَى الفِطْرَةِ فِي عِبودِيَّتِهِ لِلوَاحِدِ الدِّيَّانِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ ابْتُلِيَ بِالْحَرَمَانِ فَاجْتَالَه الشَّيْطَانُ، فَوَقَعَ فِي عِبودِيَّةِ الأَصْنَامِ والأوثانِ. أيها المؤمنون..

إِنَّ العِبودِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ قُوَّةُ القُلُوبِ، وَغِذاءُ الأرواحِ، وَقُرَّةُ العيُونِ، وَسُرُورُ النُفُوسِ، تِلْكَ العِبادةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى رَكْنَيْنِ عَظِيمَيْنِ، لَا تَصِحُّ إِلا بِهِمَا:  
الأول: حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى. الثاني: الذُّلُّ لَهُ سَبْحانَهُ.

قال ابن القيم رحمه الله:

وَعِبادةُ الرَّحْمَنِ غايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذُلِّ عابِدِهِ هَمًّا قُطْبَانِ<sup>(٢)</sup>

فَكُلُّها امْتِلاءٌ قَلْبُ العَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى حُبًّا، وَلَهُ سَبْحانَهُ ذِلاًَّ وَتَعْظيماً، ولأوامِرِهِ وَشَرعِهِ انْقِياداً وَعَمَلًا، كَمَلَّتْ فِيهِ العِبودِيَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهَذِهِ العِبودِيَّةُ الَّتِي دَعَتْ إِلَيْها الرُّسُلُ أَمْرٌ عَامٌّ وَاسِعٌ رَحْبٌ، يَضْرِبُ بِرِواقِهِ عَلَى جَمِيعِ مَناحِي الحِياةِ وَشُؤُونِها، وَيَتَبَيَّنُ هَذَا واضِحاً جَلِيًّا مِنْ خِلالِ إِجالةِ النَظْرِ فِي آياتِ الكِتابِ الحَكِيمِ، وَمِنْ خِلالِ مِطالعةِ دِواوِينِ

(١) سورة التغابن: ٢.

(٢) القصيدة النونية (٣٥).

السُّنَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، تَتَعَلَّقُ بِمَعَاشِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ.

ويمكنُ أن يتضحَ شمولُ العبوديةِ لجميعِ مناحي الحياةِ من تعريفِ أهلِ العلمِ والفقهِ لمعنى العبادةِ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " هي اسمٌ جامعٌ لما يُجِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ " (١).

فعلى هذا تكونُ العبادةُ شاملةً للأعمالِ القلبيةِ، كمحبةِ الله ورسوله، وخشيةِ الله والإنابةِ إليه، والتوكُّلِ عليه، والإخلاصِ له، والصَّبْرِ لحُكْمِهِ، وهي شاملةٌ للأركانِ الشعائريةِ، من الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ وتطوعاتها وما يتبعها، وهي أيضاً شاملةٌ للعلاقاتِ الاجتماعيةِ، والأحوالِ الشخصيةِ، والأخلاقِ والفضائلِ التعامليةِ، وهي تشملُ أيضاً الأحكامَ القضائيةَ التشريعيةَ، والشؤونَ التجاريةَ والاقتصاديةَ والسياسيةَ.

فالدينُ لله تعالى، والعبوديةُ له سبحانه دائرةٌ واسعةٌ، تحيطُ بجميعِ جوانبِ الحياةِ وفروعها، من آدابِ الأكلِ والشُّربِ وقضاءِ الحاجةِ، إلى بناءِ الدولةِ وسياسةِ الحكمِ. وقد أدركَ الصَّحَابَةُ -رضي اللهُ عنهم- هذا المعنى، بل وعَرَفَهُ الْمُشْرِكُونَ والمخالفون لدعوةِ الإسلامِ في ذلك الوقتِ، ففي صحيح مسلمٍ عن سلمانٍ رضي الله عنه قال: «قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ: إِنَّا أَرَى صَاحِبَكُمْ يَعْلَمُكُمْ، حَتَّى يَعْلَمَكُمْ الْخِرَاءَةَ -؛ أَي: قِضَاءَ الْحَاجَةِ- فَقَالَ: أَجَلٌ، نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَنَهَى عَنِ الرُّوثِ

(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٤٩.

والعظام، وقال: لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار<sup>(١)</sup>.

والم تأمل في سيرة الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - يرى ويشهد أنهم كانوا يراجعون النبي ﷺ في كثير من الأحوال، وفي أكثر الأحيان، وأنهم كانوا يتوقفون في انتظار الوحي في كثير من قضاياهم وشؤونهم، إلا أنه مع مضي الأوقات، وفشو الجهالات، وقلة العلماء والدعاة اعترى مفهوم العبودية كثير من التغيير والتبديل والانحراف، حتى أصبحنا نرى ونسمع من يدعي الانتساب إلى الإسلام، ثم إنه لا يرى ضيراً ولا حرجاً أن يصرف أنواعاً من العبادات القلبية أو العملية لغير الله تعالى، إما بحجة أنهم أولياء الله، أو أنهم وسطاء، أو أنهم وسائل، أو غير ذلك من الشبه.

وأصبحنا نرى ونشاهد من وحّد الله بالقصد، فلم يعبد إلا الله تعالى، لكنّه لم

يتابع النبي ﷺ فيما جاء به، فعبد الله بهواه، وما تملّيه عليه رغبته.

وكلا الفريقين ضلّ الطريق، وأخطأ السبيل، فإن الله تعالى أمرنا بعبادته وحده سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٣)</sup>، وأمرنا أيضاً ألا نعبد إلا بما شرع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢).

(٢) سورة البينة: ٥.

(٣) سورة الجن: ١٨.

اللَّهُ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾، وقال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»<sup>(١)</sup>.

فالواجبُ على العبدِ الرَّاغِبِ في تحقيقِ عِبَادَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَطَهِّرَ قَلْبَهُ، وَيَصِفِّيهِ وَيُخْلِيه مِنْ كُلِّ شَائِبَةِ شُرْكَ، أَوْ قَصْدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصاً، وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ سُبْحَانَهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قال اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وعليه أيضاً أن يجتهد في متابعة النبي ﷺ، واقتفاء أثره؛ فإن خير الهدى هدى محمد ﷺ، وعلى حسب متابعة العبد للنبي ﷺ ينال من انشراح الصدر، ورفع الذِّكْرِ، وكثرة الأجر عند الله سبحانه وتعالى.

فعلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالْإِخْلَاصِ وَالْمُتَابَعَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فليست العبرة بكثرة العمل، مع التفريط في الإخلاص لله تعالى، ومتابعة الرسول ﷺ، بل العبرة بحسن العمل، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾<sup>(٣)</sup>. قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا

(١) سورة آل عمران: ٣١ .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٤) سورة الملك: ٢.

أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العَمَلَ إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبَل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبَل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السُنّة".

فنسأل الله العظيم، ربَّ العرشِ الكريمِ أن يجعلنا من أهلِ الإخلاصِ والمتابعةِ، وأن يوفّقنا إلى خيرِ الأقوالِ والأعمالِ.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فإنه قد تقدّم لنا في الخطبة الأولى صورتان من صور الانحراف، الذي طرأ على الأمة في مفهوم العبودية لله تعالى.

ومن صور الانحراف في مفهوم العبودية لله تعالى: أن بعض من أعمى الله بصيرتهم، وأضلّهم عن سواء السبيل، تصوّروا أو صور لهم أن عبادة الله تعالى هي تلك الأقوال والأعمال، التي تضبط علاقة العبد بربه، من صلاة أو زكاة أو صيام أو حج أو تلاوة وذكر، أما ما عدّا ذلك من الأمور فليس لها بالعبادة أو العبودية لله تعالى صلة، بل هي موكولة إلى الناس، يفعلون فيها ما يشاؤون، ويحكمون ما يريدون.

ولا شك أن هذا فهم مبتور مغلوط، دلّت نصوص الكتاب والسنة على بطلانه، بل دلّ العقل على ضعفه وضلاله؛ إذ كيف يستقيم في الأذهان، أو يصحّ عند أولي العقول والأبصار أن يعلم النبي المختار ﷺ أمته تفاصيل ودقائق آداب قضاء الحاجة، ثم يترك تعليمهم الأمور العظام والقضايا الجسام، التي بها تستقيم الحياة في المدن والأمصار؟!!

بل لو قال قائل: إن هذا فيه أعظم التنقيص والازدراء بالشرائع والأنبياء لما جانب رأي الأئمة والعلماء.

وقد خلف هذا الفهم المغلوط انحرافات خطيرة، توشك أن تخرج بأصحابه عن سبيل أهل الإسلام.

ومن هذه الانحرافات الجسام: أننا سمعنا من يقول ويكتب: إن الدين والعبودية

لله، ليس لها دخلٌ في التجارة أو الاقتصاد أو السياسة أو الإعلام أو غير ذلك من مجالات الحياة، بل آل الأمرُ بكثيرٍ من أصحابِ هذا الفكرِ الصَّالِ المنحرفِ أن فصلوا الدِّينَ عن الحياة، وجعلوا الكتابَ والسُّنةَ اللذين هما سبيلُ النجاةِ ينظرانَ علاقةَ العبدِ برَبِّه، ولا يتجاوزون بهما هذا الحدَّ.

بل لم يقتصر الأمرُ على ذلك، فرأينا أصحابَ هذا الانحرافِ، الذين ضربَ النفاقُ قلوبهم بجِرائه، ينكرون على كلِّ من يصدُرُ عن السنةِ والقرآنِ في سياساته أو اقتصادياته أو أحكامه أو أنظمتِه أو سائرِ شؤونِ حياته، ويقذفون بأقْدَعِ الأسماءِ، ويصفون بأبشعِ الأوصافِ كُلَّ من دعا إلى تحكيمِ الكتابِ والسنةِ، فتارةً يسمونَ المتمسكين بالكتابِ والسنةِ في دقِّ الأمرِ وجليله رجعيين، وتارةً ظلاميين، وتارةً أصوليين، وتارةً متطرِّفين، أو إرهابيين، فحسبنا اللهُ ونعم الوكيل.

أيها المؤمنون.

احذروا هؤلاء المضللين المنافقين، فإنهم من أعظم ما يفسدُ الأديانَ ويخرِبُ الأوطانَ، وتمسَّكوا بكتابِ ربِّكم وسنةِ نبيِّكم، فهما سفينةُ النجاةِ، وقد أمرَ اللهُ بذلك، فقال لنبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وجاءَ عن النبيِّ ﷺ من طُرُقٍ عديدةٍ أنه قال: «تركْتُ فيكم أمرينَ لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما: كتابَ اللهِ، وسُنَّةَ رسوله»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الزخرف: ٤٣.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢٦٤٠)، وحسنه الألباني في تحقيقه على مشكاة المصابيح (١٨٦).

ولا يخدعنكم هؤلاء المنحرفون بالأعيبهم وأساليبهم وتضليلاتهم، فهم أشبه من ينطبق عليهم وصف النبي ﷺ، الذي رواه حذيفة رضي الله عنه عن أهل الشر، الذين يكونون آخر الزمان: «دعاً ضلالة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»<sup>(١)</sup>.

فنعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلال بعد الهدى، ومن الزيغ بعد

الاهتداء.



(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) من حديث حذيفة رضي الله عنه

## ١١- البدع في الدين

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فيا أيها المؤمنون.

أوصيكم بتقوى الله- جل وعلا- في الغيب والشهادة، والسر والعلن، واتباع سنة النبي ﷺ ظاهراً وباطناً، فإن الله- تبارك وتعالى- أرسل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين، أرسله الله على حين انقطاع من الرسل، فهدى الله به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، فتح الله به أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فأكمل الله به الدين، وأنتم به النعمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

لقد أمركم الله تعالى باتباع ما جاء به النبي ﷺ، ونهاكم عن مخالفته، قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقال جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

(١) سورة المائدة (٣).

(٢) سورة الأعراف (٣).

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ﴿٢﴾.

وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ﴿٣﴾.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واستمسكوا بهدي النبي ﷺ، فقد جعله الله لكم أسوة حسنة، وأمركم بالتأسي به والاستئنان بسنته، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٤﴾.

وقد تهدد الله سبحانه وتعالى الذين يخالفون أمر رسوله ﷺ بالفتنة والعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾.

ألا، وإن من مخالفة أمر رسول الله ﷺ، ومشاقته ﷺ الابتداع في الدين، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وقد أنكر الله - عز وجل - الابتداع في الدين، وجعله تشريعاً لما لم يأذن به الله، فقال تعالى: ﴿أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ

(١) سورة الأنعام (١٥٣).

(٢) سورة النساء (٨٠).

(٣) سورة الحشر (٧).

(٤) سورة الأحزاب (٢١).

(٥) سورة النور (٦٣).

(٦) سورة النساء ١١٥.

يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ ﴿١﴾.

وقد حذر النبي ﷺ من البدع، وبيّن بطلانها، فقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ في وصيته لأصحابه: «فعلّيكُم بسُنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة»<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، وعليكم بلزوم السنّة، فإنها لكم بإذن الله نجاة وعصمة. أيها المؤمنون.

أتدرون ما البدعة التي نهاكم الله ورسوله عنها؟ إنها الدين الذي لم يأمر به الله ورسوله، فمن دان ديناً أو فعل فعلاً يقصد به التقرب إلى الله تعالى، ولم يأمر به الله ورسوله، فقد ابتدع في دين الله، وشرع فيه ما لم يأذن به الله. فانظر أيها المؤمن إلى ما تقوم به من العبادات، هل أنت ممن التزم فيها هدي النبي ﷺ وسنته، أم أنت ممن هجرُوا هديَه وقلّوا سنّته؟ ثم انظر في هذه العبادة هل هي مما شرعه النبي ﷺ لأُمَّته أو لا؟ فإن كنت ملتزماً هديَه ﷺ، وما شرعه فأنت على السنّة، وإن كانت الأخرى فإياك إياك فإنه «من أحدث في أمرنا هذا»؛ أي: في ديننا هذا «ما ليس منه فهو رد»، «فإن شرّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة».

(١) سورة الشورى ٢١.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٩٩)، ومسلم (٣٢٤٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٥٦٩)، وابن ماجه (٤٣)، والترمذي (٢٦٠٠)، والحديث صححه الترمذي.

أيها المؤمنون.

إن البدعَ ضررها عظيمٌ وأثرها خطيرٌ، قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: "من أحدثَ في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعمَ أن رسولَ الله ﷺ خانَ الرسالة"<sup>(١)</sup>.

فالبِدْعُ مضادةٌ للشرعِ ومراغمةٌ للشارعِ؛ حيث إن المبتدعَ نصبَ نفسه مستدرِكاً على الشريعةِ مكماً لها، فاتقوا اللهَ عبادَ الله، فإن البدعةَ لا تزيدُ صاحبها من الله إلا بُعداً، قال ابن القيم رحمه الله: "وكلُّ عملٍ بلا اقتداءٍ - أي: بالنبِيِّ ﷺ - فإنه لا يزيدُ عامله من الله إلا بُعداً؛ فإن الله تعالى إنما يُعبدُ بأمره، لا بالآراءِ والأهواءِ"<sup>(٢)</sup>.

فاحرصوا - عبادَ الله - على تركِ البدعِ، صغيرِها وكبيرِها، ومتابعةِ النبيِّ ﷺ ظاهراً وباطناً، فإنه بحسبِ متابعتِكُم للرسولِ ﷺ تكونُ لكم الهدايةُ والصلاحُ والنجاحُ، فإن الله - سبحانه وتعالى - علّقَ سعادةَ الدارينِ على متابعتِهِ ﷺ، وجعلَ شقاوةَ الدارينِ في مخالفتهِ، فلا تباغِعه الهدى والأمنُ والفلاحُ وطيبُ العيشِ في الدنيا والآخرة، ولمخالفتهِ الذلّةُ والصغارُ والضلالُ والشقاوةُ في الدنيا والآخرة.

فأقبلوا - يا عبادَ الله - على كتابِ ربِّكم، وسنةِ نبيِّكم، وزِنوا أقوالكم وأعمالكم بما فيها، فما وافقَ ذلك قَبْلَ، وما خالفه فهو مردودٌ على قائلِهِ وفاعله كائناً من كان.

(١) الاعتصام ١٨/٢.

(٢) مدارج السالكين (٩٦/١).

## ١٢- عُمومُ رسالةِ النبي ﷺ

الخطبة الأولى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فاتقوا الله عباد الله ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون، فإن الإسلامَ عصمةٌ لمن لجأ إليه، وجنةٌ لمن استمسك به وعصَّ عليه، فالإسلامُ يا أُمَّةَ الإسلامِ دينُ الله، الذي من دخَله كان آمناً، وحِصنه الذي من التجأ إليه كان فائزاً.  
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ.

إن الإسلامَ دينُ الله الذي لا يُقبلُ من أحدٍ سِواه، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٢)</sup>  
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ.

إن نعمةَ الله عليكم بهذا الدينِ القويمِ نعمةٌ عظيمةٌ جليئةٌ، فإن الناسَ قبل بعثةِ النبي محمد ﷺ كانوا في جاهليةٍ جهلاء، انتشرت فيهم الضلالاتُ، وراجت سوق الظلماتُ، وفشت الشرورُ والجهالاتُ.

(١) سورة آل عمران (٨٥).

(٢) سورة آل عمران (١٩).

كان الناس في الجملة صنفين: أهل الكتاب، ومن لا كتاب لهم.

أهل الكتاب، وهم فريقان:

الأول: اليهود أهل الكذب والبهتان، قتلوا الأنبياء وأكلوا الشحوت، أخبث الأمم طويةً، وأدواهم سجيةً، وأبعدهم عن الرحمة، وأحقهم بالنقمة، أهل اللعنة والذلة.

الثاني: هم النصارى، أهل الضلال، وعباد الصليب، الذين آذوا الله أبلغ الأذى، فقالوا: اتخذ الله صاحبةً وولداً، ولقد افتروا على رب السماوات والأرض كذباً، وقد جاؤوا -والله- شيئاً عظيماً ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾<sup>(١)</sup>، وقالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم.

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا إله إلا الله لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولا إله إلا الله، والله أكبر عما يقول عباد الصليب، الذين اتخذوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عزاً، الذين جعلوا عبادة الصليب ديناً، وشرب الخمر وأكل الخنزير للمؤمنين سبيلاً.

فالحلال عند النصارى ما أحله القس والراهب، والحرام ما حرّمه، والدين ما شرعه؛ يدخل الراهب من يشاء الجنة، ويدخل من يشاء النار ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾.

أيها المؤمنون..

هذه حال أهل الكتاب قبل بعثة النبي ﷺ، أما من لا كتاب له، فهو بين عابد وثنٍ أو عابد نارٍ أو عابد شيطانٍ، فهم في الكفر بالله العظيم على صورٍ وألوانٍ، ويبين لنا حال الكفر والضلال الذي بلغه الناس قبل بعثة النبي ﷺ ما رواه مسلم: «أن الله - سبحانه وتعالى - نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»<sup>(١)</sup>.

فبعث الله برحمته وفضله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، أرسله رحمة للعالمين، وحنةً على الخلق أجمعين، أيده بالآيات والبراهين، وأنزل عليه الكتاب المين، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئناً عليه، وفرص الله طاعته واتباعه، والتصديق به على العالمين، وقد أخذ على ذلك ميثاق النبيين، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون..

إن محمداً ﷺ مبعوثٌ إلى عامة الناس وكافة الورى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

(١) سورة التوبة (٣١)

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

(٣) سورة آل عمران (٨١).

إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد قال ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»<sup>(٤)</sup>، فواجبٌ على كلِّ أحدٍ من الجنِّ والإنسِ، والعربِ والعجمِ، والذُّكُورِ والإناثِ أن يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ، ومن لم يؤمن به فإنه من أصحابِ السَّعِيرِ كائنًا من كان، أقسمَ على ذلك من لا ينطقُ عن الهوى، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأُمَّةِ، يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أرسلتُ به إلا كانَ من أصحابِ النَّارِ»<sup>(٥)</sup>.

فاتقوا الله أيها الناس، وآمنوا بالله ورسوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>.



(١) سورة سبأ (٢٨).

(٢) سورة الأعراف (١٥٨).

(٣) سورة النساء (٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) سورة الحديد (٢٨).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاعلموا عبادَ الله، أنه لا يؤمنُ أحدكم ولا يصحُّ إسلامُه إلا بأمرين:

الأول: أن يؤمنَ بما جاء به النبي ﷺ، وأنه رسولُ ربِّ العالمين إلى الإنسِ والجنِّ أجمعين.

الثاني: أن يكفرَ بكلِّ دينٍ سوا هذا الدين، وأن يعتقدَ أن أهله من أصحابِ الجحيم،

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾<sup>(١)</sup>، فجعلَ

اللهُ تعالى الاستمسكَ بالعروةِ الوثقى، وهي دينُ الإسلام، مرتباً على هذين الأمرين: على

الكفرِ بالطاغوتِ، والإيمانِ بالله.

وفي صحيحِ مسلمٍ قال ﷺ: «من قال: لا إلهَ إلا اللهُ، وكفرَ بما يُعبدُ من دونِ اللهِ، حرَّم

مالهَ ودُمُه، وحسابُه على اللهِ»<sup>(٢)</sup>، قال الشيخُ السعدي في شرح هذا الحديث: "تبين من ذلك

أنه لا بد من اعتقادِ وجودِ عبادةِ اللهِ وحده لا شريكَ له، ومن الإقرارِ بذلك اعتقاداً ونطقاً،

ولا بد من القيامِ بعبوديةِ اللهِ وحده طاعةً لله وانقياداً، ولا بدَّ من البراءةِ عمّا ينافي ذلك عقداً

وقولاً وفعلاً، ولا يتم ذلك إلا بمحبةِ القائمين بتوحيدِ اللهِ وموالاتِهِم ونصرتِهِم، وبُغضِ أهلِ

الشركِ ومعاداتِهِم."

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وحقَّقوا إيمانكم بالله العظيم، وبمحمدٍ خاتمِ النبيين، عسى أن

نكونَ بالجنةِ من الفائزين، ومن جهنمِ ناجين.



(١) سورة البقرة (٢٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣) عن أبي مالك الأشعري عن أبيه.

## ١٣ - محبة الرسول ﷺ.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ، فاتقوه رحمكم الله ، فإنه من يتَّقِ ويصبرُ فإنَّ اللهَ لا يضيعُ أجرَ المحسنين .

أيها المؤمنون.

إنَّ اللهَ تعالى أرسلَ محمدَ بنَ عبدِ الله ﷺ رحمةً للعالمين ، وحنةً على العباد أجمعين ، أرسله الله تعالى على حينِ فترةٍ من الرسل وانطماسٍ من السبلِ ، فهدى الله به إلى أقومِ الطرِّقِ وأوضحِ السُّبُلِ ، أوحى اللهُ إليه : ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ ، فلم يزل ﷺ قائماً بأمرِ ربِّه ومولاه ، لا يردهُ عن ذلك رادُّ ، داعياً إلى الله لا يصدُّه عنه صادُّ ، يبلغ دينَ الله ورسالتَه ، لا يخشى فيه لومةَ لائم ، أودى في الله أبلغ الأذى ، في نفسه وماله وأهله وأصحابه ، كذبَه قومه وعابوه وسفَّهوا رأيه وضلُّوه ، حاولوا قتله وسجنه ، أخرجوه من بلده طريداً سلبياً ، ثم قاتلوه وحاربوه ، فكسروا رباعيته ، وشجَّوا رأسه ، وأدموا وجهه ، فكان يقول : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» ١ .

فتحمَّل في سبيلِ تبليغِ دينِ الله ، وهدايةِ عبادِ الله صنوفَ المشاقِّ ، وألوانَ

الأذى، فكان عاقبة أمره فوزاً ونصراً، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلمتها، هدى الله به من الضلالة، وبصر به من العمى، فأنقذ الله به من آمن به ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
أيها المؤمنون عباد الله.

إن من أكثر حقوق محمد بن عبد الله النبي الأمي، الذي أنقذكم الله به من النار، وهداكم به من الضلالة محبته ﷺ محبةً قلبيةً صادقةً، ففي "الصحيحين" من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

فحق على كل مؤمن بالله واليوم الآخر أن يحب النبي ﷺ محبةً، يتجلى فيها إثارُ النبي ﷺ على كل محبوب، من نفسٍ ووالدٍ وولدٍ والناس أجمعين، فمحبته النبي ﷺ من أعظم واجبات الدين، وهي فرعٌ من محبة الله تعالى، وتابعة لها.  
أيها المؤمنون.

إن لمحبة الرسول علاماتٍ ودلائل، تُظهر حقيقة المحبة وصدقها، ومن أبرز هذه العلامات:

متابعة الرسول ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه وجميع شأنه، قال الله تعالى:

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٤).

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من أحبني فقد أحببني، ومن أحببني كان معي في الجنة»<sup>(٢)</sup>.

فمن أحب رسول الله محبة صادقة أو جب له ذلك تمام المتابعة، فتجد المحب الصادق في محبة النبي ﷺ معظماً لسنة النبي ﷺ، عاملاً بها، حريصاً عليها في دقيق الأمر وجليله، لا يعدل بسنة النبي ﷺ وهديه شيئاً من الأقوال أو الأفعال، نسأل الله العظيم من فضله .

أيها المؤمنون.

إن من دلائل محبة النبي ﷺ الإكثار من ذكره، فذكره ﷺ سبب لدوام محبته في قلب العبد وتضاعفها، فالعبد كلما أكثر ذكر المحبوب، واستحضر محاسنه زاد حنيناً له وشوقاً إليه .

أيها المؤمنون.

إن ذكر النبي ﷺ الذي تزداد به محبته والإيمان به، يكون بالصلاة عليه ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، لا

(١) سورة آل عمران (١٣١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٧٨)، وحسنه.

(٣) سورة الأحزاب (٥٦) .

سبها عند ذكره ﷺ، فإنه ﷺ قد قال: «البخيلُ من ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ»<sup>(١)</sup>، ومن ذكره ﷺ معرفة سيرته وأيامه وأحواله وما جرى له.

أيها المؤمنون.

من دلائل محبة النبي ﷺ: نصرته والذبُّ عنه وعن شريعته، وتأيدُه ومنعه ﷺ من كلِّ ما يؤذيه، ورفضُ أعدائه والمعاندين لشريعته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، وتعزيره يكون بنصره وتأيدِه، وتوقيره يكون بإجلاله وإكرامه ﷺ.

أيها المؤمنون.

إن من علامات المحبة الشوق إلى لقائه وتمني رؤيته، ففي صحيح مسلم قال ﷺ: «من أشدَّ الناس لي حبًّا ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله»<sup>(٣)</sup>. هذه بعض علامات محبة النبي ﷺ محبة صادقة، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا محبة نبيه ﷺ.



(١) أخرجه أحمد (١٦٤٥) و الترمذي (٣٥٤٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٩).

(٢) سورة الفتح (٨-٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فأوصيكم أيها الناس، بتقوى الله تعالى في السرِّ والعلنِ، وتزودوا فإنَّ خيرَ الزَّادِ التقوى .  
أيها المسلمون.

إنَّ محبةَ النبيِّ ﷺ حقٌّ واجبٌ، وفرضٌ لازمٌ على كلِّ مؤمنٍ، لا يتمُّ إيمانُ العبدِ إلا بها.  
أيها المؤمنون عباد الله..

ليس من محبةِ النبيِّ ﷺ في شيءٍ الغلوُّ فيه ﷺ، بل الغلوُّ فيه مضادةٌ لشرِّعه ومحادةٌ لله  
ورسوله، ومخالفةٌ لأمره، ومشاقَّةٌ له ﷺ، ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه قال: «لا تُطْرُونِي كما أطرت النصارى عيسى ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد  
الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ لقوم أثنوا عليه فأطنبوا: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا  
يستجربنكم الشيطانُ»<sup>(٢)</sup>.

فليتقِ الله قومٌ غلوا في النبيِّ ﷺ، فابتدعوا في دينِ الله ما ليس منه، وشرعوا من  
الدينِ ما لم يأذن به الله، فأفراطوا في مدحه والثناءِ عليه، ووصفه بما لا يجوزُ أن يوصفَ  
به إلا الله ربُّ العالمين، فوقعوا في الشركِ بالله.

ليتقِ الله قومٌ ادعوا محبةَ النبيِّ كذباً وزوراً، فجعلوا الاحتفالَ بمولدِ النبيِّ ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) من حديث أنس رضي الله عنه، والحديث صححه الألباني في صحيح الأدب  
المفرد (٩٤).

البرهانَ الساطعَ، والدليلَ القاطعَ على صدق محبته، وغفلوا عن أن أعظمَ الناسِ محبةً للنبي ﷺ هم الصحابةُ الكرامُ، أبو بكر ومن بعده رضي الله عنهم، لم يحتفلوا بالمولدِ، مع أن النبي ﷺ أحبُّ إليهم من الماءِ الباردِ على الظمِّ، فهل هؤلاء أعظمُ محبةً للنبي ﷺ من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم!!؟

ثم إن الناظرَ في هذه الموالِدِ التي يدعو إليها الناسُ يرى فيها شراً عظيماً، وفسقاً مبيناً، بل وشركاً بالله رب العالمين، وقد رأينا ذلك وشاهدناه.

فباسمِ المولِدِ ترقصُ النساءُ والرجالُ، وباسمِ المولِدِ تغني النساءُ، وباسمِ المولِدِ يستهزأُ بدينِ الله، وباسمِ المولِدِ يُلعبُ بكتابِ الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون .  
وقد سلّمَ اللهُ بلادَ الحرمين من هذه البدعةِ المشينةِ، إلا أن أقواماً مرضت قلوبهم، وأشربوا حبَّ البدعةِ، يطالعوننا بين الفينة والأخرى بالدعوةِ إلى الاحتفالِ بالمولِدِ وتعظيمِ يومه، تحت مظلةِ محبةِ النبي ﷺ وإحياءِ ذكره، ينشرون ذلك ويزيّنونه في مقالاتٍ أو كتاباتٍ أو محاضراتٍ، فاللهُ المسؤولُ أن يجيَّبَ سعيهم ويهديَ ضالهم، فإن البدعةَ لا تزيدُ صاحبها من الله إلا بُعداً.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنكم مغزؤون مستهدفون من أهل الشرِّ- والفسادِ، على اختلافِ توجهاتهم ومقاصدِهِم، نعوذُ بالله من الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ، ونسألهُ أن يثبتنا على الحقِّ والهدى.

## ١٤- الإيَّانُ باليَوْمِ الآخِرِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

عباد الله..

اتقوا يوماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، ثم تُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، وهم لا يُظْلَمُونَ.

عباد الله..

آمنوا بالله ورسوله، ألا وإنَّ من الإيَّانِ بالله ورسوله ﷺ الإيَّانَ بما أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ ورسوله، مما يكونُ بعد الموتِ ويومِ البعثِ، فأهلُ الإيَّانِ الصادقون يؤمِّنون بأنَّ الناسَ يُفْتَنُونَ ويمتحنون في قبورهم، فيقالُ للعبدِ إذا وُضِعَ في قبره: من ربُّكَ؟ وما دينُكَ؟ ومن نبيُّكَ؟ فعندَها يثبَّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ، فيقولُ المؤمنُ الموفَّقُ: ربِّي اللهُ، والإسلامُ ديني، ومحمدٌ ﷺ نبيِّي، وأما الكافرُ أو المنافقُ المخدولُ، فيقولُ: هاه هاه لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلته، فيضربُ

(١) سورة الحج (١-٢).

بمطرقةٍ من حديدٍ، فيصيحُ صيحةً يسمَعُها كلُّ شيءٍ إلا الإنسانَ، ولو سمِعَها لصَعِقَ.  
ثم بعدَ هذه الفِتنةِ يكونُ النَّاسُ إما في نعيمٍ، وإما في عذابٍ وحميمٍ إلى أن تقومَ  
القيامةُ الكبرى، فيُنْفَخُ في الصورِ، فإذا هُم من الأجداثِ إلى ربهم يَنسِلون، فتعادُ  
الأرواحُ إلى الأجسادِ، وتقومُ القيامةُ التي أخبرَ اللهُ بها في كتابه، وأخبرَ بها رسلُهُ  
صلوات الله عليهم أجمعين، فيقومُ الناسُ من قبورهم لربِّ العالمين حفاةً عراةً غُرلاً -  
أي: غير مختونين - ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي ذلك اليومِ يا عبادَ اللهِ، في يومِ الفصلِ، في يومِ الدِّينِ تدنو الشمسُ من العبادِ،  
حتى تكونَ قدرَ ميلٍ أو ميلين، فتصهرهم الشمسُ، فيكونُ الناسُ في العرقِ كقدر  
أعمالهم، فمنهم من يأخذُه العرقُ إلى عَقْبِيه، ومنهم من يأخذُه إلى حَقْوِيه، ومنهم من  
يُلجِمُه العرقُ إجماماً، فلا إله إلا اللهُ العظيمُ الحليمُ.

عباد الله..

في ذلك الكربِ العظيمِ واليومِ الشديدِ، تأتي الأعمالُ الصالحةُ تُظِلُّ أصحابها من  
حرِّ الشمسِ ولهبِها، قال ﷺ: «الرَّجُلُ في ظلِّ صدقتهِ حتى يُقضى بين الناسِ»<sup>(٢)</sup>، وكذا  
صاحبُ القرآنِ تُظِلُّه البقرةُ وآلُ عمران.

فيشتدُّ الأمرُ على الخلقِ، فيذهبون إلى آدمَ وأولي العزمِ من الرسلِ ليشفَعوا لهم عندَ

(١) سورة الأنبياء (١٠٤) .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٣١٠)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، والحديث صحيحه

الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٧٢).

الله تعالى، فكُلُّهُمْ يتخلى إلا رسول الله محمداً ﷺ، فيشفعُ الشفاعةَ العظمى لفصلِ القضاء، عندها يأتي الملكُ الديانُ في ظلِّ من الغمام، فيفصلُ بين عبادِهِ بالقضاءِ العدلِ، فتُنصَبُ الموازينُ لتوزنَ بها أعمالُ العبادِ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فإذا وُزنت الأعمالُ نُشرت دواوينُ العالمين، وصحائفُ أعمالِ الأولين والآخرين، فأخذُ كتابه بيمينه، فيقول: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ﴾، وأخذُ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره يقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾<sup>(٢)</sup>. وصدق الله ومن أصدق من الله قِيلاً: ﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾<sup>(٣)</sup>، فيحاسب الله الخلائقَ أجمعين في يومٍ يجعلُ الولدانَ شيباً، يخلو الله بعبده المؤمن، فيقرُّه بذنوبه ثم يسترُّه ويغفرُ له، وأما أهلُ الكفرِ والنفاقِ فقد قال فيهم الواحدُ الديانُ: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنشُورًا﴾<sup>(٥)</sup>.

فلا تنفعهم أعمالهم بعد أن كفروا بالله العظيم، وبمحمّدٍ خاتم النبيين، بل ماوَاهم

(١) سورة المؤمنون (١٠٢-١٠٣).

(٢) سورة الحاقة (٢٥-٢٧).

(٣) سورة الإسراء (١٣-١٤).

(٤) سورة الكهف (١٠٥).

(٥) سورة الفرقان (٢٣).

النارُ وبئسَ مثوىَ الظالمين، وقد قال ﷺ لما سألتَه عائشةُ رضي اللهُ عنها عن ابنِ جُدهان: أينفعُهُ ما كان يفعلُهُ في الجاهليَّة، من صلَّة الرِّحْم وإطعامِ المساكين؟ فقال ﷺ: «لا يَنْفَعُهُ؛ إنَّه لم يقلْ يوماً: ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يومَ الدِّين»<sup>(١)</sup>.

وفي ذلك المشهدِ العظيمِ يا عبادَ اللهِ، في يومِ الحسرةِ والندامةِ: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأَصْحَابِيهِ وَأَخِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي ذلك اليومِ يا عبادَ اللهِ! ينادي اللهُ تعالى في الخلائقِ: «من كان يعبدُ شيئاً فليتبِعْهُ، فيتبعُ من كان يعبدُ الشمسَ الشمسَ، ويتبعُ من كان يعبدُ القمرَ القمرَ، ويتبعُ من كان يعبدُ الطواغيتِ الطواغيتَ، حتى لا يبقى إلا أهلُ الإيمانِ، فيأتيهم اللهُ تعالى في صورته التي يعرفونها، ثم يُضربُ جسرُ جهنم - وهو صراطٌ منصوبٌ على متنِ جهنم - يمرُّ الناسُ عليه على قدرِ أعمالهم، فمنهم من يمرُّ عليه كالمح البصرِ، ومنهم من يمرُّ كالبرقِ، ومنهم من يمرُّ كالريحِ، ومنهم من يمرُّ كالفرسِ، ومنهم من يمرُّ كراكبِ الإبلِ، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحفُ زحفاً، ومنهم من يوبقُ بعمله ويُلقى في جهنم»<sup>(٤)</sup>، نعوذُ بالله منها، فمن جازَ الصراطَ فازَ ونجا،

(١) أخرجه مسلم (٣١٥).

(٢) سورة عبس (٣٤-٣٧).

(٣) سورة المؤمنون (١٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٧٦٤) ومسلم (٢٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَصَدَقَ فِيهِ قَوْلُ الْمَوْلَى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾<sup>(١)</sup>.

فإذا عبر المؤمنون الصراطَ وقفوا على قنطرةٍ بين الجنة والنار، فيؤخذُ لبعضهم من بعضٍ، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخولِ الجنةِ، وأوَّلُ من يدخلها نبيُّنا محمدٌ ﷺ، فعند ذلك يصدِّقُ فيهم قولُ العظيمِ المنانِ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾<sup>(٣)</sup>. اللهم إنا نسألك الجنةَ، ونعوذُ بك من النار.



(١) سورة آل عمران (١٨٥).

(٢) سورة هود (١٠٥).

(٣) سورة الشورى (٧).

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله الملكِ الواحدِ الديانِ، لا يحيفُ ولا يجورُ، ولا يظلمُ مثقالَ ذرةٍ، إن ربي على صراطٍ مستقيمٍ وبعد.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون..

إن الإيمان باليوم الآخر يخنقُ النطقُ به على اللسانِ، إلا أنه يثقلُ العملُ به على الجوارحِ في أكثرِ الأحيانِ، فكم رأينا من مقررٍ مؤمنٍ بالعرضِ على الله الملكِ الديانِ، قد تَلَطَّخَ بالمعاصي والآثامِ، يزحفُ إلى الطاعةِ زحفاً بطيئاً، ويجري إلى المعصيةِ جرياً حثيثاً. فليت شعري!! هل هذا حالُ المصدِّقِ بما في ذلك اليومِ من عظيمِ الأهوالِ وشديدِ الأنكالِ؟! لا واللهِ، إنه لو كان بذلك موقناً جازماً، لكان من أهوالِهِ وَجِلاً خائفاً، ولم يكن لأمرِ مولاهِ مخالفُاً، وعن ذكره معرضُاً.

أيها الناس..

إن المصدِّقين بيومِ الدينِ هم الذين يخافون يوماً كان شرُّه مستطيراً، فهم في أهلِهِمْ مشفقون، إلى أعمالِ البرِّ مسابقون، في فضلِ ربِّهم راغبون، ومنه جَلٌّ وعلا راهبون، فأولئك الذين يُمْنُ اللهُ عليهم ويقيهم بفضلِهِ عذابَ السمومِ ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ

(١) سورة لقمان (٣٣).

الْيَوْمَ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاءَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١١﴾.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مِنْ ذِكْرِكَ غَافِلِينَ، وَلَا عَنْ دِينِكَ زَائِعِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ، وَمِنْ حَزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ، وَمِنْ أَوْلِيَائِكَ الْمُتَّقِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا، اللَّهُمَّ عَامِلْنَا

بِلَطْفِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ.



## ١٥- أحوال الناس عند الموت وفي البرزخ

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نطفةٍ فقدَّره، ثم السبيل يسَّره، ثم أماته فأقبره، ثم إذا شاء أنشره، فسبحانه ما أعزَّه وأقدره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، وأصلحوا أعمالكم قبل فوات أعماركم، فإن الدنيا وإن طالَّتْ بكم، مدبرٌ مقبلها ومائلٌ معتدُّها، فهي إلى فناءٍ صائرةٌ، وعن قريبٍ زائلةٌ. أيها المؤمنون.

إِنَّ رَبَّكُمْ -جَلَّ وَعَلَا- خَلَقَكُمْ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ، وَإِنَّمَا يَنْقَلِبُكُمْ بَعْدَ خَلْقِكُمْ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، فَأَسْكِنُكُمْ سَبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup>، ثم ينقلكم بعدها إلى دارِ البرزخ، فتبقون فيها إلى يومِ البعثِ والنشورِ، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأنتم -يا عبادَ الله- في دارِ البرزخِ بأعمالِكُم مُدَانُونَ وَمُكَافَأُونَ، فمُكْرَمُونَ بِإِحْسَانِكُمْ، وَمُهَانُونَ بِسَيِّئَاتِكُمْ، فاتقوا الله عبادَ الله، وافعلوا الخيرَ لعلكم تفلحون، فَإِنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِهَانَةَ لِأَهْلِ الْبَرْزَخِ، تَبْدَأُ عِنْدَ الْاِحْتِضَارِ قَبْلَ خُرُوجِ الرُّوحِ، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ

(١) سورة الملك (٢).

(٢) سورة المؤمنون (١٠٠).

لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَاجِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٠٢﴾.

فكلُّ واحدٍ منكم - أيها المؤمنون - تتبَّينُ له حاله عند نزولِ الموتِ به، واستمع - بارك اللهُ فيك - إلى هذا الحديثِ العظيم؛ ليتبين لك صدقُ ذلك، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَمَا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عَوْذٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مَسْلُكٍ وَوَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ: فَيُصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ

الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قَالَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طِيبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي. قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْحَيِّثَةُ، أَخْرَجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتَفْرُقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْزِعُهَا كَمَا يُنْزَعُ السَّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنْ

المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْحَيِّثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَفْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي  
كَانَ يَسْمَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ  
قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي  
سَمِّ الْخِيَاطِ} فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ  
رُوحُهُ طَرَحًا. ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ يَهْوِي  
بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ  
لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا  
أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي،  
فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَافْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ  
مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ  
الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتَبِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي  
كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ  
الْحَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه أحمد (١٨٠٦٣) عن البراء بن عازب، قال في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

## الخطبة الثانية.

الحمد لله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أحمدُه وأشكرُه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ..  
أما بعد فاتقوا الله عباد الله، واجتهدوا في الخيرات، وسابقوا إلى الطاعات، وتزودوا  
فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى.

أيها المؤمنون.

إن العبدَ إذا ماتَ تبعه ثلاثة، فيرجعُ اثنانِ ويبقى واحدٌ، يتبعُه أهله وماله وعمله،  
فيرجعُ أهله وماله ويبقى عمله، فاتقوا الله عباد الله، وتزودوا من الأعمالِ ما يؤنسُ  
وحشتكم، وينزلُكم منازلَ السعداءِ، اللهم إنا نعوذُ بك من عذابِ القبرِ.



## ١٦ - فتنة المسيح الدجال.

الحمد لله الحق المبين لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الدُّلِّ، وخلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً، أحمدُه سبحانه، فله الحمدُ كلُّه، أولُه وآخرُه ظاهرُه وباطنُه، وهو الوليُّ الحميدُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقضي ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسولُه، لم يترك خيراً إلا دلَّ الأُمَّةَ عليه، ولم يدع شراً إلا حدَّرها منه . أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، روى مسلمٌ في صحيحه من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قال: «بادروا بالأعمالِ الصالحةِ فتناً كقطعِ الليلِ المظلمِ، يُصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبحُ كافراً، يبيعُ دينه بعرضٍ من الدنيا»<sup>(١)</sup>.  
عباد الله أيها الناس ..

في حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي: «مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إِلَّا غِنًى مُطْغِيًّا، أَوْ فَقْرًا مُنْسِيًّا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَالَ ،، وَالدَّجَالَ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ، وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ؟!»<sup>(٢)</sup>.  
أيها الناس .

(١) "صحيح مسلم" (١٦٩).

(٢) سنن الترمذي (٢٢٢٨)، والحاكم (٧٩٠٦)، وقال: إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصَرْمٍ وَّانْقِضَاءٍ، وَزَوَالٍ وَفَنَاءٍ ﴿اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَاَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالساعة قد اقتربت أيها الناس، وإن مجيئها بظهور أشراطها، وكثير من علاماتها، التي بينها الرسول ﷺ، فإن النبي ﷺ قد أكثر من بيان تلك الأشرط والعلامات؛ تحذيراً وتنبهاً للأمة؛ تهيئة وإرهاصاً للساعة؛ لعظم هولها وشدة خطرها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

ألا، وإن أعظم ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بين يدي الساعة، وأشدّه هولاً خروج الدجال، شرٌّ غائبٍ يُنتظر، فما كان ولا يكون إلى يوم القيامة أعظم فتنة منه وأشدُّ، قال رسول الله ﷺ فيها رواه مسلمٌ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمرٌ أكبر من الدجال»<sup>(٥)</sup>؛ ولذلك أجمعت الأنبياء على تحذير أقوامهم منه، فما من نبيٍّ إلا حذر أمته الدجال.

ولقد بين نبينا ﷺ أمر الدجال بياناً وافياً شافياً، فجاءت السنن والأخبار عن النبي

(١) سورة القمر (١).

(٢) سورة محمد (١٨).

(٣) سورة الشورى (١٧).

(٤) سورة الحج (١).

(٥) أخرجه مسلم (٥٢٣٩).

المختار تصف عظيم فتنته، وتنعت زمن خروجه، تذكّر صفاته، وتقص أخباره وأنباءه،  
وتبيّن للناس المخرج والملجأ من شره وفتنته.

أيها الناس.

أخبر من لا ينطق عن الهوى أن خروج الدجال يكون في زمنٍ مظلم، تنطمس فيه  
أنوار الهدى عن أكثر الأرض.

زمنٌ يدرس فيه العلم ويقلُّ العمل.

زمنٌ يخفُّ فيه الدينُ ويضعفُ، ويظهر فيه الربا والزنى، ويشيع فيه الخمر والغناء.

زمنٌ تُهدر فيه الدماء ويكثر فيه القتل.

زمنٌ يتناول فيه السفهاء، ويتحير فيه العلماء.

زمنٌ يضعف فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

زمنٌ تمتهن فيه الشريعة ويعزُّ أنصارها.

زمنٌ يغفل فيه ذكر الدجال، فلا يُذكر إلا قليلاً.

هذه بعض أوصاف الزمن الذي يخرج فيه هذا الفتان، وقد وقع في الناس كثير مما  
جاءت به الأخبار التي تصف وقت خروج الدجال.

فكيف يأمن المرء على نفسه من فتنة الدجال، وقد خافه النبي ﷺ وصحابته

الأطهار؟! فقال لهم ﷺ مُسَكَّنًا كما في حديث النواس بن سميان رضي الله عنه: «إن

يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسه،

والله خليفتي على كلِّ مسلم<sup>(١)</sup>.

أيها الناس.

إن فتنة الدجال فتنةٌ تُدهشُ العُقُولَ وتُطيرُ الألبابَ وتُفقدُ الصوابَ، فإن الله تعالى يبتلي بالدجالِ الناسَ؛ لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الكاذِبِ، والموقِنُ مِنَ المَرْتَابِ.

فمن فتنته: أنه يأتي على القومِ فيدعوهم إلى عبادته، فيستجيبون له، فيأمرُ السماءَ فتمطرُ، والأرضَ فتنبتُ، ويأتي على القومِ فيردُّون قَوْلَهُ فينصرفُ عنهم مَحِلِّينَ مَجْدِينِ. ومن فتنته: أن معه جنةً وناراً، يفتنُ بهما الناسَ، فمن أطاعه أدخله جنته، وهي نارٌ تَلْطِئُ، ومن كذَّبه أدخله نارَه وهي جنةٌ غنَاء.

ومع هذا وغيره من أسبابِ الفتنَةِ، إلا أن الله يثبتُ الذين آمنوا، فقد أقامَ اللهُ - عز وجل - في الدِّجَالِ مِنَ الصِّفَاتِ ما يدلُّ على كذِّبه، وأنه ليس ربُّ العالمين.

فمن علامات كذبه: أنه أعورُ العَيْنِ اليمَنِ، قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يخفي عليكم، إن الله ليس بأعورَ، وإن المسيحَ الدجالَ أعورُ العَيْنِ اليمَنِ، كأن عينه عنبةٌ طافيةٌ»<sup>(٢)</sup>.

فكيف يصحُّ أن يكونَ ربُّ العالمين، وهو عاجزٌ عن أن يدفعَ عن نفسه النقصَ والعيبَ؟! واللهُ تعالى له الأسماءُ الحسنى، وله المثلُ الأعلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

(١) أخرجه مسلم (٥٢٢٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٥٨)، ومسلم (٥٢١١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾.

ومن العلامات التي يُعرفُ بها كذبه: أنه مكتوبٌ بينَ عينيه "كافرٌ" أو "ك ف ر" وهي علامةٌ يقرؤها كلُّ مؤمنٍ، كاتبٌ أو غيرُ كاتبٍ.  
ومن علاماته الدالة على كذبه: أن أكثرَ أتباعه اليهودُ، فإنه يتبعه من يهودِ أصبهانَ وحدها سبعون ألفاً، وهذا من العجائبِ، والعجائبُ جمةٌ.  
أيها المؤمنون.

إن مدةَ هذه الفتنةِ العمياءِ أربعون يوماً: «يومٌ كسنةٍ ويومٌ كشهرٍ ويومٌ كجُمعةٍ، وباقي أيامه كسائرِ الأيامِ، وإن أوَّلَ نهايته وهزيمته أنه يأتي قربَ المدينةِ النبويةِ، وهو ممنوعٌ من دخولها، فيخرجُ له شابٌّ فيقولُ له: أشهدُ أنك الدَّجالُ، الذي حدَّثنا رسولُ الله حديثه، فيقتله ثم يحييه، فيقولُ له الدَّجالُ: أتؤمنُ بي؟ فيكذِّبه فيريدُ الدَّجالُ قتله فلا يتمكن»<sup>(١)</sup>.

ثم إن الله يأذنُ لأهلِ الإيمانِ بالفرجِ فينزلُ عيسى بنَ مريمَ عليه السلام، فيطلبُ الدجالَ، فيدرُكه ببابٍ لُدٍّ في فلسطين، فما أن يراه الدَّجالُ حتى يذوبُ كما يذوبُ الملحُ في الماءِ، لكن الله يمكنُ عيسى من قتله، فيقتله بيده، ثم يري الناسَ دمَه في حَرَبَتِهِ، وهذا يطوى خبرُ أعظمِ فتنةٍ يتلي اللهُ بها البشرَ.

اللَّهُمَّ إنا نعوذُ بك من عذابِ القبرِ، ومن فتنةِ المحيا والمماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدجالِ.

﴿١١﴾

(١) سورة الشورى (١١).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤٩)، ومسلم (٥٢٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، واحذروا الفتنَ ما ظهرَ منها وما بطنَ، واعلموا -عبادَ الله- أن النبي ﷺ بينَ لأمتِهِ طريقَ النجاةِ من أعظمِ فتنَةٍ، من فتنَةِ الدجالِ، وهذا السبيلُ النبويُّ للنجاةِ يمثُلُ منهجاً للمؤمنِ، يستمسكُ به لينجوَ من كلِ فتنَةٍ. أيها المؤمنون.

قال رسولُ الله ﷺ في الدَّجالِ: «من سَمِعَ به فليناً عنه - أي: ليعدَّ وليهربَ منه - فواللهُ إنَّ الرجلَ ليأتِيه وهو يحسبُ أنه مؤمنٌ، فيتبعُه لما يبعثُ به من الشُّبهاتِ»<sup>(١)</sup> نعوذُ باللهِ من الخِذلانِ.

فعلى المؤمن أن يبعدَ نفسَه عن كلِّ أسبابِ الزيغِ والضلالِ، وألا يأمنَ على نفسه، فإنَّ اللهَ يحولُ بين المرءِ وقلبه. أيها المؤمنون.

أمَّا إذا ابتليَ المؤمنُ بالدَّجالِ -نعوذُ باللهِ منه- فعليه بأسبابِ الثَّباتِ على الحقِّ والهُدَى والصَّبرِ على الفتنَةِ والبلاءِ، قال النبي ﷺ في الدَّجالِ: «إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١٩٨٨٨)، وأبو داود (٤٣١٩) من حديثِ عمران بن حصين رضي الله عنه، والحديث صحيحه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديثِ النواس بن سمعان رضي الله عنه.

فعلى المؤمن إذا غشيتَه الفتنُ أن يثبتَ، وليعلمَ أن من أعظمِ أسبابِ الثباتِ كثرةَ ذكرِ الله تعالى.

أيها المؤمنون.

إن من أسبابِ النجاةِ من فتنةِ الدجالِ أن يقرأَ عليه من القرآنِ فواتحَ أو خواتيمَ سورةِ الكهفِ، قال النبي ﷺ: «فمن أدركه منكم فليقرأَ عليه فواتحَ سورةِ الكهفِ»<sup>(١)</sup>.

ولا عجبَ، فإن القرآنَ شفاءٌ لما في الصدورِ، وهدى ورحمةٌ للمؤمنين: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فاستمسكوا عبادَ الله بالقرآنِ العظيمِ، فإنَّ الله يُخْرِجُ به المرءَ من الظلماتِ إلى النورِ، ويهديه به سبيلَ السلامِ.

أيها المؤمنون.

إن مما يتوقى به المسلمُ الفتنَ كُلَّها، وفتنةَ الدجالِ خصوصاً الالتجاءَ إلى الله، وسؤاله النجاةَ من شرِّ الفتنِ، فهذا رسولُ الله ﷺ كان يستعيدُ في صلاته من فتنةِ الدجالِ، وأمرَ المصلِّي أن يستعيدَ بالله من أربعٍ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) سورة النحل (١٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## ١٧- التَّشْبَهُ بِالْكَفَّارِ .

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى واشكروه على أن جعلكم من خير أمة أخرجت للناس، فإن أمة محمد ﷺ هي خير أمة، وحزبه هم أعز حزب، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فعزتنا-أيها المؤمنون- مستمدة من عزة الله القوي العزيز، فهي عزة دائمة، دوام الليل والنهار، لا يرفعها تأخر حضاري، ولا تراجع علمي، ولا انكسار عسكري، ولا تقهقر مادي، بل نحن الأعزاء بالله تعالى إن صدقنا الله تعالى في إيماننا وعبوديتنا له، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد قال الأول:

وَكِدْتُ بِأَخْصِي— أَطَأُ الثُّرَيَّا  
وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

وَمَا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا  
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي

(١) سورة المنافقون: ٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٩.

وتأكيداً لهذه العزّة، وهذا التميّز لأمة محمد ﷺ، فقد نهى الله تعالى المؤمنين عن اتّباع سبيل الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين، وغيرهم من أمم الكفر، فنهى الله أهل الإسلام عن التّشبه بالكفار، وعن تقليدهم والتبعية لهم، فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا شكّ عند أولي الأبصار أن تقليد الكفار، والتشبه بهم من أعظم صور الطاعة لهم، وقد نهى النبي ﷺ عن مشابهة الكفار في أحاديث كثيرة، منها: ما أخرجه أحمد وأبو داود بسند جيد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «من تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(٣)</sup>، ففي هذا الحديث غاية التّحذير، ومنتهى التنفير عن مشابهة الكفار، كيف لا وقد جعل النبي ﷺ من تشبه بالكفار منهم؟! نعوذ بالله من الخذلان.

وقد قال النبي ﷺ في بيان خطورة التشبه: «ليس منّا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى»<sup>(٤)</sup>.

ومن علامات تميّز هذه الأمة عن غيرها: أن النبي ﷺ قد علّل كثيراً من الشرائع والأحكام بمخالفة اليهود والنصارى وغيرهم من أمم الكفر، مما يدلّ على أن

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) سورة الأحزاب: ١.

(٣) أخرجه أحمد (٥٠٩٤)، وأبو داود (٤٠٣١) عن عبد الله بن عمر ﷺ، وصححه العراقي .

(٤) أخرجه الترمذى (٢٦٩٥) وقال: إسناده ضعيف، وقال الهيثمي (٣٤٩/٧): " رواه الطبراني في الأوسط

وفيه من لم أعرفه".

مخالفة الكافرين مقصدٌ نبويٌّ شرعيٌّ، فمن ذلك مثلاً ما أخرجه مسلمٌ عن شدادِ ابنِ أوسٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خالفوا اليهودَ، فإنهم لا يُصلُّون في نعالهم ولا خفافهم»<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: «خالفوا المشركين، وأحفوا الشواربَ وأعفوا اللحى»<sup>(٢)</sup>، وهذا قليلٌ من كثيرٍ في السنة المطهرة.

ومما يدلُّ على أهميَّة مخالفتهم، وأن مخالفتهم هي سببُ الخيرية في الأمة، بل سببُ لعلوِّ الدين وظهوره أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزالُ الدينُ ظاهراً ما عجلَ الناسُ الفطرَ؛ إنَّ اليهودَ والنصارى يؤخِّرون»<sup>(٣)</sup>.

ومن تأملَ كلامَ أهلِ العِلْمِ على اختلافِ مشاربهم ومذاهبهم عِلْمَ علماً لا يدخله شكٌ ولا ريبٌ إجماعهم على النهي عن مشابهة الكفارِ، ووجوبِ مخالفتهم؛ وذلك لكثرة النصوصِ الواردةِ بذلك.

أيها المؤمنون .. الحريصون على أن تلقوا ربكم بقلوبٍ سليمةٍ، استمعوا إلى ما قاله الحبرُ الإمامُ ابنُ تيمية رحمه الله تعالى قال: "وبالجملة فالكفرُ بمنزلةِ مرضِ القلبِ أو أشدَّ، ومتى كان القلبُ مريضاً لم يصحَّ شيءٌ من الأعضاءِ صحَّةً مُطلقةً، وإنها الصَّلَاحُ أن لا تُشبهَ مريضَ القلبِ في شيءٍ من أمورِهِ"<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٢) والحاكم (٩٥٦)، وصححه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٢١٨)، وأبو داود (٢٣٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث حسنه الألباني.

(٤) "اقتضاء الصراط المستقيم" (١٩٨/١).

وبهذا يتبين أن مخالفتهم في جميع الشؤون مقصودة للشارع، فليس النهي عن مشابهتهم في عباداتهم أو عقائدهم فقط، بل هو عام في عاداتهم وآدابهم وأخلاقهم وجميع شؤون حياتهم، قال ابن القيم رحمه الله: "ومن تشبه بالإفرنج في لباسهم ونظمتهم ومعاملاتهم فهو بلا شك إفرنجي غير مسلم، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم".  
أيها المؤمنون.

إنه مع هذه النصوص الكثيرة التي تنهى عن التشبه بالكفار، إلا أن النبي ﷺ قد أخبر أن مشابهتهم ومتابعتهم ستقع في الأمة، ففي "الصحيحين" عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ فَمَنْ؟»<sup>(١)</sup>.

وهاهي بعض فئات الأمة اليوم تحاكي أمم الكفر، شرقية وغربية في الزي واللباس، وتشبه بهم في آداب الأكل والشرب وأساليب المعاشرة والمخالطة، وطرائق الكلام والمعاملة وغير ذلك، بل وتتلقى عنهم الأفكار والآراء، حتى صاغ فئات غير قليلة من الأمة حياتهم وأفكارهم وأساليبهم على نهج الحياة الغربية، والفكر الغربي.

والأسباب التي دعت هذه الفئات إلى التشبه بالكفار وتقليدهم عديدة، إلا أن من أبرزها الغفلة عن سبب العزة والسعادة الحقيقية، فإن كثيراً ممن تشبه بالكفار ظن أن سبب عزة هؤلاء وارتفاعهم هو أخلاقهم وما هم عليه من نبذ الدين وعدم الاهتمام به، وقد غفل هؤلاء عن قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نحن قوم

(١) "صحيح البخاري" (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ<sup>(١)</sup>: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَكِدْتُ بِأَخْصِي - أَطَأُ الثُّرَيَّا  
وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَتِيهًا  
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي



(١) أخرجه الحاكم (٢٠٨).

(٢) سورة آل عمران: ١٣٩.

## الخطبة الثانية

أيها المؤمنون.

إن من الأسباب الرئيسية التي جعلت كثيراً من المسلمين يتشبه بالكفار من اليهود والنصارى الاختلاط بهم والانفتاح عليهم؛ وذلك أن هذه العصور شهدت ثورة كبرى في الاتصالات، فقربت المسافات، واتصلت الجهات، حتى غدا العالم كما يُقال: قرية واحدة، وكذلك في الإعلام الذي يروج للثقافة الأجنبية، ويسوق طريقة الحياة الغربية على أنها النبراث والمثل، فلما وقع ذلك كثر الاحتكاك بهم والتعامل معهم، فأدى ذلك إلى ظهور معالم التشبه والتبعية والتقليد للأمم الكفر في حياة المسلمين وواقعهم، فرأينا بعض إخواننا -هداهم الله- من جعل الغرب وما فيه قدوة له في اللباس والزِّي، وفي الأكل والشرب، وفي تصنيف الشعر وقصه، بل وتمادى بعضهم حتى قلّدوهم في الفكر والرأي؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولا حلّ لهذه المشكلة إلا بالتقليل من خلطة هؤلاء، ووجودهم بين المسلمين، فلا يجوز لأحد أن يسافر إلى بلاد الكفر إلا عند الحاجة، ويجب أن يكون المسافر عنده من العلم والإيمان والصبر واليقين ما يدفع به شبهاتهم، ويتقي به ما في بلادهم من فتن وشهوات، تهتز لها الجبال الرواسي.

كما أنه يجب علينا جميعاً أن نتعاون على عدم استقدام الكفار إلا عند عدم وجود من يقومون بما يقومون به من أعمال؛ وذلك أن تكاثرهم بين ظهرائنا في بيوتنا وأعمالنا وأسواقنا ومكاتبنا له تأثير بالغ في بث أخلاقهم وإشاعة أفكارهم.

## ١٨- حقوق ولاية الأمور ووجوب طاعتهم

الخطبة الأولى .

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

فإني أوصيكم بعباد الله بتقواه- جلّ وعلا- في السرّ والعنّ، وأتباع السنة ظاهراً وباطناً، وإيّاكم وما أحدث المحدثون، فإن كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

أيها المؤمنون..

إن ولاية أمور المسلمين من أهمّ واجبات الدين، بها تقوم مصالح الدنيا والدين، فإن بني آدم على اختلاف ألوانهم وألسنتهم، لا تقوم مصالحهم إلا بالاجتماع؛ لحاجة بعضهم إلى بعض، وهم في اجتماعهم هذا لا بدّ لهم من سراة وولاة، تسأس بهم الرعية، ويحفظ الأمن، وتصان الحقوق، وتحقن الدماء، وتوفى العهود والمواثيق، ولما كانت ولاية الأمر- أيها المؤمنون- بهذه المنزلة العظيمة، والناس إليها في ضرورة شديدة، فإن النبي ﷺ أوجب على المؤمنين إذا كانوا ثلاثة في سفرٍ أن يؤمّروا أحدهم؛ وذلك أنه لا يصلح أن يكون الناس فوضى، لا سراة لهم ولا ولاة، بل لو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحقّ جامع، ولا يزعهم عن الباطل وازع، ولا يردعهم عن الغي رادع، لخربت الديار، وتشتت المجامع، وتعطلت الجوامع، ولفشت في الناس الخصومات، وراجت الفتن، وانتشرت البليات، فالحمد لله الذي جعل ولاية أمر الناس من أعظم

واجبات الدين.

أيها المؤمنون..

إن الله ورسوله ﷺ قد فرضا لولاة الأمر حقوقاً لازمةً واجبةً، بها يحصل صلاح دين الخلق، واستقامة معاشهم.

عباد الله، إن من أكد حقوق ولاة الأمر السمع والطاعة لهم في المعروف، فطاعتهم أصل عظيم، أمر الله به في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ولشرف الأمر وأهميته بايع الرسول ﷺ أصحابه على ذلك، ففي "الصحيحين" من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا»<sup>(٢)</sup>. وفي "الصحيح" أن النبي ﷺ قال: «إن أمر عليكم عبدٌ مجدعٌ، يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا»<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

عباد الله، إن طاعة ولاة الأمر واجبةٌ في كل ما يأمرون به من المعروف، أما إذا أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، الله الواحد القهار، فقد قال ﷺ:

(١) سورة النساء (٩).

(٢) "صحيح البخاري" (٦٥٣٢)، ومسلم (٣٤٢٧).

(٣) "صحيح مسلم" (١٨٣٨) من حديث أم الحصين الأحمسية.

«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن مما تجب فيه طاعة ولاية الأمر ما ينظمونه من تنظيمات لإقامة مصالح الرعية، وضبط أمورهم وحفظ أمنهم، مما لا يخالف الشرع المطهر، فإن هذه التنظيمات داخلية في عموم قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾<sup>(٢)</sup>، وفي غيرها من النصوص التي تأمر بطاعة ولاية الأمر، فاتقوا الله عباد الله، وأطيعوا من ولّاه الله أمركم، فيما ينظمه من تنظيمات، واحتسبوا الأجر في ذلك عند الله تعالى، فإنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

أيها المؤمنون.

إن وجوب طاعة ولاية الأمر ليس مرتباً بقيامهم بجميع ما يجب عليهم من الحقوق والواجبات للرعية، بل تجب طاعتهم، ولو فرطوا فيما يجب عليهم من الحقوق، فعلى كل مؤمن أن يقوم بما فرض الله عليه من الحقوق والواجبات لولاية الأمر، على كل حال، ما لم يؤمروا بمعصية، ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول

(١) أخرجه البخاري (٦٦١١)، ومسلم (٣٤٢٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سورة النساء (٥٩).

الله؟ قال: أدّوا إليهم حقّهم، واسألوا الله حقّكم»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلمٍ من حديث حذيفةَ بن اليمان - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تسمعُ وتطيعُ للأمرِ، وإنْ ضربَ ظَهْرَكَ وأخذَ مالكَ»<sup>(٢)</sup>، وما ذاك إلا لأنَّ في الطاعةِ لولاءِ الأمرِ سعادةَ الدنيا، واستقامةَ مصالحِ العبادِ في معاشِهِم. أيها المؤمنون.

إن من حقوقِ ولاةِ الأمرِ على رعيّتهم النصيحةُ لهم، فإن الدينَ النصيحةُ لله ولرسوله ولأئمةِ المسلمين وعامتهم.

عبادَ الله، إن النصيحةَ لولاءِ الأمرِ تكونُ بحبِّ صلاحِهِم ورشدهم وعدلِهِم، وحبِّ اجتماعِ الأمةِ عليهم، وكرهيةِ افتراقِ الأمةِ عليهم، وتكونُ النصيحةُ لولاءِ الأمرِ -أيها المؤمنون- بمعاونتهم على الحقِّ والهدى، وتذكيرِهِم بالبرِّ والتقوى، وتنبهِهِم إلى ذلك في رفقٍ ولطفٍ، من غيرِ عنفٍ ولا تشهيرٍ ولا منابذةٍ، فما كان الرفقُ في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا نزعٌ من شيءٍ إلا شانه؛ وذلك أن ما يكرههُ الناسُ في الجماعةِ خيرٌ مما يحبُّونَهُ في الفرقةِ، اللهمَّ أَلْفٌ بينَ قلوبِ المؤمنين، وأصلحَ ذاتِ بينهم.



(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٣٤٣٥).

الخطبة الثانية.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله تعالى يُصلحْ لكم أعمالكم، ويغفرْ لكم ذنوبكم، ويوسِّعْ لكم رزقكم.

أيها المؤمنون.

إنها لا تستقيمُ أمورُ الناسِ، ولاةٌ ورعيةٌ، إلا بتقوى الله تعالى، فإذا اتقى الله الولايةُ فيما أوجبَ اللهُ عليهم من حفظِ المِلَّةِ وحسنِ سياسةِ الأُمّةِ، واتقى الله الرعيةُ فيما يجبُ عليهم من حقوقِ الله تعالى، وحقوقِ الولايةِ، وحقوقِ بعضهم على بعضٍ، حصل الخَيْرُ الكثير، واندفعَ عن الأُمّةِ شرٌّ عظيمٌ، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله أيها المؤمنون جميعاً لعلكم تفلحون، فإنكم على الله تعالى قادمون، وعلى أعمالكم محاسبون، وبها مجزيون .



(١) سورة الأعراف (٩٦).

١٩- ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى قصَّ في كتابه شيئاً مما كان يدعو به إبراهيم عليه السلام، فقال جلَّ وعلا في دعاء إبراهيم: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(١)</sup>.

وقريبٌ منه ما دعا به موسى عليه السلام؛ حيث قال: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

هكذا تواردت أدعية اثنين من أولي العزم من الرُّسُلِ - صلوات الله وسلامه عليهم - على سؤال الله تعالى ألا يجعلهم ولا المؤمنين معهم فتنة للكافرين والظالمين. فهذا الجواز النبوي والدعاء القرآني يُنبئ عن عظيم ما في قلوب أهل الإيمان، من العناية بمصالح دين أعدائهم، الذين ظلموهم واعتدوا عليهم، فهؤلاء الأنبياء تضرَّعوا إلى الله تعالى هاتفين بربوبيته ألا يكون في حالهم ما يفتن به أهل الكفر والظلم عن الدين القويم، فيتزبن في أعينهم ما هم فيه من كفر وظلم، فيكونوا سبباً في الصدِّ عن سبيل الله، ومنع الناس من الدخول في دينه.

(١) سورة الممتحنة: ٥.

(٢) سورة يونس: ٨٥.

أيها المؤمنون.

إن الناظر إلى ما آلت إليه حال كثير من المسلمين اليوم ، يرى أن واقعهم . أُمماً وأفراداً . يشكّل حجاباً كثيفاً يطمس نور الإسلام ، ويصدُّ عن سبيله ، فهذا الواقع المريز يمثل سداً حائلاً منقراً عن التعرف على الإسلام ، والاطلاع على ما فيه من الهدى والنور ، فضلاً عن الانضمام إلى ركب أهل الإيمان ، واعتناق الإسلام .  
ومن نافلة البيان أن هذا الواقع يتضمن سؤاتين :

السؤاة الأولى : تقصيرنا في امتثال ما أمرنا الله تعالى به من التقوى والإحسان .  
السؤاة الثانية : حجبنا أنوار هذا الدين ، وما فيه من الهدى والصراط المستقيم ، عن خلق الله تعالى ، المتعطّشين إلى أنواره ، المتلهّفين إلى هدايته ، شَعَرْنَا بذلك أو لم نشعر ، فصدق في كثير منّا قول الأول :

قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوَاءٍ وَجَّوْا فِي سَوَاءٍ لَمْ يَجْنُوهَا بِأَسْتَارٍ<sup>(١)</sup>  
إن المسلم الصادق يجتهد في أن يسلم من الصد عن سبيل الله في قول أو عمل أو حال .  
أيها المؤمنون ! إن النبي ﷺ قال في صحابي كان يطيل الصلاة بأصحابه : «إن منكم منفرين»<sup>(٢)</sup> ، بل اشتد غضبه ﷺ من ذلك حتى قال أبو مسعود البدري راوي الحديث ﷺ : فما رأيت رسول الله قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ ، ثم قال : «يا أيها الناس إن منكم منفرين» .

(١) ديوان الحماسة ٢/٢٣٩ .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٢) ومسلم (٤٦٦) عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ .

وفي قصةٍ مشابهةٍ يقول رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ؓ لما أخبر بإطالته الصلاة: «يا معاذُ، أفتانُ أنتَ؟!»<sup>(١)</sup>، أي: أمتنرُ عن الدينِ صادُّ عنه؟! هذا قوله ﷺ، وفعله وتغليظه على من نَفَرَ عن دينِ الله في قضيةٍ جزئيةٍ وواقعةٍ فرديةٍ، وهي إطالة الصلاة على المأمومين، فليت شعري ما تراه ﷺ قائلاً في أقوامٍ لهم أفعالٌ كثيرةٌ، وأعمالٌ عديدةٌ، ومناهجٌ وطيدةٌ يدورُ فلُكُها، ويقومُ أودُها على التنفيرِ عن سبيلِ الله، والصدِّ لعبادِ الله؟! وهم مع ذلك يردِّدون: "إن أريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ!! صدقَ اللهُ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾"<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من مقتضيات الإيذان أن ينأى المؤمنُ بنفسه عن الدخولِ في زمرة المنفرين عن دين الله تعالى، وأن يحرص غاية الحرص في ترغيب الخلقِ وتقريب كل أحدٍ إلى الهدى، وأن يذكر قول الله تعالى لصفوة الرسل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن الرحمة هي العنوانُ الأكبرُ لرسالة خاتم النبيين وإمام المرسلين ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥) ومسلم (٤٦٥) عن جابر ؓ.

(٢) سورة البقرة: ١٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٧.

وقد جاء رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ادعُ على المشركين، فقال ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»<sup>(١)</sup>.

فالسُّمَّةُ البارزةُ في هذا الدِّينِ أنه دينٌ رَحِمَهُ، يَنْفِيًّا ظِلَالُهَا، وَيَجْنِي ثَمَارَهَا جَمِيعُ النَّاسِ، مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى وَمَنْ عَلِيَهُ بِالْدُخُولِ فِيهِ، وَكَذَا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يَقْبَلْهُ، فَلَنْ يَعدَمَ مِنْهُ رَحْمَةً وَبِرًا. أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ.

إن انحرافَ فِئامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ وَحْيِ الْقُرْآنِ، وَهَدْيِ السَّنَةِ، فِي الْأَقْوَالِ أَوْ الْأَعْمَالِ، يُصَدِّقُ وَيُعَزِّزُ مَا يمارسه أعداءُ الإسلامِ في الشَّرْقِ أَوْ الْغَرْبِ، مِنْ تَشْوِيهِ الْحَقَائِقِ، وَصَدِّ النَّاسِ عَنْهُ، فَإِنْ لَوْمَ الْأَعْدَاءِ قَدْ يَكُونُ عَجْزًا، فَلَيْسَ مَجْدِيًّا أَنْ نَلْوَمَ أَعْدَاءَنَا فِيمَا يَنْسُبُونَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَوْهَامِ وَالتَّشْوِيهَاتِ، لَكِنْ أَنْ نَبَاشَرَ التَّشْوِيهَ بِأَنْفُسِنَا وَأَيْدِينَا!! هَذَا مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَهُ مُسْلِمٌ تَحْتَ أَيِّ مَبَرِّرٍ، وَفِي ظِلِّ أَيِّ مَسْوُغٍ، فَحَقٌّ عَلَى الْأُمَّةِ جَمْعَاءَ أَنْ تَأْخُذَ عَلَى يَدِ كُلِّ مَنْ يَشُوهُ الْإِسْلَامَ، فِي قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِهِ؛ لِثَلَا نَكُونَ فَتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

إن النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَايَةِ الْإِتْبَاهِ لِهَذَا الْمَعْنَى، فَتَرَكَ ﷺ قَتْلَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ؛ دَفْعًا لِمَقَالَةِ السُّوءِ عَنْهُ وَعَنْ شَرِيعَتِهِ، وَدَرَاءً لِعِتْدَاءَاتِ الْمَشْهُوهِينَ الصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، ففِي "الصَّحِيحِينَ" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَمْرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ حِينَ اسْتَأْذَنَهُ فِي قَتْلِ مَنْافِقٍ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) عن أبي هريرة ؓ.

من المنافقين ظهرَ أذاه ونفاقه: « دَعُهُ؛ لا يتحدثُ الناسُ أن محمداً يقتلُ أصحابه »<sup>(١)</sup>،  
وصدقَ القائلُ:

ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه  
ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ<sup>(٢)</sup>

أيها المؤمنون.

إن تورطَ فئامٍ من الناسِ في الاستخفافِ بالدماءِ والاستهانةِ بشأنها ، من أعظمِ أنواعِ الفسادِ في الأرضِ، وهو من أعظمِ ما يحصلُ به الصدُّ عن سبيلِ الله، ويستندُ إليه المتربصون في تشويهِ الإسلامِ، وإصاقِ أشجعِ الأوصافِ به ، كقولِ من يصفُ الإسلامَ : بأنه دينٌ دمويٌّ، يجرِّضُ على الكراهيةِ والانتقامِ، وقتلِ الناسِ على الهويةِ، وغير ذلك من الزورِ والبهتانِ والهديانِ، الذي لا يقُرُّه الإسلامُ؛ فإن دينَ الإسلامِ دينُ الرحمةِ والعدلِ، لا يخطئُ هذه النتيجةَ من عرفَ شيئاً من تعاليمه ، أو طالعَ بُدأً من أحكامه ونظامه.

إن نظرةَ عجلي في نصوصِ الكتابِ والسنةِ تبينُ عظيمَ حرمةِ الأنفسِ ، وخطورةِ الدماءِ، فقد قال النبي ﷺ : « لن يزالَ المرءُ في فُسْحَةٍ من دينه ما لم يُصبَ دماً حراماً »<sup>(٣)</sup>.  
يعني: في سعةٍ، وطُمأنينةٍ، وسلامةٍ.

إننا أيها المسلمون نُنكرُ هذا الاستخفافَ بالدماءِ الذي تورَّطَ فيه أهلُ الطَّيشِ

(١) "صحيح البخاري" (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) الأغاني ١٤/١٦٦.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والسَّفَهَةِ، مهما جهدوا في تبريره ، أو تكلفوا في تسويغِهِ ، أو بحثُوا عن حُجَجِهِ .

إن الأصل المكينَ تحريمُ قتلِ النفسِ التي حرَّم اللهُ إلا ببينةٍ كالشمسِ ، وحجةٍ كالفلقِ ، إن إزهاقَ الأرواحِ لا يكون إلا وفق ضوابطٍ محددةٍ ، وقواعدَ بينةٍ ، وسننٍ جليةٍ ، فلا يجوزُ لأحد أن يتهوكَ في دمٍ حرامٍ ، أو نفسٍ معصومةٍ مصونةٍ ، سواء كان مسلماً أو كافراً إلا ببينةٍ وبرهانٍ .



## الخطبة الثانية

أما بعد .

فإن من أعظم ما ترزقه الأمم والمجتمعات الأمن على الأنفس والأعراض والأموال.

إن المحافظة على الأمن يا عباد الله، ضرورة شرعية ودينية، لا بد من السعي في تحقيقها، فلا يمكن أن تصلح دنيا الناس، ولا أن يستقيم دينهم إلا به. أيها المؤمنون..

إن المحافظة على الأمن واجب الجميع، ولذلك يجب أن نتكاتف جميعاً لمنع كل ما يخل بأمننا، مهما كانت صورة الخلل أو نوعه، فكل خلل يهدد الأمن، سواء كان ذلك من تصرفات الطائشين المنحرفين، من أصحاب الأفكار الضالة والأهواء الزائغة، أو كان ذلك من جنایات المجرمين، وأعمال المعتدين، من السراق وقطاع الطرق وغيرهم.

أيها المؤمنون.

إن محاصرة المخلين بأمننا والمتلاعبين به، من أكد الواجبات المشتركة، التي يجب أن يتكاتف الجميع في تحقيقها، فكلنا عين حارسة، تصون أمن بلاد الإسلام، وتذود عن حياضه، نرجو بذلك فوز الدنيا، وثواب الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة التوبة: ٧١.

وإن من أكد مقتضيات ولاية المؤمنين بعضهم لبعضٍ سعيهم في جلب كل خير  
لبعضهم ، ورد كل سوء ، وإن الخير لا يمكن أن يتحقق ، والسوء لا يمكن أن يندفع  
في أمنٍ مفقودٍ ، أو منقوصٍ .

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup> .



(١) سورة الممتحنة: ٥ .

## ٢٠- أسباب زيادة الإيمان.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله وآمنوا به، فإن الإيمان به أشرف العبادات ومفتاح الخيرات وسبيل  
دخول الجنات، فالإيمان يا عباد الله أعظم الواجبات، فوائده وخيراته عظيمة مغدقة  
وشاره باسقة يانعة، فهو أعظم ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب، وهو خير ما  
تنافس فيه المتنافسون وسعى في تحصيله الساعون.

له في قلوب أهل الصادقين حلاوة ولذة وبهجة لا يعرب عنها لفظ، ولا يحيط بها  
وصف، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

أيها المؤمنون! إن للإيمان بينات وبراهين، وقد أقام الله علامات بها يتميز الصادق عن  
صاحب الكذب والبهتان، فعلامته الإيمان الصادق، الذي يرفع الله به العبد في الجنان،  
ويقيه بمنه وفضله دخول النيران هو أن تصدق يا عبد الله بما جاء عن الله وعن رسوله  
تصديقاً جازماً، وأن تقر بذلك مدعياً، وأن تنقاد له محبباً خاضعاً، وأن تعمل به ظاهراً  
وباطناً.

أن تحب في الله وتبغض في الله، فإن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.  
اللهم إنا نسألك إيماناً صادقاً و يقيناً راسخاً وعلماً نافعاً وقلباً خاشعاً وعملاً صالحاً.  
عباد الله، إن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقّر في القلب وصدّقه

الأعمال، فاجتهدوا في تحقيقِ إيمانكم والتزامه علماً وعملاً وحالاً، واسعوا في زيادته وتثبيتته وإزالة ما يناقضه أو ينقصه، فإن الإيمان يزيد وينقص، والناس فيه متفاوتون تفاوتاً عظيماً، قال الإمام أحمد لما سُئل عن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: يزيد حتى يبلغ أعلى السماوات السبع، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين؛ ولذلك أوصى النبي ﷺ بتعاهد الإيمان وتفقدته وتجديده، فقال ﷺ: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم»<sup>(١)</sup>.

وقد كان سلفنا الصالح يتعاهدون إيمانهم ويتفقدون أعمالهم ويأخذون بأسباب زيادة الإيمان ونمائه، فإن للإيمان أسباباً يزداد بها وينمو ويزكو.

فمن أسباب زيادة الإيمان يا عباد الله: الإقبال على كتاب الله العظيم وحبه المتين، تلاوة وتدبراً وعلماً وعملاً، فإن الله قد أنزله رحمةً للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾<sup>(٣)</sup>، قال قتادة رحمه الله: "ما جالس أحد كتاب الله إلا قام عنه إما بزيادة أو نقصان".

(١) أخرجه الحاكم (٤٥/١) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وحسنه الهيثمي في

مجمع الزوائد (١٥٨).

(٢) سورة يونس (٥٧).

(٣) سورة الإسراء (٨٢).

فالقرآن أعظم ما يزدادُ به الإيمانُ، فأكثرُوا من سماعِهِ وتلاوتهِ وتدبُّرِهِ والعملِ بِمَا فِيهِ،  
تجدوا خيراً عظيماً وتسبقوا سبقاً كبيراً.  
أيها المؤمنون.

إن من أسبابِ زيادةِ الإيمانِ: مطالعةُ سيرةِ خيرِ الأنامِ، فالنظرُ في سيرتهِ ﷺ يوجبُ  
زيادةَ التقوى والإيمانِ، فإن حياتهَ كلها طاعةٌ وجهادٌ وإحسانٌ، وقد قال اللهُ تعالى حاثاً  
على تدبُّرِ سيرتهِ وحياتهِ ﷺ: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ  
يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن مما يزدادُ به إيمانَ العبدِ: تقليبَ النظرِ في بديعِ خلقِ اللهِ وعظيمِ صنعِهِ في السماواتِ  
وفي الأرضِ وفي الأنفسِ؛ ولذلك أمرَ اللهُ بالنظرِ والتفكُّرِ وحثَّ على ذلك فقال تعالى:  
﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>،  
وقال تعالى: ﴿سُرْرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ  
بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فكونوا عبادَ اللهِ من أولي الألبابِ الذين يتفكِّرون في خلقِ السماواتِ والأرضِ، ربَّنَا  
ما خلقتَ هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار.

(١) سورة سبأ (٤٦).

(٢) سورة الذاريات (٢١).

(٣) سورة فصلت (٥٣).

أيها المؤمنون.

إن من أسباب زيادة الإيمان: طاعة الله الملك الديان، فالتقوى والبرُّ والإحسانُ من أعظم أسباب زيادة الإيمان، فبقدر ما معك من خصال الطاعة بقدر ما معك من الإيمان، فاجتهدوا عباد الله في امثال المأمورات وترك المعاصي والسيئات، واستكثروا من الباقيات الصالحات تناولوا بذلك أعلى المراتب والدرجات.

أكثرُوا من ذكرِ الله، فإن ذكره من دواعي الإيمان، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

تخففوا من المعاصي والسيئات، وأهلكوها بالتوبة والاستغفار، فإن المعاصي تضعف الإيمان وتوقع في عظيم الحسرة والخسران.



(١) سورة الأنفال (٢)

## ٢١- الخوف من الله.

الخطبة الأولى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المؤمنون بالله ورسوله.

اتقوا الله واحذروا عقابه وشديد عذابه وسخطه، فالله سبحانه وتعالى شديد العذاب  
شديد العقاب ذو الطول لا إله إلا هو إليه المصير، كما قال الله جل ذكره: ﴿تَبَّءُ عِبَادِي  
أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد حذركم الله ﷻ نفسه في كتابه، فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>،  
قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: "أي: يخوفكم الله من نفسه أن تركبوا  
معاصيه أو توالوا أعداءه، فإن إليه مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم، فإن خالفتم أمره  
نالكم من عقاب الله ما لا قبيل لكم به، فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه، فإنه شديد  
العقاب"<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الحجر: ٤٩ - ٥٠.

(٢) سورة آل عمران: ٢٨.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٣٢٠/٥.

أيها المؤمنون.

إن خوف الله تعالى من تمام الإيمان به لذلك أمر الله تعالى به عباده، فقال جل ذكره:

﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾<sup>(٢)</sup>،

بل قد جعل سبحانه وتعالى خوفه شرطاً لصحة الإيمان، فقال سبحانه عز وجل: ﴿فَلَا

تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد أندرکم الله أيها المؤمنون الأمن من مكره وعذابه، فقال تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ

فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾<sup>(٤)</sup> وقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ - أَي:

عملوا السيئات - أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا

يَشْعُرُونَ﴾\* أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ

لَرَوْفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا

وَهُمْ نَائِمُونَ \* أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ \* أَفَأَمِنُوا مَكْرَ

اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النحل: ٥١.

(٢) سورة البقرة: ١٥٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٤) سورة الرعد: ١٣.

(٥) سورة النحل: ٤٥-٤٧.

(٦) سورة الأعراف: ٩٧-٩٩.

أيها المؤمنون.

إن الخوف من الله تعالى من أجل العبادات ومن أعظم القربات، فهو الذي يُحوّل بينكم وبين محارم الله - عز وجل - ومعاصيه، فله ما أعظمه، والله ما أحوجنا إليه، والله ما أحسن عاقبته في الدنيا والآخرة؛ إذ بالخوف يا عباد الله ينزع العبد عن المحرّمات، وبه يُقبل على الطّاعات، فهو والله أصل كلّ فضيلة، وباعث كلّ قربة.

وبالخوف من الله أيها المؤمنون يستيقظ القلب من غفلته ويتفجع بالإنذار ويتأثر بآيات

القرآن، قال الله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى \* إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَحْشَى﴾<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

عباد الله! إن الخوف من الله تعالى هو من أخصّ صفات عباد الله المتقين وأوليائه المحسنين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾<sup>(٣)</sup> قال الإمام الطبري رحمه الله: "المؤمن هو الذي إذا ذُكر

الله وجل قلبه وانقاد لأمره وخضع لذكّره خوفاً منه وفرقاً من عذابه"<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون.

(١) سورة طه: ٢-٣.

(٢) سورة الزمر: ٢٣.

(٣) سورة الأنفال: ٢.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ١١ / ٢٧.

لقد كان النبي ﷺ شديد الخوف من الله عظيم الخشية له، مع ما خصه الله - سبحانه وتعالى- به من الخصائص والفضائل والهيئات، ففي الصحيحين قال ﷺ: «فوالله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن الشَّخِيرِ رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يُصَلِّي، وله أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ من البكاء»<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

هذا نبيكم ﷺ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، بلغ الغاية في العمل والطاعة، ومع ذلك كله كان شديد الخوف من ربه، حتى كان أكثر دعائه كما في جامع الترمذي: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"<sup>(٣)</sup>، وكان من دعائه كما في "صحيح مسلم":  
«اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»<sup>(٤)</sup>، أما صحابته الكرام فهم الذين قال فيهم القائل:

إذا ما الليل أظلم كابدوه      فيسفر عنهم وهم رُكوع  
أطار الخوف نومهم فقاموا      وأهل الأمن في الدنيا هُجوع<sup>(٥)</sup>

(١) أخرجه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٨٧٧) من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه.

(٤) "صحيح مسلم" (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٥) ديوان عبد الله بن المبارك ص ١٤.

فَسَيَّرُهُم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ حَافِلٌ بِالْعَبْرِ وَالْعِظَاتِ، فَهَذَا صَدِّيقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلُهَا بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ الْمَبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ وَعَظِيمُ الْمِنَّةِ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ عَوْدٌ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى. وَهَذَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ الْمَبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ، قَرَأَ سُورَةَ الطُّورِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾<sup>(١)</sup> بَكَى وَاشْتَدَّ بِكَأُوهٍ حَتَّى مَرَّضَ وَعَادَهُ النَّاسُ ﷺ، وَكَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ: "وَيَحْكُ ضَعْفُ خَدِّي عَلَى الْأَرْضِ عَسَاهُ أَنْ يَرْحَمَنِي"<sup>(٢)</sup>. وَهَذَا عَثْمَانُ ﷺ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ بِكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ ﷺ.

أَمَّا جَمْهُورُ الصَّحَابَةِ ﷺ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»<sup>(٣)</sup>، قَالَ أَنَسٌ: فَغَطَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجُوهَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ. فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ مَا أَجْمَلَ فَعَلَهُمْ وَأَعَذَبَ ذَكَرَهُمْ! عِبَادَ اللهِ! هَذِهِ نِمَازُجٌ مِنْ مَخَافِ الْقَوْمِ مَعَ مَا خَصَّ بِهِمُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الرِّضَا وَالْغُفْرَانِ وَتَبَشِيرِ بَعْضِهِمْ بِالْجَنَانِ.

فَلَيْتَ شِعْرِي!! مَاذَا نَقُولُ وَقَدْ قَسَتْ مِنَّا الْقُلُوبُ، وَأَمِنَتْ مِنَّا الْمَخَافُفُ، فَلَا بُقْرَبِ الرَّحِيلِ نَنْتَبِهَ، وَلَا بآيَاتِ اللهِ نَتَعَطُّ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.



(١) سورة الطور: ٧.

(٢) المحتضرين (٤٧).

(٣) "صحيح البخاري" (١٠٤٦)، ومسلم (٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

اتقوا الله، واعلموا أن من علامات خوف الله تعالى وخشيته عدم الأمن من عذاب الله وعقابه وسخطه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فهؤلاء يا عباد الله قوم حسنت أعمالهم وطابت سرائرهم وزكت قلوبهم واستقامت جوارحهم، إلا أنهم مع ذلك لم يأمّنوا عقاب الله وعذابه، فقلوبهم وجلةٌ خائفةٌ أنهم إلى ربهم راجعون.

وهذا يفسر لنا ما كان عليه النبي ﷺ من شدة الحذر من عقاب الله والخوف من سخطه، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الرّيح أو الغيم عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر فإذا مطرت سرّ به وذهب عنه ذلك، قالت عائشة: فسألته؟ فقال: إني خشيتُ أن يكون عذاباً سلطَ على أمّتي»<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة المؤمنون: ٥٧.

(٢) أخرجه مسلم (٨٩٩).

وفي رواية أخرى للبخاري قال لها لما سألتها: « يا عائشة، ما يؤمّني أن يكون فيه عذاب، وقد عُدب قومٌ بالريح، وقد رأى قوم العذاب، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّظَرُّنَا﴾<sup>(١)</sup> .

ولما كسفت الشمس في عهده ﷺ خرج إلى المسجد مُسرِعاً فزعاً فزعاً يجُرُّ رداءه من شدة الفزع، فقام بأصحابه ﷺ قياماً طويلاً شديداً حتى جعلوا يخرون من طول القيام، فاستكمل رسول الله ﷺ في الرّكعتين أربع ركعاتٍ وأربع سجّاتٍ، رأى في صلاته تلك الجنة والنار، فلما فرغ من تلك الصلاة خطب خطبةً عظيمةً بليغةً كان منها أن قال ﷺ: «أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وادعوا الله وكبروا وتصدّقوا، يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية قال ﷺ عن الكسوف: «إنه من آيات الله تبارك وتعالى يعتبر بها عباده، فينظر من يحدث منهم توبة»<sup>(٣)</sup> .

فلا إله إلا الله ما أطيب قلوبهم وأزكى سرائرهم وأشدّ خوفهم وحبهم وتعظيمهم لرّبهم جل وعلا، فإن هذه الآيات والعظات لا يعتبر بها إلا من عمّر الخوف قلوبهم،

(١) "صحيح البخاري" (٤٨٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤٦)، ومسلم (٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد (١٩٦٦٥) والحاكم (١٢٣٠) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، والحديث

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إنه لما ضعفَ إيماننا بالله وقلَّ خوفنا منه وتعظيمنا له قسَّتْ مِنَّا القلوبُ وساءت الأعمالُ وصدق في كثيرٍ مِنَّا قوله جل وعلا: ﴿وَكَايِنٌ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



(١) سورة هود: ١٠٣.

(٢) سورة الذاريات: ٣٧.

(٣) سورة يوسف: ١٠٥.

٢٢- وجوب مراقبة الله.

### الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى في السرِّ والعلنِ والغيبِ والشهادة، فإن ربكم العليم الخبير لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السماواتِ ولا في الأرضِ ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ، يحاسبكم تعالى ذكره على النقييرِ والقطميرِ والقليلِ والكثيرِ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿<sup>(١)</sup>﴾، قال عز جنابه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ <sup>(٢)</sup>.

عباد الله.

إن الله -جلَّ وعلا- أخبركم بأنه رقيبٌ على أعمالكم، عالمٌ بما في نفوسكم، لا تخفى عليه منكم خافيةٌ، فالسرُّ عنده علانيةٌ، أخبركم بذلك لتخافوه وتحشوه وتراقبوه، فقال تقدَّست أسماؤه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ <sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ

(١) سورة الزلزلة (٧-٨).

(٢) سورة يس (١٢).

(٣) سورة البقرة (٢٣٥).

اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

### فهو الرقيب على الخواطر واللوا حظ كيف بالأفعال والأركان (٢)

عباد الله، إن الواجب على من نصح نفسه وأحب نجاته أن يستحضر. ويتيقن اطلاع الله على ظاهره وباطنه، ولا شك أن من اعتقد ذلك وتيقنه حمله على خير كثير، ودفع عنه شرًا عظيمًا، فالله -جل وعلا- على كل شيء شهيد؛ ولذلك فقد جعل النبي ﷺ مراقبة الله -جل وعلا- وتيقن اطلاعه على أحوال عباده من أعلى مقامات الدين، فلما سُئِلَ ﷺ عن الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٣)، ومن عبد الله أيها المؤمنون مستحضرًا قربه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك خشيةً وخوفًا وهيبةً وتعظيمًا لله رب العالمين، كما أن تيقن اطلاع الله على عبده يحمل العبد على إحسان العبادة، وبذل الجهد في إتمامها وتكميلها، وقد نبه إلى ذلك النبي ﷺ في حثه المؤمنين على الخشوع في الصلاة فقال ﷺ: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة» (٤).

أيها المؤمنون.

إن إيمان العبد بأن الله يراه ويطلع على سره وعلايته وباطنه وظاهره، وأنه لا يخفى

(١) سورة النساء (١)

(٢) القصيدة النونية (٢٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٥١) من حديث أنس ؓ.

عليه شيءٌ من أمره من أعظم أسباب ترك المعاصي الظاهرة والباطنة؛ وإنما يسرف الإنسان على نفسه بالمعاصي والذنوب إذا غفل عن هذا الأمر؛ ولذلك قال الله تعالى في بيان تهوُّك أهل النار في الذنوب والمعاصي: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا أَنْبَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فمن قام في قلبه أنه لا تخفى على الله خافيةٌ، راقب ربه وحاسب نفسه وتزوّد لمعاده، واستوى عنده السرّ وأنه لا تخفى على الله خافيةٌ، ولذلك كان من وصاياه ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»<sup>(٢)</sup>؛ أي: في السرّ والعلانية، حيث يراك الناس وحيث لا يروئك، فخشية الله تعالى في الغيب والشهادة من أعظم ما ينجّي العبد في الدنيا والآخرة؛ ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ: «أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»<sup>(٣)</sup>، وكان الإمام أحمد كثيراً ما ينشد قول الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل      خلوتٌ ولكن قل عليّ رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً      ولا أن ما يخفى عليه يغيب<sup>(٤)</sup>

فاتقوا الله عباد الله في السرّ والعلن، وإياكم وانتهاك محارم الله في الخلوّات، فإن الرجل ليصيب الذنب في السرّ فيصبح عليه أثره ومدلّته، ومن أعجب ما روي في هذا

(١) سورة فصلت (٢٢-٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٨٤٧)، والترمذي (١٩٨٧)، من حديث أبي ذر ﷺ، وصححه الترمذي.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٨٦١)، والنسائي (١٣٠٥)، والحاكم (١٩٢٣) من حديث عمار بن ياسر، وصححه.

(٤) البيتان من ديوان أبي العتاهية (١٠).

أن رجلاً كان يراي في السرّ، لا يعلم به أحدٌ، فمرّ ذات يومٍ بصبيانٍ يلعبون فقال بعضهم لبعضٍ: جاء آكلُ الرِّبَا! فنكسَ رأسه، وقال في نفسه: ربّ أفشيت سرّي إلى الصبيان. فتاب من ذنبه، وجمع ماله، وقال: ربّ إني أسيرٌ، وإني قد اشتريتُ نفسي منك بهذا المالِ فأعتقني، وتصدّقَ بإله كُله واستقامَ سرّه وإعلانه، فمرّ ذات يومٍ بأولئك الصّبيّة، فلما رأوه قال بعضهم لبعضٍ: اسكتوا فقد جاء فلانُ العابدُ، فبكى ذلك الرجلُ.

فسبحان من بنفحاتِ فضله اتّسعت القلوبُ للإيمانِ وانشرحت، ومن بحُسنِ هدايته وتوفيقيه انجلت عن القلوبِ ظلماتُ الجهلِ وانقشعت، ونعوذُ به جَلَّ وعلا من خزي الدُّنيا والآخرة.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واخشوه في الغيب والشهادة، فإن الله قد أعد لمن راقبه وخبثيه أجراً عظيماً، فقال سبحانه: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾<sup>(١)</sup>، وخص من خشيته في الغيب والسر، فقال: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ \* هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ \* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ \* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ \* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

أما أولئك الذين خفَّ قدرُ الله في قلوبهم وضعفَ يقينهم وإيمانهم فسارعوا في ارتكاب الموبقات، والتورط في الذنوب والمعاصي في أوقات الخلو، ولم يراعوا حقَّ ربِّ الأرض والسموات ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾<sup>(٣)</sup>، فأقول لهم: استمعوا إلى هذا الحديث العظيم، ففي "سنن ابن ماجه" بسند جيد من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أقواماً من أمتي يأتون يومَ القيامةِ بحسَنَاتٍ أمثالِ جبالِ تِهَامَةَ بِيضاً، فيجعلُها اللهُ - عز وجل - هباءً منثوراً» قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا ألا نكون منهم

(١) سورة البينة (٨).

(٢) سورة ق (٣١ - ٣٥).

(٣) سورة النساء (١٠٨).

ونحن لا نعلم!! قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل ما تأخذون، ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارمِ الله انتهكوها»<sup>(١)</sup>.

فما أحوَجنا أيها المؤمنون إلى تأملِ هذا الحديثِ واستحضارِه، لا سيما في هذه الأيامِ المتأخرة التي كثر فيها الفسادُ وتيسرت أسبابُه، فلم يبقَ مانعٌ ولا حاجزٌ في كثيرٍ من الأحيانِ إلا أن يخافَ العبدُ ربَّه في السرِّ والعلنِ.

فنسألُ الله أن يعيننا على حقوقه وطاعته، فإن من السبعة الذين يظلمهم اللهُ في ظلِّه «رجلٌ دعتُه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقال: إني أخافُ اللهَ ربَّ العالمين»<sup>(٢)</sup>.



(١) "سنن ابن ماجه" (٤٢٤٥)، وصححه الكتاني في مصباح الزجاجة (٧١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## ٢٣- الارتباط الوثيق بين الأخلاق والدين

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أيها المؤمنون.

إن من المقاصد الكبرى لدين الإسلام إتمام صالح الأخلاق وإكمالها، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٢)</sup>.

فالأخلاق أيها المؤمنون أمرها في الشريعة عظيم، وشأنها كبير، فبقدر ما معك من طيب الأخلاق، وكريم السجايا والآداب، بقدر ما يكون معك من استقامة الدين، فالدين كله خلق، فمن زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في الدين.

فحسب الخلق دين رب العالمين، وهدي سيد البشر، وخاتم النبيين؛ ولذلك قال الله تعالى في وصف خاتم النبيين: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وحسب الخلق أيها المؤمنون هو صفة عباد الله المتقين، وبه تحصل الدرجات،

(١) سورة آل عمران: (١٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (٨٥٩٥)، والحاكم (٤٢٢١) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه".

(٣) سورة القلم: (٤).

وُتْرَفَعُ المَقَامَاتُ، وَتَتَحَقَّقُ المَقَاصِدُ وَالغَايَاتُ.

حُسْنُ الخَلْقِ يَا عِبَادَ اللّٰهِ وَاجِبٌ، أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ المَوْمِنِينَ، فَقَالَ اللّٰهُ رَبُّ العَالَمِينَ:

﴿خِذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللّٰهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ

النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الدِّينَ القَوِيمَ، وَالإِيْمَانَ الرَّاسِخَ قُوَّةٌ عَاصِمَةٌ مِنْ دُنَايَا الأَخْلَاقِ وَسَيِّئِهَا، وَهُوَ قُوَّةٌ دَافِعَةٌ إِلَى طَيِّبِ الأَخْلَاقِ وَشَرِيفِهَا؛ وَلِذَلِكَ مَا أَكْثَرَ مَا يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ المِيِّنِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثُمَّ يَذْكَرُ بَعْدَ هَذَا النِّدَاءِ لِأَهْلِ الإِيْمَانِ أَمْرًا بِالأَخْلَاقِ

الفاضلة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أَوْ نَهْيًا عَنِ أَخْلَاقِ سَيِّئَةٍ رَدِيئَةٍ، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بِنَسِ الإِسْمِ الفُسُوقِ بَعْدَ الإِيْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأعراف: (١٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣٩٢)، والترمذي (١٩١٠)، وقال: "حسن صحيح".

(٣) سورة التوبة: (١١٩).

(٤) سورة الحجرات: (١١).

وهذا يوضح لنا- أيها الإخوة الكرام- أن الإيمان القوي يلدُ الخلقَ القويمَ، والسلوكَ المستقيمَ، وأن أيَّ اختلالٍ في أخلاقِ الناسِ، أو نقصٍ في آدابهم يرجعُ إلى ضعفِ الإيمانِ، وقلةِ الدِّينِ، وإليك بعض الأمثلة، التي تبيِّنُ الارتباطَ الوثيقَ بين سوء الخلقِ، وضعفِ الإيمانِ والدينِ:

فالرجلُ الذي يكذبُ في أقواله وأعماله ليس صادقاً في إيمانه، فإن الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، وإن الفجورَ يهدي إلى النارِ.

والرجلُ الذي يؤذي جيرانه، ويرميهم بالسُّوءِ، قال فيه النبي ﷺ: «والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمنُ جاره بوائقه»<sup>(١)</sup>.

والرجلُ الذي أطلقَ لسانه العنانَ، يتكلمُ في الأعراضِ، ويؤذي العبادَ بالغيبةِ والنميمةِ والفُحشِ وسيئِ القولِ لم يحقِّقْ إيمانه: «من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليقل خيراً أو ليصمت»<sup>(٢)</sup>.

والرجلُ الذي عبَسَ وجهه، واكفَهَرَ، ومحا عن وجهه البسمةَ الرقيقةَ الحانيةَ، ورسمَ عليه النظراتِ المريبةَ، والكشرةَ القبيحةَ، لم يبلغْ درجةَ المؤمنِ الصادقِ في إيمانه ودينه: «لا تحقرنَّ من المعروفِ شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح ؓ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) أخرجه مسلم (٦٨٥٧) من حديث أبي ذر ؓ.

« والكلمة الطيبة صدقة »<sup>(١)</sup>.

والرجل الذي بخِلَ بالسلام، وأخلى قلبه من محبة أهل الإسلام، وملاؤه بالحقْدِ والغُلِّ والآثام، لم يحقق الإيمان، ففي "صحيح مسلم" قال ﷺ: « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم »<sup>(٢)</sup>.

وهكذا أيها المؤمنون يمضي الشرعُ المطهِّرُ في بناءِ الأخلاقِ، وغرسِ الفضائلِ، معتمداً في ذلك على صدقِ الإيمانِ باللهِ تعالى، فكلما زادت الفضائلُ والأخلاقُ المستقيمةُ في العبدِ، كان ذلك دليلاً على صحةِ إيمانه، وسلامةِ دينه.

ففي "الصحيحين" قال النبي ﷺ: « إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً »<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »<sup>(٤)</sup>.

فالإيمانُ والدينُ والأخلاقُ والآدابُ عناصرٌ مُتناسِكةٌ، لا يستطيعُ أحدٌ تمزيقَ وشائجها وصلاتها. اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خيرٌ من زكَّاها.



(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) "صحيح مسلم" (٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) "صحيح البخاري" (٣٢٩٥)، ومسلم (٤٢٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٤) أخرجه أحمد (٧٠٩٥)، والترمذي (١٠٨٢) من حديث أبي هريرة ؓ، وقال الترمذي: "حسن صحيح".

## الخطبة الثانية

أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى، وذروا ظاهر الإثم وباطنه، فإن حُسن الخلق، الذي أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ ليس ابتساماً باردةً، ولا آداباً ظاهريّةً زائفةً، بل هي آدابٌ وفصائلٌ، يتبغى بها المؤمن وجه الله تعالى، يوافق فيها الظاهر الباطن، كما قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(١)</sup>.

وهذا أمر مهمٌ، ومعلمٌ كبيرٌ، يميّز أخلاق أهل الإسلام عن أخلاق غيرهم. فحُسن الخلق الذي يُطالب به أهل الإسلام سلامةٌ في الظاهر، ونقاءٌ وصفاءٌ في الباطن.

أيها المسلمون.

إن القاعدة الكبرى التي تنبثق منها فضائل الأخلاق، وتصدّر عنها مكارم الآداب، هي قول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فهذه الآية تجمع حُسن الخلق على وجه الكمال، فهي تأمر بإيصال الخير إلى كلِّ أحدٍ من المسلمين، وتحثُّ على تحمّل الجنايات، والعفو والصفح عن الزلات، وتأمر بمقابلة السيئات بالحسنات.

أيها المؤمنون.

إن من القضايا الكبرى التي تحتاج إلى تنبيه متّصلٍ، ونصح دائمٍ لترسُخ في الأفتدة

(١) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٦٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) سورة الأعراف: (١٩٩).

والأذهان أن المسلم الذي يقومُ بما فرضَ اللهُ عليه من الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ، وغيرِ ذلك من الواجباتِ الشرعية، ثم هو بادي الشرِّ، كالحُ الوجهِ، قريبُ العدوانِ، سيِّئُ الأخلاقِ، إن هذا المسلم ليس امرئاً تقيّاً، بل هو مفلسٌ عصيٌّ.

ففي "الصحيح" قال ﷺ: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلسُ فينا مَنْ لا درهمَ له ولا متاعٍ، فقال ﷺ مصححاً مبيّناً: المفلسُ من أمتي من يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ، ويأتي وقد شتمَ هذا، وقذَّفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أخذَ من خطاياهم، فطُرحت عليه ثم طُرِحَ في النارِ»<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على شرائع الدين، وأركان الإسلام، وخذوا بفضائل الأخلاق، ومكارم الآداب، فإن العبدَ يبلغُ بحُسنِ خُلُقهِ درجةَ الصائمِ القائمِ.



(١) "صحيح مسلم" (٤٦٧٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

## ٢٤- حُسْنُ الْخُلُقِ

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون! اتقوا الله رَبِّكُمْ، واعملوا بخصال التقوى، فَإِنَّ لتقوى الله- جَلَّ وعلا- خِصَالًا، لَا تَتَمُّ إِلَّا بِهَا، وَمِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ- يَا عِبَادَ اللَّهِ- حُسْنُ الْخُلُقِ، وَصَالِحِ السَّجَايَا وَالشَّيْمِ، فَإِنَّ مِنْ مَقَاصِدِ الْبَعْثَةِ الْمَحْمُودِيَةِ إِتْمَامَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، لِيَتَمَّ بِهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ وَفَاضِلَهَا.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>.

وقد جعل الله تزكية النفوس وإصلاحها بالفضائل والمكرمات إحدى وظائف النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إِنَّ شَأْنَ الْأَخْلَاقِ عَظِيمٌ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ إِذْ هِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْقِيَامِ بِحَقُوقِ اللَّهِ

(١) أحمد (٨٩٣٩) والحاكم (٤٢٢١) وقال: "صحيح على شرط مسلم".

(٢) سورة آل عمران: (١٦٤).

تعالى، والقيام بحقوق العباد؛ ابتغاء وجه الله تعالى، فبقدر ما معك من استقامة الخلق بقدر ما معك من استقامة الدين.

قال الله- تبارك وتعالى- في بيان أعظم آيات النبي ﷺ الدالة على صدق نبوته: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أي: على دين عظيم".

وقد جعل النبي ﷺ حسن الخلق من دلائل كمال الإيمان، فقال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(٢)</sup>.

فحسن الخلق أيها المؤمنون صفة من صفات الأنبياء والصدّيقين والصّالحين، بها تُنال الدرجات، وتُرفع المقامات، وهو واجب من الواجبات الدينية، وفريضة من الفرائض الشرعية، وقد أمر به النبي ﷺ، ففي حديث أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن لحسن الخلق، وطيب الشيم فضائل عديدة في الكتاب والسنة وكلام الأئمة. فمن فضائل حسن الخلق: أمر الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

(١) سورة القلم: (٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٠٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث صححه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٦٦.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٠٢٦)، والترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذرّ رضي الله عنه، وقال: "حسن صحيح".

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١﴾، فَإِنَّ هَذِهِ آيَةٌ أَجْمَعُ آيَةَ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَأَصُولِ الْفَضَائِلِ.  
 وَمِنْ فَضَائِلِ حَسَنِ الْخَلْقِ: الْاِقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، الَّذِي كُلُّ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ فِي  
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُرْتَهَنَةٌ بِالْاِقْتِدَاءِ بِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ.

وَهُوَ ﷺ أَجْمَلُ النَّاسِ خُلُقًا، وَأَطْيَبُهُمْ شَيْئًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ  
 عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ فَضَائِلِ حَسَنِ الْخُلُقِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: أَنْ بِهِ يَبْلُغُ الْمُؤْمِنُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ،  
 قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَبْلُغُ بِحَسَنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ فَضَائِلِ حَسَنِ الْخُلُقِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: أَنَّهُ يَثْقُلُ مِيزَانَ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي مَسْنَدِ  
 الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَسَنِ  
 الْخُلُقِ»<sup>(٣)</sup>.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

إِنَّ مِنْ فَضَائِلِ حَسَنِ الْخُلُقِ أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ الْقُرْبِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي  
 "صَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ" قَالَ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

(١) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٠١٠)، والحاكم (١٩٩) وقال: "صحيح على شرطهما".

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٩٧١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه الألباني في ظلال الجنة ٥٧/٢.

أَحْسِنُكُمْ أَخْلَاقًا<sup>(١)</sup>.

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ خَيْرِيَةَ الرَّجُلِ لَا تُقَاسُ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ فَحَسَبَ، بَلْ لَا بَدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي  
أَخْلَاقِهِ وَشِيَمِهِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ: «خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(٢)</sup>.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

هَذِهِ بَعْضُ فَضَائِلِ حَسَنِ الْخَلْقِ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا ضَمَانُ النَّبِيِّ ﷺ بَيْتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ  
لَمَنْ حَسَنَ خَلْقُهُ لَكَانَ كَافِيًا، فَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ قَالَ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ  
لَمَنْ حَسَنَ خَلْقُهُ»<sup>(٣)</sup>.

فَاجْتَهِدُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي تَحْسِينِ أَخْلَاقِكُمْ لِتَحْرِزُوا بِذَلِكَ تِلْكَ الْفَضَائِلَ الْعَظِيمَةَ،  
وَالدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةَ، وَالْأَجُورَ الْوَفِيرَةَ، فَقَدْ صَدَقَ مِنْ قَالَ:

لَوَانِي خَيْرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ      مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ<sup>(٤)</sup>

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِمَا لَصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِصَالِحِهَا، وَلَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

(١) صحيح ابن حبان (٤٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) من حديث أبي أمامة ؓ، وصححه النووي في "الرياض" ص (٢٢٢).

(٤) البيت أنشده أبو جعفر القرشي كما في شعب الإيوان للبيهقي (٤٩/١١).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، وحَسِّنُوا أخلاقكم، فإن تقوى الله وحسنَ الخلقِ أكثرُ ما يُدخِلُ النَّاسَ الجنةَ.

واعلموا أيها المؤمنون أن حسنَ الخلقِ الذي رُتِّبَتْ عليه تلك الأجرُ العظامُ، والفضائلُ الحسانُ إنما هو ما ابْتغِيَ به وجهُ الله، ووَافَقَ فيه الظاهرُ الباطنَ، كما قال ﷺ: «لا يؤمنُ أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»<sup>(١)</sup>.

فحُسْنُ الخُلُقِ المطلوبُ أيها المؤمنون سلامةٌ في الظاهرِ، ونقاءٌ في الباطنِ، وإنَّ جماعَ حسن الخلقِ جاء في آيةٍ واحدةٍ في كتاب الله تعالى، وهي: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فمن عمِلَ بهذه الآية فقد اجتمعَ له حُسْنُ الخُلُقِ.

ففيها الأمرُ بإيصالِ الخيرِ والنَّفْعِ إلى الخلقِ أجمعين.

وفيها الحثُّ على احتمالِ الجناياتِ، والعفوُّ عن الزَّلَّاتِ.

وفيها الأمرُ بمقابلةِ السيِّئاتِ بالحسناتِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وجماعُ حُسْنِ الخُلُقِ مع الناسٍ أن تَصِلَ من قَطْعِكَ بالسَّلامِ والإكرامِ، والدعاءِ له والاستغفارِ، والشأنِ عليه والزيارةِ له، وتُعْطِي من

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) الأعراف: ١٩٩.

حَرَمَكَ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالْمَنْفَعَةِ وَالْمَالِ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ فِي دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ"<sup>(١)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن من أعظم ما تزكو به الأخلاق، وتطيب به الخصال، وتستقيم به الخلال كتاب الله الحكيم، القرآن العظيم، فإن أخلاقه أزكى الأخلاق، وأشرفها وأفضلها وأطيبها وأعظمها، قال الله تعالى واصفاً خلق النبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ؟ فأجابت بما شفى وكفى، فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"<sup>(٣)</sup>، فلم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، هذا ما قالته عائشة رضي الله عنها في وصف خلقه ﷺ.

وقال أنس بن مالك ﷺ: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُمَّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ صَنَعْتَهُ؟ لَمْ صَنَعْتَهُ؟ وَلَا لَشَيْءٍ تَرَكْتَهُ؟ لَمْ تَرَكْتَهُ؟ وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»<sup>(٤)</sup>.

فخيرُ الأخلاقِ - يا عبادَ الله - ما كان مُقتبساً من مشكاة القرآن الكريم، فأقبلوا عليه

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٦٥٨.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٦٤٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٥)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، وأخرجه مسلم (٢٣٠٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أيها المؤمنون، تلاوةً وحفظاً وعلماً وعملاً.

احرصوا على معرفة سنة نبيكم ﷺ وأخلاقه، فإنها من أعظم ما تطيب به الأخلاق.

اللهم إنك تحبُّ معالي الأخلاق، وتكرهُ سيئها، اللهم وفقنا إلى أحسن الأخلاق والأعمال، واصرف عنا سيئها.

اللهم إننا نعوذُ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأعمال والأدواء.



## ٢٥- برُّ الوالِدَيْنِ

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن تقوى الله تعالى لا تستقيم لكم حتى تقوموا بما فرض الله عليكم من الواجبات والحقوق، وتذكروا ما نهاكم عنه من القطيعة والعقوق.

أيها المؤمنون.

إن برَّ الوالدين من آكد ما أمر الله به عباده، كيف لا؟ وقد قرن الله حقَّها بحقِّه سبحانه وتعالى، وشكرهما بشكره جلَّ في علاه، فقال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال جل وعلا: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما يُظهِرُ مكانةَ برِّ الوالدين في ديننا الحنيفِ النصوصُ النبويةُ الكثيرةُ المستفيضةُ، والتي تحثُّ على برِّ الوالدين، وتنهى عن عقوبتهما، فمن ذلك ما في "الصحيحين" من

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) سورة لقمان: ١٤.

حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سألتُ رسولَ الله ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟ قال: الصلاةُ على وقتِها، قلت: ثم أيُّ؟ قال: بَرُّ الوالدين، قلت: ثم أيُّ؟ قال: الجهادُ في سبيلِ الله»<sup>(١)</sup>.

وفيها أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهادِ، فقال: «أحيي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيها فجاهد»<sup>(٢)</sup>.  
وعنه أيضاً قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رضا الرَّبِّ في رضا الوالدِ، وسخطُ الرَّبِّ في سخطِ الوالدِ»<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

فضلُ الوالدين كبيرٌ، وإحسانُهما سابقٌ عظيمٌ، تذكَّرْ رعايتَهُما لك حالَ الصَّغَرِ، ووَضعِ الطفولةِ.

حملتْك أمُّك يا عبدَ الله في أحشائها تسعةَ أشهرٍ، وهنَّ على وهنٍ، حملتْك كُرْهاً ووضعتْك كُرْهاً. فبالله يا عبدَ الله:

كم ليلةٍ باتتْ بثقلِك تشتكي  
وفي الوضعِ لو تدري عليك مشقة  
لها من جَواها أنَّةٌ وزَفِيرُ  
فكم غَصَصٍ منها الفؤادُ يطيرُ

(١) "صحيح البخاري" (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

(٢) "صحيح البخاري" (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي (١٨٩٩) والحاكم (١٦٨/٤) ح (٧٢٤٩) وقال: "صحيح على شرط مسلم".

وكم مرةٍ جاعت وأعطتك قوتها  
صفواً وإشفاقاً وأنت صغيرٌ  
هذه حال أمك.

أما أبوك أيها الأخ فتذكر كده وسعيه وتنقله وسفره، وتحمله الأخطار والأكدار؛ بحثاً  
عن كل ما تصلح به معيشتك، وإن كنت ناسياً فلا تنس انشغاله بك وبصلاحيك  
ومستقبلك وهمومك.

نعم أيها الأخ الكريم، هذان هما والداك، ألا يستحقان منك البرَّ والإحسانَ والعطفَ  
والحنانَ؟! بلى، والله إن ذلك لمن أعظم الحقوق.  
أيها المؤمنون.

إنَّ مما يحثُّنا ويشجِّعنا على برِّ الوالدين تلك الفضائل التي ربَّها الكريمُ العليمُ على برِّ  
الوالدين.

فمن تلك الفضائل: أن برَّ الوالدين سببٌ لدخول الجنة، ففي "صحيح مسلم" عن  
أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثم رَغِمَ أَنْفُهُ، ثم رَغِمَ أَنْفُهُ، من أدرك أبويه عند  
الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخله الجنة»<sup>(١)</sup>.

ومن فضائل برِّ الوالدين: تفرُّج الكُرْبَاتِ، وإجابة الدعوات، فعن ابن عمر رضي  
الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى  
أَوْوُوا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا:

(١) "صحيح مسلم" (٢٥٥١).

إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَعْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَتَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ هُمَا غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَعْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا، حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غُبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَاَنْفَرَجَتْ شَيْئًا، لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمِّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَاْمْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ نُحَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلْتُ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَقْضِيَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَاْفُرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجْرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَاْأَخْذُهُ كُلَّهُ فَاَسْتَأْجَرُهُ، فَلَمْ يَشْرِكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَاْفُرِّجْ عَنَّا مَا

نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْسُونَ» <sup>(١)</sup>.

ومن فضائل برِّ الوالدين: سعة الرزق، وطولُ العمر، ففي "الصحيحين" عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرَّه أن يُسَطَّ عليه رزقه، ويُنْسَأُ في أثره فليصلُ رحمَه» <sup>(٢)</sup>، وبرُّ الوالدين أعظمُ صورِ صلةِ الرحمِ.

ومن فضائل برِّ الوالدين: ما ورد في شأن من عَقَّ والديه، فإن الأحاديثَ كثيرةٌ مستفيضةٌ في تغليظِ عقوقِ الوالدين، ولو لم يكن في ذلك إلا تحريمُ الجَنَّةِ على العاقِّ - نعوذُ بالله من الحُسران - لكفى، ففي "الصحيحين" من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ قاطعُ رحمٍ» <sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

لو لم يكن في عقوقِ الوالدين وتركِ برِّهما، إلا أنه غصصٌ وأنكادٌ يتجرَّعُها من لم يألُ جَهْداً في الإحسانِ إليك، لكان كافياً في حملِك على تركِه، واستمع بارك الله فيك إلى تلك الزفراتِ التي أطلقها والدٌ ابتلي بعقوقِ ابنه له، حتى ترى عِظَمَ ذلك وفداحتَه، قال الوالد مخاطباً ذلك الابنَ العاقَّ:

فلما بلغتُ السنَّ والغايةَ التي إليها مدى ما كنتُ فيك أُوَمِّلُ

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، وأخرجه مسلم (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٥)، وأخرجه مسلم (٢٥٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، وأخرجه مسلم (٢٥٥٦).

جعلتَ جزائي غلظةً وفضاظةً      كأنَّكَ أنتَ المنعَمُ المتفضَّلُ  
 فليتَكَ إذ لم ترعَ حقَّ أبوتَي      فعلتَ كما الجارُّ المجاورُ يفعلُ  
 فأوليتني حقَّ الجوارِ ولم تكن      عليَّ بمالي دونَ مالِكَ تبخلُ  
 فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله، وقوموا بما فرض الله عليكم من برِّ والديكم، والإحسانِ إليهم، فإنَّ حقَّهما عليكم عظيمٌ كبيرٌ، جاء رجلٌ إلى أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، فقال: إن لي أمًّا قد بلغ منها الكبرُ، أنها لا تقضي حوائجها، إلا وظهري لها مطيئةً، فهل أدبْتُ حقَّها؟ فقال الفاروقُ المحدثُ رضي الله عنه: "لا؛ لأنها كانت تصنعُ بك ذلك، وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه، وأنت تتمنى فراقها" <sup>(١)</sup>، ولكنك محسنٌ، واللهُ يجزي المحسنين على القليل الكثير.



(١) الجامع في الحديث (٨٩).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيأيها المؤمنون.

إن للوالدين حقوقاً وواجباتٍ، أُذَكِّرُ ببعضها؛ رجاءً أن يثمرَ ذلك عملاً صالحاً، وبراً حانياً، فلئن كانت النفوسُ السَّوِيَّةُ مجبولةً على حبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها، فإنَّ من شرائعِ الدِّينِ، وسماتِ المروءةِ، وضروراتِ العقلِ أن يُقَابَلَ الإحسانُ بالإحسانِ، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾<sup>(١)</sup>.

فمن حقوقِ الوالدين عليك: محبتُهُما وتوقيرُهُما على من سِوَاهُمَا، روى البخاريُّ في الأدبِ المفردِ أن أبا هريرةَ رضي الله عنه أَبْصَرَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: مَا هَذَا مِنْكَ؟ فَقَالَ: أَبِي، فَقَالَ: "لَا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ، وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسَ قَبْلَهُ"<sup>(٢)</sup>.

ومن برِّهِمَا: الإحسانُ إليهما بالقولِ والعملِ، كما قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

ومن حقوقِهِمَا: الدعاءُ لهما في الحياةِ، وبعدَ المماتِ، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، وفي الحديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَرْتَفِعَ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَنَّى لِي هَذَا؟ فَيَقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الرحمن: ٦٠.

(٢) الأدب المفرد (٣٠)، وصححه الألباني .

(٣) أخرجه أحمد (١٠٢٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث حسن إسناده العراقي .

ومن حقوقهما: صلة أهلٍ وُدِّهما، فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

قال: «إن أبرَّ البرِّ صلةُ الرَّجُلِ أهلَ وُدِّ أبيه»<sup>(١)</sup>.

ومن حقوقهما: النفقةُ عليهما إذا كانا محتاجين للنفقة، وعند الولد ما يزيدُ على حاجته، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "على الولدِ الموسرِ أن ينفقَ على أبيه وزوجتهِ أبيه، وعلى إخوته الصغارِ، وإن لم يفعل ذلك كان عاقباً لأبيه، قاطعاً لرحمه، مستحقاً لعقوبة الله في الدنيا والآخرة"<sup>(٢)</sup>.

ومن حقوقهما: التواضعُ لهما، وخفضُ الجناح، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن حقوقهما: إنفاذُ عهدهما؛ أي: وصيتهما، ففي سنن أبي داود أن رجلاً قال: يارسول الله هل بقيَ من برِّ أبوي شيءٍ، أبرَّهُما بعد موتها؟ قال: «نعم، الصلاةُ عليهما-

؛ أي: الدعاءُ لهما - وإنفاذُ عهدهما من بعدهما، وصلةُ الرحم، التي لا تُوصلُ إلا بهما»<sup>(٤)</sup>.

هذه أميا المؤمنون بعضُ الحقوق التي افترضها الله عليكم لوالديكم، ولا يظنُّ من وفقه الله في القيام ببعض الحقوق أنه قد قام بما عليه، وقد جرى والديه حقهما، قال

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) مجموع الفتاوى ١٠١/٣٤.

(٣) سورة الإسراء: ٢٣-٢٤.

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٤٢) من حديث مالك بن ربيعة بن البدن رضي الله عنه.

النبي ﷺ: «لا يجزي ولدٌ والدَه، إلا أن يجده مملوكاً فیشتریه، فیعتقه»<sup>(١)</sup>، ورأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يمانياً بالبيت، قد حمل أمه وراء ظهره، وهو يقول:

إني لها بغيرها المذلُّ  
إن أذعرت ركابها لم أذعُرُ

ثم قال: يا ابنَ عمرَ، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرةٍ واحدةٍ<sup>(٢)</sup>؛ أي: عند الولادة.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَعِينَنَا عَلَى الْقِيَامِ بِهَا افترضت علينا من برِّ الوالدين.



(١) أخرجه مسلم (١٥١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٨).

## ٢٦- صِلَةُ الرَّحِمِ

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

عباد الله صلُّوا ما أمر الله به أن يوصلَ من حقوقه و حقوق عبادِه، فصلُّوا أرحامكم، الذين أمركم الله بوصولهم، وهم أقاربكم من جهة آبائكم وأمهاتكم، فإنَّ للأقاربِ حقوقاً لازمةً على عبادِه المتقين، موجبةً لرضا الله ربِّ العالمين.

لقد رتبَ اللهُ تعالى على صلة الأرحامِ أجوراً عظيمةً، ومكاسبَ كبيرةً في الدنيا والآخرة، فالقيامُ بحقوقِ الأقاربِ من أعظم ما يقربُكم إلى الله تعالى، ويوصلكم إلى رحمته وفضله وواسع منه وكرمه، قال اللهُ جل وعلا: ﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾<sup>(١)</sup>، وقال جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: اتقوا الأرحامَ أن تقطعوها.

وفي "صحيح البخاري" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رضي الله عنه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الإسراء: ٢٦.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) "صحيح البخاري" (٦١٣٨).

وفي "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من مِنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا أَنْ جَعَلَ صَلَاةَ الرَّحِمِ سَبَبًا لِطَوْلِ الْعُمُرِ وَكَثْرَةِ الرَّزْقِ، فَفِي "الصحيحين" قَالَ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فصلة الرحم - يا عباد الله - سببٌ لسعة الرزق، وطول العمر، والمباركة فيه، فبادروا إلى صلة أرحامكم، وصلوهم بكل خير وبر، إن الواصل لرحمه - أيها المؤمنون - هو الذي يسعى في إيصال كل خير إلى أقاربه، ودفع كل شر عنهم بحسب الطاقة والوسع. فصلة أرحامكم وأقاربكم بكل خير، بالزيارة والهدية والنفقة والمساعدة.

صلوهم بالعطف والحنان ولين الجانب وبشاشة الوجه والإكرام والاحترام. صلوهم ببذل ما لهم في الأموال من الحقوق، واحتسبوا الأجر عند الله تعالى في ذلك، فإن الله لا يضيع عمل العاملين.

واعلموا أنه كلما قربت الصلة تأكد الحق، وثبت الواجب، وزادت الحقوق والواجبات، ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، من أحقُّ

(١) "صحيح البخاري" (٥٩٥٨)، ومسلم (٢٥٥٥)، واللفظ لمسلم.

(٢) "صحيح البخاري" (٥٩٨٥)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الناسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قال: «أُمَّكَ، ثم أُمَّكَ، ثم أبوك، ثم أدناك فأدناك»<sup>(١)</sup>، فكلما قُرِبَتْ الصَّلَاةُ تَأَكَّدَ الْحَقُّ وَعَظُمَ.

أيها المؤمنون.

إن صلة الرَّحِمِ حَقٌّ ثَابِتٌ لِلأَقْرَابِ، ولو بَدَرَتْ مِنْهُمُ الإِسَاءَةُ، وَبَدَتْ مِنْهُمُ الْقَطِيعَةُ، فالواجبُ على العبدِ أَنْ يَصِلَ رَحِمَهُ ولو قَطَعُوهُ، وَأَنْ يَحْسِنَ إِلَيْهِمْ ولو آذَوْهُ وَأَسَاؤُوا إِلَيْهِ، ففي "الصحيح" من حديثِ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنَّ الواصلَ مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَّهَا»<sup>(٢)</sup>.

فليس الذي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ<sup>(٣)</sup>

وفي "صحيح مسلم" من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لِي قَرَابَةٌ أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونَني، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ - أَي: كَأَنَّمَا تَطْعَمُهُمُ الرَّمَادَ الْحَارَّ - وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ - أَي: مُعِينٌ لَكَ عَلَيْهِمْ - مَا دَمْتَ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(٤)</sup>.

فأبشروا بحسنِ العاقبة، وجميلِ الخاتمة، يا مَنْ وَصَلَتْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ

(١) "صحيح مسلم" (٢٥٤٨).

(٢) "صحيح البخاري" (٥٩٩١).

(٣) القائل هو: معن بن أوس المزني كما في لباب الآداب (١/١١١)، وخزانة الأدب (٧/٢٤٤) وغيرهما

(٤) "صحيح مسلم" (٢٥٥٨).

﴿ اذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

وما أجمل ما فعل الشاعر لما هجره أقربه وأساؤوا إليه:

وإحيائي وقد يرقع الثلم	رأيت انثلاما بيننا فرقته برفقي
بحلمي كما يشفى بالأدوية الكلم	وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فأصبح بعد الحرب وهو لنا سل	فأطفأت نار الحرب بيني وبينه



## الخطبة الثانية

أما بعد.

احذروا أيها المؤمنون من قطيعة الرَّحِمِ، فإنها سببٌ للجنةِ اللهِ وسخطه وعقابه، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فُرِغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكَ لَكَ»<sup>(٣)</sup>.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»<sup>(٤)</sup>. وهذا كله يبين أن قطيعة الرَّحِمِ من كبائر الذنوب، وعظائم السيئات. فاتقوا الله عباد الله، وصلوا أرحامكم، وانظروا في أقاربكم، هل قُتِمْتُمْ بما أوجب الله عليكم، من صلتهم والإحسان إليهم، فإنَّ الله جل وعلا قد قرَنَ قطيعة الرحم

(١) سورة محمد: ٢٢-٢٣.

(٢) سورة الرعد: ٢٥.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦)، واللفظ لمسلم.

بالإفساد في الأرض.

قال ابن كثير رحمه الله: "قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والفعال وبذل الأموال"<sup>(١)</sup>.



---

(١) تفسير ابن كثير ٣١٨/٧.

## ٢٧- حقُّ الجارِ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المؤمنون، عبادَ الله.

إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنْ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَمَعَ شَتَاتِمَهَا، وَلَمَّ شَعَثَهَا، وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ شَرَائِعَ، وَحَدَّ حَدُودًا، فَفَرَضَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَاجِبَاتٍ وَحُقُوقًا لِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، تُصَلِّحُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَتَجْمَعُ قُلُوبَهُمْ، وَتَوَلِّفُ بَيْنَ صُدُورِهِمْ، فَكَانَ مِنْ تِلْكَ الشَّرَائِعِ حَقُّ الْجَوَارِ.

أيها المؤمنون.

إِنَّ حَقَّ الْجَارِ عَلَى جَارِهِ مُؤَكَّدٌ بِالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَالْأَحَادِيثِ الْوَاضِحَةِ، فَهُوَ شَرِيعَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَسُنَّةٌ قَائِمَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة النساء: ٣٦.

ففي الآية الوصية بالجيران كلهم، قريبتهم وبعيدهم، مسلمهم وكافرهم، وقد أكد النبي ﷺ حق الجار تأكيداً عظيماً، ففي "الصحيحين" من حديث عبد الله ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالوا: إن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»<sup>(١)</sup>.

وهذا يدل على تأكيد حق الجار، فإن النبي ﷺ ظن أن نهاية هذا الحرص، وتلك الوصايا من جبريل عليه السلام أن يكون للجار نصيب من الميراث. أيها المؤمنون.

إن حقوق الجار كثيرة عديدة، وهي في الجملة دائرة على ثلاثة حقوق كبرى: الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم، واحتمال الأذى منهم. أما الحق الأول، فإنه الإحسان إلى الجيران، فقد أمر الله ﷻ بذلك في كتابه، فقال سبحانه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسِنْ إلى جاره»<sup>(٣)</sup>.

وقد أمر النبي ﷺ بإكرام الجار، وجعل ذلك من لوازم الإيمان، فقال ﷺ: «من كان

(١) "صحيح البخاري" (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥).

(٢) سورة النساء: ٣٦.

(٣) "صحيح مسلم" (٤٨).

يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليكرمِ جارَه»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من الإحسانِ إلى الجيرانِ سلامةَ القلبِ عليهم، وحبَّ الخيرِ لهم، ففي "صحيح مسلم" من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده لا يؤمنُ عبدٌ حتى يحبَّ لجارِه ما يحبُّ لنفسِه»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا تأكيدٌ حقَّ الجارِ، وأن الذي لا يحبُّ لجارِه ما يحبُّ لنفسِه من الخيرِ، فإنه ناقصُ الإيمانِ، وفي هذا غايةُ التحذيرِ، ومنتهى التنفيرِ عن إضرارِ السوءِ للجارِ، قريباً كان أو بعيداً.

أيها المؤمنون..

إن من الإحسانِ إلى الجارِ الحرصَ على بذلِ الخيرِ له، قليلاً كان أو كثيراً، كما قال الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا نساء

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩) عن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه، ومسلم (٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) "صحيح مسلم" (٤٥).

(٣) سورة الطلاق: ٧.

المسلمات، لا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لْجَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسِنَ شَاةً<sup>(١)</sup>، وَفَرَسْنُ الشَاةِ هُوَ حَافِرُهَا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أي: لا تحقرن أن تهدي إلى جاريتها شيئاً، ولو أنها تهدي ما لا يُتَفَعُّ به في الغالب"<sup>(٢)</sup>.

والمقصود أن يتواصل الخير والوُدُّ والبرُّ بين الجيران.

ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»<sup>(٣)</sup>.

وأولى الناس بالإحسان من الجيران أقربهم منك باباً، ففي "صحيح البخاري" من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «يا رسولَ الله، إن لي جارَيْنِ، فإلى أيِّهما أهدي؟ قال ﷺ: «إلى أقربهما منك باباً»<sup>(٤)</sup>.

وأما ثاني الحقوق، فهو كَفُّ الأذى عنهم، ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره»<sup>(٥)</sup>.

و لهما عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»

(١) "صحيح البخاري" (٦٠١٧)، ومسلم (١٠٣٠).

(٢) الفتح ٤٤٥/١٠.

(٣) "صحيح مسلم" (٢٦٢٥).

(٤) "صحيح البخاري" (٦٠٢٠).

(٥) "صحيح البخاري" (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمنُ جارُه بوائِقه<sup>(١)</sup>؛ أي: لا يأمنُ شرَّه وخطره، وفي رواية لمسلم قال ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ من لا يأمنُ جارُه بوائِقه»<sup>(٢)</sup>.

وهذا فيه تعظيمُ حقِّ الجارِ، ووجوبِ كفِّ الأذى عنه، وأن إضراره من كبائرِ الذنوبِ، وعظائمِ المعاصي.

وقد عظمَ اللهُ -جل وعلا- إلحاقَ الأذى بالجارِ، وغلظَ فيه العقوبةَ، ففي "الصحيح" عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: سئل رسولُ اللهِ ﷺ: أيُّ الذنوبِ أعظمُ؟ فقال: «أن تجعلَ لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أيُّ؟ قال: أن تقتلَ ولدك؛ خشيةَ أن يأكلَ معك، قلت: ثم أيُّ؟ قال: أن تُزانيَ حليلةَ جارك»<sup>(٣)</sup>.

وفي مسندِ الإمامِ أحمدَ قال ﷺ: «لأنَّ يسرقَ الرَّجُلُ من أهلِ عشرةِ أبياتٍ أيسرُ من أن يسرقَ من بيتِ جارِه»<sup>(٤)</sup>.

وأما ثالثُ الحقوقِ الكبرى، فهو احتمالُ الأذى منهم، والصبرُ على خطيئهم، والتغافلُ عن إساءتهم، ففي مسندِ الإمامِ أحمدَ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إن اللهَ ﷻ يحبُّ ثلاثةً، ويُبغضُ ثلاثةً» وذكر في

(١) "صحيح البخاري" (٦٠١٦).

(٢) "صحيح مسلم" (٤٦).

(٣) "صحيح البخاري" (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٣٤٢) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه، وصححه الألباني.

الثلاثة الذين يحبهم «رجلٌ كان له جارٌ سوءٌ، يؤذيه، فيصبرُ على أذاه حتى يكفيه اللهُ إياه بحياةٍ أو موتٍ»<sup>(١)</sup>.



---

(١) أخرجه أحمد (٢١٠٢٠)، وصحَّح إسناده الهيثمي كما في مجمع الزوائد ٩٦/٨.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

أيها المؤمنون.

إِنَّ لِلجَوَارِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ حَقًّا عَظِيمًا، حَتَّى إِنْ جَبْرَيْلَ أَعَادَ فِي أَمْرِ الْجَارِ، وَأَبْدَى تَأْكِيدًا لِحَقِّهِ وَبَيَانًا لِحَرَمَتِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْكِرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلجَارِ، وَقَدْ قِيلَ:

يلومونني أن بعثت بالرخص منزلي      ولم يعلموا جارا هناك ينغص  
فقلت لهم: كففوا الملام فإنما      بجيرانها تغلو الديار وترخص<sup>(١)</sup>

أيها المؤمنون.

إِنَّ الْجَارَ الَّذِي تَجِبُ لَهُ تِلْكَ الْحَقُوقُ، هُوَ الَّذِي يُعَدُّ فِي الْعُرْفِ جَارًا، وَلَيْسَ لِذَلِكَ ضَابِطٌ مِنْ عَدَدٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَالْمَرْجِعُ فِي تَحْدِيدِ مَنْ هُوَ الْجَارُ يَعُودُ إِلَى عُرْفِ النَّاسِ، فَكُلُّ مَنْ عَدَّهُ النَّاسُ جَارًا لَكَ فَهُوَ جَارٌ، تَجِبُ لَهُ تِلْكَ الْحَقُوقُ، وَأَكْثَرُهُمْ فِيهَا مَنْ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْكَ بَابًا.

أيها المؤمنون! إِنَّ النَّاطِرَ فِي وَاقِعِ النَّاسِ الْيَوْمَ يَرَى كَيْفَ أَنْ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَوْلَتْ عَلَى قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَعَصِفَتْ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ، وَأَنْسَتْ كَثِيرًا مِنَ الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، فَتَبَاعَدَتْ الْقُلُوبُ، وَتَنَافَرَتِ النُّفُوسُ، فَعَقَّ الْوَالِدُ أَبَاهُ، وَقَطَعَ

(١) البيتان للقاظمي عبد الوهاب المالكي كما في المحاضرات في اللغة والأدب (١٠١/١).

الأخ أخاه، وهَجَرَ الجارُ جاره، فضاعَتْ الحقُّوقُ، وقامت سوقُ القطيعَةِ والعقوقُ، إلا من رحم الله.

فكم هُم الذين أساءوا إلى جيرانهم، فمَنَعوهم الإحسانَ، وبذلُوا هُم القطيعَةَ والأذى.  
فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وأحسنوا إلى جيرانكم، مُرُوهم بالمعروفِ، وانهُوهم عن المنكرِ،  
ابذلُوا لهم الخيرَ ما استطعتم، وردُّوا عنهم الشرَّ ما ملكتم، تَلَطَّفوا إليهم بالهدية  
والزيارة، فإن لم تجدوا خيراً تبذلونه فلا أقلَّ من كَفِّ الشرِّ عنهم.

## ٢٨- صحبة الأخيار

الخطبة الأولى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> واعلموا أن الله تعالى لنافذ قدرته، وبالعكس حكمته خلق الخلق بتدبيره وفطرهم بتقديره، فكان من لطيف ما دبّر وبديع ما قدر، أن خلق الإنسان مطبوعاً على الافتقار إلى جنسه، راغباً في مصاحبة من هم على شاكلته، ميالاً إلى مخالطة أفراد نوعه ومجالسة بني جلدته. وقد جاءت شريعة أحكم الحاكمين مليية لهذه الحاجة الفطرية التي يصلح بها معاش الناس ومعادهم، ولكنها بينت أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان، فحثت على صحبة المتقين الأبرار، ونهت وحذرت عن صحبة أهل المعاصي والأشرار، وذلك لما للأصحاب من أثر على دينه وعقله وخلقه، قال النبي ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال»<sup>(٢)</sup>. وقد أدرك العلماء والعقلاء أثر الصحاب على صاحبه، فحثوا على صحبة الأخيار،

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة ؓ (٧٩٦٨)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وسنده لا بأس به.

وحذروا من صحبة الأشرار قال مالك بن دينار رحمه الله: "إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الحلوى مع الأشرار"، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "لصاحب صالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء"، ومن كلام علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل  
فكم من جاهل أردى  
وإياك وإياه  
حليماً حين يلقاه  
يقاس المرء بالمرء  
إذا ما هو ماشاه

أيها المؤمنون.

الزموا صحبة الأخيار ومودة المتقين الأبرار الذين تزيدكم صحبتهم استقامة وصلاحاً، فإن صحبة هؤلاء تورث الخير في الدنيا والآخرة، ولها ثمرات طيبة، وآثار مباركة؛ ولذا أمر الله سبحانه نبيه بها، فقال جل ذكره: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(١)</sup>.

فمن ثمار صحبة الأخيار: ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة»<sup>(٢)</sup>، فأنت لا تعدم من مجلس صالح خيراً.

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (٥٥٤٣)، ومسلم (٢٦٢٨).

ومن ثمار صحبة الأخيار: أن حضور مجالس الخير معهم سبب لمغفرة الذنوب، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه في الحديث الطويل: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر»، وفي الحديث أن الله سبحانه وتعالى يسألهم عن مجالس هؤلاء وما يقولون فيها، فتقول الملائكة: يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويمجدونك، فيقول الله في آخر الحديث: «أشهدكم أي قد غفرت لهم» قال: فيقول ملك من الملائكة: فلان ليس منهم إنما جاء حاجة، فيقول الله تبارك وتعالى: «وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»<sup>(١)</sup>.

فلله ما أعظم صحبة الأخيار وأطيب عاقبتها!

أيها المؤمنون..

إن من ثمار صحبة الأخيار: محبتهم، ومحبتهم سبب لمشاركتهم في خير الدنيا ونعيم الآخرة، ففي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم؟ قال: ﷺ «المرء مع من أحب»<sup>(٢)</sup>.

ومن ثمار صحبة الأبرار: التأثير بهم والافتداء بسلوكهم وأخلاقهم واستقامتهم كما قال النبي ﷺ: «المرء على دين خليله»<sup>(٣)</sup>، وقد صدق القائل: إذا كنت في قوم، فصاحب

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٦٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٧٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة (٨٢١٢)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وسنده

لا بأس به.

خيارهم، ولا تصحب الأردى، فتردى مع الردي .

ومن ثمار صحبة الطيبين: أنها تذكره بالله تعالى فيفيده ذلك في عقله ودينه قال النبي ﷺ: «أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله»<sup>(١)</sup>، فرؤية الأبرار تذكر بالله فكيف بمصاحبتهم ومجالستهم؟! قال بعض السلف: "إن كنت لألقى الرجل من إخواني فأكون بلقياه عاقلاً أياماً"، وقال آخر: "كنت أنظر إلى أخ من إخواني فأعمل على رؤيته شهراً".

ومن ثمار صحبة هؤلاء: ما قاله علي بن أبي طالب ﷺ: "عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ \* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾"<sup>(٢)</sup>. فمن فوائد صحبة المؤمنين الأخيار: ما حدث به النبي ﷺ عن المؤمنين بعد اجتيازهم للصراط: «حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مُناشدةً لله في استقصاء الحق من الله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتخرم على صورهم النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البزار عن ابن عباس (مجمع الزوائد ١٠ / ٧٨).

(٢) الشعراء: ١٠٠-١٠١.

(٣) رواه مسلم في الإيمان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ برقم ١٨٣.

فالله أكبر ما أعظم الصحبة الطيبة وأحسن عاقبتها! وما أكثر فوائدها وأطيب ثمارها  
!ولو لم يكن فيها إلا أنها سبب للخروج من النار لكان ذلك كافياً في الحرص عليها  
والاستكثار منها.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا مصاحبة الفساق وأهل المعاصي والأشرار، الذين يزينون لكم معصية الله تعالى، ويعينونكم على تضييع حقوق الله تعالى بارتكاب المعاصي وترك الواجبات.

احذروا هؤلاء أشد الحذر؛ فإنهم قطاع طريق الهداية، يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً، فعن المسيب رضي الله عنه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وصاحبه: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان في تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>، نعوذ بالله من الخذلان ومن جلساء السوء.

فانظر-بارك الله فيك- كيف أثر جليسا السوء على هذا حتى حالاً بينه وبين الجنة وأسلماه إلى النار والعياذ بالله، فاحذروا أيها المؤمنون جلساء السوء فإنهم لا يقر لهم قرار، ولا تسكن لهم ساكنة حتى يوقعوكم في معصية الله تعالى ويورطوكم في ترك ما فرض الله عليكم، فصحبة الفساق والأشرار قطعة من النار تعقب الضغائن، وتورث الحسرات وتجري على المعاصي والسيئات، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥).

عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً \* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا  
\* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿١﴾.

فليحذر كل واحد منا صغيراً أو كبيراً مصاحبة أهل السوء والريب، فإن صاحب  
ساحب والطبع سراق.

ولا يغرنك من أصحاب السوء وأهل المعاصي طيب معشرهم أو حلاوة ألسنتهم  
، فالماء قد يصفو منظره وطعمه خبيث، قال الأول:

ألم تر أن الماء يجثب طعمه                      وإن كان لون الماء أبيض صافياً

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "بالجملة فمصاحبة الأشرار مضرة من  
جميع الوجوه على من صاحبهم، وشر على من خالطهم، فكم هلك بسببهم أقوام، وكم  
قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون" اه كلامه رحمه  
الله. فاحذروا أيها المؤمنون مصاحبة هؤلاء في أنفسكم، وجنبوا أولادكم وأهليكم  
مصاحبة أهل الشر البطالين؛ فإنهم أكبر أسباب ضياعهم وفسادهم. اللهم إنا نسألك  
أن تجنبنا الشر وأهله نوأن تحفظنا من المعاصي وأهلها.

❖❖❖❖❖❖

## ٢٩ - حرمة المسلم ووجوب الألفة

الخطبة الأولى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، فإن هذه أمتكم أمة واحدة، والله ربكم فاعبدوه واتقوه عباد الله.

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى جعل المؤمنين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم، وتباين أحوالهم وأنسابهم، جعلهم إخوة في الدين، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على أن المؤمنين مأمورون بكل ما يوجب تألف قلوبهم، واجتماع كلمتهم، وأنهم منهيون عن كل ما يوجب تفرق جماعتهم، وتنافر قلوبهم، واختلاف كلمتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وكونوا عباد الله إخواناً»<sup>(٣)</sup>، وفي هذا الحديث حث المؤمنين على اكتساب ما يصيرون به إخواناً

(١) سورة الحجرات (١٠)

(٢) سورة الأنبياء (٢٢)

(٣) "صحيح البخاري" (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٥٩).

متألفين متعاطفين متراحمين.

وقد أكد ﷺ هذا المعنى في كثير من الأحاديث، ففي "الصحيحين" عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ»<sup>(١)</sup>.

وفيها عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إنَّ من أعظم ما جاءت به الشريعة الإسلامية المطهَّرة الألفة والاجتماع، فهى الله تعالى ورسوله ﷺ عن كل ما يؤدِّي إلى الفرقة والبغضاء، وأمر بكل ما تحصل به الألفة والصفاء، فشرع لكم من الدين ما تجتمع به قلوبكم، ويلتئم به شعئكم، وتلتقي به أفئدتكم، فشرع لبعضكم على بعض حقوقاً ثابتة، وفرائض لازمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رُدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الحديث أصل في بيان حق المسلم على أخيه المسلم، فمن حق المسلم على أخيه المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلامَ بينكم»<sup>(١)</sup>.

وعلى المسلم عليه أن يردَّ السلامَ بجوابٍ مسموعٍ، يكون مثل سلامِ المسلمِ أو خيراً منه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إنَّ من حقِّ المسلمِ على أخيه المسلمِ النصيحةَ له، فإن الدِّينَ النصيحةُ، وفي صحيحِ مسلمٍ عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «بايعتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم على السَّمْعِ والطَّاعَةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(٣)</sup>.

والنَّصيحةُ التي جعلها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حقًّا للمسلمِ على المسلمِ، هي إرشادُ المسلمين إلى مصالحهم في دنياهم وأخراهم، وأمرهم بالمعروفِ ونهيهم عن المنكرِ، برفقٍ وإخلاصٍ، والسَّفَقَةُ عليهم والرحمةُ لهم، وأن يدُلُّهم على كلِّ خيرٍ، يعلمُه لهم، وأن يحذِّرهم من كلِّ شرٍّ يعلمُه لهم.

أيها المؤمنون.

إن من حقِّ المسلمِ على المسلمِ محبةَ الخيرِ له، وسلامةَ الصِّدْرِ له، ففي "الصحيحين"

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦)

(٢) سورة النساء: (٨٦)

(٣) أخرجه مسلم (٥٤).

قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمنُ عبدٌ حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»<sup>(١)</sup>.

وقد امتدح اللهُ المؤمنين الصادقين بذلك، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن حقِّ المسلمِ على المسلمِ إجابةُ دعوته، ففي "صحيحِ مسلمٍ" من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «من لم يُجبِ الدعوةَ فقد عصى اللهَ ورسوله»<sup>(٣)</sup>.

ويتأكدُ هذا في وليمةِ العرسِ، فهي مندوبٌ إليها، ما لم يكن في الوليمةِ إثمٌ أو عيبانٌ.

أيها المؤمنون.

إن من حقوقِ المسلمين بعضهم على بعضٍ القيامَ بحوائجهم وإعانتهم على أمورِ دينهم وديناهم، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجته»<sup>(٥)</sup>.

(١) "صحيح البخاري" (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) سورة الحشر (١٠).

(٣) "صحيح مسلم" (١٤٣٢).

(٤) سورة المائدة (٢).

(٥) "صحيح البخاري" (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»<sup>(١)</sup>. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لأن أفضي- حاجة مسلم أحب إلي من ملء الأرض ذهباً وفضة"<sup>(٢)</sup>.

ومن حقوق المسلمين بعضهم على بعض -أيها المؤمنون- العناية بضعيفهم، ورحمة صغيرهم، وإعانة منقطعهم، ففي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر»<sup>(٣)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: «بئس الطعام طعام الوليمة، يُدعى إليها الأغنياء، ويُترك الفقراء»<sup>(٤)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ولم يوقر كبيرنا»<sup>(٥)</sup>.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وكونوا عباد الله إخواناً.

مُرُوا بالمعروف، وانهوا عن المنكر؛ وصلوا ما أمر الله به أن يوصل.

أحسنوا إلى إخوانكم المسلمين، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

افعلوا كل ما من شأنه إشاعة المحبة والمودة والألفة والاجتماع.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) كنز العمال في السنن والأقوال (١٧٠٤٩).

(٣) "صحيح البخاري" (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٣٢).

(٥) أخرجه الترمذي (١٩١٩) وقال: "هذا حديث غريب".

وانتهوا عن كل ما هو سبب للفرقة والبغضاء.

ومن يتق الله يجعل له مخرجا، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا، ومن يتق الله يكفر

عنه سيئاته ويعظم له أجرا.



## الخطبة الثانية

أما بعد! فاتقوا الله عبادَ الله، واعلموا أن أقلَّ ما يجبُ عليكم لإخوانكم المسلمين كَفُّ الأذى عنهم، ففي "صحيح مسلم" من حديثِ أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنه سألَ النبيَّ صلى الله عليه وآله عن أعمالِ البرِّ، ثم قال: قلت: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن ضعفتُ عن بعضِ العملِ؟ قال صلى الله عليه وآله: «تَكْفُّ شَرِّكَ عن الناسِ، فإنها صدقةٌ منك على نفسك»<sup>(١)</sup>.

فمن حقَّ المسلم على المسلم أن يكفَّ عنه الأذى بجميعِ صورِهِ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فللمؤمنِ يا عبادَ الله عند الله تعالى حرمةٌ عظيمةٌ، وقد بيَّن ذلك صلى الله عليه وآله بياناً شافياً، فكان مما يخطبُ به في المِجامعِ العظيمةِ: «إنَّ أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرامٌ، كحرمةِ يومكم هذا، في شهرِكُم هذا، في بلدِكُم هذا»<sup>(٣)</sup>.

وفي "صحيح مسلم" قال صلى الله عليه وآله: «كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ: دمه وماله وعرضه»<sup>(٤)</sup>. فاتقوا الله عبادَ الله، واتقوا عذابَ الله وسخطَه، فإن عذابَ الله إذا جاء لا يردُّ عن القومِ المجرمين، احفظوا دماءكم، فلزوا الكعبةَ أهونُ على الله من إراقَةِ دمِ المسلمِ، ولا يزالُ العبدُ في فسحةٍ من دينِهِ ما لم يُصبْ دماً حراماً.

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) سورة الأحزاب (٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨). من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) "صحيح مسلم" (٢٥٦٤).

واحفظوا أموالكم، ولا تأكلوها بينكم بالباطل، فإنه لا يحلُّ مالٌ امرئٍ مسلمٍ إلا بطيبِ نفسٍ منه، وأيّها لحمٌ نبتَ من سُحتٍ فالنَّارُ أولى به.

واحفظوا أيها المؤمنون أعراضكم، فأياكم والغيبة، فإنها بسئس قرينة الرجل، أوجبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، وإياكم والنميمة، فإنه لا يدخل الجنة نمامٌ، وإياكم وسوء الظنِّ بإخوانكم المسلمين، فإن الظنَّ أكذب الحديث، وسوء الظنِّ بالمسلم العدل يُنبئ عن سوء الطَّوية، وفساد السَّريرة:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ<sup>(١)</sup>

وإياكم -يا عباد الله- والسَّبَّ واللعنَ والطعنَ، فليس المؤمنُ بالطَّعانِ ولا باللَّعانِ ولا بالفاحشِ البذيءِ، وإياكم -يا عباد الله- وتتَّبَعُ عوراتِ المسلمين فإنه من تتبَّعَ عورةَ أخيه المسلم تتبَّعَ اللهُ عورته، حتى يفضَّحَه في بيته ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، فإنه لا يؤمنُ أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، وفي "صحيح مسلم" قال ﷺ: «من أحبَّ أن يُرحَّزَ عن النارِ، ويدخل الجنةَ، فلتأته منيته وهو يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ، وليأتِ إلى الناسِ الذي يُحِبُّ أن يُؤتى إليه»<sup>(٣)</sup>.



(١) قرى الضيف ١/٢٦١.

(٢) سورة النور (١٩)

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

## ٣٠- أهمية الصبر

الخطبة الأولى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد .

فاتقوا الله أيها المؤمنون، ألا وإنَّ أعظم ما تحصل به التقوى، وتُجنى به ثمارها الصبرُ. واعلموا أن الله سبحانه جعل الصبرَ جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وحِصناً لا يهدم، ولا يُثلم، وقد أجمع العلماء على وجوبه، فقد أمر الله تعالى به عباده، فقال جلَّ ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ونهى عن ضده فقال سبحانه مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال جل وعلا: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٢) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٣) سورة النحل: ١٢٧.

وَلَا تُطْعَمَنَّ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَانًا ﴿١﴾، وقد أثنى الله على أهله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وأوجب سبحانه للصابرين محبته، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وأخبر أنه خيرٌ لأهله فقال: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ هُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، ووعدهم سبحانه بعظيم الأجر، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٦)</sup>، وقد أخبر النبي ﷺ أنه خيرٌ ما يعطاه العبد، فقال: «وما أُعطيَ أحدٌ عطاءً، خيراً وأوسع من الصبر»<sup>(٧)</sup>.

والصبرُ أيها المؤمنون ضرورةٌ حياتيةٌ قبل أن يكونَ فريضةً دينيةً شرعيةً، فلا نجاحَ في الدنيا، ولا فلاحَ في الآخرةِ إلا بالصبرِ، فلا تُحققُ الآمالَ، ولا تنجحَ المقاصدُ، ولا يُؤتيَ عملٌ أكله إلا بالصبرِ، فلو لا الصبرُ ما حصدَ الزارعُ زرعَه، وما جنى الغارسُ ثمرَه، ولا حصلَ الساعي قِصده، فكلُّ الناجحين في الدنيا بمقاصدهم إنما حققوا آمالهم بالصبرِ، فاستمروا المرَّ، واستعذبوا العذابَ، واستهانوا بالصَّعابِ، ومشوا على الشوكِ،

(١) سورة الكهف: ٢٨.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٤) سورة النساء: ٢٥.

(٥) سورة النحل: ١٢٦.

(٦) سورة الزمر: ١٠.

(٧) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري ؓ

ووطنوا أنفسهم على احتمالِ المكارهِ دونِ صَجَرٍ، وانتظارِ النتائجِ دونِ مللٍ، ومواجهةِ العقباتِ دونِ كللٍ، مضوا في طريقهم غيرَ وائين، ولا متوقِّفين.

حاديهم في سيرهم: "من صَبَرَ ظَفَرَ".

وشاعرهم يهتفُ مردِّداً:

إني رأيتُ وفي الأيامِ تجرُّبَةً  
للصَّبرِ عاقبةٌ محمودَةٌ الأثرِ  
وقلَّ مَنْ جدَّ في أمرٍ يحاولُه  
فاستصحبَ الصَّبرَ إلا فازَ بالظَّفَرِ<sup>(١)</sup>

فالصبرُ طريقُ المجدِّ وسبيلُ المعالي، فالرَّفْعَةُ في الدُّنيا لا تُنالُ إلا بركوبِ المشقَّاتِ وتجرُّعِ الغصصِ، فمن اختطَّ طريقاً يبلغُ به أمانيه غيرَ هذا فقد أخطأ الطريقَ، وضلَّ السبيلَ، وما أصدق قولَ القائل:

لا تحسبِ المجدَّ تماًراً أنتَ أكَلُه  
لن تبلغَ المجدَّ حتى تلعقَ الصَّبراً<sup>(٢)</sup>

أيها المؤمنون.

إذا كانت الدنيا -على هوانِها، وأنها لا تعدلُ عندَ الله جناحَ بعوضةٍ- لا تحصلُ إلا بالصَّبرِ والمصابرةِ، فكيفَ تحصلُ الجنةُ -التي عرضُها السماواتُ والأرضُ، والتي أعدَّ اللهُ فيها لأوليائه ما لا عينٌ رأتُ، ولا أذنٌ سمعتُ، ولا خطرَ على قلبٍ بشرٍ- بالكسلِ والصَّبرِ والعجزِ والجزعِ؟!!

أيها المؤمنون.

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٩٤|١).

(٢) الأمايلي في لغة العرب ١/١١٣.

إن حاجة طلاب هذا النعيم، وخطاب هذه الجنة إلى الصبر أحوج وألزّم، فطريقهم مليئٌ بالأشواك والعقبات، ومحفوفٌ بالمخاطر والمكاره.

ولن تبلغ أيها المؤمن ما ترجوه من فضل الله ورحمته، وعظيم مننه وعطائه بمثل الصبر، وهذا سرُّ احتفاء القرآن الكريم بالصبر، حتى ذكره الله تعالى في كتابه في نحو تسعين موضعاً.

أيها المؤمنون.

أنتم محتاجون إلى الصبر عند فعل ما أمركم الله تعالى به، وعند ترك ما نهاكم الله عنه، وعند حلول الكرب، ونزول الضيم والبلاء، فالصبر لازم لكم إلى المات، وإليكم بيان ذلك: أما الصبر على طاعة الله تعالى، فذلك لأن النفس جُبلت على حب الراحة والدعة والكسل والعجز، فحملها على فعل ما أمر الله به يحتاج إلى صبر ومجاهدة وتحمل ومعاناة.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً عبادة، تحتاج إلى صبر؛ لذلك أمر الله بالصبر عنده: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

والصلاة فريضة متكررة تحتاج إلى صبر وجهد، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسَأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة لقمان: ١٧.

(٢) سورة طه: ١٣٢.

وعِشْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِبْقَاءُ عَلَى مَوَدَّتِهِمْ، وَالْإِغْضَاءُ عَنْ هَفْوَاتِهِمْ، وَالرِّضَا بِهِمْ، وَهَجْرُ غَيْرِهِمْ خِصَالٌ تَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَمَصَابِرَةٍ؛ لَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(١)</sup>.

وَالْخِلَاصَةُ أَيْهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ أَنْ الْعِبَادَةَ بِشَتَّى صُورِهَا وَصُنُوفِهَا تَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَمَجَاهِدَةٍ؛ وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ الصَّبْرَ سَبَبًا لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، إِذْ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَجْمَلُ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ عَنْهُمْ:

**صَبَرُوا قَلِيلًا فَاسْتَرَحُوا دَائِمًا      يَا عِزَّةَ التَّوْفِيقِ لِلْإِنْسَانِ<sup>(٣)</sup>**

أَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الصَّبْرِ، الَّذِي تَحْتَاجُهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَهُوَ الصَّبْرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلذَّاتِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ مِيَالَةً إِلَى الْآثَامِ، تَوَاقَةٌ إِلَى الشَّهَوَاتِ، فَإِنْ لَمْ تَلْجِمْهَا بِلِجَامِ التَّقْوَى، وَتَحْكُمَهَا بِحِكْمَةِ الصَّبْرِ، وَقَعَتْ فِي الْآثَامِ، وَتَلَطَّخَتْ بِالْأَوْزَارِ، فَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْمَلَاهِي، وَالْإِدْبَارُ عَنِ الشَّهَوَاتِ، لَا يَأْتِي إِلَّا مَنْ تَدَرَّعَ بِلِبَاسِ الْمَجَاهِدَةِ وَالصَّبْرِ، وَلَا يَلْقَاهُ إِلَّا الصَّابِرُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

(١) سورة الكهف: ٢٨.

(٢) سورة الرعد: ٢٤.

(٣) القصيدة النونية لابن القيم (٣٦٠).

وَالْعَيْشِيُّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿١١﴾

فيا أخي الحبيب، إذا دعوتك شهوتك إلى موقعة ما حرّمه الله عليك، فعليك بالصبر عن ذلك، فإن سلعة الله غالية.

وإذا أزتكَ نفسك لغيبة أخيك أو سبه أو شتمه أو التنقص منه، فاصبر عن ذلك.

فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ وَأَحْسَنُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّحْفُظُ ﴿١٢﴾

وإذا سوّلت لك نفسك، ودعاك جشعك إلى أن تظلم إخوانك، وتأخذ حقوقهم بغير حق، فكف عن ذلك، واصبر بالصبر تنجو من غوائل المعاصي والرزايا، وتحصل الفضائل والمزايا.

أيا صاحبي إن رمت أن تكسب العلا وترقى إلى العلياء غير مزاحم

عليك بحسن الصبر في كل حالة فما صابر فيما يروم بنادم<sup>(٣)</sup>

وأما ثالث أنواع الصبر التي يحتاجها العبد، فهو الصبر على أقدار الله تعالى، ألا وإن من أعظم الصبر الصبر على قضاء الله، وهذا النوع من الصبر لا غنى للإنسان عنه، فإنه إذا استحكمت الأزمان، وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق، وطال ليؤها، وادهمت الخطوب والنكبات، واشتد أوارها، فالصبر خير مطية يرتحلها العبد لتخطي تلك الظلمات، والنجاة من تلك المصائب والمدهيات، هو وحده الذي يُخرجك من تلك

(١) سورة الكهف: ٢٨.

(٢) لباب الآداب (١٥٠).

(٣) المستطرف ٢/٢٨١.

الظلمات، وَيُنَجِّيكِ مِنْ تِلْكَ الْمُدْهَمَّاتِ، فالدنيا مليئةٌ بِالْغُصَصِ وَالْمُنْغَصَاتِ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾<sup>(١)</sup>، فمن ذا الذي لا يشكو همًّا ولا يحمل همًّا، ولم تطرُقْه

الدواهي وتغشاه الكروبُ؟!!

فهي كما قال الأَوَّلُ:

طُبعت على كَدَرٍ وَأنت تُرِيدُها      صَفوًّا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ<sup>(٢)</sup>

فكلُّنا يشكو ضيماً، ويحمل همًّا، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾<sup>(٣)</sup>؛

أي عناءٍ ومشقةٍ:

كُلُّ مَنْ لاقَيْتُ يشكو دَهْرَهُ      لَيْتَ شِعْرِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَمَنْ؟<sup>(٤)</sup>

والناسُ إزاءَ هذه الحَقِيقَةِ الخَلِيقَةِ القَدْرِيَةِ الكُونِيَةِ صنفان:

قومٌ قابلوا أقدارَ اللَّهِ تعالى بالسَّخَطِ وَالضَّجَرِ وَالْجَزَعِ، فخرسوا دينهم، وأضاعوا

دنياهم، فذلك لا يرفعُ خطاباً، ولا يكشفُ كَرْباً، بل هو إثمٌ وذنْبٌ.

وقومٌ إذا نزلت بهم نازلةٌ تذكروا قولَ اللَّهِ تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

فآمنوا باللَّهِ، واصبروا على قضاءِ اللَّهِ وقدره، وافزعوا إلى ما أُرشدكم إليه نبيُّكم ﷺ

(١) سورة البلد: ٤.

(٢) ديوان علي بن محمد التهامي (٢٧٦).

(٣) سورة البلد: ٤.

(٤) ديوان مهيار الديلمي (١٥٨٨).

(٥) سورة التغابن: ١١.

حيث قال: «ما من أحد تُصيبُه مصيبةٌ، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهمَّ اجُرني في مصيبتِي، وأخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبتِهِ، وأخلف له خيراً منها»<sup>(١)</sup>.

فاسترجعوا وصبروا، ففازوا وظفروا.

فاحرصوا عباد الله على أن تكونوا من الصَّابرين المسترجعين، عند حلولِ البلاءِ، والشاكرين المُقرِّين عند نزولِ النِّعماءِ.



(١) أخرجه مسلم (٩١٨) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فالصبرُ يا عبادَ الله درجاتٌ ومنازلٌ، أعلاها صبرُ المرسلين والأنبياء، الذي نالوا به عزَّ الدنيا والآخرة، صبرُ الذين يبلغون رسالاتِ الله ويخشونه، ولا يُخشون أحداً إلا الله، الذين منهم من قُتِلَ، ومنهم من ضُربَ، ومنهم من جُرحَ وجُلِدَ وسُجِنَ، فصبرُ هؤلاء لله وباللَّهِ.

فيا ورثة الأنبياء، ويا حملة الرسالة، ويا دعاة الإسلام، ويا علماء الشريعة، ويا أبناء الصحوة، ويا أهل الخير والدعوة، ويا أيها المؤمنون..

أنتم أحقُّ الناسِ بهذه الصفةِ وأحوجُ الخلقِ إلى هذه الخُلة، فإنكم ستلقون حُطوباً عظيماً، وعقباتٍ كباراً، ومتاعبَ وآلاماً، تنوءُ بها الظُّهورُ، وتضعفُ عن حملها الجبالُ، فأنتم تدعون الناسَ إلى عبادةِ الله وحده، وهجرِ الهوى والشيطان، وتركِ المحابِّ والشهواتِ، وتطالبونهم بأن يقفوا عندَ حدودِ الله، أمراً ونهياً وفعلاً وتركاً، فأعداؤكم كُثُرٌ، ومعارضوكم أكثرُ الخلقِ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فما أحوَجكم إلى صبرٍ، تقطعون به هذه المفاوزَ، ومجاهدةٍ تتحمَّلون بها معارضةً أكثرِ الخلقِ، فإن أشقَّ ما على النفسِ أن تدعوَ بملءِ فيك، وبأعلى صوتِك، بشيراً ونذيراً، فلا تجدُ إلا أذانا صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً.

ما أمسَّ حاجتكم إلى صبرٍ جميلٍ، تستعينون به على تلقِّي ما يلحقُ بكم، من أذىٍ قوليٍّ أو فعليٍّ، حسبيٍّ أو معنويٍّ، فأعداءُ الله لا يرقُبون في مؤمنٍ إلاَّ ولا ذمَّةٍ، ولا يتورَّعون عن إيقاع الأذى بشتَّى صنوفه على أولياءِ الله، من العلماءِ والدعاةِ والعبادِ، بل وعلى كل من قال: لا إله إلا الله.

وما قصَّةُ أصحابِ الأخدودِ عنَّا ببعيدٍ، ولا ما يجري على كثيرٍ من أهلِ الإسلامِ ورجالاته وعلماؤه ودعاته، من الأذى والقتلِ والضربِ والسجنِ والمطاردةِ والإبادةِ، ومصادرةِ الحقوقِ والحرياتِ، وغير ذلك عنَّا بغائب.

فعلَيْكم أيها المؤمنون أن توطِّئوا أنفسكم على احتمالِ المكاره، دون ضجرٍ، وانتظارِ الفرجِ دون مللٍ، ومواجهةِ الأعباءِ والصعابِ دون كللٍ، فإنَّ هذه سنةُ الله تعالى في عباده، لِيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، قال الله تعالى: ﴿لَتَبْلُؤُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

وما أشدَّ حاجتكم إلى الصَّبرِ يا ورثةَ الأنبياءِ عند تأخِرِ النصرِ- والمددِ من الله، فإن النصرَ لا تشرقُ شمسُه إلا بعدَ ليلٍ طويلٍ حالِكٍ مليءٍ بالشدائدِ والمحنِ، التي تدمعُ هؤلها الأبصارُ، وتبلغُ لشدَّتِها القلوبُ الحناجرَ، قال الله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَرَزُلُوا حَتَّى

يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١﴾.

ومما يعينك يا عبد الله على الصبر في التعلم والدعوة والصدع بالحق أن تنظر إلى حسن العاقبة، وعظيم الأجر، وما أعد الله تعالى للصابرين، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وأن الله سبحانه وتعالى معك، ينصرك ويؤيدك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومما يعينك أيضاً أن تنتظر الفرج من الله، فإن الفجر لا يطلع إلا بعد اشتداد ظلمة الليل، والعاقبة للمتقين.

ومما يعينك أيضاً أن تتذكر حال السابقين الصادقين، من النبيين وغيرهم، وما جرى لهم، وكيف كانت العاقبة لهم، فإن ذلك مما يثبتك ويصبرك، قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٤)</sup>.

واعلموا أيها المؤمنون أننا في هذه الأزمان المتأخرة من أشد الناس حاجة إلى الصبر، فإن الباطل انتعش وكثر أعوانه ودعائه، فتكالت علينا الأعداء من كل حدب وصوب، وقد أُرشدنا إلى ذلك نبينا محمد ﷺ فيما رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه، وهو كما قال بمجموع طرقه: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيها مثل

(١) سورة البقرة: ٢١٤.

(٢) سورة الزمر: ١٠.

(٣) سورة البقرة: ١٥٣.

(٤) سورة الأحقاف: ٣٥.

القبض على الجَمْرِ، للعاملِ فيهم مثلُ أجرِ خمسين رجلاً، يعملون مثلَ عملِهِ»<sup>(١)</sup>.

وتذكروا أن الصبرَ والمجدَّ لا يحصلُ إلا بالتَّعبِ والكَدِّ

بِقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المعالي      وَمَنْ طَلَبَ العُلا سَهَرَ اللَّيالي<sup>(٢)</sup>



(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، من حديث أبي ثعلبة الخشني، وحسنه الترمذي.

(٢) ديوان الشافعي (٩٠).

## ٣١- آفات اللسان - الغيبة

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فإن أصدق الحديث كتاب الله؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

فאלله تعالى أمركم أيها المؤمنون بتقواه، وأن تقولوا قولاً سديداً مستقيماً عدلاً، ووعدكم على ذلك إصلاح أعمالكم، ومغفرة ذنوبكم.

أيها المؤمنون، إن من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعته البديعة، هذا اللسان الذي به تتكلمون وتنطقون، أو عمماً في قلوبكم وأنفسكم تعربون.

فإن لسان المرء مفتاح قلبه إذا هو أبدى ما يقول من الفم<sup>(٢)</sup>

أيها المؤمنون.

إن اللسان من نعم الله الجليلة، التي امتن الله بها عليكم لتشكروه وتعبدوه، قال

(١) سورة الأحزاب: (٧٠، ٧١).

(٢) مجمع الأحكام والأمثال.

تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فيه يتمايز الكفر من الإيمان، ويفترق أولياء الرحمن عن أولياء الشيطان؛ به يبلغ العبد وارفاً الجنان، وبه يهوي في دركات النيران، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزَلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَوْ يَبِينُ إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية البخاري: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يَلْقَىٰ لَهَا بِالْأَلْفِ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، لَا يَلْقَىٰ لَهَا بِالْأَلْفِ، يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ»<sup>(٤)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا ألسنتكم، فإنها من أعظم ما يوقعكم في أسباب الهلاك، واحفظوها، فإن حفظها من أسباب الفوز والنجاة، فقد تكفل صلى الله عليه وسلم لمن حفظ لسانه، أو صانَ منطقَه بالجنة دار السلام، ففي "الصحيح" من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة البلد: (٨-٩).

(٢) سورة الرحمن: (٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٧٤).

وفي الترمذي أن معاذاً رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عملٍ يُدخله الجنة، ويباعده عن النار؟ فأخبره صلى الله عليه وسلم ببعض أبواب الخير، وصنوف البرِّ، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرُك بملاك ذلك كلِّه؟»، قال معاذ: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه، وقال: «كُفَّ عليك هذا» فقلت: يا رسول الله، وإنما لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتُك أمُّك! وهل يُكبُّ الناس في النارِ على وجوهِهِم إلا حصائدُ ألسِنَتِهِم»<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، واحفظوا ألسنتكم عن كلِّ ما يغضبُ الله ويسخطُه، وقيدوها بلجامِ الشرع، فإن حفظَ اللسانِ وصيانتَه من علاماتِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ، قال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيراً أو ليصمتْ»<sup>(٢)</sup>.

عباد الله..

إن الناظرَ في حالِ أكثرِ الناسِ اليومَ، لاسيما أوقاتُ الفراغِ والاجتماعاتِ يرى أمراً عجباً، وخطباً جليلاً، يرى الناسَ، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، شبابهم وشبيهم، قد أطلقوا ألسنتهم، وتساهلوا في الاحترازِ عن آفاتِها وغوائلِها. يرى خوضاً في الباطلِ، وتحدثاً بالمعاصي، وترويجاً للمنكراتِ، يرى جهراً بالسوء من القولِ، فيرى الكذبَ والغيبةَ والنميمةَ، ويرى شهادةَ الزورِ والفاحشَ من القولِ، يرى السبَّ واللعنَ، يرى اللغوَ والتشاغلَ بما يضرُّ. ولا يُفيدُ، كأننا لم نسمعَ قولَ الله تعالى:

(١) تقدم تحريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾<sup>(١)</sup>، وكأن الله تعالى لم يقل: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾<sup>(٢)</sup>.

عباد الله.

هذه آفات خطيرة، وأمراض فتاكة، تورط فيها كثير من الناس، إلا أن أخطرها جُرمًا، وأكثرها انتشارًا، وأصعبها علاجًا ذلك الداء الدوي الذي يهدم المجتمع، ويفكك بنيانه، ويقوّض عُرا التواصل فيه، ويقصم أواصر الحبّ والإخاء، فيوغر الصدور، ويشحن النفوس، ويفسد المودّة، ويذر بذور العداء، ذلك الخلق المنحرف الدنيء الذي يبث الضغائن، ويربي الأحقاد، ويشيع الفاحشة، والفساد بين المؤمنين، أتدرون ما هي تلك الآفة، وما هو ذلك البلاء أيها الإخوان؟

إنها الغيبة التي نطق القرآن العظيم بقبحها وتحريمها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد نهى عنها النبي ﷺ كثيراً، وحذّر منها تحذيراً عظيماً، فقال ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ»<sup>(٤)</sup>.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الربا ثلاثة وسبعون باباً، أيسرها مثل أن

(١) سورة ق: (١٨) .

(٢) سورة آل عمران: (١٨١) .

(٣) سورة الحجرات: (١٢) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة المرء في عرض الرجل المسلم»<sup>(١)</sup>، والحديث لا بأس به.

أيها المؤمنون.

إن الغيبة جرمٌ كبيرٌ، استهان به أكثر الناس، وإنما من أربى الربا وأعظم الفجور.

أيها المؤمنون.

إنَّ الله تعالى أعدَّ للوالِغين في أعراض المسلمين عذاباً شديداً، ونكالاً عظيماً، ففي مسند الإمام أحمد بسند جيد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفارٌ من نحاسٍ، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريلُ؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، فإن الغيبة كبيرةٌ من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام.

أيها المؤمنون..

احفظوا ألسنتكم من الغيبة، ومن كلِّ آفة مهلكة، فكم من إنسان جرَّد لسانه مقراضاً للأعراض، بكلماتٍ تنضح فحشاً وقبحاً، وألفاظٍ تنهش الأعراض نهشاً! إسرافٌ في قبيح القول وسيئه، تجنُّ على العباد، وانتهاكٌ لحرمتهم، همزٌ ولمزٌ، حطٌّ وتنقيصٌ، فهذا طويلٌ، وذاك قصيرٌ، وهذا أحقُّ، وذاك غبيٌّ، وهذا كذا، وهذا كذا!!!  
ففي المجلس الواحد تسمع من الوقعة في الخلق، والغيبة للناس ما يقلق النفس

(١) أخرجه الحاكم ٣٧/٢، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُجَرَّجْهُ".

(٢) "مسند أحمد" (١٢٩٢٧)، وأبو داود (٤٨٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه العراقي.

السوية، ويفسد الطوية، ويعكّر القلبَ السليم، ويؤذي عبادَ الله المؤمنين، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

استهتأرُ بالخلق، واستخفافُ بالحرّمات، سفهٌ في العقل، وضلالٌ في الدّين، فإن الكلمة الواحدة من الغيبة لو مُزجت -؛ أي: خلطت- بماء البحر لمزجته؛ أي: غيرت لونه، فما بالكم بالمجالس الطّوالِ والكلماتِ العراضِ، التي يتفوّه بها هؤلاء؟! ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبيّ ﷺ: حسبك من صفة كذا وكذا -تعني أنها قصيرة- فقال: «لقد قلت كلمة، لو مُزجت بماء البحر لمزجته»<sup>(١)</sup>. فاحذروا أيها المؤمنون.

احذروا هذه المجالس، فإنها مجالس شرّ وبلاء، تؤكل فيها لحوم المؤمنين، وتنتهك فيها حرماّتهم، وتهذر أعراضهم، فهي من أسباب العطبِ وموارد الهلاكِ. والواجبُ على من جلس في هذه المجالس الإنكارُ على أهلها، فإن في ذلك خيراً عظيماً.

فيه القيام بما أوجب الله تعالى من إنكار المنكر، حيث قال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»<sup>(٢)</sup>.

وفيه الذبُّ عن أعراض المسلمين، وفي ذلك عظيمُ الأجرِ، وجزيلُ العطاء، ففي المسند قال ﷺ: «من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة -؛ أي: في غيبته- كان حقاً على الله أن

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير ٢/٩١٤.

(٢) تقدم تحريجه .

يعتقهُ من النار»<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وذُئبوا عن أعراضِ إخوانِكم، مروا المغتابَ المتهوّكَ بالمعروفِ، وانهوه عن المنكرِ، فإن لم تستطيعوا الإنكارَ عليه فلا يجوز لكم البقاءُ معه وهو على هذه الحالِ، من أكلِ لحومِ المسلمين، فقوموا عنه حتى يخوضَ في حديثٍ غيره.



(١) أخرجه أحمد (٢٧٠٦٢)، وصحح الهيثمي إسناده كما في مجمع الزوائد ٩/٨.

## الخطبة الثانية

أما بعد .

اتقوا الله عباد الله، وذروا ظاهر الإثم وباطنه، ذروا الغيبة والسَّيِّءَ من القول، فإنه مما يجبُ الحسناتِ، ويُذهب المروءاتِ، ويُولج العبدَ الدركاتِ .  
أيها المؤمنون ..

إن الغيبة التي نهى الله ورسوله عنها ما فسَّره النبي ﷺ لما سئل عنها فقال: «ذكرُك أخاك بما يكره»<sup>(١)</sup>، فهذا ميزانُ قسطٍ؛ وضابطُ عدلٍ لتمييز الغيبة عن غيرها، فكلُّ من ذكر غيره بما يكرهه في غيبته، فقد وقع في الغيبة لا محالة .  
أيها المؤمنون ..

إن الغيبة محرمةٌ بالكتابِ والسنةِ وإجماعِ أهلِ العلمِ، وهذا يقتضي تحريم الغيبة مطلقاً، ولكن وقع في كلام جماعةٍ من أهلِ العلمِ الاستثناءُ لبعضِ الصورِ التي جَوَّزوا فيها ذكرَ الغيرِ بما يكره .

فمن ذلك: المظلومُ، فإن له أن يتظلمَ بذكرٍ من ظلمه، واغتيابه عند من له قدرةٌ على إنصافه وإحقاقِ حقه .

ومن الصورِ التي يجوزُ فيها ذكرُ الغيرِ فيما يكره: النصيحةُ للمسلمين في دينهم ودنياهم، كذكرِ أهلِ الفسقِ والشرِّ والكفرِ والبدعِ، ليحذر المسلمون من فسقهم وشرِّهم، أو ليأخذوا على أيديهم ويمنعوهم من الإفسادِ .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

هذه بعض الصور التي يجوز فيها الكلام عن الغير بما يكره، فعلى المسلم أن يتقَى الله تعالى العليَّ الكبيرَ حقَّ تقواه، فيما يأتي ويذر.

وعلى المؤمن أن يتحقَّق من المصلحة في الكلام عن الغير، وأن يتيقن أن هذا المتكلم فيه ممن تجوزُ غيبته، فإن اشتبه عليه الأمر، فالسلامة لا يعدُّها شيئاً، ولأن تخطئ بالسكوت والعفو خيرٌ من أن تخطئ في الغيبة والعقوبة، والأصل أن أحاك المسلم محفوظ الغيبة، مصون العرض.

أيها المؤمنون.

إن على العبد المؤمن ألا يلج في الكلام عن الغير، إلا على بصيرة، وأن يقصد بكلامه النصح لله ورسوله وللمسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا بد له - أي: لمن يتكلم في غيره بما يكره في غيبته - من حسن النية، فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض والفساد، كان بمنزلة من يقاتل حمية ورياء، وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين، كان من المجاهدين في سبيل الله، من ورثة الأنبياء، خلفاء الرسل"<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الغيبة تعظم بحسب حال المعتاب، فليست غيبة عامة الناس ودهمائهم كغيبته أهل العلم والتقوى والصلاح، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ولذلك تغلظت الغيبة بحسب حال المؤمن، فكلما كان أعظم إيماناً كان اغتياؤه أشد"<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٢٥.

(٢) المصدر السابق.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واحفظوا ألسنتكم وصونوها، فإنه من ترك لسانه مُرخى العنان، سلك به الشيطانُ في كلِّ مَيدانٍ، وساقَه إلى شفا جُرْفِ هارٍ، فكم هم الذين تكلموا في أولِ الأمرِ بحقِّ وهدى، ثم استزلهم الشيطانُ فَوَلَّغُوا في أعراضِ إخوانهم؛ زيناً وهوىً.

## ٣٢ - رسالة إلى حاسد

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، وطهروا قلوبكم من الأمراض والآفات والرذائل والآثام، فإن القلب سيد الجوارح، فهي منقادة له، يستعملها ويستخدمها كيف شاء، فالجوارح آلات له في سعيه وسيره، ومن القلب تكتسب الجوارح الاستقامة أو الضلالة، ويشهد لهذا ويدل عليه ما أخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>.

فالقلب أشرف الأعضاء، وأعظمها خطراً، وأكثرها أثراً، وأدقها أمراً، وأشقها إصلاحاً.

فبالقلب يسير العبد إلى ربه، ويتعرف عليه، فهو العامل لله والساعي والمتقرب إليه، ولما كانت هذه منزلته ومكانته كان زلله - والعياذ بالله - عظيماً خطيراً، وزيغته فظيماً، أدناه قسوة وميل عن الله تعالى، ومنتهاه ختم وطبع وكفر بالله تعالى؛ ولذا فإن أكد ما

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

يَجِبُ عَلَيْكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَصْلِحَ قَلْبَكَ، وَأَنْ تَطَهَّرَهُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْآثَامِ، الَّتِي تَهْلِكُ الْقَلْبَ وَتَوْبِقُهُ، فَإِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ  
وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا<sup>(١)</sup>

أيها المؤمنون.

إِنَّ مِنْ أخطرِ الآفاتِ الَّتِي تفسدُ القلبَ، وتصرِّفه عن صحَّته واستقامته إلى مرضه وانحرافه الحسد.

ذلك الداءُ من أعظمِ الأدواءِ، والابتلاءِ به من أشدِّ البلوى، يحمل صاحبه على مراكبِ الذنوبِ والآثامِ، ويُبَعِّدُه عن منازلِ أهلِ التقوى والإيمانِ.  
فللَّهِ ما أعظمه من بلاءٍ! ما دخل قلباً إلا أفسده وأعطبه، وأفسد عليه حاضرَه ومستقبله.

والحسدُ داءٌ قديمٌ، حتى قيل: إنه أوَّلُ ذنبٍ عُصِي به اللهُ تعالى، وليس ذلك ببعيد.

أيها المؤمنون.

إن المرءَ بالحسدِ يقعُ في ألوانٍ من الذنوبِ والآثامِ، أعلاها الكفرُ باللهِ، وأدناها كراهةُ الخيرِ لعبادِ اللهِ، فللَّهِ كم جرَّ الحسدُ على الخلقِ من الرِّزايا والبلايا!

فهل أخرجَ إبليسَ عن فضلِ اللهِ ورحمته إلى سخطه ولعنته إلا الحسدُ؟

وهل قتلَ قاييلُ أخاه هابيلَ إلا بالحسدِ؟

وهل أعرَضَ أكثرُ صنديدِ الكفرِ عن اتِّباعِ الأنبياءِ والرُّسلِ إلا بالحسدِ؟

(١) البيت لذي الرمة في ديوانه (٣٥٠/١)

وهل نِقَمَ اليهودُ والنصارى على أُمَّةِ الإسلامِ إلا لأجلِ الحسدِ؟  
وهل استطلت أقوامٌ، لبسوا لباسَ السُّنَّةِ والاتباعِ في أعراضِ أهلِ السنَّةِ من العلماءِ  
والدعاةِ، وأهلِ الصحوةِ والدعوةِ، إلا حسداً على ما آتاهم اللهُ من فضله، كما قال اللهُ  
تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾<sup>(١)</sup>.

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنْالُوا سَعِيَهُ فَالْقَوْمُ أَنْدَادُهُ لَهُ وَخُصُومُهُ<sup>(٢)</sup>

أيها المؤمنون .

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الْحَسَدَ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا مَا رَوَى  
أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا  
تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً»<sup>(٣)</sup>.  
وَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا ﷺ شِدَّةَ إِفْسَادِهِ لِذَيْنِ الْعَبْدِ، فَقَالَ صَلَّى ﷺ فِيهِمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ لَا  
بَأْسَ بِهِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ  
وَالْبَغْضَاءُ، وَهِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ، لَا حَالِقَةَ الشَّعْرِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا ﷺ إِفْنَاءَهُ لِلْحَسَنَاتِ، وَإِفْسَادَهُ لِلطَّاعَاتِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) سورة النساء: ٥٤.

(٢) البيت منسوب لأبي الأسود الدؤلي كما في خزانة الأدب (٥٦٨/٨)

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٤) "سنن الترمذي" (٢٥١٠)، وقال الهيثمي: "رواه البزار وإسناده جيد" مجمع الزوائد ٦٤/٨.

كعب رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله ﷺ: «يَاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إِنَّ الْحَسَدَ الَّذِي وَرَدَ فِي السُّنَّةِ ذَمُّهُ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُ، هُوَ أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءُ زَوَالَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنِ الْمَحْسُودِ.

أَمَّا مَحَبَّةُ مُسَاوَاةٍ غَيْرِهِ فِي الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ، أَوْ حَتَّى الْإِمْتِيَازُ عَلَيْهِ، كَأَنْ تُحِبَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ كَمَا لِفُلَانٍ، أَوْ أَفْضَلَ مِنْهُ، دُونَ أَنْ تَزُولَ النِّعْمَةُ عَنْهُ، فَهَذَا مِنَ التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرِ، وَلَيْسَ مِنَ الْحَسَدِ الْمَذْمُومِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ»<sup>(٣)</sup>.

عباد الله، احذروا الحسد، فإنه داءٌ عُضَالٌ فَتَّاكٌ، لَا يُوَقِّرُ كَبِيرًا لِكَبِيرِهِ، وَلَا شَرِيفًا لَشَرَفِهِ، وَلَا عَالِمًا لِعَلْمِهِ، بَلْ يَطْرُقُ قَلْبَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، وَالْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ، فَطَهَّرُوا قُلُوبَكُمْ مِنْهُ، وَاحْرِصُوا عَلَى قَطْعِ أَسْبَابِهِ، وَإِزَالَةِ دَوَاعِيهِ، فَإِنَّ النِّجَاةَ مِنْهُ فَوْزٌ أَكِيدٌ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣).

(٢) سورة المطففين: (٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦)، كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

فإن تنج منه تنج من ذي عزيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

أيها المؤمنون.

إن مما يزهّدك في الحسد، ويعينك على تركه: أن تعلم أن الحاسد مضادّ لله تعالى، ومخادّ له في قدره وشره، فبالحسد سخّط قضاء الله تعالى، وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده، واعترضت على عدله، الذي أقامه في ملكه، بخفيّ حكمته، ولطيف صنعه، فاستنكرت ذلك واستبشعته، وهذا - والله - نقص في توحيد الله الواحد الديان، وقذى في عين الإيمان.

فله، ما أحبّ هذه النفس، التي عصت الله في أمره، وتقدّمت بين يديه في قضايه وقدره ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومما يعينك أيضاً على تطهير قلبك من هذه الخبيثة: أن تعلم أن الحاسد أول ضحايا الحسد، فإن الحاسد معدّب مهموم مغموم، حتى قيل: لم نر ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد. وقد وصف بعضهم حال الحاسد، فقال: "طول أسف، ومحالفة كآبة، وشدة تحرق، فهو مكدرّ النعمة، لا يجد لها طعماً، يرى كلّ نعمة على الخلق نقمة عليه، فهو طويل الهم، دائم السخط، منعص العيش، وهذه عاجل عقوبته؛ همّ وغمّ بغير اجتلاب دنيا مع ذهاب الدين، فلا دنيا حصل ولا ديناً أبقى"؛ ولذا فإن بعض المحسودين يدعو الله أن

(١) سورة الزخرف: ٣٢.

يُبْقِي حُسَّادَهُ؛ لِيَطُولَ عَذَابُهُمْ، حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمْ:

أَبْقَى لِي اللَّهُ حُسَّادِي وَغَمَّهُمْ حَتَّى يَمُوتُوا بَدَاءً غَيْرِ مَكْنُونٍ<sup>(١)</sup>

ومما يعيننا - أيها الإخوة - على تطهير قلوبنا من الحسد: أن نعلم أن الحسد يهيج أنواعاً من الذنوب والخطايا، فيكثر شركك ومعاصيك، فبالحسد تقع في الغيبة، وبه تتبع عورات المسلمين، بل عورات المتقين، والعلماء العاملين، والدعاة الناصحين، فتبحث عن السقطة والزلة، وتشيع الهفوات والهنات، بحجة النقد، وبدعوى التصحيح والنصح، وغير ذلك من الدعاوى التي يتشبث بها بعض مرضى القلوب، مما عشتش في قلوبهم من الغل والحسد والحقد، ويأبى الله إلا أن يذل ويفضح من عصاه.

تُكَاشِرُنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي  
بَدَا مِنْكَ عَيْبٌ طَالَمَا قَدِ كَتَمْتَهُ أَذَابَكَ حَتَّى قِيلَ هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِي<sup>(٢)</sup>

ومما يعيننا على محاربة الحسد، والتخلي منه: علمنا أن الحاسد مخدول محروم، فلا يكاد يظفر بمراه، ولا يظفر على عدوه، فالحسود غير منصور؛ إذ إن مراده زوال نعم الله عن عباده المسلمين، وأعداؤه هم من المسلمين أو المؤمنين، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن أعظم ما ينفخ المرء، ويعينه على ترك الحسد: القناعة بما قسم الله تعالى وقضى،

(١) ديوان بشار بن برد (١٠٨٥).

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (٨٩).

(٣) سورة الحج: ٣٨.

فإنه سبحانه أعلم بمحالِّ فضله وجوده.

فَطِبَّ - أيها المؤمن - نفساً بقسمة الله، وقرَّ عيناً بقضائه وقدره، فإنه عزيزٌ حكيمٌ،  
عليماً خبيرٌ.

ومما يعينك على كسرِ سورة الحسد، وفلِّ غربها: معاملة المحسودِ بنقيض ما يقتضيه  
الحسد، من قولٍ أو فعلٍ، فكُفَّ عنه الأذى، وابدل له الخير والندى، عسى الله أن  
يعينك على التخلص من هذا الداءِ الدويِّ، وأحبه على ما تلقى من جرَّاء ذلك، فإنه مَنْ  
لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء.

فالصَّبْرُ كأسٌ مرٌّ مذاقته لكن عواقبه أحلى من العَسَلِ<sup>(١)</sup>

❖

(١) جواهر الأدب (٢/٦٠).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاعلموا أيها الإخوة أن الحسدَ فاشٍ منتشرٌ- في قلوبِ كثيرٍ من الناسِ، حتى قال أحدُهم في وصفِ كثرته وانتشاره:

ولم أرَ مثلَ اليومِ أكثرَ حاسداً      كأنَّ قلوبَ الناسِ في قلبٍ واحدٍ<sup>(١)</sup>

وسرُّ هذا الانتشارِ هو إقبالُ الناسِ على الدنيا التي فتنوا بها، حتى أخذتُ بمجامعِ قلوبهم، فعليها يُوالون وعليها يُعادون، والدنيا مها أَسَعَتْ فإنها لن تسعَ الناسَ جميعاً؛ ولذا يتزاحمُ النَّاسُ عليها وعلى المنازلِ فيها، ولو فَطِنَ هؤلاءِ إلى ما يَنْفَعُهُمْ لَكُفُّوا أَبْصَارَهُمْ عنها، ولمَدَّوا أَنْظَارَهُمْ إلى فضلِ اللهِ وَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، الذي وسعَ كلَّ شيءٍ، فَإِنَّ خَزَائِنَ فضلِ اللهِ ورحمتهِ وَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ لا تنفدُ، وُبُحُورُ جودِهِ وعطائه وهباتِهِ لا تنضبُ.

فاسألوا اللهَ من فضله، كما أَمَرَكم بذلك، فإنه لا مانعَ لما أعطى، ولا معطيَ لما منع، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَاللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.

أيها المؤمنون.

إن اللهَ - سبحانه وتعالى - أَمَرَكم بالاستعاذةِ من شرِّ الحَسَادِ، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ

فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿١﴾، شرٌّ وضررٌ متعدّدٌ، وهذه السورة من أكبر أدوية الحسد؛ ولذا كان النبي ﷺ يقرؤها في الصباح والمساء، وبعد الصلوات، وعند النوم، وما ذلك إلا لما فيها من عظيم النفع، وكبير الدفع للشرّ. وأسبابه، فاحرصوا عليها وعلى عامّة الأذكار، فإنها من أسباب دفع شر الحاسد.

ومن أسباب دفع شر الحاسد: تقوى الله تعالى، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

ومن أسباب دفع شر الحاسد: التوكّل على الله، فإنه من يتوكّل على الله فهو حسبه؛ أي: كافيه ومانعه.

ومن أسباب دفع شر الحاسد: التوبة إلى الله تعالى من الذنوب والمعاصي، فإن التوبة من أعظم أسباب زوال الشرّ والفساد، قال ابن القيم رحمه الله: "فليس للعبد إذا بُغِيَ عليه أو أُوذِيَ أو تسلط عليه خصمٌ شيءٌ أنفع من التوبة النصوح" (٢).

فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

ومن أسباب زوال الحسد وشر الحاسد والباغي والمؤذي: الإحسان إليه، فكلمة ازداد أذى وشرّاً وبغياً وحسداً ازددت -أيها الراشد- إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

(١) سورة الفلق: (١-٥).

(٢) "بدائع الفوائد" (٢/٤٦٧).

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿١﴾.

وما أجمل ما قاله الأول:

أحسِنُ إلى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ ﴿٢﴾  
فطالما استعبد الإنسان إحصان<sup>(٢)</sup>



(١) سورة فصلت: ٣٤.

(٢) البيت لأبي الفتح البستي (حياة الحيوان الكبرى: ١/١٦٦)

## ٣٣- أزمة التقليد

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله تعالى ذكره نهى الأمة المؤمنة المسلمة عن اتباع سبيل الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم، فنهاهم عن التشبه بهم، وعن تقليد لهم، وعن التبعية لهم في مواضع كثيرة من الكتاب الحكيم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وتقليد الكفار والتشبه بهم من أعظم صور الطاعة لهم. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ومضاهاتهم ومشابهم من أكبر أسباب حصول المودة لهم ومولايتهم.

(١) سورة المائدة: (٤٨)

(٢) سورة المائدة: (٤٩)

(٣) سورة الأحزاب: (١)

(٤) سورة المائدة: (٥١)

والآيات التي تنهى وتحذّر من مشابهتهم كثيرة في كتاب الله تعالى. وقد نهى النبي ﷺ عن التشبّه باليهود والنصارى وغيرهم من أمم الكفر في أحاديث كثيرة، فمن ذلك: ما أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ جيد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبّه بقوم فهو منهم»<sup>(١)</sup>.

وأخرج النبي ﷺ من تشبّه بالكفار من دائرة المسلمين، فقال: «ليس منا من تشبّه بغيرنا، لا تشبّهوا باليهود ولا بالنصارى»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا غاية التحذير، ومنتهى التنفير من مشابهة الكافرين، إذ إن من شابههم فهو منهم، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد علّل النبي ﷺ كثيراً من الشرائع والأحكام والآداب بمخالفة اليهود والنصارى وغيرهم من أمم الكفر، مما يدل على أنّ مخالفة الكافرين مقصدٌ نبويٌّ شرعيٌّ. فمن ذلك: ما أخرجه أبو داود عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلّون في نعالهم وخفافهم»<sup>(٣)</sup>.

وقال في حديث آخر: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) تقدم تخريجه في ص (١١٣).

(٢) تقدم تخريجه في ص (١١٣).

(٣) سنن أبي داود (٦٥٢)، والحاكم (٣٩١)، وصححه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٧٥)، ومسلم (٢١٠٣) من حديث أبي هريرة.

وقال أيضاً: «خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى»<sup>(١)</sup>.

ونظائر هذا في السنة كثيرة، بل قد جعل النبي ﷺ مخالفة الكفار سبباً لظهور الدين وعلوه، فقال ﷺ فيما أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون»<sup>(٢)</sup>.

ومن تأمل كلام أهل العلم على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم علم علماً ضرورياً بأنهم متفقون على النهي عن موافقة الكفار ومشابهمهم، وعلى الأمر بمخالفتهم؛ وذلك لكثرة ما ورد في ذلك من النصوص، ولأن مخالفة الكفار وترك مشابهمهم سبب لصلاح القلوب واستقامتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وبالجملة فالكفر بمنزلة مرض القلب وأشدُّ، ومتى كان القلب مريضاً لم يصح شيء من الأعضاء صحةً مطلقةً، وإنما الصلاح ألا تشبه مريض القلب في شيء من أموره"<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يتبين أن مخالفتهم في جميع الشؤون مقصودة للشارع، فليس النهي عن مشابهمهم مقصوراً على عباداتهم، أو على عقائدهم، بل هو عام في عاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم وآدابهم ونظمهم وجميع شؤونهم.

ومع هذا الكم الكبير من النصوص الدالة على النهي عن مشابهة الكفار وتقليدِهم

(١) تقدم تخريجه (١١٤).

(٢) تقدم تخريجه في ص (١١٤).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٩٨.

ومتابعتهم، إلا أن النبي ﷺ قد أخبر أن مشابهة الكفار ومتابعتهم ستقع في الأمة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشير، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»<sup>(١)</sup>.

وها هي الأمة اليوم تحاكي أمم الكفر من الشرق والغرب في الزي واللباس، وتتشبه بهم في آداب الأكل والشرب وأساليب المعاشرة والمخالطة وطرائق الكلام والمعاملة وغير ذلك، وتتلقى عنهم الأفكار والآراء والقيم والمفاهيم والنظم، حتى صاغ فئام من الأمة حياتهم وأفكارهم على أساليب الحياة الغربية الكافرة، وصدق فيهم قول الأول:

ضَاعَتْ مَعَالِمُ عِزَّةٍ وَتَحَطَّمَتْ      فِينَا الْكِرَامَةُ وَاسْتُبِيحَ الدَّارُ  
وَتَبَدَّلَتْ أَحْلَافُنَا وَطِبَاعُنَا      وَتَسَاوَتْ الْحَسَنَاتُ وَالْأَوْزَارُ

وقد سلمنا الله في هذه الجزيرة من التشبه بالكفار فترة طويلة من الزمن، إلى أن انفتحت علينا الدنيا، واختلطنا بالكفار، وانبهر بعضنا بما عند الغرب من مظاهر الحضارة والتقدم، فبدت معالم التشبه والتبعية لأمم الكفر تظهر في حياة الناس وواقع المجتمع، فرأينا من رجالنا ونسائنا وصغارنا وكبارنا من جعل الغرب وما فيه قدوة له يتلقف عنهم أحدث الموضات، وآخر التقليدات في اللباس والزي والأكل والشرب وتصنيف الشعر وتسريحه، بل وفي الفكر والرأي، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) تقدم تخرجه في ص (١١٥).

ونحن ما زلنا في أوائل هذا الدهليزِ المظلم، الذي مآله غيابُ الدِّينِ وزوالُ معالمِهِ، ولا شك أن هذا الأمرَ خطيرٌ، يجب المسارعةُ في تلافيه وتوعية الأمةِ بخطورته، والبحثِ عن أسبابه والتحذيرِ منها، فإنه (من تشبه بقوم فهو منهم)، قال ابن القيم رحمه الله: "ومن تشبَّه بالإفرنج في لباسهم وأخلاقهم ونظْمهم ومعاملاتهم، فهو بلا شكَّ إفرنجيٌّ غيرُ مسلمٍ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم".  
أيها المؤمنون.

إن هذه الأزمة التي تعاني منها الأمة لها أسبابٌ عديدةٌ، أذكر بعضها لنستعين بمعرفتها على إزالتها:

فمن أهمِّ أسبابِ فشوّ التشبهِ والتقليدِ للكفار بين المسلمين هو عدمُ الجدِّيَّةِ في التمسكِ بالكتابِ والسنةِ، اللذين هما مصدرُ العزِّ ومنبعُ الكرامةِ، فعزةُ أمتنا مستمدةٌ من عزَّةِ ربِّها القويِّ العزيزِ، فكلما تمسكت الأمةُ بعبوديتها لله تعالى، وبهدي نبيِّها ﷺ سمَّتْ وعزَّتْ وارتفعت وعلتْ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. ولا يرفعُ هذه العزَّةَ تأخُّرُ حضاريِّ، ولا تراجعُ علميِّ، ولا انكسارُ عسكريِّ، بل نحن الأعزَّاءُ بالله إذا كنَّا مؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة المنافقون (٨)

(٢) سورة آل عمران (١٣٩)

ومما زادني شرفاً وتيهاً      وكذتُ بأحْصِي - أظأُ الثُّرَيَّا  
دخولي تحتَ قولِكَ: يا عبادي      وأن صيرتَ أحمدَ لي نبيًّا

ومن أسبابِ شيوعِ التشبُّهِ في الأمة: انفتاحنا على الكفارِ وانفتاحهم علينا، أما انفتاحنا عليهم فذلك من خلالِ سفرِ كثيرٍ من المسلمين إلى بلادِ الكفارِ للسياحةِ أو التجارةِ أو غير ذلك من الأسبابِ، وغالبُ الذين يسافرون لا يكونُ معهم من العلمِ والإيمانِ ما يدفعون به الشبهاتِ أو الشهواتِ، فيقع كثيرٌ من هؤلاءِ في أنواعٍ من الفتنِ، ليس أقلها تقليدُهم والتشبهُ بهم.

ومن انفتاحنا عليهم: إقبالنا على ما يصدرُ عنهم عبرَ وسائلِ الإعلامِ المقروءةِ والمسموعةِ والمرئيةِ، فالدشوشُ وقنواتُ البثِّ المباشرِ وغيرها تستقبلُ ما ترمي به وسائلُ إعلامهم، من برامجِ الكفرِ والفسادِ والإباحيةِ والإلحادِ، وقراؤنا يتلقفون ما يصدر من مجلاتهم ومطبوعاتهم، التي تروجُ عبادتهم وأفكارهم وأخلاقهم، ونساؤنا مأسوراتٌ لما تصدره دورُ الأزياءِ الغربيةِ الكافرةِ من موديلاتٍ وتصميماتٍ.

وأما انفتاحهم علينا: فهذا العددُ المريعُ من الكفارِ الذين يعيشون بين ظهرانينا، في بيوتنا وأسواقنا ومتاجرنا ومكاتبنا، والذين لهم تأثيرٌ بالغٌ في بثِّ أخلاقهم، وإشاعةِ عقائدهم، ونشرِ أفكارهم، وكلُّنا مسؤولٌ عن وجودِ هؤلاءِ بيننا، فالمستقدم مسؤولٌ، والمرخصُ له مسؤولٌ، والمتعاملُ معهم مسؤولٌ «وكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥١)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ومن أسباب هذه الأزمة المعضلة: أن أولياء الأمور في غيبة عن تربية أولادهم وأهليهم ومن جعلهم الله تحت أيديهم، وهم في ذهولٍ عن حفظهم والقيام بحقوقهم الدينية، التي تنطلق من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالواجب علينا أن نتفقد أولادنا وأهلينا، وأن نلاحظ تصرفاتهم، وأن نُبعد عنهم كل وسائل الإفساد والتغريب.

رزقنا الله وإياكم اجتناب أسباب الردى، والأخذ بما فيه الفوز بالآخرة والأولى.



(١) سورة التحريم: (٦)

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون، إنَّ من ألوانِ التشبُّه التي وقعَ فيها بعضُ المسلمين: متابعة الكفارِ في أعيادهم ومناسباتهم الدينية والدينيَّة، كأعيادِ الميلادِ والأعيادِ الوطنيَّة، والاحتفالاتِ والمناسباتِ المتكررة، التي تأخذ يوماً في السنَّة، كعيدِ الأمِّ، أو عيدِ العمالِ، أو عيدِ ميلادِ المسيحِ، أو عيدِ رأسِ السنَّة، من المحدثاتِ والمبتدعاتِ، ولا شك أن تقليدَهم في أعيادهم، وخصَّها بشيءٍ من الأفعالِ، يجمع سوءتين:

**الأولى:** أن هذا من التشبُّه الذي دلَّت نصوصُ الكتاب والسنَّة وإجماعُ العلماءِ على تحريمه.

**الثانية:** أن في هذا إحدائاً وابتداعاً، فالأعيادُ شريعةٌ من الشرائع، يجبُ فيها الاتباعُ لا الابتداعُ، وقد شرعَ اللهُ لنا -أمةَ الإسلامِ- من الأعيادِ ما فيه غنيَّةٌ وكفايةٌ عن أعيادِ أهلِ الكفرِ.

ومما ورد في النهي عن أعيادهم وعن شهودها قوله تعالى في وصفِ عباده المؤمنين: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾<sup>(١)</sup>، وقد فسَّرَ كثيرٌ من أهلِ العلمِ الزورَ في الآية بأنه أعيادُ المشركين والكفارِ، وقد نهى النبي ﷺ عن الاحتفالِ بأعيادِ الكفارِ، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، ولهم يومانِ يلعبون فيهما، فقال: «ما هذانِ اليومانِ؟» قالوا: «كُنَّا نلعبُ فيهما في الجاهليَّة». فقال: «إنَّ اللهَ أبدلكم بهما خيراً منهما: يومِ

(١) سورة الفرقان: (٧٢)

الأضحى، ويوم الفطر<sup>(١)</sup>.

وقد نهى الصحابة رضي الله عنهم عن حضور أعياد الكفار، وأمروا باجتنابها، فعن عمر رضي الله عنه قال: «لا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم، فإن السخطة تنزل عليهم»<sup>(٢)</sup>. والآثار عن السلف في النهي عن أعيادهم كثيرة، فالواجب علينا تجنبها، والتحذير منها، وعدم إغانتهم على إظهارها والاحتفال بها، كما يفعله بعض أصحاب المؤسسات والشركات، من إقامة بعض الحفلات، أو إعطاء موظفيهم وعماهم إجازات وغير ذلك. كما يجب أن نعلم أنه لا يجوز لنا تهنتهم بأعيادهم، فإن هذا من الذنوب الكبار، قال ابن القيم رحمه الله: "وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام باتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج المحرم ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنا عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر، فقد تعرض لمقت الله وسخطه"<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه أحمد (١٠٣/٣)، وأبو داود (١١٣٤)، والنسائي في "الكبرى" (٥٤٢/١) ح (١٧٥٥)، والحاكم

(١/٤٣٤) ح (١٠٩١)، وقال: "صحيح على شرط مسلم".

(٢) أخرجه البيهقي (١٨٦٤٠).

(٣) أحكام أهل الذمة (٢٠٥/١ - ٢٠٦)

## ٣٤- احذروا الظلم

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، فإنه لا فلاح لكم في الدنيا، ولا نجاة في الآخرة، إلا بتقوى الله تعالى.

أيها المؤمنون.

إن البغي والظلم ذنبٌ عظيمٌ، وإثمٌ مرتعه وخيمٌ، وهو سببٌ كلِّ شرٍّ وفسادٍ، وكلِّ بلاءٍ وعقابٍ، فهو منبعُّ الرذائلِ والموبقاتِ، ومصدر الشرور والسيئاتِ، وعنه تصدرُ سلاسلُ العيوبِ والآفاتِ، متى فشا في أمةٍ آذنَ اللهُ بأفولها، ومتى شاع في بلدةٍ فقد انعقدت أسبابُ زوالها، وتحول لباسها، فبه تفسد الديارُ، وتحرب الأوطانُ وتدمر الأمصارُ، به ينزل غضبُ الواحدِ الجبارِ القهارِ، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الكهف: ٥٩.

(٢) سورة هود: ١٠٢.

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن الله تعالى نفى عن نفسه الظلم، فقال عز وجل: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٣)</sup> ،  
وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال:  
﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقد حرّمه تعالى على نفسه، ففي الحديث الإلهي عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «يا عبادي إني حرّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتهُ بينكم محرّمًا، فلا تظالموا»<sup>(٧)</sup> .

فأعلمَ اللهُ تعالى عباده في هذا الحديث العظيم أنه حرّم الظلمَ على نفسه، قبل أن يجعله

(١) سورة الأنبياء: ١١ .

(٢) سورة الحج: ٤٥ .

(٣) سورة فصلت: ٤٦ .

(٤) سورة الكهف: ٤٩ .

(٥) سورة النساء: ٤٠ .

(٦) سورة غافر: ٣١ .

(٧) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) .

محرمًا بين عباده.

وقد أعلن النبي ﷺ حرمة الظلم في أعظم مجمع وموقف، فقال في خطبته يوم عرفة: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»<sup>(١)</sup>.

وفي "الصحيحين" أن النبي ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. وقال ﷺ فيما يرويه مسلم وغيره: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره»<sup>(٣)</sup>.

وقد تهذد الله أربابَ الظلم وأهلَه، فقال جل ذكره: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فإن الله تعالى للظالمين بالمرصاد، ففي "الصحيحين" عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾»<sup>(٥)</sup>.

(١) تقدم تخريجه في (١٩٨).

(٢) "صحيح البخاري" (٢٤٤٧) من حديث عبدالله بن عمر ﷺ، ومسلم (٢٥٧٨)، واللفظ له من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٣) "صحيح مسلم" (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) سورة إبراهيم: ٤٢.

(٥) "صحيح البخاري" (٤٦٨٦)، ومسلم (٤٦٨٠) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

وقد لعن الله الظالمين، فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وأخبر سبحانه أنه يُبغضهم فقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والظلم - يا عباد الله - أعظم أسباب ارتفاع الأمن، وزوال الاهتداء عن الأفراد والمجتمعات، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فبقدر ما يكون مع الفرد و المجتمع من الظلم، بقدر ما يرتفع عنه الأمن والاهتداء،

فالجزاء من جنس العمل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الظلم الذي وردت به النصوص التحريمية، وبيان سوء عاقبته والتحذير منه درجات ومراتب:

أولها: الظلم الكبير الخطير العظيم، الذي لا يغفر الله الغفور الرحيم الكريم لصاحبه، إلا بالإقلاع عنه وتوبته منه، ألا وهو الإشراف بالله تعالى، بصرف العبادة أو بعض أنواعها لغير الله، كدعاء غيره، والسجود لغيره، والذبح

(١) سورة هود: ١٨.

(٢) سورة آل عمران: ٥٧.

(٣) سورة الأنعام: ٨٢.

(٤) سورة فصلت: ٤٦.

والنذرِ لغيره، ونبذ شرعه، والتحاكم إلى سواه، قال الله تعالى حاكياً عن لقمان  
وصيته لابنه: ﴿يَابْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فهذا الظلم لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ  
يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فأخلصوا أيها المؤمنون عبادتكم لله تعالى، فإن من قال: لا إله إلا الله خالصاً  
من قلبه دخل الجنة، وحاربوا الشرك وأهله بالدعوة إلى التوحيد.

وأما ثاني مراتب الظلم، فذاك الظلم الذي لا يتركه الله تعالى، وهو ظلم  
العبد غيرَه من الخلق، فهذا لا بدَّ فيه من أخذ الحق للمظلوم من الظالم، كما قال  
الله سبحانه في الحديث الإلهي: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرَنَّكَ، ولو بعد حين»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

(٣) رواه الطبراني (٣٦٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢/٢٦٥.

وقد أجاد من قال:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مقتدرًا      فالظلمُ ترجعُ عقباهُ إلى الندمِ  
تنامُ عيناكِ والمظلومُ منتبهٌ      يدعو عليكِ وعينُ اللهِ لم تنمِ<sup>(١)</sup>  
أيها المؤمنون.

اتقوا الظلمَ فإنَّ نبيَّكم الصادقَ المصدوقَ قد أخبرَ أنَّ الدُّنيا تُمَلَأُ في آخرِ  
الزمانِ ظلماً وجوراً، وها نحن نشهدُ صدقَ ما أخبرَ به ﷺ، فإنَّ الظلمَ قد فشا  
وشاعَ بين الناسِ، في الدماءِ والأموالِ والأبضاعِ والأعراضِ، حتى صدقَ في  
سلوكِ كثيرٍ من أبناءِ هذا الزمانِ ما قاله الشاعرُ:

الظلمُ من شيمِ النفوسِ فإنَّ تجدُ      ذا عَفَّةٍ فلِعَلَّةٍ لا يَظلمُ<sup>(٢)</sup>  
ولا تظنُّ أيها الأخُ أنَّ هذه مبالغةٌ، أو مزايدةٌ، بل ذلك هو واقعٌ كثيرٌ من الناسِ.  
فكم هم أصحابُ الأعمالِ الذين ظلموا عمَّالهم بتحميلهم ما لا يطيقون، أو  
بتأخيرِ روايتهم ومستحقَّاتهم، أو جحدِ حقوقهم، أو فرضِ الإتاواتِ عليهم؟!  
وكم هم أربابُ الأسرِ والبيوتِ الذين جنَّوا على أهلِهم، وظلموا أولادهم  
وزوجاتهم؟!  
وكم هم التجارُ الذين دلَّسوا بضائعهم، وعشَّوا عمَّالهم؟!  
وكم هم أربابُ الأسرِ والبيوتِ الذين جنَّوا على أهلِهم، وظلموا أولادهم  
وزوجاتهم؟!  
وكم هم التجارُ الذين دلَّسوا بضائعهم، وعشَّوا عمَّالهم?!  
وكم هم أربابُ الأسرِ والبيوتِ الذين جنَّوا على أهلِهم، وظلموا أولادهم  
وزوجاتهم?!

(١) ديوان علي بن أبي طالب (١٥٣/١).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

وكم هم الولاة الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وحكّموا القوانين، فلم يعدلوا في الرعية، ولم يقسموا بالسوية، ولم يسيروا بالسرية.

وكم هم الذين أطلقوا لأنفسهم العنان في أعراض الناس ودمائهم، فتمضمضوا بأعراض المؤمنين، وتفكّهوا بدمائهم؟!

إنهم كثيرٌ كثيرٌ كثيرٌ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

فلله ما أكثرَ المفلسين، الذين يعملون لغيرهم، ويتحمّلون، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرح عليه، ثم طرح في النار»<sup>(٢)</sup>.

فيها من تجارة بائرة، وصفقة خاسرة أن تأتي يوم القيامة وأنت أحوج ما تكون إلى حسنة تتقل بها ميزانك، فإذا بخصمائك قد أحاطوا بك، فهذا آخذ بيدك، وهذا قابض على ناصيتك، وهذا متعلق بتلابيبك، هذا يقول: ظلمتني،

(١) سورة الأنعام: ١١٦.

(٢) تقدم تخريجه في ص (١٥٤).

وهذا يقول: شتمتني، وهذا يقول: اغتبتني، أو استهزأت بي، وهذا يقول: جاورتني، فأسأت جوارِي، وهذا يقول: غششتني، وهذا يقول: أخذت حقي.

أما والله إنَّ الظلمَ سُوءٌ ستعلمُ يا ظلومُ إذا التقينا  
وما زالَ المسيءُ هو الظلومَ غداً عندَ المليكِ من الملوومِ<sup>(١)</sup>  
فيا عباد الله

تداركوا الأمرَ قبلَ فواتِ الأوانِ، فما هي واللهِ إلا ساعةٌ، ثم تُبعثُ القبورُ، ويحصلُ ما في الصدورِ، وعندَ الله تجتمعُ الخصومُ، فيقتصُّ للمظلومِ من الظالمِ، فتحلَّلوا أيها الإخوانُ من المظالمِ قبلَ ألا يكونَ درهمٌ ولا دينارٌ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمةٌ لأخيه من عرضِهِ أو شيءٍ فليتحلِّله منه اليومَ، قبلَ أن لا يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ، إن كان له عملٌ صالحٌ أخذَ منه بقدرِ مظلمتِهِ، وإن لم تكن له حسناتٌ أخذَ من سيئاتِ صاحِبِهِ فحُمِّلَ عليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكبائر (١٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

أيها المؤمنون.

أما ثالث مراتب الظلم، فهو ظلم العبد نفسه بالمعاصي والسيئات، فكلُّ ذنبٍ وخطيئةٍ تقارفها يا عبد الله فإن ذلك ظلمٌ منك لنفسك، وبغْيٌ عليها، قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وما أكثر ما قال الله عند ذكرِ العصاةِ والمذنبين والظالمين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فكلُّ مذبٍ وعاصٍ فإنما يجني على نفسه، ويعرضها

لعذابِ الله الأليم، وعقابه الشديد، كما قال النبي ﷺ فيما أخرجه ابن ماجه وغيره بسندٍ لا بأس به عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ

يقولُ في حجةِ الوداع: «ألا لا يجني جانٌ إلا على نفسه»<sup>(٣)</sup>.

فتخففوا عباد الله من ظلمِ أنفسكم، بامثالِ ما أمركم الله به، وتركِ ما نهاكم عنه، والتوبةِ مما فرطَ من الذنوبِ، فإن التائبَ من الذنبِ كمن لا ذنبَ له.



(١) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٢) سورة النحل: ١١٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٦٦٩)، والترمذي (٢١٥٩) من حديث عمرو بن الأحوص ﷺ، قال الترمذي:

"حديث حسن صحيح".

## الخطبة الثانية

أما بعد .

فيا أيها المؤمنون.

اعلموا أن الله سبحانه نهى عن الظلم بجميع صورِهِ، وأمرَ بمجاهدةِ الظالمين، ورفعِ الظلم عن المظلومين، وقد أرسلَ اللهُ سبحانه رسَلَهُ، وأنزَلَ كُتُبَهُ لإقامةِ القسطِ ورفعِ الظلم، قال اللهُ تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>، فإذا تركنا الظالم، ولم نأخذْ على يده، فقد خالفنا ما جاءت به الرُّسُلُ، ونحن مهَّدَدون بعقوبةٍ عاميةٍ، ومحنةٍ عاجلةٍ، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وإني سمعت رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْ شَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

فرفعُ الظلمِ والإنكارُ على الظالمِ واجبٌ على كلِّ أحدٍ، حسب قدرته وطاقته ووسعه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا. قالوا: يا رسولَ اللهِ، هذا ننصُرُه مَظْلُومًا، فكيف ننصُرُه ظالِمًا؟ قال: تأخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) سورة المائدة: ١٠٥.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨)، وصححه عن قيس ابن أبي حازم عن أبي بكر.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

أيها المؤمنون.

إِن أَوْلَى الْمَظْلُومِينَ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالْإِعَانَةِ هُمْ أَوْلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي دِينِهِمْ، فَحُورِبُوا وَقُوتِلُوا وَهَجَّرُوا وَضُرِبُوا وَسُجِنُوا وَأُودُوا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ رَضُوا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ﴾<sup>(١)</sup>.

فهؤلاء وأضرابهم هم أولى الناس بالنصر والتأييد، لا سيما في هذا العصر المفتون، الذي انتعش فيه أعداء الله، من اليهود والنصارى والوثنيين والملحدّين والمبتدعين والمنافقين، فرموا أهل الإسلام عن قوسٍ واحدة، كما أخبر النبي ﷺ في حديث ثوبان رضي الله عنه

: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»<sup>(٢)</sup>.

فليس ما يجري على الإسلام وأهله في كثيرٍ من بلدان العالم، إلا تصديقاً لما أخبر به الصادق المصدّق

أحلّ الكفر بالإسلام ضيماً يطولُّ به على الدين النحيبُ

فقوموا بما أوجب الله عليكم من نصره دينكم وإخوانكم، وذلك من خلال عدة أمور:

الأول: التوبة النصوح من جميع الذنوب، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا

(١) سورة البروج: ٨.

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٨/٥)، وأبو داود (٤٢٩٧) وإسناده حسن من أجل أبي عبد السلام فإنه ضعيف ولم يتفرد به.

الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١﴾ ، فَإِنَّ مَا أَصَابَ أُمَّتَنَا هُوَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ،

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٢) .

فالتوبة إلى الله تعالى من أعظم أسباب رفع ظلم الظالمين وتسليط الطاغين، قال ابن القيم رحمه الله: "فليس للعبد إذا بُغِيَ عليه أو أُذِيَ أو تَسَلَّطَ عليه خُصومُهُ شيءٌ أنفع من التوبة النصوح" (٣) .

**الثاني:** مجاهدة أعداء الله تعالى، ومراغمتهم على اختلاف أنواعهم، كل حسب ما يناسبه، بالكفار والمشركون جهادهم بالسيف والسنان، وأما المنافقون والمشككون والمرتابون فبالحجة والبرهان والعلم والبيان، وأما الظالمون والعصاة فبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الدين وتبليغ ما في الكتاب والسنة، من الأمر والنهي والخير.

**الثالث:** مد يد العون والمساعدة لكل من أُذِيَ في سبيل الله، قريباً كان أو بعيداً، وذلك من خلال تقديم كل ما يمكن تقديمه، من دعم مادي أو معنوي، لا سيما أيها الإخوة ونحن في هذه البلاد، لا زال كثيرٌ منا -ولله الحمد- يعيش في سعة من الرزق، ورغدٍ من العيش، فالواجب علينا أكبر من الواجب على غيرنا، فمدُّوا -بارك الله فيكم- أيديكم بسخاءٍ لإخوانكم المسلمين في كل مكان، واعلموا أن الصدقة تطفئ غضب الرحمن، وتقي مصارع السوء، فأياكم والبخل، فإنه من يبخل فإنما يبخل عن نفسه.

(١) سورة النور: ٣١.

(٢) سورة الشورى: ٣٠.

(٣) بدائع الفوائد ٤٦٧/٢.

فإن شحّت نفسك، أو عدمت ما تقدّمه لإخوانك فلنْ تعدم - هداك الله - لساناً بالدعاء والتضرّع لاهجاً، والله سائلاً أن يعزّ أهل دينه، وأن يذلّ أعداءه.

فادعوا أيها المؤمنون لإخوانكم المسلمين المظلومين في دينهم، فإن دعوة المظلوم، والدعوة له ليس بينها وبين الله حجابٌ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى

اليمن، فقال: «أتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجابٌ»<sup>(١)</sup>.

❖

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٨).

## ٣٥- التَّقْصِيرُ فِي تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> أَلَا وَإِنْ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - آدَاءَ الْأَمَانَةِ، وَالْقِيَامَ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾<sup>(٢)</sup>.

أَلَا وَإِنْ مِنْ أَجَلِّ الْأَمَانَاتِ وَأَعْظَمِهَا - يَا عَبْدَ اللَّهِ - وَلَدَكَ، الَّذِي هُوَ بَضْعَةٌ مِنْكَ، فِيهَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا، وَقَوِّدْهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، وَإِنَّمَا تَكُونُ تِلْكَ الْوَقَايَةُ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْبِيَّتِهِمْ وَحِفْظِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ مَسْئُولِيَةً ذَلِكَ، فَفِي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبْوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ أَوْ مَجْسَانِهِ»<sup>(٣)</sup>.

فولَدُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ نِتَاجُ جُهْدِكَ، وَبِذَلِكَ، فَإِنْ وَجَدْتَ خَيْرًا فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِنْ وَجَدْتَ

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) "صحيح البخاري" (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

غير ذلك، فلا تلو من إلا نفسك، فعلى نفسها جنت براقش<sup>(١)</sup>.

عباد الله.

إن مما يحزن له القلب، ويتفتت له الفؤاد أن ترى كثيراً من الناس قد أهملوا تربية أولادهم، واستهانوا بها وأضاعوها، فلا حفظوا أولادهم، ولا ربّوهم على البرّ والتقوى، بل - وللأسف الشديد - إن كثيراً من الآباء - أصلح الله أحوالهم - يكونون سبباً لشقاء أولادهم وفسادهم، قال ابن القيم رحمه الله: "وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانتة على شهواته، وهو بذلك يزعم أنه يكرمه، وقد أهانه، ويرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت على ولده حظّه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء"<sup>(٢)</sup>.

فلله درّه، ما أعجب كلامه وأصدقّه!

أيها المسلمون.

إن المسلم الحقّ يهّمه ويكرهه مسلكُ بنيه نحو ربّهم وإخوانهم، وليست وظيفته ومهمته أن يزحم المجتمع بأولادٍ، ترك حبلهم على غاربهم، وهذا هو هدي الأولين من المؤمنين.

فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

(١) الأمثال لأبي الخير الهاشمي (١٧٩).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ص (٢٤٢).

رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿١﴾.

وهذا نبيُّ الله نوحٌ، يدعو ابنه ويُلحُّ عليه، فيقول: ﴿يَا بَنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢﴾.

وهذا يعقوبُ يتعهَّد أولاده في الرَّمَقِ الأخير، كما قصَّ الله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٣﴾.

وهذا ركَّبُ المؤمنين الصادقين المتبعين، ركَّبُ عبادِ الرحمن، يلهجون قائلين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ﴿٤﴾.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وسيروا على هدي أولئك المتقين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهْدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ ﴿٥﴾.

عباد الله.

أيها الآباءُ الأفاضلُ، إنَّ من المشكلاتِ الكبرى، والنوازلِ العظمى، التي أُصِيبَتْ بها كثيرٌ من المجتمعاتِ الإسلاميةِ تقصيرَ الوالدينِ في رِعايةِ أولادِهِما، وتربيتَهُم على البرِّ

(١) سورة إبراهيم: ٤٠.

(٢) سورة هود: ٤٢.

(٣) سورة البقرة: ١٣٣.

(٤) سورة الفرقان: ٧٤.

(٥) سورة الأنعام: ٩٠.

والتقوى، ومعالم هذا التقصير كثيرةٌ عديدةٌ.

فمن مظاهر التقصير في تربية الأولاد: الانشغال عن الأولاد بمشاغل الدنيا الفانية، التي لا تعدل عند الله جناح بعوضة، فكم هم الآباء الذين هجروا بيوتهم، فلم يجلسوا فيها إلا قليلاً، لأكلٍ أو شربٍ أو نومٍ، أما سائر أوقاتهم فبين بيعٍ وشراءٍ، وبين جلساتٍ ودوائرٍ، ضاعت بسببها الواجباتُ، وضاعت الحقوقُ، ولو سمع هذا بصفقةٍ أو تجارةٍ ترك الأصدقاء، وقلل اللقاء، أما علم هذا أن خيراً ما يتركه بعده ولدٌ صالحٌ يدعو له. أيها المؤمنون.

إن من صور التقصير الشائعة في تربية الأولاد: تهوين الوالدين المعصية على الأولاد، وتجريتهم على موقعة الخطايا والسيئات، وذلك بموافقة الوالدين لهذه الخطايا ومجاهرتهم بها، فإن من الآباء من يكون قد ابتلي ببعض الذنوب، فتجده لا يتورع عن الوقوع فيها أمام أولاده، فكم هم الآباء الذين ابتلوا بسماع الأغاني مثلاً، أو النظر إلى المحرمات، أو غير ذلك من السيئات، وهم يفعلونها أمام أولادهم، فيأخذها عنهم أولادهم، فكل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

وينشأ ناشئ الفتيان منا  
على ما كان عودّه أبوه<sup>(١)</sup>

أيها المؤمنون.

إن من أعظم الخيانة للأولاد: تيسير سبل المعصية وأسبابها لهم، بالإهمال في تربيتهم على حسن استعمال الأجهزة التي يصلون من خلالها إلى كثير من الشر والفساد إذا لم

(١) ديوان أبي العلاء المعري (١٤٥٨).

يجسّونوا استعمالها، كالدُّشوشِ وما شابهها، فإن فيها ما تفسدُ به القلوبُ، وتخرّب الأخلّاقَ، وتعمى البصائرُ، ويصدُّ بها عن سبيلِ الله.

فليتقِ الله هؤلاء، فإنهم -والله- ممن أشقى أولادَه، وفوّت عليهم الخيرَ والاستقامةَ، فويلُّ له؛ وويلُّ له؛ وويلُّ له، وضَع في كلِّ غرفةٍ شيطاناً، يصدُّ عن سبيلِ الله، ويغيها عوجاً!!

فبالله أيها المؤمنون، أيُّ خيانةٍ أعظمُ من هذه الخيانةِ، أيظنُّ من سعى في إفسادِ أولادِه أنه ناجٍ من قوله ﷺ: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيّةً، فيموتُ وهو غاشٌّ لها - أي: فلم يحطها بنصحِه - إلا لم يجد رائيحةَ الجنةِ» (١).

فليتقِ الله هؤلاء، وليذكروا يوماً يُرجعون فيه إلى الله، فيسألهم ماذا أجبتهم المرسلين؟ وماذا فعلتم بقولي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (٢)؟



(١) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) من حديث معقل بن يسار.

(٢) سورة التحريم: ٦.

## الخطبة الثانية

وبعد ! فاتقوا الله أيها المؤمنون، فإن من الخيانة لهذه الأمانة العظمى -أمانة تربية الأولاد- إضاعتهم وإهمالهم، وترك حبلهم على غاربهم، يخزجون في أي وقت يشاؤون، ويصاحبون من يريدون، ويسهرون الليل وينامون النهار!!

فهذا كله تضييع للأمانة، ولقد ظهرت في هذه الآونة الأخيرة بسبب هذا التفريط ظاهرة الجلوس في الأحواش والاستراحات، يستأجرها مجموعة من الشباب، فيجلسون فيها ساعات طويلاً، يجتمعون في غالب الأحيان على ألوان من الذنوب والمعاصي، الصغار والكبار، بعيداً عن نظر آبائهم وأولياء أمورهم، ولا يشك عالم بما يجري في هذه الأحواش بأن هذه الاجتماعات مخالفة لأمر الله ورسوله ﷺ، ولو لم يكن فيها إلا مخالفة هدي النبي ﷺ، حيث كان يكره الحديث بعد صلاة العشاء لما يفضي إليه من ضياع الأوقات، وتفويت الواجبات، ومخالفة ما فطر الله عليه البريات، من نوم الليل، والقيام في النهار، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

هذا كله فيما لو كان السهر على أمر مباح، فكيف يكون الأمر ونحن نعلم أن غالب هذه الاجتماعات يلتقي فيها حدثاء الألسن، وسفهاء العقول والأحلام على سماع الغناء الماجن، أو الكلام القبيح، أو يجتمعون على مشاهدة الساقط من المناظر

(١) سورة النبأ: ١٠-١١.

(٢) سورة يونس: ٦٧.

والمرئيات، التي لا تقوم لها الجبال، تُثيرُ الغرائزَ، وتبعثُ الكوامنَ، وتهيجُ الشهواتِ، وتورثُ القلبَ البلابلَ، فيصطلي هؤلاء الأحداثُ بنارِ تلك المشاهدِ، ولا يجدون لها مصرفاً، إلا عادةً قبيحةً، أو علاقةً محرمةً، فيتلطّخون بكبائرِ الذنوبِ، وقبيحِ الفواحشِ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

فاتقوا أيها الشبابُ يوماً، تُرجعون فيه إلى الله، يومَ يفرُّ المرءُ من أخيه، وأمّه وأبيه، وصاحبه وبنيه، لكلِّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه.

واحدروا أيها الشبابُ هذه الاجتماعاتِ، فهي من الشرِّ الذي لا خيرَ فيه، واتقوا الله أيها الآباءُ، فصونوا أولادكم عن مثلِ هذه الاجتماعاتِ، واحفظوهم منها، فإنها من أهمِّ أسبابِ فسادهم.

أيها المؤمنون.

إن الله أمركم بالتعاونِ على البرِّ والتقوى، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(١)</sup>.

فعلى أصحابِ هذه الأحواشِ والاستراحاتِ أن يتَّقوا الله ربَّهم، ولا يؤجِّروها على من يُظنُّ جلوسه فيها على هذه المنكراتِ، فإن تأجيرَ هذه الأحواشِ والاستراحاتِ في هذه الحالةِ محرَّمٌ، وأخذَ الأجرةِ على ذلك حرامٌ.

فاتقوا الله عباد الله وقوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة.



## ٣٦- وجوب رعاية الأولاد.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، اتقوا الله عباد الله واشكروه جل شأنه على أن منَّ عليكم بنعمة الولد، فله عليكم في ذلك عظيم الفضل والمن: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن هذه النعمة حقاً عظيماً، وفرضاً أكيداً، فإن الله ابتلاكم بالنعمة ليختبركم أتشكرون أم تكفرون؟ وإن أولادكم ذكوراً وإناً أمانة عندكم، أمركم الله بحفظهم ورعايتهم ووقايتهم من أسباب الفساد والزيغ، فقال تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الشورى (٤٩-٥٠).

(٢) سورة التحريم (٦).

فاتقوا الله عباد الله، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته.  
أيها المؤمنون.

إن المتأمل لنصوصِ الشرع يدركُ أن صلاحِ الولدِ وفساده يرجعُ في الغالبِ إلى والديه، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)<sup>(١)</sup>.

فولدك يا عبدَ الله، ولدك من ذكرٍ أو أنثى إنما هو نتاجُ جهدك وثمرَةُ تربيتك، فإن الأصولَ عليها ينبتُ الشجرُ.  
أيها المؤمنون.

إن الواجبَ على الآباءِ والأمهاتِ أيها المؤمنون أن يأخذوا أولادهم بمبادئِ الآدابِ، ليأنسوا بها في صغرهم، وينشئوا عليها منذ نعومةِ أظفارهم، فتكون لهم كالسجاياءِ عند كبرهم، لأنَّ نشأةَ الصغيرِ على الشيءِ تجعله متطبعاً به. ف:

إن الغصونَ إذا قومتها اعتدلت ولا يلينُ إذا قومتها الحشْبُ<sup>(٢)</sup>  
فاتقوا الله عباد الله، وبادروا إلى تأديبِ أولادكم وإصلاحهم، قبل تراكمِ الأشغالِ، وتفرُّقِ البالِ، وصعوبةِ تغييرِ الأحوالِ.

بادروا إلى تأديبهم وتعليمهم محاسنَ الأخلاقِ والشَّيمِ، وحفظهم من سيئها، فإنه ما نحلَّ والدٌ ولده نحلةً أفضلَ من أدبٍ حسنٍ، فيجبُ على الوالدِ الشفيقِ على

(١) تقدم تخرجه في ص (٢٥٤).

(٢) البيان والتبيين (٣٢٩).

وَلَدِهِ، الرَّاعِبِ فِي صَلَاحِ ثَمَرَةِ فَوَادِهِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَمْرُ أَوْلَادِهِ بِكُلِّ خَيْرٍ وَفَضِيلَةٍ وَنَهْيِهِمْ  
عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَرَذِيلَةٍ، رَغْبُهُمْ فِي الْخَيْرِ وَحُثُّهُمْ عَلَيْهِ وَزَهْدُهُمْ فِي الشَّرِّ وَنَفْرُهُمْ مِنْهُ،  
فَإِذَا بَلَغَ الْوَلَدُ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى سَنَّ التَّمْيِيزَ، فَبَادِرُوا إِلَى أَمْرِهِ بِالصَّلَاةِ وَتَرْغِيبِهِ فِيهَا  
وَحُثِّهِ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لَعَشْرٍ)<sup>(١)</sup>.

واعلموا أيها المؤمنون أن سبب تضييع كثير من الأولاد للصلاة، وعدم  
عنايتهم بها، هو تفريط الوالدين في هذا التوجيه النبوي، فاتقوا الله عباد الله، فكلكم  
راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

أيها المؤمنون.

إن من أهم أسباب صلاح الأولاد حفظهم من قرناء السوء وأصحاب الشر،  
الذين يهدمون الفضائل ويشيدون الرذائل، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف،  
فاحفظوا أولادكم، ذكورا وإناثا من صحبة هؤلاء، فإنهم قذى العين، وبلاء العمر،  
وَنَكَدُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

أيها المؤمنون.

إن من أبلغ وسائل التأثير على الأولاد وتربيتهم على البر والتقوى: أن يكون

(١) أخرجه أبو داود (٤١٨) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وصححه ابن الملقن في البدر

المنير ٢٣٨/٣.

(٢) سورة الزخرف (٦٧).

الوالدان قدوةً حسنةً لأولادِهِما في المبادرة إلى الخيرات، والانكفافِ عن المعاصي والسيئات، فإن الأولادَ إذا رأوا من والديهم الاجتراءَ على المعاصي والسيئات، والتَّلَطُّحَ بأضرارِ الخطايا والموبقاتِ، ضَعُفَ قدرُ ذلك في نفوسِهِم، وحملَهُم ذلك على مقارفةِ تلك السيئاتِ، فصدقَ عليهم قولُ القائلِ: أَبٌ غَيْرُ بَرٍّ وابْنُهُ غَيْرُ واصلٍ.

فاتقوا الله عباد الله فكلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

أيها المؤمنون.

إن من العجائب التي تذهل العقول وتطير الألباب وتفطر الأكباد أن كثيراً من الآباء والأمهات، هم سبب شقاء أولادهم في الدنيا والآخرة، وذلك بإهمالهم وترك تربيتهم وتأديبهم، بل وبإعانتهم على شهواتهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون، فأئى خيانة أعظم من هذه الخيانة، فاتقوا الله عباد الله فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

أيها المؤمنون.

إن من المشكلات الكبرى التي تعاني منها كثيرٌ من المجتمعات غفلة أولياء الأمور عن رعاية أولادهم وتربيتهم، وإن لهذه الغفلة معالم كثيرة نراها في سلوك أولادنا، ذكوراً وإناثاً، ولا شك أن هذه المظاهر ثمرة تفريطنا وعدم قيامنا بالأمانة، فأسألكم بالله العظيم يا عباد الله، هل الأب الذي ترك لأولاده الحبل على غاربه، يخرجون متى يشاؤون، ومع من يريدون، يسهرون الليل وينامون النهار، يواقعون السيئات ويضيعون الصلوات، هل قام بالأمانة وحفظها أم أنه أبٌ غير برٍّ وابنٌ غير صالح؟! صالح؟! صالح؟! صالح!؟

وأسألكم بالله يا أيها المؤمنون هل الأب الذي يسر لولده سبل الانحراف، فأدخل إلى بيته أسباب الزيغ والفساد، ووسائل التدمير والإهلاك، هل نصح لولده وأهله أم أنه أبٌ غير برٍّ وابنٌ غير صالح؟! صالح!؟

فاتقوا الله عباد الله، واتقوا يوماً ترجعون فيه إليه، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فإن المسلم الحقّ والمؤمن الصادق يهّمه ويكرّثه مسلكُ أولاده نحو ربّهم؛ ولذا فإن من دعاء عبادِ الرحمن الذي ذكره اللهُ عنهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾<sup>(١)</sup>.



(١) سورة الفرقان (٧٤).

## ٣٧- منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من أهم ركائز بناء الأمم والمجتمعات التربية والتعليم؛ إذ بهما تُصاغ الأمم والأجيال، وعليهما تقام الحضارات، وتبنى المجتمعات، وتقوّم الأخلاق، وتزكى النفوس، وتوضح الأهداف، وتجنّى الغيات.

وقد كانت الأمة قبل مبعث النبي ﷺ تعيش في دياجير الجهالة والظلمات، وتسودها الخرافة والشقاوات، ليس لها غاية ولا هدف، أمة ضائعة غائبة في جاهلية جهلاء تطحنها العصبية، وتمزقها النعرات والحميميات، وتعشعش فيها الخزعبلات والوثنيات، وتسحقها الطبقيات والعنصريات، ليس لها في واقع الأمم تأثير ولا أثر، ممقوتة من الله خالق البشر، ففي "صحيح مسلم" عن النبي ﷺ: «إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»<sup>(١)</sup>.

فبعث الله برحمته وفضله النعمة المسداة محمداً ﷺ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو

(١) "صحيح مسلم" (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١٠﴾.

فجاء ﷺ مزكياً مربياً ومعلماً مُصلِحاً، فجاهد ﷺ لتحقيق هذه الغاية أعظم الجهاد، وبذل النَّفْسِ وَالنَّفْسِ، حتى تحقق له ما يُريد، فرَبَّى أصحابه ﷺ أكمل التربية، وعلمهم أحسن التعليم، فكانوا جيلاً فريداً لا نظير له ولا مثيل، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١)،

وَعَدُوا سَادَةَ الْأُمَمِ، وَأئمة العالم، وصنَّاعَ القرار فيه، فدانت لهم الممالك الكبار وأذعن، في فترة وجيزة من التاريخ، فانهذ مُلك كسرى، واثلم مُلك قيصر، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فسبحان الله العظيم! والحمد لله رب العالمين.  
أيها المؤمنون.

إِنَّ هَذَا التَّحَوُّلَ الْكَبِيرَ، وَالنَّجَاحَ الْعَظِيمَ، الَّذِي حَقَّقَهُ ﷺ فِي صُنَاعَةِ الْأُمَّةِ وَالْأَجْيَالِ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْأُمَّةُ مِنَ السُّفُوحِ إِلَى قِمَمِ الْجِبَالِ كَانَ نَتِيجَةَ مَنَهْجِ تَرْبَوِيِّ تَعْلِيمِيٍّ دَعْوِيٍّ رَصِينٍ، لَهُ مَعَالِمُهُ وَسِمَاتُهُ، وَهُوَ بِلَسْمٍ وَدَوَاءٍ أَصِيلٍ لِمَا نَزَلَ بِالْأُمَّةِ مِنْ انْحِدَارٍ وَانْكَسَارٍ وَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ، فَعَلَى الدَّعَاةِ وَأَهْلِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ أَنْ يَتَأَمَّلُوا مَنَهْجَ النَّبِيِّ ﷺ وَطَرِيقَتَهُ فِي تَرْبِيَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ وَدَعْوَتِهِ، وَيَدْرِسُوا هَذَا الْمَنَهْجَ دَرَسَةً مَتَأَنِيَةً مَتَفَحِّصَةً لِتَحْدِيدِ مَعَالِمِهِ،

(١) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

واستنباط سماته وخصائصه، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وإليكم أيها الإخوة هذه السمات:

فمن سمات هذا المنهج الرباني: تعبيد الناس لله تعالى، وتحريرهم من كل ما يخذش عبوديتهم لله سبحانه، وهذه سمة مشتركة بين الرسل جميعاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(١)</sup>.

فلب دعوة الرسل جميعاً تعبيد الخلق لله تعالى، وهذه السمة تحقق الغاية من الخلق، وتلبي نداء الفطرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(٣)</sup>، والفطرة هي توحيد الله تعالى بالعبادة، وغياب هذه السمة من المناهج التعليمية والتربوية يؤدي إلى اختلال الموازين، واضطراب المفاهيم، وتخطيم الطاقات البشرية، ومصادمة الفطر الإنسانية، وذهاب الفضائل والمثل والقيم.

ومن سمات هذا المنهج النبوي: تربية الناس على تصحيح وتصفية المقاصد، خاصة إذا كان العلم علماً شرعياً دينياً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً يُبتغى به وجهه الله، لا

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) تقدم تخرجه في ص (٢٥٤).

يتعلَّمه إلا ليصيبَ به عرضاً من الدنيا لم يجدَ عَرَفَ الجنةِ يومَ القيامةِ<sup>(١)</sup>؛ أي: ريجها.  
 أما العلومُ الدنيويَّةُ، فإن استحضارَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ والقصدِ الحَسَنِ، من سدِّ حوائجِ  
 الأمةِ أو غير ذلك سببٌ يحصلُ به الأجرُ من الله تعالى، والعونُ والتوفيقُ؛ إذ النِّيَّةُ  
 الصَّالِحَةُ من الإحسانِ والتقوى، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ  
 مُحْسِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا يستوي هذا مع من جعلَ التربيَّةَ والتعليمَ سُلماً يُرتقى به إلى المناصبِ الوظيفيةِ، أو  
 المراكزِ الاجتماعيةِ، أو جعلها طريقاً لبناءِ الأُممِ الشخصيةِ، والمكاسبِ الذاتيةِ.  
 فلا شكَّ أنَّ هذه النياتِ الرخيصةَ تؤثِّرُ على العَمَلِ التربويِّ والتعليميِّ تأثيراً بالغَ  
 السوءِ، فليس الخليُّ كالشجيِّ.

ومن سماتِ المنهجِ الربانيِّ: ربطُ العلمِ بالعملِ، فالعلمُ شجرةٌ والعملُ ثمرةٌ، وقد كان  
 النبي ﷺ يعلمُ أصحابه رضي الله عنهم العِلْمَ والعَمَلَ، فالعلمُ بلا عملٍ حجةٌ على  
 صاحبه:

إذا لم يزدِ عِلْمُ الفَتَى قلبه هدىً      وسيرتهِ عدلاً وأخلاقه حُسناً  
 فبشَّره أن الله أولاهُ نعمةً      يُساءُ بها مثلُ الذي عبَدَ الوثناً<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه أحمد (٨٢٥٢)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وصححه الألباني كما في صحيح  
 الجامع الصغير وضعيفه (١١١٠٤).

(٢) سورة النحل: ١٢٨.

(٣) ربيع الأبرار ١/٣٢٠.

أيها المؤمنون.

إن مما يجدر انفصام العلم عن العمل ويؤصله هذا التناقض الذي يعيشه كثير من المتعلمين، حيث إن ما يتلقونه يخالف ويضاد كثيراً مما يلمسونه ويرونه، بل ويعايشونه ويمارسونه في الحياة الاجتماعية.

ومن أمثلة ذلك: أن دور العلم وصروحه تُعلم بأن الكذب رذيلة وإثم، ثم إننا نسمع من بعض وسائل الإعلام أن الكذب ألوان وأشكال، يختلف حكمه باختلاف لونه وشكله. ونتعلم أيضاً أن لا سبيل للاتصال بين الذكور والإناث، إلا من خلال النكاح الشرعي. ثم نسمع ونشاهد هنا وهناك أن من العلاقة بين الجنسين ما يسمى صداقة أو زمالة، ومنها ما يسمى حباً بريئاً شريفاً نزيهاً، وغير ذلك من المسميات، التي تذكرنا بقوله ﷺ: «يَشْرَبُ أَنَاْسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يَسْمُونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»<sup>(١)</sup>.

ولا غرو أن هذا التناقض بين وسائل التوجيه في المجتمع له آثار سيئة على الأمم والمجتمعات، ليس أهورها ترسيخ الفصل بين العلم والعمل، والانشطار الفكري، وتعميق الاضطراب النفسي؛ إذ إن من المعلوم أن اليد العليا في نهاية المطاف لما تفرضه المجتمعات، لا للمثُل والنظريات التي تدرس في الكتب والمقررات. ومن سمات هذا المنهج الرباني: مراعاة القدرات والمستويات، فيعطى كل ما يناسبه ويلبي حاجاته، ومن هذا نعلم خطأ ما تمارسه بعض دور التعليم، من المساواة التامة بين الذكور والإناث، في المناهج والمقررات والمراحل والمستويات.

(١) أخرجه النسائي (٥٦٥٨)، وابن ماجه (٤٠٢٠) عن أبي مالك الأشعري ﷺ، وصححه الألباني.

بل ويبلغ الخطأ منتهاه عند خلط الذكور بالإناث في المدارس والكلية، ولا شك أن هذا خطأ كبير، مازالت الأمة تجني ويلاته، وتحصد حساته في كثير من بلاد المسلمين، كيف لا؟! وقد قال العليم الخبير سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾<sup>(١)</sup>.

فمن رام تسوية الذكور بالإناث، فقد ضاد الله تعالى في خلقه وشرعه، فالواجب الفصل بين الجنسين في جميع مراحل التعليم، وإعطاء كل ما يناسبه ويلائمه ويحتاجه من العلوم والمعارف.



(١) سورة آل عمران: ٣٦.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فمن سمات المنهج النبوي في التعليم والتربية: استمرارية العملية التعليمية، وعدم حداثها بمرحلة تنتهي عندها، فالنبي ﷺ حث الأمة على تعاهد القرآن، الذي هو أصل العلوم، ومنبع المعارف الدينية الشرعية، قال ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها»<sup>(١)</sup>.

وقال أحد العلماء: "لا تزال عالماً متعلماً فإذا استغنيت كنت جاهلاً"، فالعلم عندنا من المحبرة إلى المقبرة، لكن لما غاب هذا الفهم عن كثير من متعلمينا رأينا من حملة الشهادات من كان آخر عهده بالقراءة والاطلاع والبحث تسلم أوراق تخرجه، ولا مزية أن هذا مما يضعف العلم ويذهب، فالعلم بالعلم يكثر وينمو ويثبت، كما قال الأول:

فاليوم شيءٌ وغداً مثله      من نخب العلم التي تلتقط  
يصل المرء بها حكمةً      وإنما السيل اجتماع النقط

ومن سمات هذا المنهج النبوي: إحياء العلم بنشره وبذله، وتوسيع دائرة المنتفعين به، قال النبي ﷺ: «نصر الله امرأً سمع مقالتي، فوعاها، ثم بلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١) من حديث أبي موسى الأشعري ؓ.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٣١٢)، وابن ماجه (٢٣١) من حديث جبير بن مطعم، وصححه الألباني

وقال أيضاً: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»<sup>(١)</sup>.

فبذل العلم ونشره بابٌّ من أبواب البرِّ، التي يتقرَّبُ بها إلى الله تعالى، فعلى حملة العلم بثَّتِي فروعِهِ وصنوفِهِ أن ينشروا علومَهُم، ويُبثُّوها بين الناسِ، وليكن الواحدُ منَّا:

كالبِحْرِ يَهْدِي لِلقَرِيبِ جِوَاهِرًا      جُودًا وَيَبْعَثُ لِلبَعِيدِ سَحَابًا

ومن سماتِ المنهجِ النبويِّ في التربية والتعليم: توظيفُ جميعِ الطاقاتِ، وبثُّ روحِ المشاركةِ والعطاءِ والبناءِ في أبناءِ الأُمَّةِ، وتربيتُهُم على تحمُّلِ الأعباءِ، والقيامِ بالمسؤولياتِ.

فلمحةٌ سريعةٌ في سيرةِ النبي ﷺ تجلِّي هذه السِّمةِ المهمةِ.

فمن الذي قتل أبا جهلٍ - فرعونَ هذه الأُمَّةِ - أليسا ابني عفرَاء، الغلامينِ الحدِيثين؟  
ألم يعقد النبي ﷺ لأسامَةَ بنِ زيدٍ الرايةَ لقتالِ الرومِ، ولم يكن قد بلغ العشرين سنة؟!  
ألم تكن الصحابيَّاتُ رضي الله عنهن يخرُجنَ مع النبي ﷺ في غزواتِهِ، يُداوينِ المرضى، ويسقينِ الجرحى؟!  
بلى، كل هذا قد كان، فعلى التربويين والمعلِّمين وأولياءِ الأمورِ أن يوظِّفوا جميعَ طاقاتِ الأُمَّةِ في خدمةِ الإسلامِ، ونصرِ قضاياها.

حتى الضعفاءُ والمساكينُ بهم تُنصَرُ الأُمَّةُ، قال النبي ﷺ: «ابغوني ضعفاءكم، فهل تُنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥) من حديث أبي امامة الباهلي رضي الله عنه، قال الترمذي: "حديث غريب".

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٠٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال: "حسن صحيح".

أيها المؤمنون! هذه بعض سمات المنهج الرباني النبوي في إصلاح الأمم، وبناء الأجيال، وقد آتت هذه المعالم ثمارها، فأخرج الله بها خير أمة أخرجت للناس، فكانت ملء سمع العالم وبصره وفؤاده، فترة طويلة من الزمن، فلما انحرفت الأمة عن هذه المعالم، وتخلت عن هذه الخصائص، خلف هذا صدعاً كبيراً في الأمة، ومزجاً في التربية والتعليم، وسبب كثيراً من النكسات والنكبات.

ولا سبيل للخروج من هذه النازلة، والتخلص من هذه المعضلة، إلا لزوم المنهج النبوي في الدعوة والتعليم والتربية والتوجيه، وعلينا جميعاً مسؤولية إصلاح هذه الانحرافات، كل حسب طاقته وقدرته.

فالأب عليه أن يصلح تربية أولاده، ويكمل النقص الذي في الجهات التربوية الأخرى.

ودور التعليم ومؤسساته عليها مراجعة مناهجها وطرائق التدريس فيها.

وعلى المجتمع أن يسخر كل قدراته ووسائل التأثير فيه لتحقيق الهدف المنشود، من صناعة الأجيال، وبناء الرجال، فإن الثروة الحقيقية التي تمتلكها الأمم هي أبنائها ورجالها، ولا يظن غالط أن التربية والتعليم مسؤولية جهة معينة فقط، بل كلنا مسؤول، وقد قال النبي ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.



(١) تقدم تخريجه في ص (٢٣٧).

## ٣٨ - الإسراف والتبذير

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

الخطبة الأولى

أما بعد.

عباد الله، اتقوا الله تعالى، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون، واعلموا أن تقوى الله تعالى لا تتمُّ للعبد إلا بالأخذِ بمكارمِ هذه الشريعةِ وفضائلها علمًا، وامتنانًا في الحياة واقعًا وعملاً.

أيها المؤمنون.

إن من فضلِ الله تعالى علينا أن شرعَ لنا ديناً قيماً، وجعلنا بين الأمم أمةً وسطاً، وسطاً في الأحكام والشرائع، ووسطاً في الآداب والفضائل، فالحمدُ لله على ذلك كثيراً كثيراً، وشكراً له بكرةً وأصيلاً.

أيها المؤمنون.

إن من معالم تلك الوسطية المباركة ما ذكره الله تعالى في كتابه، عند ذكر صفاتِ أحبائه، والخلص من عباده، قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: كانوا في نفقاتهم الواجبة والمستحبة على العدل

وَالْوَسْطِ، لَا وَكُسَ وَلَا شَطَطًا.

فِعِبَادُ الرَّحْمَنِ هُمُ الْحُكَمَاءُ الْعَدُولُ فِي نَفَقَاتِهِمْ، لَا يَتَجَاوِزُونَ مَا حَدَّهُ اللَّهُ وَشَرَعَهُ، وَلَا يَقْصُرُونَ عَمَّا أَمَرَ بِهِ وَفَرَضَهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

إِنَّ النَّازِرَ فِي أَحْوَالٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ يَرَى وَيَشْهَدُ غِيَابَ هَذِهِ الْخِصْلَةِ عَنْ جَوَانِبِ عَدِيدَةٍ مِنْ حَيَاةِ النَّاسِ، فَكَمْ هُمُ الَّذِينَ تَوَرَّطُوا فِي الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ فِي جَمِيعِ الشُّؤُونِ وَالْأُمُورِ، إِسْرَافٌ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ، إِسْرَافٌ فِي الْمَلَابِسِ وَالْمَرَاقِبِ، إِسْرَافٌ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَلذَّاتِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

إِنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- قَدْ نَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا \* إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأنعام: ١٤١.

(٢) سورة الإسراء: ٢٦-٢٧.

(٣) سورة الإسراء: ٢٩.

(٤) سورة غافر: ٤٣.

وقد نهى النبي ﷺ عن الإسرافِ في الأمرِ كُلِّه، فنهى عن الإسرافِ في المآكلِ والمشاربِ والألبسةِ، بل ونهى عن الإسرافِ في الصَّدَقَاتِ، فقال ﷺ في حديث عمرو بن شعيبٍ عن أبيه عن جده: «كُلُوا واشربُوا وتصدَّقُوا والبسُوا من غيرِ سرفٍ ولا مَخِيلَةٍ»<sup>(١)</sup>، وقد نهى ﷺ عن الإسرافِ في الوضوءِ، ففي النسائي وابن ماجه أن النبي ﷺ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثم قال: «هكذا الوضوءُ، فمن زاد عن هذا فقد أَسَاءَ وتعدَّى وظلَّم»<sup>(٢)</sup>، قال الإمام البخاري رحمه الله: "كره أهل العلم الإسراف -فيه- ؛ أي: في الوضوء - وأن يجاوزوا فعل النبي ﷺ" <sup>(٣)</sup>.

عبادَ الله؛ إن الله -جلَّ وعلا- أنعمَ عليكم نِعْمًا عَظِيمَةً كَثِيرَةً، فكان من ذلك أن أغناكم بعد فقيرٍ، وأطعمكم بعد جوعٍ، وهداكم بعد ضلالةٍ، وفتحَ لكم من أبوابِ الخيرِ، وسبَّلَ الرِّزْقِ، ما لم يكن لكم على بالٍ، فاشكروا اللهَ تعالى على ذلك حقَّ شكره، واعلموا أن ذلك كُلَّهُ لا يُغْنِيكم عن فضلِهِ ومَنِّهِ.

أيها المؤمنون.

إن ما تصابُّ به النفوسُ عند الغنى وكثرة العَرَضِ، ووفرة المالِ التجاوز والطغيان، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَيْطَعَى \* أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى﴾<sup>(٤)</sup>، وصدقَ اللهُ العظيمُ،

(١) أخرجه الحاكم (٧١٨٨) وصححه، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٢) أخرجه النسائي (١٤٠) وابن ماجه (٤٢٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/٢٨٤.

(٣) صحيح البخاري ١/٤٦.

(٤) سورة العلق: ٦-٧.

فإنه لما فُتِح علينا من الدنيا ما فُتِح، وتوالى على كثيرٍ مِنَّا النِّعمُ اغترَّ فئامٌ من الناسِ بهذا الطَّيِّفِ العارضِ، والظِّلِّ الزائلِ، فطغَوْا وتجاوزوا حدودَ الله تعالى، فأسرفوا وبدَّروا وتحوَّضوا في مالِ الله بغيرِ حقٍّ، فظهر في حياةِ الناسِ مظاهرُ الإسرافِ والتبذيرِ.

فمن هذه المظاهرِ، ومن تلك المعالمِ التي تورَّط فيها كثيرٌ من الناسِ اليومَ: الإسرافُ في المآكلِ والمشاربِ، فترى من الناسِ من يجتمعُ على مائدتهِ من ألوانِ الطعامِ، وصنوفِ الشرابِ ما يكفي الجماعةَ من النَّاسِ، ومع ذلك لا يأكلُ إلا القليلَ من هذا وذاك، ثم يلقي باقيه في الفضلاتِ والنفاياتِ.

فليت شعري!! أنسيَ هؤلاء المسرفون أم تناسوا أن من الناسِ أعمأ يموتون جوعاً، لا يجدون ما يسدُّون به حرارةَ جوعِهم، ولظى عَطَشِهم!؟

أم نسيَ هؤلاء قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾<sup>(١)</sup>!؟

قال ابنُ القيمِ رحمه الله: "والنعيمُ المسؤولُ عنه نوعان: نوعٌ أُخذَ من حِلِّه وصرِفَ في حقِّه، فيسألُ عن شكرِه، ونوعٌ أُخذَ بغيرِ حِلِّه، وصرِفَ في غيرِ حقِّه فيسألُ عن مستخرجه ومصرفه"<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من معالمِ التبذيرِ في حياةِ الناسِ اليومَ: الإسرافُ في المراكبِ والملابسِ والمساكينِ، فتجدُ أقواماً تحمَّلوا الديونَ العظيمةَ، وأرهقوا ذمَّهم وشغلوها؛ ليحصلَ أحدُهم على

(١) سورة التكاثر: (٨).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٨٤/١.

السيارة الفلانية، أو الثوب الفلاني، أو المسكن الفاخر والبيت الفاره، تكاثرٌ وتفاحرٌ، سَفَهٌ في العقل، وضلالٌ في الدين، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المؤمنون..

إن من الإسرافِ المذموم: ما يفعله كثيرٌ من حُدثاءِ الأسنانِ، أو سُفهاءِ الأحلامِ، من إضاعةِ الأوقاتِ وتبديدها في الملاهي والملذاتِ والشهواتِ، فتجدُ الواحدَ من هؤلاءِ يصرفُ عُمُرَه، وخاصةِ نشاطَه وفكرَه ووقتهِ في هُوٍ ولَعِبٍ وسَهَرٍ وتسليَةٍ، لا في عملٍ دنيا يَتَنَفَعُ به، ولا عملٍ آخرةٍ ينجو به!

غفلةٌ وطيشٌ، ضلالٌ وزيفٌ، ضياعٌ لمصالحِ المعاشِ، وذهابٌ لمصالحِ المعادِ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عباد الله؛ إن من الإسرافِ والتبذيرِ: الإسرافَ في استخدامِ المرافقِ الحيوية التي تقومُ عليها حياةُ الناسِ اليومَ، من ماءٍ وكهرباءٍ ونحوِ ذلك؛ فالماءُ الذي هو أرخصُ موجودٍ وأعزُّ مفقودٍ يُهدرُ بالكمياتِ الكبيرةِ الهائلةِ، بلا عتابٍ ولا حسابٍ، وكأننا نعيشُ على ضفافِ أنهارٍ، لا نتوقفُ، وآبارٍ لا تنضبُ!

غفلةٌ وإهمالٌ، تبذيرٌ وإساءةٌ استعمالٍ، ولا شكَّ أن الواقعَ المريرَ الذي نعيشُه يخالفُ ما جاءت به شريعةُ أحكمِ الحاكمين، فإنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن الإسرافِ في الماءِ، ولو كان استعمالُه في عبادةٍ فضلاً عن غيرها، فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وتعاونوا جميعاً رعاةً ورعيةً على ترشيدهِ هذا الأمرِ، فإن قِلَّةَ المياهِ وشُحَّها أحدُ التحدياتِ الكبرى، لكثيرٍ من دولِ العالمِ اليومَ، فإن لم نكن على وعيٍ بهذا الأمرِ يوشكُ أن نقعَ فيما لا تُحمدُ عقباه.

أيها الإخوة الكرام..

أما الإسرافُ في الكهْرَباءِ، فذاك أمرٌ قلَّ من ينجو منه، فكَمُ هُمُ الذين يضعون في بيوتهم أو متاجرهم أو مجالسهم من الإضاءةِ أو التكييفِ ما يزيد على حاجةِ المكانِ. وكم هُمُ الذين لا يُطْفَأُ لهم نورٌ في ليلٍ أو نهارٍ، فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، فإنَّ اللهَ ورسولَهُ ينهيانكم عن ذلك.

عباد الله.. إن من أعظمِ التبذيرِ أن تستعملَ المالَ الذي تفضَّلَ اللهُ به عليك في معصيةِ اللهِ تعالى، فاللهُ جل وعلا يُنعمُ عليك ويتفضَّلُ، وأنت تخالفُه وتحادُّه!! قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿١﴾، قال قتادة رحمه الله: "التبذيرُ هو النفقةُ في معصيةِ اللهِ، وفي غيرِ الحقِّ، وفي الفسادِ" (٢).



(١) سورة الإسراء: ٢٦-٢٧.

(٢) تفسير الطبري ١٤/٥٦٨.

## الخطبة الثانية.

أما بعد.

فإنَّ، الإسرافَ والتبذيرَ داءٌ فتَّاكُ، يهددُ الأُمَّمَ والمجتمعاتِ، ويهددُ الأموالَ والثرواتِ، وهو سببٌ للعقوباتِ والبليَّاتِ، العاجلة والآجلة.

فمن ذلك يا عبادَ الله: أن الإسرافَ سببٌ للتَّرفِ، الذي ذمَّه اللهُ تعالى وعابه، وتوعَّدَ أهله في كتابه، إذ قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قال ابن كثير رحمه الله: "كانوا في الدارِ الدنيا منعمين مقبلين على لذاتِ أنفسهم"<sup>(٢)</sup>، فإياكم يا عبادَ الله أن تكونوا من المترفين، فربَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ يومَ القيامة.

أيها المؤمنون.

التبذيرُ والإسرافُ سببٌ يؤدِّي بصاحبه إلى الكِبْرِ وطَلَبِ العُلُوِّ في الأرضِ، قال ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا من غيرِ سرفٍ ولا مخيلة»<sup>(٣)</sup>، فالحديثُ يدلُّ على أن الإسرافَ قد يستلزمُ المخيلةَ، وهي الكِبْرُ، فإن الكِبْرَ ينشأ عن فضيلةٍ، يترأها الإنسانُ من نفسه

(١) سورة الواقعة: ٤١ - ٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٣٨/٧.

(٣) تقدم تخريجه في ص (٢٧٨).

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى \* أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى﴾<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن الإسراف والتبذير يؤدي إلى إضاعة المال، وتبديد الثروة، فكم من ثروة عظيمة، وأموال طائلة، بددها التبذير، وأهلكها الإسراف، وأفناها سوء التدبير.

فاتقوا الله عباد الله، فإن الله نهاكم عن إضاعة المال، ففي حديث المغيرة رضي الله عنه قال: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قَيْلٌ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكثْرَةُ السُّؤَالِ»<sup>(٢)</sup>.

والإسراف إضاعة للمال، وتحوُّض فيه بغير حق، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بغيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾<sup>(٤)</sup>.

عباد الله، إن الإسراف سبب من أسباب الضلال في الدين والدنيا، وعدم الهداية لمصالح المعاش والمعاد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال سبحانه: ﴿أَفَنْصِرُبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال

(١) سورة العلق: ٦-٧.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣١١٨) من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها.

(٤) سورة غافر: ٤٣.

(٥) سورة غافر: ٢٨.

(٦) سورة الزخرف: ٥.

سبحانه: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون..

إِنَّ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُسْرِفِينَ أَنْ جَعَلَهُمْ إِخْوَانًا لِلشَّيَاطِينِ، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَبَدَّرْ تَبَدُّرًا﴾ \* إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، وذرُوا ظاهر الإثم وباطنه، واعلموا أن الإسراف يشمل جميع التّعديّات، التي يتجاوز بها العبد أمر الله وشرعه، سواء كان ذلك في الإنفاق أو في غيره، فتوبوا عباد الله من الإسراف كله، فإن الله دعاكم إلى ذلك، فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ \* وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ<sup>(٣)</sup>.

فاتق الله يا عبد الله، وتب إلى الله من التّفريط والتّقصير، وأعدّ للسؤال جواباً، فإن الله سائلك عن هذا المال: من أين اكتسبته؟ و فيم أنفقته؟



(١) سورة يونس: ١٢.

(٢) سورة الإسراء: ٢٦-٢٧.

(٣) سورة الزمر: ٥٣-٥٤.

## ٣٩- حقوق علماء الشريعة

## الخطبة الأولى

أما بعد.

أيها المؤمنون.

اتقوا الله ربكم واستمسكوا بحبله المتين، وكتابه المبين، فإن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين، ألا وإن ممن رفعهم الله بهذا الكتاب العظيم أهل العلم العاملين، الذين هم أركان الشريعة وأمناء الله في خلقه، وخلفاء النبي ﷺ في أمته، فالعلماء ورثة الأنبياء، بهم تحفظ الملة وتقوم الشريعة، ينفون عن دين الله عكس تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الضالين، فله درهم وعليه أجرهم، ما أحسن أثرهم وأجل ذكرهم.

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى قد فرض لأهل العلم الراسخين والأئمة المرضيين حقوقاً، من أخذ بها وعمل نجا، ومن أعرض عنها أوقع نفسه في الهلاك والردى.

أيها المؤمنون.

إن من حقوق أهل العلم محبتهم وموالاتهم، وذلك أنه يجب على المؤمن محبة المؤمنين وموالاتهم، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>،

(١) سورة التوبة: ٧١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فيجب على المسلمين بعد مولاة الله تعالى ورسوله ﷺ مولاة المؤمنين، كما نطق به القرآن خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء"<sup>(١)</sup>.

فحبُّ أهلِ العلمِ والدينِ قربةٌ وطاعةٌ، فإذا رأيتم الرجلَ يذكرُ أهلَ العلمِ بالجميلِ ويحبُّهم ويقتدي بهم فأتملوا فيه الخيرَ، فهم القوم لا يشقى بهم جليسُهم.

عبادَ الله، إن من حقوقِ العلماءِ احترامهم وتوقيرهم وإجلالهم، فإن إجلالهم وتوقيرهم من إجلالِ الله تعالى وتوقيره، ولذلك قال بعض السلف: من السنة أن يُوقَّرَ العالمُ، ولقد كان السلفُ الصالحُ رحمهم الله يوقِّرون علماءهم توقيراً كبيراً، ويتأدَّبون معهم، فهذا عبدُ الله بنُ عباسٍ رضي الله عنه حبرُ الأمة وترجمانُ القرآن، كان يأخذُ بركابِ ناقَةِ زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه ويقول: "هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا"<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من حقوقِ علماءِ الشريعةِ وحَفَظَةِ المِلَّةِ الذبُّ عن أعراضهم وعدمِ الطعنِ فيهم، فإن الطعنَ في العلماءِ العاملين والأئمةِ المهديين طعنٌ في الشريعةِ والدينِ، وإيذاءٌ لأولياءِ الله الصالحين، ومجلبةٌ لغضبِ الله ربِّ العالمين، فقد قال المولى الجليلُ في الحديثِ الإلهيِّ: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ)<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٣١.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/٢٥٣.

(٣) البخاري (٦٠٢١).

فاتقوا الله عباد الله، واحفظوا ألسنتكم عن الوقعة في أهل العلم، فإن لحوم العلماء مسمومة، وسنة الله في هتك أسترٍ منتقصيهم معلومة، فعلماء الأمة الذين لهم لسان صدق لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوءٍ فهو على غير السبيل.  
أيها المؤمنون.

إن من حقوق أهل العلم طاعتهم فيما يأمرون به من الدين، فإن الله تعالى قد أمر بطاعتهم في محكم التنزيل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وأولو الأمر هم العلماء بالشرع والأمراء في الخلق، فالأمراء يطاعون لأنهم يسوسون الناس فيما يرجع إليهم من أمر الدنيا والدين الظاهر، والعلماء يطاعون فيما يرجع إليهم من العلم والدين، فأطيعوا عباد الله ولأمرهم من العلماء والأمراء ترشدوا، وعليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد.

عباد الله! إن من حق علمائكم عليكم الرجوع إليهم فيما يُشكّل عليكم من أمر الدين، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فإلى العلماء الرجوع عند التباس الأمر وخفائه، فما حكموا به فهو المقبول المسموع؛ إذ إن كتاب الله عدّتهم والسنة حجّتهم، ورسول الله ﷺ قدوتهم، وأقوال السلف مستندهم.

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة النحل: ٤٣.

أيها المؤمنون.

إن من حقوق فقهاء الإسلام وعلمائه أن يؤخذ بالصحيح من أقوالهم، فلا يتبع أحد من العلماء إلا حيث كان متوجّهاً نحو الشريعة، قائماً بها، حاكماً بأحكامها جملةً وتفصيلاً، فإذا خالف ذلك في شيء من أقواله أو آرائه لم يؤخذ به، فإن من أخذ بشواذ الأقوال ونوادير العلماء اجتمع فيه الشرُّ كلُّه، بل قال الأوزاعيُّ رحمه الله: "من أخذ بنوادير العلماء ففيه الحجر"<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، واستقيموا على أمره وشرعه، وقوموا بما فرض عليكم من الحقوق لعلمائكم، فإن العلماء هم أفاضل الأمة وخيارها.

❖

(١) "شعب الإيمان" (١٧٧٨).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اعلموا أن حاجتكم إلى العلماء فوق كل حاجة، فهم والله مصابيح الدجى

وعلامات الهدى

فلولا هم كانت ظلاماً بأهلها ولكن هم فيها بدورٌ وأنجمٌ<sup>(١)</sup>

فالعلماء في الناس كالشمس للدنيا والعافية في الناس، فما لهم من خَلْفٍ ولا عنهم من عَوْضٍ، فالناس لا يعرفون كيف يُعبدُ الله إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تحيّر الناس ودرَسَ العلمُ بموتهم وظهر الجهلُ، ففي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا)<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وبادروا بأخذ العلم عن أهله قبل ذهابه، فإن ذهابه بذهاب حَمَلَتِهِ، فأقبلوا أيها المؤمنون، أيها الشباب، يا طلاب العلم، أقبلوا على العلوم النافعة، خذوا العلم عن الأكبر، واجتهدوا في ضبطه وحفظه، ووفِّروا أوقاتكم عليه، واصبروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.

(١) انظر " متن القصيدة الميمية " لابن القيم.

(٢) أخرجه البخاري (٩٨)، ومسلم (٤٨٢٨).

أيها المؤمنون.

إن طلب العلم وتحصيله وأخذه من أهله من أفضل القربات وأجل الطاعات، لا سيما في هذه الأوقات المتأخرة، التي فشا فيها الجهل بين الناس، وعظمت فيه الحاجة إلى العلماء الربانيين، الذين يبلغون رسالات الله وشرائعه، فإذا قصرت منزلة أحدكم عن تحمّل هذه الأمانة العظمى، فلا أقل من مجالسة أهل العلم والإفادة منهم، فإن صلاح القلوب في مجالستهم، وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "إن من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم"<sup>(١)</sup>.

اللهم فقهنا في الدين وعلّمنا التأويل، ربنا زدنا علماً وفقهاً ورشداً وصلاحاً.

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً.

اللهم ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين

آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم وفق علماء المسلمين في كل مكان إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

اللهم أعنهم ووفقهم وسددهم وألهمهم رشدهم وقهم شر أنفسهم.



(١) جامع بيان العلم وفضله ٢٥١/١.

## ٤٠ - قصة موسى عليه السلام

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله، عباد الله، واعتصموا بحبله المتين وكتاب المبين، فإن الله أنزل عليكم الكتاب العظيم لتتدبروا آياته، وتعتبروا بقصصه، فإنه كتاب عظيم، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى قصص عليكم في كتابه العظيم قصصاً كثيرة، فيها عبرٌ وعظات، وكان من أعظم ما قصه الله علينا نبأ موسى وفرعون، فهي أعظم قصص الأنبياء، التي تُذكر في القرآن، ثناها الله أكثر من غيرها، وذكرها في سور عديدة ليتنفع منها أولو الألباب. عباد الله، أيها المؤمنون.

إن مجمل ما ذكره الله في كتابه من نبأ موسى وفرعون أن فرعون -ملك مصر- علا في

(١) سورة يوسف (١١١).

الأرض، وجعل أهلها شيعاً، يستضعف طائفة منهم، هم بنو إسرائيل، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، علا عليهم فرعون، وتسلط، يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، فكان من أعظم المفسدين في الأرض، والله لا يصلح عمل المفسدين، فأخرج من هؤلاء المستضعفين، من يبين لفرعون سوء عمله، وضلال سعيه، فبعث الله موسى عليه السلام، فأوحى إليه وكلمه، وناداه: أن يا موسى، إني أنا الله رب العالمين، وأمدّه سبحانه بالآيات، والسلطان المبين، وشدّ عضد موسى بأخيه هارون، فجعله نبياً من الصالحين، ثم أرسله - جلّ شأنه - إلى فرعون ليدعوه إلى رب العالمين، فقال فرعون مستكبراً معانداً: وما رب العالمين؟ فأجابه موسى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فقال فرعون عدو رب العالمين لقومه: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فرد عليه موسى معرفاً له بالله رب العالمين: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فقال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٤)</sup> فأجابه موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup> و ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(٥)</sup> و ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ

(١) سورة الدخان (٧).

(٢) سورة الشعراء (٢٦).

(٣) سورة الشعراء (٢٧).

(٤) سورة الشعراء (٢٨).

(٥) سورة طه (٥٠).

فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿١﴾ .

فلما انقطعت حجة فرعون، وبان له من هو رب العالمين؟ هدد موسى عليه السلام فقال: ﴿لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾<sup>(١)</sup> فقال له موسى ليقطع حجته، وقيم البرهان على صدق ما يقول: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فأراه من الآيات ما فيه بلاء مبين، فلما جاءتهم آيات رب العالمين قالوا: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٣)</sup> (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿٤﴾ ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup> .

فأصر فرعون وقومه على الكفر بالله رب العالمين، واستكبروا استكباراً، فأغضبوا الله، رب المشرق والمغرب، رب العالمين، فأوحى إلى موسى ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴿٦﴾ - أي: موسى وقومه - ﴿لَشَرِّ ذِمَّةٍ قَلِيلُونَ﴾<sup>(٦)</sup> أي: جماعة قليلة ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ (٥٦) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ ﴿٧﴾<sup>(٧)</sup>، فعبأ فرعون ملك مصر جيشه، وجهز جنده لملاحقة موسى ومن معه من المؤمنين، فخرج فرعون وقومه من مصر، أرض الجنات والعيون والكنوز والمقام

(١) سورة طه (٥٣-٥٤).

(٢) سورة الشعراء (٢٩).

(٣) سورة الشورى (٣٠).

(٤) سورة النمل (١٣-١٤).

(٥) سورة الأعراف (١٣٢).

(٦) سورة الشورى (٥٢-٥٦).

الكريم، لقتل موسى ومن معه؛ بغياً وعدواً، فأدرکہم فرعونُ عند البحر ﴿٦١﴾ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٢﴾؛ أي: سيدرکنا فرعون وقومه، فقال موسى - وقد وثق بوعد رب العالمين - قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿٦٣﴾، فجاءه الوحي من رب العالمين ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٦٤﴾؛ أي: كالجبل العظيم، وسار موسى وقومه على ما فُتِح لهم في البحر من طرق، وسلكوا ذاك الشق العظيم، فلم يرتدع فرعون عن غيِّه، بل مضى وسار بقومه، فسلكوا هذا الطريق، ولم يؤمنوا بالله رب العالمين، رب موسى وهارون، فلما تَوَسَّطُوا بين جبال الماء أطبق الله عليهم الماء، فأغرقوا أجمعون ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ﴿٦٦﴾ بما كان يكفرون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ﴿٦٧﴾ إلى يوم يبعثون ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ

(١) سورة الشعراء (٦١).

(٢) سورة الشعراء (٦٢).

(٣) سورة الشعراء (٦٣).

(٤) سورة الدخان (٢٦).

(٥) سورة غافر (٤٥).

(٦) سورة غافر (٤٦).

(٧) سورة النحل (١١٨).

رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ. وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١﴾.

فلا إله إلا الله، الملكُ الحقُّ المبينُ، ينصر عباده المؤمنين، وينتقمُ من الظالمين المكذابين، فالحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى، واعتبروا بمصارع الغابرين، وحسن عواقب الصالحين، فإن الله قصّ عليكم هذه القصص لعلكم تتفكرون، وعن الشر تنزعون، وعلى الطاعة تقبلون، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون.

عباد الله..

إن نصر- الله لأهل الحق آتٍ لا محالة، ولكن الله تعالى شرط لنصره شروطاً، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَالْعَصْرِ- (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ- (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن هذه أمتكم أمة واحدة، فما ذكره الله من نصر رسوله السابقين، وأوليائه الصالحين، هو نصر لأهل الإسلام، في كل زمان ومكان؛ ولهذا فإن النبي ﷺ صام اليوم العاشر من محرم؛ شكراً لله تعالى أن نصر موسى على فرعون فيه، فإن النبي ﷺ لما قدم إلى المدينة

(١) سورة محمد (٧).

(٢) سورة العصر (١-٣).

وجدَ اليهودُ يصومون هذا اليومَ، فسألهم عن سببِ صيامِهِم؟ فقالوا: يومٌ صالحٌ، نَجَّى اللهُ فيه موسى وقومَه، وأهلك فرعونَ وقومَه، فقال ﷺ: «أنا أولى بِمُوسَى مِنْهُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ»<sup>(١)</sup>.

فصوموه أيها المؤمنون؛ شكراً لله ربِّ العالمين، واتباعاً لسنةِ محمدٍ خاتم النبيين ﷺ، وقد سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن صيامِ عاشوراء؟ فقال ﷺ: «يَكْفُرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَةَ»<sup>(٢)</sup>.

فصوموه أيها المؤمنون، واحتسبوا الأجرَ فيه عندَ الله تعالى، واعلموا أن من السُّنَّةِ أن يصامَ معه التاسعُ لقوله ﷺ: «فَإِنْ كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صَمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ»، قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُؤْفِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٧)، ومسلم (٢٧١٤)، وهذا لفظ البخاري، من حديث ابن عباس ؓ.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة ؓ.

(٣) أخرجه مسلم (١١٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

## ٤١- مبدأ التاريخ الهجري، وخطورة تركه فضل المحرم وعاشوراء

### الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله حقَّ تقاته، بامثال أوامره واجتناب زواجره، فإنها وصيته تعالى للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الله - جلَّ ذكره - خلق الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، لحكم عديدة، وفوائد كثيرة، ذكرها الله تعالى مثورة في كتابه الحكيم، في أماكن متفرقة.

فمن تلك الحكم والفوائد: أن يعلم الناس من اختلافها وتعاقبها وسيرهما في منازلها عدد السنين والحساب، وتغير الفصول والبروج، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ

(١) سورة النساء: ١٣١.

وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١﴾، وقال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢)، وقال في ذلك: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (٣)، فجعل تعالى معرفة السنين والشهور مستفادةً من سير القمر، وتنقله في منازل، وذلك من نعم الله على عباده ورحمته بهم؛ إذ إن ظهور هذه العلامة في السماء، مشاهدٌ مبصرٌ، لا يحتاج إلى حساب ولا كتاب، بل يميزه، ويعرفه الصغير والكبير، والحاضر والباد، بخلاف سير الشمس، فإن معرفتها تحتاج إلى حساب وكتاب، وفي ذلك عسرٌ ومشقةٌ، فالحساب لا يعرفه إلا الأقلون من الخلق؛ إذ إن ذلك أمرٌ غائبٌ، لا يُشاهد.

ولما كانت هذه الشريعة مبنيةً على اليسر والسهولة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٤)، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٥)، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٦)، جعل الله الحساب الشرعي، الذي

(١) سورة الإسراء: ١٢.

(٢) سورة يونس: ٥.

(٣) سورة البقرة: ١٨٩.

(٤) سورة الحج: ٧٨.

(٥) سورة المائدة: ٦.

(٦) سورة البقرة: ١٨٥.

ترتبط به عباداتُ الناسِ، مبنياً على سيرِ القمرِ، قال اللهُ تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾<sup>(١)</sup>، فهذه الآية العظيمة التي يشاهدها الناسُ في سائرهم، يبدو الهلالُ صغيراً في أوّلِ الشَّهرِ، ثم يتزايدُ إلى التمامِ في نصفه، ثم يشرعُ في النقصِ والاضمحلالِ إلى الغيابِ والزوالِ في آخرِ الشهرِ، وهكذا دواليك، بها يعرفُ الناسُ مواقيتَ عباداتهم، من الصيامِ والحجِّ وأوقاتِ الزكاةِ والكفاراتِ، وغير ذلك من السننِ والمكتوباتِ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّا أُمَّةٌ أَمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا»<sup>(٢)</sup>؛ يعني: مرة تسعةً وعشرين، ومرة ثلاثين، كما قال رسول الله ﷺ: «الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً، فَلَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ»<sup>(٣)</sup>.

فجعل اللهُ المرجعَ في الفطرِ والصيامِ إلى رؤيته.

واعتبارُ الأهلةِ في العباداتِ هي الشريعةُ التي جاءَ بها الأنبياءُ جميعاً، ولكن اليهودُ

والنصارى حرّفوا ذلك<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون.

(١) سورة البقرة: ١٨٩.

(٢) أخرجه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٧)، ومسلم (١٠٨٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٧٤/١.

لقد كانت العربُ في جاهليّتها تؤرِّخُ بأيامها وأحداثها الكبارِ، ووقائعها العظامِ، واستمرَّ ذلك في حياة النبي ﷺ، وخلافة أبي بكرٍ الصديق ﷺ، وأوائلِ خلافة عمرَ الفاروقِ ﷺ، ثم إنه مع اتساعِ الخلافةِ توافرت أسبابُ البحثِ عن تأريخِ، يعمل به المسلمون، يجتمعون عليه، فجمعَ عمرُ الناسَ سنةَ ستةَ عشرةَ أو سبعةَ عشرةَ من الهجرة، فشاورهم من أين يبدأ التأريخُ؟ فقال بعضهم: من بعثِ النبي ﷺ، وقال آخرون: من متوفاه، فقال عمرُ ﷺ: من خروجه من مكةَ إلى المدينة، فاتفقوا على ذلك، ثم إنهم تشاوروا في أيِّ شهرٍ تبدأ السنةُ، فاتفقوا على أن يكونَ شهرُ الله المحرمُ هو أولَ الشهرِ في السنةِ.

وقال بعضُ أهلِ العلمِ: إن الصحابةَ ﷺ أخذوا التأريخَ بالهجرة من قول الله

تعالى: ﴿لَسَجِدُ أَسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن من أمرٍ، فقد استقرَّ هذا التأريخُ في أمة الإسلام، منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا، وأصبح التأريخُ بالهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة، كما تميّزت به أمة الإسلام عن غيرها من الأمم.

إذا قامت الدنيا تعدُّ مفاخرًا      فتاريخنا الوضاء من الهجرة ابتدا

فلما دبَّ إلى الأمة داءُ الوهنِ والضعفِ، وأصابها العجزُ والكسلُ، وتسلبت عليها أعداؤها المستعمرون، وأذناهم المنافقون، فمزقوها شرَّ ممزقٍ، كان من جملة ما ذهب من معالمِ شخصيتها، وأعلامِ تميّزها التأريخُ العربيُّ الإسلاميُّ الهجريُّ، فاستبدل كثيرٌ

(١) سورة التوبة: ١٠٨.

من أبناء الأمة الذي هو أدنى بالذي هو خير، فغدا التاريخ الهجري الإسلامي مجهولاً مغموراً، وأصبح التاريخ النصراني الإفرنجي مشهوراً معروفاً.

وقد ترتب على هذا التبديل مفاسد كثيرة منها:

عزل أبناء الأمة عن تاريخهم وأجدادهم وأسلافهم، وسالف حضارتهم وعزهم، ولا يرتاب عاقل أن الأمة لا تستطيع أن تصنع مستقبلها، ولا أن تصلح واقعها، إلا من خلال دراستها لتاريخها ومعرفتها به، فبقدر ما تكون الأمة واعية بماضيها، محيطاً بتاريخها، حريصة على الإفادة منه، بقدر ما تسمو شخصيتها، وتدرك غايتها، وتعرف سبيل الوصول إلى بغيتها.

فالأمة المعزولة عن تاريخها أمة قريبة الجذور، سريعة الاجتثاث والأفول، لأدنى عارض، ولأدهى عائق؛ ولذا حرص الأعداء بشتى صنوفهم، الكافرون المشركون، والمنافقون العلمانيون على عزل الأمة عن تاريخها، وسلكوا لذلك طرائق قديماً، كان منها، بل من أبرزها تغييب التاريخ العربي الإسلامي الهجري.

ومن مفاسد الاعتماد على التاريخ الإفرنجي، وجعله هو الأصل في حياة الأمة وتعاملاتها: ضياع كثير من الشعائر التبعديّة، والمعالم الشرعية، فلا يدري المسلم -على سبيل المثال- متى الأيام البيض، التي رغب النبي ﷺ في صيامها؟ ولا يعرف ما هي الأشهر الحرم، التي أوجب الله على المؤمنين احترامها وتعظيمها؟ ولا يعلم ما هي أشهر الحج، التي يقع فيها الحج؟ وغير ذلك من العبادات.

ومن مفاسد التاريخ بتاريخ النصراني الميلادي، وجعله أصلاً في ذلك: الوقوع في الإثم العظيم، والذنب الكبير، الذي نهى الله ورسوله عنه، وهو التشبه بالكفار،

وتقليدُهم والتبعيةُ لهم، ففيه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى»<sup>(٤)</sup>.

وقد نهى العلماء رحمهم الله عن تسمية الشهور بالأسماء الأعجمية، روي ذلك عن مجاهد وأحمد وغيرهما، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الخطابُ بها من غير حاجة في أسماء الناس والشهور كالتواريخ ونحو ذلك، فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب، وأما مع العلم به، فكلام أحمد بين في كراهته أيضاً"<sup>(٥)</sup>.

فالتأريخُ بتاريخِ النصارى الميلادي لا يجوزُ إلا لحاجةٍ، أو تبعاً للتاريخ الهجري. فاحرصوا - بارك الله فيكم - على المحافظة على معالم شخصية أمتكم، وإياكم إياكم، والتشبه بأعداء الله، من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين والعلمانيين وغيرهم، فإن الله قد حذرکم من ذلك غاية التحذير، فقال جل ذكره: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) سورة الأحزاب: ١.

(٣) تقدم تخريجه في ص (١١٣).

(٤) تقدم تخريجه في ص (١١٣).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٦٤/١.

(٦) سورة المائدة: ٥١.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾<sup>(١)</sup>، فقد جعل الله تعالى الليل والنهار يتعاقبان، فيخلف كل واحد منهما الآخر، لمن أراد أن يذَّكر - أي: يستدرك مافاتَه من عملٍ - هذا مع كثرة تكرر هذا التعاقب، وقُربِ زمانه، فكيف أيها الإخوان بتعاقبِ الشهور وتوالي السنين؟! أليس ذلك مدعاةً للتذكُّر والتفكُّر والاستدراك؟

بلى والله، فهذه دعوةٌ لنا جميعاً، أن نتوبَ إلى الله تعالى، ونستدركَ مافات، فإنها الأعمالُ بالخواتيم.

فهل لك أن تمحو الذنوبَ بعبرةٍ وتبكي عليها حسرةً وتندمًا

وتستقبلَ العامَ الجديدَ بتوبةٍ لعلك أن تمحوَ بها ما تقدماً

أيها المؤمنون.

أنتم في شهرٍ عظيمٍ، شَرَّفَه اللهُ تعالى، وخصَّه دونَ سائرِ الشهورِ، بأن أضافه إليه، فاحفظوا حرمةَ هذا الشهرِ، فإنه من الأشهرِ الحُرِّمِ، التي قال الله تعالى

(١) سورة الفرقان: ٦٢.

فيها: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فبادروا عبادة الله بالأعمال الصالحة فيه، لا سيما الصيام، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم»<sup>(٢)</sup>.

شهر الحرام مباركٌ ميمونٌ والصومُ فيه مضاعفٌ مسنون

فأكثرُوا فيه من الصوم، فإن ضعفتُم عن ذلك، فلا يفوتنكم صيامُ يومِ عاشوراء -؛ أي: يوم العاشر منه - فإن فضيلته عظيمةٌ، وحرمة قديمةٌ، وكان النبي ﷺ يداومُ ويتحرى صيامه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن صوم يومِ عاشوراء؟ فقال: «ما رأيتُ النبي ﷺ يتحرى صيامَ يومِ فضله على غيره إلا هذا اليوم، يومَ عاشوراء، وهذا الشهر؛ يعني: شهر رمضان»<sup>(٣)</sup>.

وكان ﷺ يحثُّ عليه ويأمر به، فعن أبي قتادة رضى الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن صيام يومِ عاشوراء؟ فقال: «يكفر السنة الماضية»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة التوبة: ٣٦.

(٢) أخرجه أحمد (٨٠١٣)، وابن ماجه (١٧٤٢)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٠٦)، ومسلم (١١٣٢).

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٢).

وأما سبب صومه، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصومُ عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يومٌ صالحٌ، نجَّى اللهُ فيه موسى وبني إسرائيل من عدوِّهم فصامه، فقال: «أنا أحقُّ بموسى منكم، فصامه ﷺ وأمر بصيامه»<sup>(١)</sup>.

فهذا يومٌ أعزَّ اللهُ فيه أوليائه وأحبابه، وأذلَّ أعداءه وأعداءَ رسله؛ فلذا نحن نصومُه شكراً لله تعالى على ذلك، فنصرُ- موسى عليه السلام هو نصرٌ- لنا أمة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمن قال: لا إله إلا الله، وقام بتوحيدِ الله، وصدَّق رسله، ودعا إليه، فهو منَّا ونحن منه، مهما تباعد الزمان ونأى المكان ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبإحياءِ ذكرى ذلك النصرِ المجيدِ على ذلك الطاغيةِ الكبيرِ، نعلن أن الدعوات لا تهزم بالأذى والحربِ والاضطهادِ، فإن عاقبةَ الظلمِ وخيمةٌ، واللهُ ناصرٌ دينه، وكتابه وأوليائه.

تالله ما الدعواتُ تُهزمُ بالأذى أبداً، وفي التاريخِ برُّ يميني

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

(٢) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٣) سورة المؤمنون: ٥٢.

أيها المؤمنون.

إن من المعالم البارزة في شريعتكم مخالفة أعداء الله تعالى، وعدم التشبه بهم؛ لذا فإن النبي ﷺ حرص على مخالفة اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، في دقيق الأمر وجليله، ومن ذلك صيام عاشوراء، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال: «فإذا كان العام القابل إن شاء الله صمت اليوم التاسع»<sup>(١)</sup>، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ.

فصوموا أيها المؤمنون اليوم العاشر من هذا الشهر، وصوموا اليوم التاسع، كما هم نبيكم ﷺ أن يفعل ذلك.



(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٣).

## ٤٢- نبأ الهجرة

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، وقد خصه الله تعالى بفضائل كثيرة، ومناقب عديدة، بزَّها الأولين والآخرين، ومن أعظم ما يظهر هذه الفضائل، ويبيد تلك المناقب والخصائص سيرته الطيبة ﷺ، فسيرته من أكبر دلائل فضله وعلامات صدقه، فهي آية من آيات صدق رسالته ونبوته، قال ابن حزم رحمه الله: "فهذه السيرة العظيمة لمحمدٍ لمن تدبرها، تقتضي تصديقه ضرورةً، وتشهد له بأنه رسول الله حقاً، فلو لم تكن له معجزةٌ غيرُ سيرته لكفى" (١).

كيف لا؟ وسيرته وسنته وأيامه هي التطبيق العملي لدين الإسلام، فهي من أعظم ما يعين على فهم الشريعة، وسيرته من أسباب زيادة محبته والإيمان به ﷺ، فذكره وذكر سيرته ﷺ يحيي القلوب، ويداويها من أسقامها وعِللها، وقد أجاد من قال:

إِذَا مَرَضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمْ  
وَنَتْرِكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَتَكَسَّرُ

(١) جوامع السيرة (٢).

وسيرته ﷺ عند العلماء والأولياء ليست قصة تُتلى، ولا قصائد تُنشد، ولا مدائح تنسج، بل هي سنة يستنُّ بها أولو الألبابِ والنهَى، وبها تُوزنُ الأقوال والأعمال والرجال، وهذا بعض ما جعلَ السلفَ -رحمهم الله- يحتفون بسيرة النبي المختار، ويخصونها بالكتبِ والمؤلفات.

أيها المؤمنون.

إن السيرة النبوية المطهرة حافلةٌ بالعبيرِ والدروسِ، مليئةٌ بالأحداثِ الكبارِ والأخبارِ العظامِ، ومن تلك المناراتِ البيضاء، والأحداثِ الكبارِ، التي غيرت مجرى التاريخِ البشري، وحولت وجهه، وأشرقت الأرض بنورها، ضياءً وابتهاجاً، حدث هجرته ﷺ، من مكة البلد الحرام إلى طيبة، مدينة الأنصارِ، وإيكم طرفاً من نَبَأِ تلك الحادثة المعظمِ، وذلك التاريخِ المجيد:

قال أصحابُ السَّيْرِ: لما بلغ ضيقُ قريشٍ بالنبيِّ ﷺ ودعوته منتهاه استقرَّ رأيُ قريشٍ، بعد المشاورةِ والمداولةِ على قتله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، أتاه جبريلُ وأخبره الخبرَ، وقال: لا تَبِتْ هذه الليلةَ على فراشِكَ، فإن الله يأمرك بالهجرة، فخرج رسولُ الله ﷺ، وقد اختارَ لصُحبته صديقَ هذه الأمةِ وأفضلها بعد نبيها، أبا بكر الصديق ﷺ، فلحق رسولُ الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبلِ ثور، فكنا فيه ثلاثَ ليالٍ، بييت عندهما عبدُ الله ابنُ أبي بكر وهو غلامٌ شابٌ ثَقِفٌ، فدلج من عندهما بسحرٍ،

فيصبح مع قريش بمكة، كَبَّاتٍ فيها، لا يسمعُ شيئاً مما يكيده الكفارُ لرسولِ الله، إلا وعادَ ليخبره بذلك، يفعلُ ذلكَ كلَّ ليلةٍ في تلكَ الليالي الثلاثِ، فطفقَ المشركونَ يرصدونَ الطرقَ، ويفتتِشونَ كلَّ مهربٍ، ينقبونَ في جبالِ مكةَ وكهوفِها، حتى وصلوا إلى قريبٍ من الغارِ، فأخذَ الروعُ من أبي بكرٍ كلَّ مأخذٍ، ورسولُ الله ﷺ يقول: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»<sup>(١)</sup>، وذلك ما قصه اللهُ تعالى في كتابه: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٢)</sup>، فأعمى اللهُ أعينَ الكفارِ عن نبيِّه وصاحبه، فلما مَضَتِ الليالي الثلاثُ، وحمدَ حماسُ المشركينَ في الطلبِ، جاء عبدُ الله بن أبي أريقط، فارتحلَ معه النبيُّ ﷺ وصاحبه، قاصداً المدينةَ النبويةَ، غيرَ أن قريشاً ساءها أن تخفقَ في استرجاعِ محمدٍ ﷺ وصاحبه، فجعلت ديةَ كلِّ واحدٍ منهما جائزةً لمن يجيءُ بهما حيَّين أو ميتين، وقد أغرى هذا العطاءُ السخِيُّ عدداً غيرَ قليلٍ من شبابِ العربِ، فجدُّوا في طلبِ النبيِّ ﷺ وصاحبه، وركبوا المخاطرَ، وتملَّوا المشاقَ، وكان من أولئك الشبانِ سراقَةُ بنُ مالكِ بنِ جعشم، فخرجَ في طلبِ الرسولِ ﷺ.

واسمعوا أيها المؤمنون إلى نبأ ما جرى لسراقَةَ نفسه، قال ﷺ: بينما أنا جالسٌ في مجالسِ قومي بني مدلجٍ، إذ أقبلَ رجلٌ منهم حتى قامَ علينا، ونحن جلوسٌ، فقال: يا سراقَةُ، إني رأيتُ أسودةً بالسَّاحلِ أراها محمداً وأصحابه، قال سراقَةُ: فعرفت أنهم

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق ﷺ.

(٢) سورة التوبة: ٤٠.

هم، فقلت لهم: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً، ثم لبثتُ في المجلس ساعةً ثم قُمتُ، فدخلتُ فأمرت جاريته أن تخرجَ بفرسي، وهي من وراء أكمةٍ فتحبسُها عليّ، وأخذتُ رمحي فخرجت به من ظهرِ البيت، فركبتُ فرسي وانطلقتُ حتى قربتُ من رسولِ الله، فعثرتُ بي فرسي فخررت عنها، ثم قمتُ فامتطيت فرسي ثانيةً وزجرتها، فانطلقتُ فدنوتُ منهم حتى سمعتُ قراءةَ رسولِ الله ﷺ وهو لا يلتفتُ، وأبو بكرٍ يكثرُ الالتفاتَ، فلما قربتُ منهم ساختُ يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتُ الركبتين، فخررتُ عنها ثم زجرتها فنهضت، فلما زجرتها واستوتُ قائمةً، خرجَ لأثرِ يديها دخانٌ ساطعٌ في السماء، فناديتُهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتُهم، ووقعَ في قلبي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبسِ عنهم أن سيظهرُ أمرُ الرسولِ ﷺ، فأخبرتُ رسولَ الله خبرَ الناس، وعرضتُ عليه الزادَ والمتاعَ، فقال: لا حاجةَ لنا، ولكن أخفِ عنا الطلبَ، فجعلت لا ألقى أحداً في الطلبِ إلا ردَّته، وقلت لهم: كفيتمكم هذا الوجه.

فسبحان مقلبِ القلوبِ!! خرجَ أولَ النهارِ جاهداً عليهما، وأمسى آخره حارساً لهما، وقد أعربَ سراقَةً في أبياتِ قالها عن سرِّ هذا الانقلابِ، مخاطباً أبا جهل لما عاتبه على ما فعل:

أبا حَكَمٍ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ شَاهِدًا	لأمرِ جوادِي إذ تُسوخُ قوائمه
علمتَ ولم تشككْ بأنَّ محمداً	رسولٌ بـِرهانٍ، فمن ذا يقاومه
عليك بكفِّ القومِ عنه فإنني	أرى أمره يوماً ستبدؤُ معالمة <sup>(١)</sup>

أيها المؤمنون! لقد شاع خبرُ خروجِ النبي ﷺ من مكة في جوانبِ الصحراءِ، فعلم به

البدو والحضر، وكان ممن ترامت إليهم الأخبار، وطرقتهم الأنباء، أهل المدينة النبوية، فكانوا يخرجون يرتقبون وصول رسول الله ﷺ، ويتشوقون إلى مقدمه الكريم، ومطلعه البهي، كل صباح، يمدون أبصارهم وقلوبهم إلى حيث تنقطع الأنظار، يرتقبون مجيء رسول الله ﷺ فإذا اشتد الحر عادوا إلى بيوتهم يتواعدون الغد، وفي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، عام ثلاثة عشر من البعثة النبوية خرج المهاجرون والأنصار على عادتهم، ينتظرون الرسول ﷺ، فلما حميت الشمس رجعوا إلى بيوتهم، فما لبثوا أن سمعوا هاتف السعادة يصيح ويصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا صاحبكم قد جاء، هذا جدكم الذي تنتظرون، فارتجت المدينة تكبيراً، وليست طيبة حلة البهجة والشور، وخرج أهلها يستقبلون رسولهم الكريم، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، فخرجوا للقائه فتلقوه، وحيوه بتحية النبوة، فأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، فبنى ﷺ مسجد قباء أولاً في بني عامر وبني عوف، وهذا أول مسجد أسس بعد النبوة، ثم نزل بعد ذلك في بني النجار أخواله بتوفيق من الله، ثم بنى مسجده حيث بركت الناقة، وأخى بين المهاجرين والأنصار، وغدت طيبة بمقدم رسول الله ﷺ عاصمة الإسلام، ودار الهجرة، الغرة لأهل الإيمان.

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى.



## الخطبة الثانية:

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون! هذا نبأ هجرة نبيكم ﷺ، وقد سمعتم طرفاً منه، وهو نبأ عظيم، بدا فيه كثيرٌ من العبرِ والعظات، التي من أبرزها وأظهرها بديعُ صنعِ الله تعالى لدينه وأوليائه وحزبه، رغم شدة كيد الأعداء ومكرهم وخصومتهم، فإن أعداء الله ورسوله مكروا مكرًا كَبَّارًا، فكادوا لرسولِ الله ﷺ، وهموا بقتله لإطفاء نورِ رسالته وإزهاقِ دعوته، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فأفسد الله كيدهم، وخيب مكرهم، وقلب عليهم أمرهم، فكانت الهجرة المباركة التي جعلها الله فتحاً ونصراً للإسلام وأهله، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فأخرج الله رسوله من دار الأذى والمحنة إلى دار العزِّ والمنعة، فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

أيها المؤمنون! إن أعداء الله تعالى مها بلغوا من القوة في المكر، والشدة في الكيد، والرصانة في التخطيط، لإطفاء نورِ الله تعالى وتعذيب وإبادة أوليائه وأحبابه، فإنهم لن

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

(٢) سورة التوبة: ٤٠.

يغيروا سننَ اللهِ الثابتة، ولا وعودَه الجازمةَ بنصرِ أوليائه وأحبابه، فاللهُ غالبٌ على أمره، ولكن أكثرَ الناسِ لا يعلمون، واللهُ تعالى من ورائهم محيطٌ، ومكرهم عندَ اللهِ جَلٌّ ذكْرُه، كما قال سبحانه: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفًا وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ووعده الذي لا يخلفه هو ما ذكره في قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فعلى أولياءِ الله تعالى في كلِّ عصرٍ ومصرٍ أن يصبروا، لا سيما في هذا الوقتِ العصيبِ، الذي اشتدَّ فيه أذى أعداءِ الملة، من اليهودِ والنصارى والمشركين والمبتدعين، والمنافقين والعلمانيين وغيرهم للإسلامِ وأهله، وعليهم أن ينتظروا الفرجَ من الله تعالى، فإن المكرَ مهما أُحكمت أساليبه، وتوالت خطوبه، واشتدت قوته، فإنه لا يقومُ لمكرِ الله تعالى وكيدِه، كما قال جلَّ ذكرُه عن أعدائه: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾<sup>(٣)</sup>، وكما قال: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن هذا الشهرَ -ربيعاً الأول- كان محلاً لأحداثٍ كبارٍ، غيّرت وجهَ التاريخ، ففيه وُلدَ الرسولُ ﷺ على قولٍ كثيرٍ من أهلِ العلم، وفيه وصلَ المدينةَ مهاجراً، وفيه توفي ﷺ.

(١) سورة إبراهيم: ٤٦-٤٧.

(٢) سورة المجادلة: ٢١.

(٣) سورة الرعد: ١٣.

(٤) سورة النمل: ٥٠.

وانقطع الوحي من السماء، وقد مضى السلف الصالحون، الذين هم بالكتاب والسنة مستمسكون على عدم تخصيص هذا الشهر بشيء، من الأعياد أو المناسبات أو الأفراح بمولد رسول الله ﷺ، أو هجرته، ولا بشيء من المآتم أو الأحزان لموته، وانقطع الوحي من السماء، بل مضوا -رحمهم الله- على عد هذا الشهر كغيره من الشهور، فلما ضُغِفَ إيمان الأمة بالله ورسوله، وهن استمسكها بهديه وسنته أحدث فئام من الجهال في المائة الرابعة من الهجرة أعياداً أو مناسبات، فاتخذوا مولد النبي ﷺ عيداً يحتفلون به، ويصنعون فيه الولائم، ويتلقون التهاني، وينشدون القصائد والمدائح الطافحة بالشرك والإطراء، الذي نهى الله عنه ورسوله، فخالفوا بهذه البدعة هدي الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، الذين هم أعمق إيماناً وأرسخ علماء وأعظم حُباً لرسول الله ﷺ، وتعظيماً مناً، فاحذروا عباد الله البدع والمحدثات، فإنها لا تزيدكم من الله إلا بُعداً، وقد كان النبي ﷺ في خطبه يقول: «فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد»<sup>(١)</sup>.

فاهجروا -بارك الله فيكم- البدع واستمسكوا بالسنن:

فخير الأمور السالفات على الهدى      وشر الأمور المحدثات البدع

✦

(١) أخرجه أحمد (١٣٩٢٤)، والنسائي (١٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه

## ٤٣ - الإسراء

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد .

فأوصيكم أيها المؤمنون بتقوى الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله واشكروه، على أن أسبغ عليكم نعمه، ظاهرةً وباطنةً، واعلموا عباد الله أن من أجل نعم الله عليكم أن جعلكم من أمة الإسلام، ومن أتباع خير الأنام، من أمة محمد ﷺ، الذي رفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره، فهو خليل الرحمن وسيد الأنام، صاحب المقام المحمود، والكوثر والحوض المورود، فنعمة الله عليكم به يا عباد الله أجل النعم، وأعظمها رحمةً وفضلاً، فليله الحمد على ذلك كثيراً كثيراً.

عباد الله، أيها المؤمنون.

إن الله تعالى قد اصطفى محمداً ﷺ، النبي الأمي، وخصه بخصائص عديدة، وفضائل

(١) سورة الحديد: ٢٨.

كثيرة، فاق بها الأولين والآخرين ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

فمن خصائصه العظيمة، وآياته المبينة، خبر الإسراء به ﷺ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى أولاً، ثم العروج به إلى السماء ثانياً، تلك الرحلة العجيبة، والآية العظيمة الباهرة.

فبينما رسول الله ﷺ نائم في الحجر، في الكعبة، قبل الهجرة، أتاه آت، فشق ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، ثم استخرج قلبه ﷺ فملاه حكمة وإيماناً، ثم أتى ﷺ بدابة بيضاء، يقال لها: البراق، يضع خطوه عند منتهى طرفه، فركب ﷺ ومعه جبريل، حتى أتيا بيت المقدس، فدخل المسجد فلقي الأنبياء جميعاً، فصلى بهم ركعتين، كلهم يصلي خلف محمد ﷺ، ثم خرج رسول ﷺ من المسجد الأقصى، فجاءه جبريل بإناء فيه خمر، وإناء من لبن، فاختر اللبنة، فقال له جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج به جبريل إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح له، فوجد آدم فسلم عليه ﷺ، فرد عليه السلام، وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح، ثم عرج به ﷺ إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل ففتح له، فرأى فيها النبى ﷺ عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهم، فرحبا به ودعيا له بالخير، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فإذا هو ﷺ بيوسف، وقد أعطي شطر الحُسن، فرحبا به ودعا له بخير، ثم عرج

به إلى السماء الرابعة، فإذا هو بإدريس عليه السلام، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فإذا هو بهارون فرحب به ودعا له، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فإذا هو بموسى فرحب به ودعا له بالخير، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فإذا هو بإبراهيم عليه السلام مُسِنِدًا ظهره إلى البيت المعمور، وهو بيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، ثم ذهب به ﷺ إلى سدرة المنتهى، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى إليه الله تعالى ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزل إلى موسى، فقال له: ارجع إلى ربك، فأسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فرجع ﷺ فوضع الله تعالى عنه عشرًا، وما زال يراجع حتى استقرت على خمس فرائض في اليوم والليلة، ثم نادى مناد: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، ثم عاد رسول الله ﷺ إلى فراشه قبل الصبح<sup>(١)</sup>.

عباد الله، كلُّ هذا النبأ العظيم، والأحداث الكبار، كانت في ليلة واحدة، فسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا اله إلا الله.

وعاد رسول الله ﷺ من ليلته، فلما أصبح في قومه أخبرهم بما أراه الله - عز وجل - من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له، وأذاهم إياه، وتعدّهم عليه ﷺ، فسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته ولا يستطيعون أن يردّوا عليه شيئًا، وكان أبو بكر رضي الله عنه كلّمًا قال ﷺ شيئًا قال: صدقت، أشهد أنك رسول

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧).

الله، وأخبرهم عن إبلهم في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، فكان الأمر كما قال، فلم يزدهم ذلك إلا نفوراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً.

أيها المؤمنون.

هذا خبر الإسراء بمحمد ﷺ، والعروج به إلى السماوات العلاء، آية وعبرة، ينتفع بها من أحيا الله قلبه بالعلم والإيمان، وأما الذين في قلوبهم مرض، فهم في ريبهم يترددون، وفي مثل هذه الأخبار يشككون، وصدق الله، ومن أصدق من الله قيلاً: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فاعتبروا يا أولي الأبصار، فقد ذكر الله في كتابه الإسراء، فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال الله تعالى في شأن المعراج: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ

(١) سورة التوبة: ١٢٤-١٢٥.

(٢) سورة الإسراء: ١.

(١٥) إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١﴾.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واعتبروا يا أولي الأبصارِ بما في هذه القصةِ من الآياتِ الباهراتِ،  
والمِنَّنِ الوافياتِ، فإن فيها ما يبهِّرُ العقولَ ويأسرُ الألبابَ، ويزيدُ الإيمانَ في قلوبِ  
المتقين من العبادِ.

أيها المؤمنون.

إن أبرزَ ما في هذه القصةِ: بيانُ عظيمِ منزلةِ هذا الرسولِ الكريمِ، عند اللهِ جل وعلا،  
فمحمدٌ ﷺ خليلُ الرحمنِ، فقد جعله اللهُ إماماً وبلغه منزلةً لم يبلغها أحدٌ من الأوّلين  
والآخريين، فبلغَ مكاناً سمِعَ فيه صريفَ الأقلامِ -؛ أي: صوتَ الأقلامِ- التي تكتبُ  
الأقدارَ، ورأى في معراجِهِ الجنةَ والنارَ.

وفي هذه الحادثةِ العظيمةِ إقرارُ جميعِ الأنبياءِ بنبوّةِ محمدٍ ﷺ، وبذلك يظهرُ وفاؤهم بما  
أخذَ عليهم من الميثاقِ.

وفي ليلةِ الإسراءِ والمعراجِ أظهرَ اللهُ فضلَ هذه الأمةِ، وأنها أمةُ الفطرةِ، ودينها دينُ  
الفطرةِ، فإنه ﷺ لما خيّرَ بين الخمرِ واللبنِ اختارَ اللبنِ، فسلامةُ الفطرةِ لبُّ هذا الدينِ  
«كل مولودٍ يولدُ على الفطرةِ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

(١) تقدم تخريجه في ص (٢٥٤).

في ليلة المعراج، وفي أشرف مكان، فرض الله على نبيه ﷺ الصلوات الخمس، فرضها على نبيه مباشرة، بلا واسطة، فدل ذلك على عظيم منزلة هذه العبادة، وعناية الله تعالى بها؛ فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على الصلوات، فإنه من لم يصل فقد قطع صلته بربه ومولاه، وسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون..

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فإذا جاء الخبر أو الحكم عن الله، أو عن رسوله ﷺ قابله بالتصديق والتسليم، بلا شك ولا ريبة، كيف لا وربّه -أيها المؤمنون- هو ربّ السماوات والأرض، الذي له الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله؟! فهو العليم الخبير القوي العزيز، ورسول الله ﷺ صادق أمين، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

فاحذر يا عبد الله أهل التشكيك، الذين يشككونك في أخبار الله ورسوله، وأحكام دينك، وليكن لك في صديق هذه الأمة أبي بكر ﷺ أسوة حسنة، فإنه لما جاءه أن رسول الله ﷺ يحدث بخبر الإسراء والمعراج قال بلسان صادق، وقلب ثابت، وإيمان راسخ: "إن كان قد حدثكم بذلك فهو صادق"، فرضي الله عنه وأرضاه.

(١) سورة المدثر: ٤٢- ٤٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

أيها المؤمنون.

هذه بعضُ الفوائدِ والعبرِ المستفادةِ من هذا الخبرِ، فالحمدُ لله على إحسانِهِ وامتنانِهِ، والشكرُ له على عظيمِ فضلِهِ وإحسانِهِ.  
عباد الله.

إن حادثةَ الإسراءِ والمعراجِ كانت قبلَ هجرةِ النبيِّ ﷺ إلى المدينة، وقد اختلف المؤرِّخون في تحديدِ السنةِ والشهرِ الذي وقعت فيه هذه الآيةُ العظيمةُ، منهم من قال: إنها في ربيعِ الأولِ، ومنهم من قال: إنها في ربيعِ الآخرِ، ومنهم من قال: إنها في رجبٍ، ومنهم من قال: إنها في رمضانَ، ومنهم من قال: إنها في شوالٍ، وليس على واحدٍ من هذه الأقوالِ دليلٌ صحيحٌ يعتمدُ عليه.

كما أنه يجب أن تعلموا يا عباد الله أنه ليس في ليلتها فضلٌ خاصٌّ، فلا تُخصَّصْ بقيامٍ ولا احتفالٍ، ولا بغيرِ ذلك، فإن هذا كله من البدعِ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وبهذا يتبينُ خطأُ الذين يحتفلون في ليلةِ السابعِ والعشرين من هذا الشهرِ، فوالله لو كان ذلك خيراً لسبقنا إليه الصحابةُ الكرامُ ومن تبعهم بإحسانٍ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، فإن خيرَ الهدى هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وعليكم بالجماعةِ، فإن الله مع الجماعةِ.

## ٤٤ - غزوة أُحُدٍ

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن أبرز خصائص وسمات هذه الأمة المباركة أنها أمة جهادٍ ومجاهدةٍ، فقد بعث الله فيها خاتم أنبيائه وآخر رسله، وأمره بدعوة الناس كافةً، وقتالٍ من خالف أمره، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصُّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»<sup>(١)</sup>.

وقد قام نبينا ﷺ بالجهادِ حقَّ القيامِ، فجاهدَ في الله حقَّ جهاده، بالقلبِ والجنانِ، والدعوة والبيانِ، والسيفِ والسنانِ، فكانت حياته موقوفةً على الجهادِ في سبيلِ الله؛ ولهذا كان أرفعَ العالمين ذكراً، وأعظمهم عند الله قدراً، وقد خاض بنفسه ﷺ كثيراً من المعارك، فأصيب ﷺ، وأصيب أصحابه رضي الله عنهم في بعضها، ثم كانت العاقبة لهم.

هُمُ الْعَصْبَةُ الْمَثَلِي وَلَوْلَا جِرَاحُهُمْ      لظَلَّ بَيْمُ اللَّيْلِ كَالْمَوْجِ عَاتِيَا وَلَوْلَاهُمْ  
أَوْلِيَّتُكَ أَتْبَاعُ النَّبِيِّ وَحِزْبُهُ      مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا

(١) أخرجه أحمد (٥٠٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٤٢).

ولولا هُم كانت ظلاماً بأهلها ولكن هُم فيها بدورٌ وأنجمٌ

فصلواتُ الله عليه وعلى أصحابه، الذين قاموا بالدِّينِ خيرَ قيامٍ.

أيها المؤمنون.

إن من المعارك التي خاضها النبي ﷺ بنفسه غزوة أحد، التي كانت محلاً لأحداثٍ كبارٍ ودروسٍ وعبرٍ عظامٍ، فهي فيأضةٌ بالعظايتِ الغوالي، والمواعظِ القيِّمة، أنزل الله فيها آياتٍ طواً، وإليكم أيها الإخوة عرضاً موجزاً سريعاً لأحداثِ هذه الواقعة:

قد كانت هذه الغزوةُ في شوال، من السنة الثالثة من الهجرة؛ أي: بعد تلك الهزيمة النكراء، التي لحقت بالمشركين يوم بدرٍ، يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، فلم يقرّ لقريشٍ قرارٌ بعد تلك النازلة، فلما استدارت السنةُ خرجت قريشٌ وحلفاؤها، وانضمَّ إليهم كلُّ ناقيمٍ على الإسلامِ وأهله، فخرج الثائرون في عددٍ يربو على ثلاثة آلاف مقاتلٍ، فوصلوا مشارفَ المدينة، قريباً من جبلٍ أحد، فاستشارَ النبي ﷺ أصحابه يوم الجمعة في الخروج، فخرج إليهم بنحو ألفٍ مقاتلٍ، فما لبث رأسُ النفاق عبدُ الله بنُ أبي أن انخذل بثلثِ العسكرِ، ورجعَ إلى المدينة، فتعباً رسولُ الله ﷺ للقتالِ، وعباً من كان معه من الصحابةِ ورثبَ الجيشُ، فجعلَ عبدُ الله بنُ جبيرٍ ﷺ على الرماة، وكانوا خمسين رجلاً، وقال لهم: احموا ظهورنا، وأمرهم أن يثبتوا مكائهم، فكانت الدولةُ أولَ النهارِ للمسلمين على الكفارِ، فانهم أعداءُ الله ورسوله وولوا مدبرين، حتى انتهوا إلى نساءهم، فلما رأى الرماةُ هزيمةَ المشركين، ونصرَ المؤمنين، ولاحت الغنائمُ، ثارَ في نفوسِ بعضهم حبُّ الدنيا، فغادروا مواقعهم، ييغون الغنائمَ والأسلابَ، وتركوا مراكزهم التي أمرهم رسولُ الله ﷺ بحفظها، وقالوا: يا قوم، الغنيمةُ، فذكَّروهم أميرهم

عهد رسول الله ﷺ فلم يسمعوا، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة، فأخلوا الثغر، فكَّر فرسانُ قريشٍ لما رأوا الثَّغَرَ خالياً، فأحاطوا بالمسلمين، وأتوهم من حيث لم يحتسبوا، فارتبكت صفوفُ المسلمين، وانقلبت الكفَّةُ لصالحِ المشركين، وتلك الأيامُ نداؤها بينَ الناسِ، قد جعلَ اللهُ لكلِّ شيءٍ قَدْرًا، فقتلَ سبعون من الصحابةِ ﷺ، منهم حمزة، عمُّ رسولِ اللهِ ﷺ وأسدُّ اللهِ ورسوله ﷺ، فحزن المسلمون لذلك أشدَّ الحزنِ، حتى قال كعبُ بنُ مالكٍ ﷺ:

وما يغني البكاء ولا العويلُ	بكت عيني وحق لها بكائها
أحمزة، ذاكم الرجل القتلُ	على أسدِ الإلهِ غداة قالوا
هناك وقد أصيبَ به الرسولُ <sup>(١)</sup>	أصيب المسلمون به جميعاً

واشتدَّ الخطبُ على المسلمين في تلك المعركة، وخلصَ المشركون إلى رسولِ اللهِ ﷺ يريدون قتله، فجرحوا وجهه، وشجُّوا رأسه، وكسروا رباعيته، ورموه بالحجارة، وحصروه حتى وقع على شقِّه، وسقطَ في حفرةٍ من الحُفْرِ التي حفرها أبو عمر الفاسق، ونشبت حلقتان من حلَقِ المغفرِ في وجهه ﷺ، فانتزعهما أبو عبيدة حتى سقطت ثنيتاه، وحاول المشركون قتلَ رسولِ اللهِ ﷺ، فحالَ دونه نفرٌ قليلٌ من المسلمين، قُتلوا جميعاً، ثم جالدهم طلحةٌ ﷺ، حتى ردَّهم عن رسولِ اللهِ ﷺ، وحمى أبو دجانه رسولَ اللهِ ﷺ بظهره، فكان النَّبَلُ يقعُ على ظهرِ أبي دجانه ﷺ، وهو لا يتحرك، وصرخَ الشَّيطانُ - عدوُّ اللهِ ورسوله - بأعلى صوتِه: "إن محمداً قد قتل!"

(١) الحماسة البصرية (٨٣).

فاغتمَّ المسلمون لذلك غمًّا شديدًا، حتى ألقى بعضُ المسلمين السلاحَ، فمرَّ أنسُ بنُ النضرِ - رضي الله عنه على بعضِ هؤلاء، فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتِلَ رسولُ الله، فقال: ما تصنعون في الحياةِ بعده؟ قوموا، فموتوا على ما مات، ثم إنه استقبلَ المشركين رضي الله عنهم، ولقي في طريقه سعدَ بنَ معاذٍ رضي الله عنه، فقال: واهأ لريحِ الجنةِ، يا سعدُ، إني لأجدُ ريحها من دونِ أحدٍ، فقاتلَ حتى قُتِلَ رضي الله عنه، ووُجد به سبعونَ ضربةً.

فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحو المسلمين، فصاح سعدُ بن معاذٍ رضي الله عنه بأعلى صوته: يا معشرَ المسلمين، أبشروا، هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن اسكت، واجتمع إليه المسلمون، ونهضوا معه إلى الشعبِ، فأراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يعلو صخرةً هناك، فلم يستطع لما به، فجلسَ طلحةً تحته حتى صعدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ظهره، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْجِبَ طَلْحَةُ»، وحانت الصلاةُ وهم على هذه الحالِ، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه جالسًا، وقد أصابَ الإعياءُ الفريقين، فانحازَ كلُّ فريقٍ إلى معسكره، وركبت قريشُ الإبلَ، وجنبت الخيلَ مؤذنةً بالرحيلِ، فلما دنا الرحيلُ أشرفَ أبو سفيان وصرخ بأعلى صوته: أفيكم محمدٌ؟ فلم يجيبوه. فقال: أفيكم ابنُ أبي قحافة؟ فلم يجيبوه. فقال: أفيكم عمرُ بنُ الخطاب؟ فلم يجيبوه. فقال: أمَّا هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمرُ نفسه أن قال: يا عدو الله، إن الذين ذكرتهم أحياءٌ، وقد أبقى الله لك ما يسوؤك، فقال أبو سفيان: قد كان في القومِ مُثْلَةٌ - أي: تمثيل - لم أمر بها ولم تسؤني، ثم قال: أعلُّ هُبَلُ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبونه؟ فقالوا: ما نقولُ؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجلُّ، ثم قال: لنا العزَّى، ولا عزَّى لكم، فقال: ألا تجيبونه؟ قالوا: ما نقولُ؟ قال: قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم. فقال أبو سفيان: يومٌ بيومٍ بدرٍ، والحربُ سجالٌ، فأجابته

عمرٌ ﷺ فقال: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكُم في النار.

أيها الإخوة المؤمنون.

هذه لمحة موجزة سريعة، استعرضنا فيها طرفاً من أحداث تلك الوقعة، التي كان فيها من البلاء والمحنة والفرح والألم، ما وقفتم على شيء منه، وقد حفظته كتب السير، وذكره الله تعالى في كتابه في سورة آل عمران، قال الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم، والصحابة الذين كانوا معه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> إلى آخر تلك الآيات، التي قصَّ الله فيها ما نزل بالمسلمين، من النَّصَبِ وَالْوَصَبِ، فجزاهم الله عنَّا خيرَ ما جزى قوماً عن أمَّتِهِم.

سَلامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ  
لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ سَلامٌ يَخْصُهُ  
وَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَفَضْلٌ وَأَنْعُمٌ  
يَبْلُغُهُ الْأَوْفَى إِلَيْهِ وَيَنْعِمُ



(١) سورة آل عمران: ١٣٩.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إن هذه الواقعة غزوة أحد، فمع ما وقع فيها من الكوارث والتكبات، وما حوته من النوازل والأزمات، إلا أنه يصدق فيها قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فإن هذه الواقعة فيها من الدروس والعبر والمواعظ والحكم شيء كثير، ذكره الله تعالى في كتابه، عند ذكر هذه الغزوة، في سورة آل عمران، وإليكم بعض هذه الدروس:

فمن تلك العبر والدروس في غزوة أحد: ذلك الدرس الذي تجده ظاهراً في جميع فصول هذه الغزوة وأحداثها، ألا وهو الابتلاء، فإن ابتلاء الله تعالى للمؤمنين سنة ماضية وراسخة، فيه من الفوائد والحكم ما لا يحصل بالعافية والأمن، فعلى رغم أن البلاء في هذه الغزوة كان مريراً قاسياً، إلا أن الله عاتب بعض من استنكر ذلك، فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فمن ظن أن الجنة تحصل له بأبخس الأثمان، وأضعف الأعمال فقد أخطأ الحساب، إذ لا بد للجنة من مهر يقدمه العبد في هذه الدنيا، به يتميز الأولياء من الأعداء، فالبلاء يميز الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والبلاء يكشف عن

(١) سورة النور: ١١.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٢.

معادن الرجال، كما قال الأول:

### جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوي من صديقي

فإن الله لما ابتلى المسلمين بهذه النازلة، أبدى المنافقون رؤوسهم، وتكلموا بما كانوا يكتُمون، وظهرت مخبأئهم، وعاد تلويحهم تصریحاً، وانقسم الناس في هذه الغزوة إلى كافرٍ ومؤمنٍ ومنافقٍ، وعرف المؤمنون أن لهم عدواً في أنفسهم، فمأز الله بذلك الخبيث من الطيب، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾<sup>(١)</sup>، فعرف المؤمنون في هذه الغزوة ضعفهم، وبها عرفوا أعداءهم، وهذبهم بها، ومحّص قلوبهم، وجعلها سبباً لبلوغ منازل ودرجاتٍ، قضى- في سابق حكمه أنها لهم، قصرت عنها أعمالهم، فاتخذ منهم شهداء، كتب لهم أعلى المنازل، ورفعهم أعلى الدرجات، كما أن الله ﷻ هياً- بها حدث في هذه الغزوة، من البغي والعدوان على أولياء الله تعالى، وأحبابه وأصفيائه- هياً بذلك أسباب محق أعدائه، فإن الله إذا أراد أن يهلك أعداءه قيّض لهم الأسباب، التي يستحقون بها الهلاك والمحق، ومن أعظم هذه الأسباب -بعد الكفر بالله- بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه، وتفننهم في محاربتهم وقتالهم، والتسلط عليهم، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «من أذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب»<sup>(٢)</sup>، فإذا عتا أعداء الله على أوليائه وحزبه، فإن ذلك من أمارات وعلامات قرب محق الله لهم، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ

(١) سورة آل عمران: ١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾، وما تشهده الأمة اليوم، من تسلط الكفار وأشياءهم على حزب الله وأوليائه، ما هو إلا إحدى علامات قرب محق الله لهؤلاء المعتدين، فالحمد لله الحكيم العليم الخبير.

وعلى ورثة الأنبياء، من أهل العلم والدعوة وأهل الخير والصحة، أن يتقوا الله ويصبروا، فإن أجل الله قريب، وعليهم ألا يضجروا إذا أصابهم أذى، أو نزل بهم مكروه، فإن الله قد قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢﴾، وقد صدق القائل:

لعلَّ عُتْبَكَ محمودٌ عواقبه      وربما صحَّت الأجسامُ بالعللِ ﴿٣﴾.

والابتلاء مهما طالت مدته، وامتدَّ وقته، واشتدَّت كُربته، وتوالت أحداثه، وكثرت ضحاياه، فإن عاقبته أن يرتفع وينكشف، فإنه:

مهما دجا الليلُ فالتاريخُ أخبرنا      أن النهارَ بأحشاءِ الدجى يثبُ.

وينبغي لأولياء الله ألا يهنوا، ولا يذلُّوا لما نزل بهم، من كرب، أو حلَّ بهم من ضيم، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، لا يرفعها انكسارٌ عسكري، ولا يزيلها ضعفٌ آت،

(١) سورة آل عمران: ١٤٠-١٤١.

(٢) سورة المجادلة: ٢١.

(٣) شرح ديوان المتنبي (٢٤٨).

بل الأمر كما قال الله تعالى لأوليائه بعد انقضاء هذه المعركة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فإن ما أصابهم إنما هو في ذات الله تعالى، فعليهم أن يتجلّدوا لأعدائهم والشامتين بهم، كما قيل:

وتجلّدي للشامتين أريهم  
أني لريب الدهر لا أتضعع<sup>(٢)</sup>

وعلى أولياء الله أن يعلموا أنه إذا كان البلاء يصيب الرسل ومن معهم، مع صحّة إيمانهم، وصدق بذلهم، وعظيم جاههم عند الله تعالى، فأصابته لمن دونهم أولى وأحرى.

ومن الدروس الكبرى في هذه الواقعة: كشف سوء عاقبة المعاصي، وشؤمها على من قارفها، بل ويتعدّى ذلك إلى المجتمع، ولا شك أن شؤم المعصية سيئ قبيح، ويتضح هذا من خلال ما وقع من الرماة في هذه الغزوة، فإنهم لما خالفوا أمر رسول الله ﷺ عاقبهم الله بها سمعتم في الخطبة الأولى.

وقانا الله وإياكم شرّ أنفسنا، والهوى والشيطان.

❖❖❖❖❖❖

(١) سورة آل عمران ١٣٩ .

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. الحماسة المغربية (٨٠).

## ٤٥ - غزوة الأحزاب

## الخطبة الأولى

أما بعد.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فيا أيها المؤمنون! إن الله بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بين يدي الساعة بالسَّيْفِ، حتى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فجاهد ﷺ في الله حقَّ جهاده، بالقلبِ والجنانِ والدعوةِ والبيانِ والسيفِ والسنانِ، فكانت حياته كلها موقوفةً على الدعوةِ إلى الله، والجهادِ في سبيلِ الله، فكان ﷺ بذلك أرفعَ الناسِ ذكراً، وأعظمهم عند الله قدراً، فقاتل ﷺ وقوتل، وأصابَ وأصيبَ منه، هو وأصحابه رضي الله عنهم، فكان جهادهم، وكانت دماؤهم مشاعلَ نورٍ وهدايةٍ، أخرج الله بها كثيراً من الناسِ من الظلماتِ إلى النورِ.

هم العصبةُ المثلى ولولا جراحهم  
ولولا هم كانت ظلاماً لأهلها  
لظلَّ بهيمُ الليلِ كال موجِ عاتيا  
ولكن هم فيها بُدُورٌ وأنجمُ  
أيها المؤمنون.

إن من المعارك التي خاصَّها رسولُ الله ﷺ بنفسه غزوةَ الأحزابِ، التي قصَّ الله تعالى نبأها في كتابه، في سورةٍ سُمِّيَتْ باسمِ تلك الغزوةِ، وهي سورةُ الأحزابِ، أظهرَ الله سبحانه وتعالى فيها من عظيمِ قدرته، وبديعِ صنعِهِ، ولطيفِ فعلِهِ ونصرِهِ لأوليائه، وخذلانه لأعدائه، ما تطيبُ به قلوبُ المؤمنين المتقين، ففي السنةِ الخامسةِ من الهجرةِ

في شهرِ شوالٍ جاءت قريشٌ، ومن معها من الأحزابِ، على الصفةِ التي ذكرها الله تعالى في كتابه، حيث قال: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>؛ وذلك أن اليهودَ -عليهم لعنة الله- لما رأوا انتصارَ المشركين على أهلِ الإيمانِ يومَ أُحُدٍ، طمَعُوا في القضاءِ على الإسلامِ بالكليةِ، فانتشروا في أحياءِ العربِ، يحرِّضونهم على غزوِ رسولِ الله ﷺ ويؤلبونهم عليه، ويعدونهم بالمؤازرةِ والنصرِ، فاستجابت قريشٌ وغطفانٌ وغيرُها من قبائلِ العربِ لهم، فكان من وافى الخندقَ من الكفارِ عشرةَ آلافِ مقاتلٍ، يريدون أن يُطفئوا نورَ الله بأسيافهم، واللهُ يتمُّ نورَه ولو كره الكافرون، فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ بمسيرِهِم إليه استشارَ أصحابه، فأشارَ عليه سلمانُ الفارسيُّ ﷺ بحفرِ الخندقِ، ليحولَ بين العدوِّ وبين المدينةِ، فأمرَ النبيُّ ﷺ بحفرِ الخندقِ شماليَ المدينةِ، فبادرَ المسلمون إلى ذلك، وشاركهم النبيُّ ﷺ بنفسه في الحفرِ، فكان ينقلُ الترابَ يومَ الخندقِ، حتى اغبرَّ بطنُه، وهو يقول:

واللهِ لولا اللهُ ما اهتدينا  
ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا  
فأنزلنَّ سَكِينَةً عَلَيْنَا  
وثبَّت الأقدامَ إن لاقينا<sup>(٢)</sup>

وقد كان أيها المؤمنون في حفرِ النبيِّ ﷺ هذا الخندقِ، من آياتِ نبوتِه، وعلاماتِ رسالَتِه، ما ازداد بها المؤمنون إيماناً، فمن ذلك:

أن هذه الغزوةَ كان فيها من النَّصَبِ والجُوعِ ما لم يكن في غيرها، فاستمع إلى ما ذكره

(١) سورة الأحزاب: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٤)، ومسلم (٤٧٧١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

جابرٌ رضي الله عنه من نبأ تلك الغزوة، قال رضي الله عنه: «كنا يوم الخندقِ فعرضت كُديةً شديدةً، فأخبروا بها النبي ﷺ فقال: أنا نازلٌ، ثم قام وبطنه معصوبٌ بحجرٍ من شدة الجوعِ، فأخذ النبي ﷺ المعولَ فضربَ في الكُديةِ فعاد كَثيباً أهيلَ، فقلت: يا رسولَ الله، ائذن لي إلى البيتِ؟ فقلت لامرأتي: رأيتُ بالنبي ﷺ شيئاً ما كان لي في ذلك صبرٌ، فعندك شيءٌ؟ فقالت: عندي صاعٌ من شعيرٍ، وعناقٌ - وهي الصغيرُ من المعزِ - فذبحت العناقَ، وطحنت الشعيرَ، حتى جعلنا اللحمَ بالقدرِ، فجئتُ النبي ﷺ فقلت: يا رسولَ الله، طَعِمَّ لي، فقم أنت يا رسولَ الله، ورجلٌ أو رجلانِ قال: كم هو؟ فذكرتُ له، فقال: كثيرٌ طيبٌ، فدعا النبي ﷺ المهاجرينَ والأنصارَ، وقال: ادخلوا ولا تراحموا، فجعلَ يكسرُ. من هذا الخبزِ، ويجعلُ فيه شيئاً من اللحمِ، فما زالَ كذلك حتى شبعَ المهاجرونَ والأنصارُ، وبقي بقیةٌ من ذلك الطعامِ، فقال: كُلِي هذا، وأهدي، فإن الناسَ أصابتهم مجاعةٌ»<sup>(١)</sup>.

ومن الآياتِ أيها المؤمنون التي ظهرت في حفرِ هذا الخندقِ: ما أخرجه الإمامُ أحمدٌ عن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه قال: «أمرنا رسولُ الله ﷺ بحفرِ الخندقِ قال: وعرضَ لنا صخرةٌ في مكانٍ من الخندقِ، لا تأخذ فيها المعاولُ، قال: فشكَّوها إلى رسولِ الله ﷺ فجاء رسولُ الله ﷺ، قال عوف: وأحسبه قال: وضعَ ثوبه، ثم هبطَ إلى الصخرةِ، فأخذَ المعولَ فقال: باسمِ الله، فضربَ ضربةً فكسرَ. ثلثَ الحجرِ، وقال: اللهُ أكبرُ، أُعْطِيتُ مفاتيحَ الشامِ، واللهِ إني لأبصرُ. قصورها الحمَرُ من مكاني هذا، ثم قال: باسمِ الله، وضربَ أخرى فكسرَ. ثلثَ الحجرِ، فقال: اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مفاتيحَ فارسِ، واللهِ إني

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١).

لأبصر- المدائن، وأبصر- قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب ضربةً أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصرُ أبوابَ صنعاءَ من مكاني هذا<sup>(١)</sup>.

فاستبشر- بذلك المؤمنون الصادقون، وتبلبل الواهنون المرتابون، فقال الذين في قلوبهم مرضٌ: «مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا»<sup>(٢)</sup>.

فلما اجتمعت جحافل الكفرِ حولَ المدينة، وضيّقوا عليها الخناق، اشتدت الحال بالمسلمين، وعظمَ عليهم الكربُ، وزاد الأمرُ أن يهودَ بني قريظةَ نقضوا العهدَ الذي بينهم وبينَ النبي ﷺ، فضاق الأمرُ بالمسلمين، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾؛ يعني: الأحزاب ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾؛ يعني: يهود بني قريظة ﴿وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا<sup>(٣)</sup>، ومع شدّة الكربِ وعظمِ البلاءِ ما زاد المؤمنون على أن قالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>، أما المنافقون فقد قالوا: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

(١) أخرجه أحمد (١٨٢١٩) قال الهيثمي: رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد (١٠١٣٨).

(٢) سورة الأحزاب: ١٢.

(٣) سورة الأحزاب: ١٠-١١.

(٤) سورة الأحزاب: ٢٢.

أيها المؤمنون.

أقام المشركون محاصرين رسول ﷺ شهراً، ولم يكن بينهما قتالٌ يُذكر، لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين، فأراد النبي ﷺ لما طال على المسلمين الخطب أن يصالح الكفار، إلا أن الصحابة رضي الله عنهم أبوا ذلك، لما شاورهم النبي ﷺ.

فكان من بديع لطف الله، وعاجل فرجه أن صنع للمسلمين أمراً من عنده، خذل به أعداءه، وهزم جموعهم، ونصر به أوليائه، وأعز حزبه، فكان مما هيأ من ذلك أن نعيم بن مسعود رضي الله عنه كان من المشركين، فأسلم وجاء للنبي ﷺ فقال له: يا رسول الله، إني قد أسلمت، فمُرني بما شئت، فقال له النبي ﷺ: «إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ، فخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة»<sup>(١)</sup>، فأوقع ﷺ الخلاف بين اليهود وحلفائهم من المشركين، فتخاذل الفريقان، وبدت علامات الشقاق والخلاف بينهم.

وكان من عظيم ماهيأه أيضاً لأمة الإسلام أن أرسل على المشركين جنداً من الرياح، فقوّضت خيامهم، وخربت بنيانهم، فلم تدع لهم قدراً إلا كفأته، ولا ظنباً إلا قلعتته، وأرسل عليهم الملائكة فألقوا في قلوبهم الرعب والخوف، فلما بلغ الأمر مبلغه بقريش، صاح فيهم أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم -والله- ما أصبحتم بدارٍ مقام ﴿﴾ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً

(١) دلائل النبوة (٣/٤٤٥)



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فقد سمعتم أيها المؤمنون نبأ هذه الواقعة، وخبر هذه الغزوة، التي حوت آيات بينة، ودروساً قيماً، فدروس هذه الواقعة وعبرها كثيرة، فسأشير إلى أهمها وأبرزها:

فمن أهم دروس هذه الغزوة: أن الله ﷻ يدافع عن الذين آمنوا، كما قال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(١)</sup>، فالله سبحانه نعم المولى ونعم النصير، يتلي أوليائه ليميز الخبيث من الطيب، فإذا تبين أهل محبته وأهل دينه، وتميزت الصفوف جاءهم وعده، ووقع خبره ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن دروس هذه الغزوة: حسن بلاء النبي ﷺ وأصحابه ﷺ؛ حيث إنهم صبروا على ما قدره الله تعالى عليهم، بقلوب ثابتة، وعزائم راسخة، فلم تستفزهم الكروب، ولم تقعدهم الخطوب، بل كانوا كلما اشتدت الكروب، وادهمت الخطوب، زادهم ذلك إيماناً وتسليماً.

وتصديق ذلك في هذه الغزوة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا

(١) سورة الحج: ٣٨.

(٢) سورة غافر: ٥١.

وَعَدْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١﴾.

ومن دروس هذه الغزوة: أن المؤمنين إذا اجتهدوا في الدفاع عن دينهم، وجهاد أعداء الله، وأعداء رسوله ﷺ، وفعلوا قصارى طاقتهم في نصر الله ورسالته، فإن الله - سبحانه وتعالى - يكرمهم بعونٍ منه وتأيدٍ، فيصنع لهم ويهيئ لهم من أسباب الغلبة والنصر، ويبعث لهم من جنود العز والتمكين، ما لم يكن لهم على حساب، ويؤيدهم بجندٍ من عنده، وما يعلم جنود ربك إلا هو، فإذا صدقنا إيماننا، وتمسكنا بديننا، والتزمنا بنهج نبينا في كل أمورنا، فلا يضرنا كيد الكائدين، ولا مكر الماكرين.

ومن دروس هذه الغزوة: شدة عداوة اليهود للإسلام وأهله، وأما نقضهم للعهود ونكثهم للمواثيق، فهذه من أخص خصائصهم على مر العصور، وكر الدهور، قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

﴿١﴾ ﴿٢﴾

(١) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ١٠٠.

## ٤٦- صلح الحديبية

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى، واعتبروا بما في سيرة نبيكم ﷺ من العبر والعظات: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، في شهر ذي القعدة، من السنة السادسة، ومعه نحو ألف وأربعمائة من أصحابه رضي الله عنهم، فأحرم ﷺ ومن معه من ذي الحليفة، فلما علمت قريش بذلك جمعوا له جموعاً، ليصدّوه عن البيت، فلما دنا ﷺ من الحرم خلأت ناقة رسول الله ﷺ -؛ أي: بركت وأبت المسير- فقال ﷺ: «حبسها حابسُ الفيل»<sup>(٢)</sup> -؛ أي: حبسها الله رب العالمين لحكمة بالغية- فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خُطة، يعظّمون فيها حرّاتِ الله، إلا أعطيتهم إياها»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأحزاب (٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٢٩).

ثم رجرج ناقته، فوثبت فعدل عن قريش ونزل بأقصى الحديبية، ثم إن النبي ﷺ بعث إلى قريش عثمان بن عفان ﷺ ليخبرهم أن النبي ﷺ لم يأت لقتال أحد، إنما جاء معتمراً، فلما أبطأ عثمان على رسول الله، وشاع بين المسلمين أن قريشاً قتلتها، دعا النبي ﷺ أصحابه إلى البيعة على القتال، وألا يفرؤوا إلى الموت، فجلس ﷺ تحت شجرة في الحديبية، وبايعه الناس، وفيها قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(١)</sup>.

وبشر النبي ﷺ أصحابه ﷺ، فقال: «لا يدخل النار رجلٌ ممن بايع تحت الشجرة»<sup>(٢)</sup>، ثم إن عثمان ﷺ لم يلبث أن رجج، ولما رأت قريش تصميم النبي ﷺ على العمرة بعثت إليه بعض أشرافها، فجاء عروة بن مسعود الثقفي، فجعل يكلم النبي ﷺ، وكان كلما تكلم أخذ بلحية النبي ﷺ، وكان المغيرة بن شعبه ﷺ -ابن أخي عروة- واقفاً عند رسول الله ﷺ بسيفه، فكان كلما مدَّ عروة يده ضربها بنعل السيف، وقال: "أخر يدك عن حلية رسول الله ﷺ".

وكان مما رآه عروة شدة تعظيم الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ، وانقيادهم له، فلما رجج عروة إلى قريش قال لهم: "والله لقد وفدت على الملوك، كسرى وقيصر والنجاشي، فما رأيت ملكاً قط، يعظمه أصحابه، مثلما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا، فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامةً، إلا وقعت في يد أحدهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم

(١) سورة الفتح (١٨١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٠)، وصححه.

بأمرٍ ابتدروا أمره، وإذا تَوْضَّأَ كادوا يتقاتلون على وَضوئِهِ، وإذا تكلَّموا خَفَضُوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون النظرَ إليه تعظيماً له"، ثم أمرهم بقبولِ مصالحةِ النبي ﷺ.

ثم جاء رجل آخر من كنانة، فقال النبي ﷺ لما أخبر بقدمه: ابعثوا الإبل المهداة بين يديه، فلما رآها الرجل قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت، فلما رجع إلى قريش قال لهم: لقد رأيت الإبل قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت، ثم إن قريشاً بعثت سهيل بن عمرو ليصالح النبي ﷺ، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيلٌ: اكتب باسمك اللهم، فقال النبي ﷺ: اكتب: باسمك اللهم. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسولُ الله، فقال سهيلٌ: لو كنَّا نعلمُ أنك رسولُ الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمدٌ بنُ عبدِ الله، فقال رسولُ الله: واللهِ إني لرسولُ الله، وإن كذبتُموني، اكتب: محمدٌ بنُ عبدِ الله، وإنما وافقه النبي ﷺ على ذلك تعظيماً لحرمةِ الله، ولما يترتبُ على هذا الصلح، من الخيرِ للإسلامِ والمسلمين، وكان من جملةِ ما في هذا الصلحِ أن يرجع النبي ﷺ، ومن معه عن مكةَ هذا العام، ويأتوا في العامِ المقبلِ، وأن من جاءَ إلى محمدٍ مسلماً من المشركين يردهُ إليهم، ومن جاءَ من المسلمين إلى قريشٍ لم يرده.

فاشتملَ هذا الصلحُ أموراً شقَّت على أصحابِ النبي ﷺ، حتى إن عمرَ رضي الله عنه قال: يا رسولَ الله، ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطلِ؟! قال: بلى، قال: فعلامُ نُعطي الدنيةَ في ديننا؟ فقال له النبي ﷺ: «إني رسولُ الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»<sup>(١)</sup>، ثم إن رسولَ

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٤).

الله نحر هديّه، وحلق رأسه، فلما رأى الصحابة ذلك، نحروا هديهم وحلقوا رؤوسهم، واغتموا لذلك غمًا شديدًا، فأنزل الله سكينته على المؤمنين، وأثابهم فتحًا قريبًا، فلم تمض أيامٌ طوألٌ حتى تبين للمسلمين خيرٌ هذا الصلح، الذي سمّاه الله فتحًا مبينًا، وكان ذلك الفتح تمهيدًا لفتح مكة، حيث تفرغ النبي في هذه المدة وأصحابه للدعوة والبلاغ، فدخل الناس في دين الله أفواجًا، فلما نقضت قريش العهد بعد سنتين منه جاءها النبي ﷺ بعشرة آلاف مقاتل، فالحمد لله الذي أعز جنده، ونصر عبده، وهزم أهل الشرك وحده.

أيها المؤمنون! لقد كان في الغزوة من الآيات الباهرات: أن الصحابة رضي الله عنهم اشتكوا إلى النبي ﷺ قلة الماء، وكان بين يدي النبي ﷺ إناء صغير، يتوضأ منه، فوضع النبي ﷺ يده في الإناء، فجعل الماء يفور من بين أصابع النبي ﷺ كأمثال العيون، فشرَب الصحابة رضي الله عنهم وتوضؤوا.

ومن الفوائد: تمام الانقياد لله ورسوله، وهذا من أعظم دروس هذه الواقعة، فينبغي للمؤمن أن يسلم لله ورسوله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾<sup>(١)</sup>، وليعلم المؤمن أنه مهما بدا له أن الخير في غير مراد الله ورسوله ﷺ، فإنما ذلك خيالٌ كاذبٌ، ووساوسٌ من الشيطان.

ومن فوائد هذه الغزوة تعظيم الصحابة النبي ﷺ.



## ٤٧- غزوة تبوك

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إن من غزوات النبي ﷺ التي نوه بها القرآن العظيم غزوة تبوك، تلك الغزوة التي ميز الله فيها بين المؤمنين الصادقين وبين المنافقين الكاذبين، فإن النبي ﷺ بلغه أن الروم النصراني يعدون لقتال المسلمين، بعدما شرخوا بانتصارات النبي ﷺ في جزيرة العرب، بعد فتح مكة، فلم ير النبي ﷺ بداً من التهيؤ لهم، والاستعداد لقتالهم مع شدة الوقت، من جذبٍ وحرٍّ وقلّةِ الموارد، وبُعْدِ الشُّقَّةِ وقوةِ العدو وطيبِ الثَّمارِ والظلالِ؛ فاستنفر النبي ﷺ المؤمنين لملاقاة العدو والخروج إليه، والإعداد لذلك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، فقال ﷺ: «من جهَّز جيشَ العسرةِ، فله الجنة»<sup>(١)</sup>.

فتميزت المواقف، وبدا ما طوته الصدور، وتجلت طوايا النفوس، وبليت السرائر، فظهر مكنون الضمائر، وانقسم الناس، فأما المنافقون، فإنهم لما أعلن النبي ﷺ وجهته أنه منطلق إلى تبوك قالوا لأهل الإيمان: أتحسبون جلاّد بني الأصفر -؛ أي: الروم-

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٦).

كقتالِ العربِ بعضهم بعضاً؟!، والله لكأنَّا بكم غداً، مقرَّنين في الجبال، ويقولون للناس: لا تنفروا في الحرِّ؛ تشبیطاً وإرجافاً، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ومن هذا المعسكرِ معسكرِ النفاق، جاءت طائفةٌ إلى النبي ﷺ يلتمسون للقعودِ أعذاراً باردة، تنبئ عن ضعفِ الإيمانِ في قلوبهم وقوةِ النفاق، وكان من تلك الأعدارِ الكاذبة ما اعتذر به الجُدُّ بنُ قيس، أحدُ المنافقين، حيث قال لما عُرض عليه الخروج: يا رسولَ الله، ائذن لي ولا تفتني، فوالله، لقد عرف قومي أنه ما من رجلٍ، أشدَّ عُجباً بالنساءِ منِّي، وإني أخشى إن رأيت نساءَ بني الأصفر -؛ أي: الروم- ألا أصبر، فكذبهُ اللهُ تعالى وفضحهُ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

أما أهلُ التقوى والإيمان، فتسابقوا في الطاعةِ والإحسانِ، فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، فجاء عثمانُ بن عفانٍ ﷺ بثلاثمائةِ بغيرِ تجهزةٍ، وجاء ببالٍ كثيرٍ من الذهبِ، فصبهُ في حجرِ النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «ما على عثمانَ ما عملَ بعدَ اليومِ»<sup>(٢)</sup>.

وجاء أبو بكرٍ ﷺ به إليه كلُّه، فقال له رسولُ الله ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ فأجاب أبو بكرٍ رضي الله عنه: أبقيت لهم الله ورسوله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة التوبة (٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠١٠٧)، والترمذي (٣٧٠١) وحسنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٧٥)، وأبو داود (١٦٨٠)، والحديث صححه الترمذي.

وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، وتسابق المؤمنون في بذل الكثير والقليل، كلُّ حسب طاقته واستطاعته، ومن خلت يده من المال لم يبخل بدموعه.

أما المنافقون الكاذبون، فشحَّت قلوبهم، وجفَّت أيديهم، وانطلقت ألسنتهم في أهل الإيمان همزاً ولمزاً، سُخريةً وطعناً، فإذا جاء المؤمنُ بالمالِ الكثيرِ قالوا: ما أرادَ هذا إلا الفخرَ والرياءَ، وإذا جاء المؤمنُ بالقليلِ قالوا: إن اللهَ لغنيٌّ عن صدقةِ هؤلاء، قال اللهُ تعالى في المنافقين: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وهكذا هم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، لا يرقبون في مؤمنٍ إلا ولا ذمةً.

ثم إن أقواماً تشوقوا للخروج مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، لكنهم لم يجدوا ما يحملهم في هذا السفرِ البعيدِ الشاقِّ، فجاؤوا إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ليحملهم، فلم يجدوا ما يحملهم عليه، تولَّوا من عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وأعينهم تفيض من الدمع؛ حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون.

هذا وهم معذورون عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم !!

أيها الناس.

خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون في حرٍّ شديدٍ، وكربٍ عظيمٍ؛ طاعةً لله، ونصرةً لدينه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وفرحَ المخلفون من المنافقين بمقعدِهِم خِلافَ رسولِ الله، وكرهوا أن يجاهدوا في سبيلِ الله بأموالِهِم وأنفُسِهِم، وكان ممن تخلفَ أولاً أبو خيثمة، فجاء ذات يومٍ إلى بيته بعد خروجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابِهِ، جاء وقد هيأَ له أهله طعاماً، وظلاً بارداً،

فاستيقظ قلبه، وقال لنفسه معاتباً: أبو خيثمة في ظلِّ باردٍ، وطعامٍ مهيبٍ، وامرأةٍ حسناء، في ماله مقيمٍ، ورسولُ الله ﷺ في الشمسِ والريِّحِ والحرِّ؟ والله ما هذا بالنِّصفِ -؛ أي: ما هذا بالعدلِ ولا الإنصافِ - فأعدَّ رحله، ولحقَّ برسولِ الله ﷺ، وقد نزلَ في تبوك، فلما أُقبلَ عليهم أبو خيثمة، قال الناس: هذا راكبٌ على الطريقِ مقبلٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: كن أبا خيثمة، فقالوا: يا رسولَ الله، هو والله أبو خيثمة! فجاء إلى رسولِ الله، وأخبره الخبرَ، فقال له رسولُ الله ﷺ خيراً ودعا له.

أيها المسلمون..

بلغ رسولُ الله ﷺ تبوكَ بعد مصاعبَ، ومشاقَّ عظيمةٍ، فلم يلقَ فيها كيداً، ولم يواجه عدوًّا، فإنَّ الله تعالى ألقى في قلوبِ الرومِ - مع كثرةِ عددهم وعُدَّتْهم - الرعبَ، فتحصَّنوا في الشامِ، ولم يخرجوا للقاءِ النبيِّ ﷺ، وكفى اللهُ المؤمنين القتالَ، وكان اللهُ قوياً عزيزاً.

فرجع رسولُ الله ﷺ ومن معه منصورين مؤيدين، وفي رجوعه ﷺ قال لأصحابه: "إن في المدينة أقباماً، ما سرَّتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم". فقالوا: يا رسولَ الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حبَّسَهُم العذرُ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

أيها المؤمنون..

ولما دخل رسولُ الله المدينة، بدأ بالمسجدِ على عادته، فصلَّى فيه ركعتين، ثم جلسَ للناسِ، فجاء المخلفون يعتذرون، فقبل منهم الرسولُ ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفرَ لهم، ووكلَ سرائرهم إلى الله.

أما كعب بن مالك وصاحباہ رضي الله عنهم، وهم الذين تأخرت توبه الله عليهم لصدقهم، حيث لم يعتذروا بشيء، فتاب الله عليهم بعد بلاء وتمحيص، ضاقت فيه عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه، فتاب عليهم وعفا عنهم، أما المنافقون الكاذبون فقد فضحهم الله في سورة التوبة، وقال لرسوله ﷺ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله السلامة والفوز والرضوان.



(١) سورة التوبة (٨٠).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، فإنه من يتق الله يجعل له من أمره يسراً.

أيها المسلمون.

لقد سمعتم في الخطبة الأولى شيئاً مما جرى في هذه الغزوة العظيمة، غزوة تبوك، وقد حوت هذه الغزوة دروساً عديدة، وعبراً كثيرة، إلا أن أبرزها وأظهرها: ما جلته سورة التوبة، واعتنت به، ألا وهو موقف المنافقين، فسورة التوبة فضحت المنافقين، وبينت صفاتهم وأفعالهم حتى سميت بسورة "الفاضحة"، فالنفاق أيها المؤمنون من أخطر ما يجارِبُ الإيَّمانَ وأهله؛ ولذلك قال الله تعالى لرسوله بعد ذكر صفاتهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ألا، وإن من أبرز صفات المنافقين، وقبيح صنعهم في هذه الغزوة الكذب، فإن الله تعالى قد شهد عليهم به في مواضع عديدة، منها هذه الغزوة حيث قال عنهم في اعتذارهم عن الخروج: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن صفاتهم: إشاعة الفساد والشر والفتنة بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ - أي: بخروجهم - إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلالَكُمْ - أي:

(١) سورة المنافقون (٤).

(٢) سورة التوبة (٤٢).

لأَسْرَعُوا فِي الْفَسَادِ بَيْنَكُمْ - يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ هُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

ومن صفاتهم: كراهةُ انتصارِ الحقِّ وأهله، وفرحُهم بانكسارِ الدين وحملته: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن صفاتهم: الكفرُ باللهِ ورسوله ﷺ، وإضاعةُ الصلواتِ وتركها والتكاسلُ عنها، وكراهيةُ الإنفاقِ في سبيلِ الله، قال الله عنهم: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن صفات المنافقين: الاستهزاءُ باللهِ ودينه ورسوله والمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أِبَالَهُمْ وَعَاقِبَتُهُمْ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لَا تَعْتَدِرُوا قَدْرَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.  
أيها المؤمنون.

هذا شيءٌ يسيرٌ من صفاتِ المنافقين، ذكره اللهُ تعالى في كتابه، قرآنًا يتلى إلى يومِ القيامةِ

(١) سورة التوبة (٤٧).

(٢) سورة التوبة (٥٠).

(٣) سورة آل عمران (١٢٠).

(٤) سورة التوبة (٥٤).

(٥) سورة التوبة (٦٥-٦٦).

تحذيراً للمؤمنين وتنبههاً، فاحذروهم وتنبهوا لهم، فإن معرفة صفاتهم تقي أهل الإيمان شرهم وكيدهم، والله لا يصلح عمل المفسدين، وهو جلّ وعلا من ورائهم محيطٌ، ولا يحقُّ المكر السيئ إلا بأهله.



## ٤٨ - وفاة النبي ﷺ

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، حكم سبحانه بالموت على جميع الأنام، فكلُّ ذي روح لا بد وأن يذوقَ طعمَ السَّامِ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾<sup>(١)</sup> وإن طال بها المقام.

أحمدُه سبحانه، فقد قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفرد بالبقاء والكمال دون نقصان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد ولد آدم، خير من صلى وصام، بعثه الله بالهدى والفرقان.

أيها المؤمنون.

اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واشكروا الله تعالى على نعمه الكثيرة، التي من أجلها وأعظمها بعثه النبي ﷺ، وإرساله إليكم؛ ليخرجكم من الظلمات إلى النور، فإن الله تعالى قد أرسله بالهدى ودين الحق، بين يدي الساعة بشيراً

(١) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٢) سورة الرحمن: ٢٦.

ونذيراً، أنعم به على أهل الأرضِ نعمةً، لا يستطيعون لها شكوراً، فإنه ﷺ بلغ وأنذر، وقام لله قومة لم يقمها أحدٌ من الناسِ قبله، ولن يقومها أحدٌ بعده، فما زال ﷺ منذُ قال له الله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾<sup>(١)</sup> قائماً بأمرِ الله، يبلغ الرسالة، ويؤدّي الأمانة، وينصح الأمة، فأتمَّ الله به النعمة، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، وامتلأت به الدنيا نوراً وابتهاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فلما أكمل الله به الدين، وأتمَّ به النعمة على عباده المؤمنين، استأثر به جلّ وعلا، ونقله إلى الرفيق الأعلى، والمحلّ الأسنى.

أيها المؤمنون.

إن حياة النبي ﷺ كلها، من أولها إلى آخر لحظةٍ فيها من أعظم دلائل صدقه، وعلامات نبوته، فهي تقتضي تصديقه ضرورةً، وتشهد بأنه رسول الله حقاً.

أيها المؤمنون.

إن خطبة اليوم عن نبيٍّ عظيم، وخطبٍ جليل، بل هو من أعظم الأحداث التي مرّت بأمة الإسلام، إنه نبأ وفاة النبي ﷺ، ذلك النبأ الذي أذهل العقول وطير الألباب، ففي سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية، دهي المدينة خطباً، لا عزاء له، ففي أواخر صفر في تلك السنة بُدئ برسول الله ﷺ، وكان أوّل ذلك صداعٌ، ألم برأسه ﷺ، ثم حرارةٌ متّقدة، كانوا يجدون سورتها - أي: شدتها - فوق العصابة، التي عصب بها رأسه، وثقل برسول الله ﷺ المرض، فجعل يسأل أزواجه: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ ففهمن مراده،

فأذنَّ له ﷺ أن يكونَ حيثُ شاء، فانتقل ﷺ إلى بيتِ عائشةَ رضي الله عنها، معصوب الرأسِ، تحطُّ رجلاه في الأرضِ، واشتدَّت وطأة المرضِ على رسولِ الله ﷺ في بيتِ عائشةَ رضي الله عنها، فقال ﷺ: «أهريقوا علي سبعَ قربٍ، لم تحلل أوكيئهن لعليِّ أعهدُ إلى الناسِ»<sup>(١)</sup>، ففعلن رضي الله عنهن، ثم خرج إلى الناسِ فصلى بهم وخطبهم، وكان ذلك يومَ الأربعاء، قبل خمسة أيامٍ من وفاته، وكان مما قال في خطبته تلك: «إن عبداً خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله»، فبكى أبو بكر ﷺ، فعجب الصحابةُ لبكائه، قال الراوي: فكان المخيرَ رسولُ الله ﷺ، وكان أبو بكر ﷺ أعلمنا.

فقال رسول الله ﷺ: «لا تبك يا أبا بكر، إن أمنَّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقَى في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»<sup>(٢)</sup>، وكان مما قاله في خطبته تلك: «أوصيكم بالأنصارِ فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»<sup>(٣)</sup>، ثم عاد النبي ﷺ إلى بيته بعد خطبته تلك، وفي يوم الخميس اشتدَّ برسولِ الله ﷺ وجعه، فقال: «اثموني أكتب لكم كتاباً، لا تضلُّوا بعده أبداً»، فاختلفوا عنده في المجيء بالكتابِ، فقال: «دعوني، فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إليه»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨٨)، ومسلم (٢٥١٠) من حديث أنس ﷺ

(٤) أخرجه البخاري (١١٤)، ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس ﷺ.

ومع شدة مرضه كان يخرج يصلي بالناس، حتى كان ذلك اليوم، فصلى بهم المغرب، وعند العشاء زاد عليه الوجع، فلم يستطع الخروج إلى المسجد، فأرسل إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، فصلى بهم أبو بكر ما بقي من الصلوات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي أثناء تلك الأيام العصبية وجد صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة، فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأوماً إليه النبي صلى الله عليه وسلم ألا تأخر، فجلس جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد، واستمر المرض بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وفي فجر يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، عام أحد عشر من الهجرة أقبل المؤمنون إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واصطفوا لصلاتهم خلف أبي بكر رضي الله عنه، فبينما هم كذلك رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر المصروب على منزل عائشة رضي الله عنها، وبرز للناس، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم؛ ابتهاجاً برويته صلى الله عليه وسلم، فأخذوا يُفْسحون له مكاناً، فأشار بيده أن اثبتوا على صلاتكم، وتبسم صلى الله عليه وسلم فرحاً بهم، قال أنس رضي الله عنه: ما رأيت رسول الله أحسن هيئة منه في تلك الساعة، ثم رجع وأرعى الستر، وانصرف الناس، وهم يظنون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه وبرا، إلا أن الأمر كان بخلاف ذلك، حيث لم يأت على النبي صلى الله عليه وسلم وقت صلاة أخرى، بل اشتد المرض عليه، ونزل به في صباح يوم الاثنين، فطفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد، يحذر

« ما صنعوا »<sup>(١)</sup>، فكانت هذه إحدى وصاياه عند موته، وكان يقول: « اللهم أعني على سكرات الموت »<sup>(٢)</sup> من شدة ما نزل به، وكان ﷺ يردد وهو في تلك الحال: « الصلاة، وما ملكت أيما نكم »، قال أنس: ( حتى جعل يغرغر بها في صدره، وما يفيض بها لسانه )<sup>(٣)</sup>، وكان مما أوصى به عند موته: « أن أخرجوا المشركين من جزيرة العرب »<sup>(٤)</sup>، فلما ثقل رسول الله ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة رضي الله عنها لما رأت ما نزل بأبيها: واكرب أبتاه، فقال ﷺ: « ليس على أبيك كرب بعد اليوم »<sup>(٥)</sup>، فلما ارتفع ضحى ذلك اليوم نزل برسول الله ﷺ، فأسندته عائشة رضي الله عنها إلى صدرها، قالت رضي الله عنها: إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقه وريقه عند موته؛ وذلك أن عبد الرحمن بن أبي بكر دخل ويده سواك يستاك به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: فعلمت أنه يريد، فأخذته فقضمته وطببته، ثم دفعته إليه، تقول عائشة رضي الله عنها: فاستن به أحسن ما كان استناناً، فما عدا أن فرغ من السواك، حتى رفع يده أو إصبعه، ثم قال: « في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى، ثم قضى رسول الله

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه الحاكم (٣٧٣١) وصححه .

(٣) أخرجه أحمد (١٢١٩٠)، وابن ماجه (٢٦٩٧) من حديث أنس ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (٤٣١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) أخرجه البخاري ٤١٩٣، من حديث أنس ﷺ .

وتسرّب النبأ العظيم، وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها، كيف لا؟ وقد انظفأ ضياؤها، وخبأ سرّجها، قال أنس رضي الله عنه: فما رأيت يوماً قط، أحسنَ ولا أضوأَ من يومٍ دخلَ علينا فيه رسولُ الله ﷺ، وما رأيتُ يوماً كان أقبحَ ولا أظلمَ من يومٍ ماتَ فيه رسولُ الله ﷺ، فضجّت المدينة بالبكاء، وكان موته ﷺ قاصمة الظهر، ومصيبة العمر، فاشتدت الرزية بموته، وعظم الخطبُ، وجلّ الأمرُ، وأصيب المسلمون بنبيهم ﷺ، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يُطق القيامَ، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلامَ، وقام عمر رضي الله عنه في الناس، وأنكر موته، وماج الناس واضطربوا، وكان أبو بكر في أطراف المدينة، فلما بلغه الخبر أقبل إلى المسجدِ، فدخل وعمرُ يكلم الناسَ، فلم يلتفت إليه حتى دخلَ على رسولِ الله ﷺ في بيتِ عائشة رضي الله عنها، فوجده مُسجئاً ببردِ حيرة، فكشف عن وجهه وأكبَّ عليه يقبله، ثم بكى، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، والله لا يجمعُ اللهُ عليك موتين أبداً، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّها، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

ثم إنه خرج ﷺ والناسُ على الحال التي وصفنا، فرقي المنبرَ فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ، فمن كان يعبدُ محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد اللهَ، فإن اللهَ حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ﴾

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣٨)، ومسلم (٢٤٤٤).

مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴿١﴾، فلما سَمِعَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ عَلِمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا، ثُمَّ غُسِّلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكُفِّنَ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ، وَدُفِنَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ فِي مَكَانِهِ الَّذِي تُوْفِي فِيهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا قَبِضَ نَبِيٌّ، إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ قَبِضَ» (١).

وَصَدَقَ اللَّهُ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٢).



(١) سورة آل عمران: ١٤٤ .

(٢) رواه البزار (٣) من حديث أبي بكر ﷺ

(٣) سورة الزمر: ٣٠ .

## الخطبة الثانية:

أما بعد.

فما زال الناس بعد وفاة النبي ﷺ في أمرٍ مريبٍ، حتى جاد الله بالصديق المؤيد المنصور رضي الله عنه، فبعد أن تحقق من وفاته خرج ﷺ إلى المسجد، وعمرُ يكلمُ الناس، فقال أبو بكر: اجلس يا عمرُ، فأبى رضي الله عنه، فقال: اجلس فأبى، فتشهد أبو بكر رضي الله عنه، فأقبل الناس إليه وتركوا عمرَ، فقال أبو بكر: أما بعد، فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾<sup>(١)</sup>، فكان الناس لم يعلموا من شدة ما أصابهم أن الله أنزل هذه الآية، حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاه من الناس كلُّهم، قال ابن عباس: فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها، قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، ففقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أني أهويتُ إلى الأرض، وعرفتُ حين تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات، فما لبث الصحابة رضي الله عنهم أن اجتمعوا على أبي بكر رضي الله عنه، وبايعوه بالخلافة قبل أن يدفنوا رسول الله ﷺ، وفي يوم الثلاثاء اليوم التالي لموته ﷺ غُسلَ وكفنَ وصليَ عليه، ثم دُفن في مكانه الذي توفي فيه، فجزاه الله عنا خيرَ ما جزى نبياً عن أمته.

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

جزى الله عنا كل خير محمداً فقد كان مهدياً وقد كان هادياً<sup>(١)</sup>

أيها المؤمنون.

هذا نبأ وفاة نبيكم ﷺ، وفيه من العبر والعظات الشيء الكثير، من أبرزها: ما قاله الغزالي رحمه الله: "فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد ﷺ سيد المرسلين، وإمام المتقين، وحيب رب العالمين، لعلنا نظن أننا مخلدون، أو نتوهم أننا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون، هيهات هيهات"<sup>(٢)</sup>.

فأعدوا عباد الله عدة الرحيل قبل فوات الأوان، فإن الآجال تنزل بلا استئذان، وتحل بلا إعلان، فأكثروا عباد الله من ذكر هادم اللذات، فليس بعد موت نبينا محمد صلى خالداً، ولا في البقاء مطمع، بل الأمر كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن الفوائد الظاهرة في هذا النبأ: شدة حرص النبي ﷺ على أمته، حتى وهو في آخر لحظات حياته، يوصي وينصح يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فما أصدق ما قاله الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن فوائده: شدة اعتناء النبي ﷺ بأمر التوحيد، وذلك يتضح من أن النبي ﷺ افتتح

(١)

(٢) إحياء علوم الدين ١٧٤/٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٤) سورة التوبة: ١٢٨.

دعوته بالدعوة إلى عبادة الله وحده سبحانه، واختتم حياته بالتحذير من الشرك وتعظيم غير الله، فإن من آخر وصاياه قوله ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد هذا النبأ: عظم شأن الصلاة وخطرها، فإن النبي ﷺ كرر الأمر بها، وحث على الاهتمام بها وهو يعاني سكرات الموت، فالله الله بالصلاة يا عباد الله، فإنها عمود الإسلام، ولا إسلام لمن لا صلاة له.

ومن فوائد هذا النبأ: خطورة بقاء الكفار من المشركين واليهود والنصارى في جزيرة العرب، فإن النبي ﷺ أوصى بإخراجهم في آخر حياته، وما ذلك إلا لخطر بقائهم في هذه الجزيرة، فإن هذه الجزيرة جزيرة الإسلام وحصنه الحصين.

ومن فوائد هذا الحدث العظيم: عظم منزلة أبي بكر ﷺ، فقد نصر الله به الدين، وثبت به المؤمنين، وليس في الناس بعد الأنبياء خير منه، فهو أعمق الصحابة رضي الله عنهم إيماناً، وأثبتهم يقيناً وأعلمهم بالله ورسوله ﷺ وأحزمهم في دين الله، وأطوعهم لله ورسوله ﷺ، وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٤٩ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المؤمنون.

إن الله اصطفى محمداً ﷺ على الأولين والآخريين، واصطفى له خير الناس بعد النبيين، فجعلهم أصحابه ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) فأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الأمة، وأعظمهم فضلاً، وأعمقهم علماً، وأصدقهم إيماناً، وأبرهم قلباً، لا يرتاب في ذلك العالم بأخبارهم، المطالع لسيرهم، فهم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، شهدوا الوحي والتنزيل، وعلموا التفسير والتأويل، السابقون إلى الفضائل والمكرمات، والمتبوءون في الآخرة أعالي الجنات ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (٢)، فلا

(١) سور البقرة (١٠٥).

(٢) سورة الفتح (٢٩).

خيرٍ إلا في سبيلهم، لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ.  
أيها المؤمنون.

أصحابُ رسولِ الله هم خيرُ قومٍ ومعشرٍ، رضي الله عنهم ورضوا عنه، إلا أن  
أفضلهم منزلةً، وأعلاهم مكانةً، صدِّيقُ هذه الأمة أبو بكر عبد الله بن عثمان رضي الله عنه،  
السابقُ إلى الإسلامِ والإيمانِ، فهو أولُ مَنْ آمَنَ من الرِّجالِ.

خيرُ البرية أتقاها وأعدَّها      بعدَ النبيِّ وأوفاهَا بما حملا  
والثاني التالي المحمودُ مشهده      وأولُ الناسِ منهم صدَّقَ الرسالاً<sup>(١)</sup>

أبو بكر الصديق، صاحبُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله في الجاهلية والإسلام، وأعظمُ الصحابةِ  
اجتماعاً برسولِ الله، ليلاً ونهاراً، حضراً وسفراً، فقد لازمَ أبو بكر رضي الله عنه رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله،  
حياته كلها، فكان معه في مكة مُعيناً ونصيراً، وكان معه في الهجرة إلى المدينة رقيقاً  
شقيقاً، وكان معه في المدينة عَضيداً وزيراً، شهدَ مع النبي صلَّى الله عليه وآله المشاهدَ والمعاركَ كلها،  
وشهدَ الله له بالصحبةِ في كتابه، وتلك منقبةٌ عظيمةٌ، وفضيلةٌ شأءٌ، فقال الله تعالى:  
﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ  
لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) ديوان حسان بن ثابت، وألفية العراقي في السيرة (٥|)

(٢) سورة التوبة (٤٠).

أيها المؤمنون.

أبو بكر صاحب الفضائل والمناقب، حُبُّ رسولِ الله ﷺ وخاصَّته.

فكان حُبُّ رسولِ الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلاً<sup>(١)</sup>

قال رسول الله ﷺ: «إن من أَمَنُ الناسِ علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً

خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ مُشيداً بأبي بكر: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق،

وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟»<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن أبا بكر ﷺ لم يحصل تلك المنزلة العالية، والمكانة الرفيعة، إلا بجِدِّ وإخلاصٍ

وجهادٍ، همَّةٍ عاليةٍ؛ رغبةً صادقةً؛ أعمالٌ صالحةٌ؛ يدٌ باذلةٌ؛ عينٌ باكيةٌ، ويجمع ذلك كله

قلبٌ صادقٌ، ونفسٌ زاكيةٌ في طلبِ ما عند الله، جادةٌ صادقةٌ، روى الإمام مسلم من

حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً: «من أصبح منكم اليوم

صائماً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر:

أنا، قال رسول الله: فمن أطعم اليوم منكم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، قال رسول الله:

فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال النبي ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ

(١) ديوان حسان بن ثابت (١٦٢)

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦)، ومسلم (٤٣٩٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٨٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

إلا دخل الجنة<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

عند الصباح يحمدُ القومُ السَّري، فأبو بكر السابق إلى الخيرات يُدعى يومَ القيامة من

أبوابِ الجنة الثانية.

أيها المؤمنون.

أبو بكر ﷺ أعظمُ الأمة بعد رسولِ الله صبراً، وأثبتهم يقيناً، وأعمقهم إيماناً، وشواهدُ ذلك كثيرةٌ عديدةٌ، فقد ثبتَ اللهُ بأبي بكر صحابة رسولِ الله رضي اللهُ عنهم لما طاشت عقولهم، وارتجت أفئدتهم، وزُلزلت أقدامهم عند موتِ رسولِ الله ﷺ، فقام أبو بكر ﷺ، فحمدَ اللهُ وأثنى عليه، ثم قال: ألا من كان يعبدُ محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت، وقرأ عليهم قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فكشف اللهُ به عنهم الاضطراب، وثاب الناس بكلامه وتوجيهه إلى الجادة والصواب.

أيها المؤمنون! أبو بكر جبلٌ شامخٌ، لا تزعزعه العواصفُ، ولا تستفزه الأزمانُ،

(١) "صحيح مسلم" (١٧٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الزمر (٣٠).

(٣) سورة آل عمران (١٤٤)، والحديث أخرجه البخاري (٣٣٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

رابطُ الجأشِ، سديدُ الرأيِ، فما أن ذاعَ نبأُ موتِ رسولِ الله ﷺ حتى ارتدَّ أحياءٌ من العربِ؛ ومنعَ قومُ الزكاةِ، ونجمَ النفاقِ، وتربَّصَ اليهودُ والنصارى، فكان خطباً جليلاً؛ وحدثاً جسيماً، تنهَّدَ له الجبالُ الراسياتُ، فقال أبو بكر: أنا لها، أنا لها، لأقاتلن من فرَّقَ بين الصلاةِ والزكاةِ، فبعثَ البعوثَ، وجَهزَ الجيوشَ، وقاتلَ المرتدينَ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾<sup>(١)</sup>، وثبَّتَ اللهُ التوحيدَ في جزيرةِ العربِ بالصدِّيقِ، وقصمَ فيها فقارَ الشُّركِ والوثنيةِ، فرضي اللهُ عنك يا أبا بكر، وجزاك عن الإسلامِ والمسلمينَ خيرَ الجزاءِ، وجمعنا بك في جناتِ النعيمِ .

أيها المؤمنون.

هذه ومضاتٌ ولمحاتٌ من سيرةِ الصِّدِّيقِ، وهي قليلٌ من كثيرٍ، وغيضٌ من فيضٍ، فخلالَ أبي بكرٍ معلومةٌ مشهورةٌ: زهدٌ في ورعٍ، بكاءٌ في خشيةٍ، بذلٌ وعطاءٌ، صبرٌ وجهادٌ؛ صحبةٌ وهجرةٌ، خشيةٌ وإنابةٌ؛ حزمٌ وبصيرةٌ؛ صدقٌ وإحسانٌ.

وإذا استطالَ الشيءُ قامَ بنفسه      وصفاتُ ضوءِ الشمسِ تذهبُ باطلاً<sup>(٢)</sup>

✦✦✦

(١) سورة الأحزاب (٢٥) .

(٢) حماسة الظرفاء (٤٢) .

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فألزموا عبادَ اللهِ وصيةَ ربِّ رحيمٍ، قال لكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واقروا سيرَ الصالحين

السابقين واللاحقين؛ فإن في قصصهم وسيرهم عبرةً وعظةً، ينشئُ الله بها أمثالهم

لعلَّ في أمةِ الإسلامِ نابتةٌ حتى تجلو لحاضرها مِرآةَ ماضيها

تري بعض ما شادت أوائلها من الصُّروح وما عاناه بانيها

اعتبروا عبادَ الله، بسيرِ صحابةِ رسولِ الله ﷺ، لتعرفوا فضلهم وسابقتهم، وليرسخ

في قلوبكم حبُّهم، وينشطَ فيها صدقُ الرغبةِ في التأسِّي بهم، ولتعلموا عظمَ جرمِ

الرافضةِ الذين كفَّروا صحابةَ رسولِ الله وعابوهم وسبُّوهم



## ٥٠- صلاح القلوب.

الخطبة الأولى .

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله حقَّ تقايتِه، واعلموا أن تقوى الله - جل وعلا - لن تستقيمَ لكم إلا بإصلاح قلوبكم وتطهيرها من الأمراض والآفات بالبرِّ والطاعات؛ ولهذا فإن الله - جل ذكره - بعث الرسلَ وأنزلَ الكتبَ لإصلاح القلوبِ وتطهيرها، وتركيتها وتطبيها.

كيف لا؟ وبالقلبِ يعرفُ العبدُ ربَّه، فيتعرفُ على أسائه وصفاته، وبالقلبِ يعلم العبدُ أمرَ الله ونهيه، وبالقلبِ يحب العبدُ ربه ويحافه ويرجوه، وبالقلبِ يفلحُ العبدُ وينجو يومَ القيامة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي: أتى الله بقلبٍ سليمٍ من كلِّ شهوةٍ تخالفُ أمرَ الله ونهيه، ومن كلِّ شبهةٍ تعارضُ خبره ونباه.

وبالقلبِ يا عباد الله يُقطعُ سفرُ الآخرة، فإن السيرَ إلى الله تعالى سيرُ القلوبِ لا سيرُ الأبدان.

(١) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.

قطع المسافة بالقلوب إليه لا بالسَّير فوق مقاعد الرُّكبان

قال ابن رجب رحمه الله: "فأفضل الناس من سلك طريق النبي ﷺ وخواص أصحابه في الاجتهاد في الأحوال القلبية، فإن سفر الآخرة يُقطع بسير القلوب، لا بسير الأبدان".

والقلب يا عباد الله هو موضع نظر الله ﷻ من عبده، ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبشاركم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»<sup>(١)</sup>.

فيا لله العجب، من أقوام صرفوا جلَّ اهتمامهم في تحسين ظواهرهم، وغفلوا عن قلوبهم وأفئدتهم، وما أصدق ما قاله ابن القيم رحمه الله:

فالفضل عند الله ليس بصورة ال أعمال بل بحقائق الإيمان<sup>(٢)</sup>

وبصلاح القلب يا عباد الله تصلح الأجساد، ففي "الصحيحين" من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون بالله ورسوله، يا من ترجون الله والدار الآخرة، عليكم بحفظ قلوبكم

(١) "صحيح مسلم" (٢٥٦٤).

(٢) القصيدة النونية (٣٠٦).

(٣) "صحيح البخاري" (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وإصلاحها وحسن النظر فيها وبذل المجهود في استقامتها، واعلموا أنه لن يتم لكم ما ترجونه من صلاح قلوبكم حتى تسلم قلوبكم من أربعة أمور:

**الأول:** أن تسلم من الشركِ صغيره وكبيره، فإنه من أعظم مفسدات القلوب، قال ابن القيم رحمه الله: "ولا صلاح له - أي: للقلب - إلا بتوجيه محبته وعبادته وخوفه ورجائه"<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** أن تسلم من البدعة ومخالفة السنة، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فإذا امتلأ القلب بالبدع أظلم، وإذا أظلم مرض ولم يصح.

**الثالث:** أن تسلم من الشبهات التي تزيغها وتحملها على اتباع الهوى والتكذيب بالحق.

**الرابع:** أن تسلم من الشهوات التي تمرضها وتفسدوها.

أيها المؤمنون.

إن السلامة من هذه الآفات الكبرى، لا تتأتى إلا بأسباب، لا بد من الأخذ بها، ومقدمات لا بد من تحصيلها.

فمن أسباب صلاح القلوب واستقامتها: الأخذ بالقرآن العظيم، تلاوة وحفظاً وتدبراً وتعلماً، فإن الله - سبحانه وتعالى - أنزله شفاءً لما في الصدور وهدى، ورحمةً للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي

(١) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ٣٠/١.

الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ .

فالقرآن أبلغُ موعظةٍ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ، وهو أنفعُ الأدويةِ شفاءً لما في الصدورِ من أمراضِ الشبهاتِ والشهواتِ، قال ابن القيم رحمه الله: "جماعُ أمراضِ القلوبِ هي أمراضُ الشبهاتِ والشهواتِ، والقرآنُ شفاءٌ للنوعين" (٢). فأقبلوا على كتابِ الله يا عبادَ الله، فإنه لا صلاحَ لكم، ولا سعادةَ إلا بالتمسُّكِ به، فاعتصموا به ومن يعتصمَ بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيمٍ.

ومن أسبابِ صلاحِ القلوبِ واستقامتها: إعمارُها بمحبةِ الله تعالى، فلا فلاحَ ولا صلاحَ ولا استقامةَ ولا لذةَ ولا طيبَ إلا بمحبةِ الله تعالى، قال النبي ﷺ: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجدَّ بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ: أن يكون اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما» (٣)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالمحبةُ أعظمُ واجباتِ الدين وأكثرُ أصولِه وأجلُّ قواعده، بل هي أصلُ كلِّ عملٍ من أعمالِ الإيمانِ والدينِ" (٤).

فاجتهدوا يا عبادَ الله في تحصيلِ محبةِ الله تعالى، واعلموا أن طريقها الأكبرُ أداءُ الفرائضِ والواجباتِ، والاجتهادُ في النوافلِ والمستحباتِ، قال الله تعالى في الحديث

(١) سورة يونس: ٥٧ .

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٤٤/١ .

(٣) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) مجموع الفتاوى ٤٨/١٠ .

الإلهي: «وما يزال عبادي يتقرب إليَّ بالنوافلِ حتى أحبه»<sup>(١)</sup>.

ومن أسباب صلاح القلوب وتطبيبهَا: ذكْرُ الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال النبي ﷺ: «مثل الذي يذكرُ ربَّه والذي لا يذكرُ ربَّه كمثل الحيِّ والميت»<sup>(٣)</sup>.

فذكر الله تعالى أيها المؤمنون جلاء القلوب، فإن القلبَ يصدأ كما يصدأ النحاسُ والفضةُ، وجلاؤه ذكْرُ الله تعالى، فأكثرُوا أيها المؤمنون من ذكرِ الله تعالى في جميع الأوقات، لا سيما في أَدبارِ الصلواتِ، وفي الصباح والمساء، وغير ذلك من المناسبات، فإنها من أعظم ما يصلحُ القلوبَ.

عباد الله، إن من أسبابِ صلاحِ القلوبِ: تطهيرها من الآفاتِ والأمراضِ، التي تفسدُها وتعطبُها كالحسدِ والغلِّ والعجبِ والرياءِ والشحِّ، فإن هذه الأمراضُ تفسدُ القلبَ وتصرفُه عن صحتهِ واستقامتهِ، فاحرصوا -بارك الله فيكم- على تطهيرِ قلوبكم من هذه الآفاتِ، فإنه لا نجاةَ للقلبِ إلا بالنجاةِ منها.

أيها المؤمنون! إن من أهمِّ أسبابِ صلاحِ القلوبِ: دعاءُ الله ﷻ وسؤاله إصلاحَ القلبِ وتطبيبهِ، فإن سؤالَ ذلك من أنفعِ الدعاءِ، ومن دعاءِ النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ مصرفَ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

القلوبِ صرّفَ قلوبنا على طاعتك»<sup>(١)</sup>، ومن دعائه أيضاً: «يا مقلبَ القلوبِ ثبّت قلبي

على دينك»<sup>(٢)</sup>، فأكثرُوا من سؤالِ الله التثبيتَ وإصلاحَ القلوبِ.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، والحديث حسنه الترمذي.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

توبوا إلى الله توبةً نصوحاً، فإن الذنوبَ فسادُ القلوبِ وخرابها، ففي الصحيح قال النبي ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوْزِ مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»<sup>(١)</sup>، فبيّن هذا الحديث أثر الذنوبِ على القلبِ، وأنه يطمسُها ويختُمُ عليها، كما قال ابنُ المبارك رحمه الله:

رَأَيْتُ الذَّنُوبَ تَمِثُّ الْقُلُوبَ      وَقَدْ يورثُ الذُّلُّ إِدْمَانَهَا

وتركُ الذَّنُوبِ حَيَاةَ الْقُلُوبِ      وخيرٌ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا<sup>(٢)</sup>

وفي الحديثِ أيضاً أثرُ التوبةِ في تصفيةِ القلبِ وتطهيره وتنقيته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "القلبُ إذا تابَ من الذنوبِ كان ذلك استفرغاً من تخليطاته حيث خلطَ عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فإذا تابَ من الذنوبِ تخلصت قوةُ القلبِ وإرادته للأعمالِ الصالحةِ، واستراح القلبُ من تلك الحوادثِ الفاسدةِ التي كانت فيه"<sup>(٣)</sup>، وقال

(١) أخرجه مسلم (١٤٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) ديوان ابن المبارك (٢٦).

(٣) مجموع الفتاوى ٩٧/١٠.

ابن القيم رحمه الله: "فإذا عزمت التوبة وصحّت ونشأت من صميم القلب أحرقت ما مرّت عليه من السيئات، حتى كأنها لم تكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له" (١).  
فأكثر وأياها المؤمنون من التوبة والاستغفار، فإن التوبة تجلو القلب وتزيل عنه أوضار المعاصي والسيئات، ففي الصحيح من حديث الأغرّ المزني أن رسول الله ﷺ قال: «إنه

ليغان على قلب، وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» (٢).

أيها الحريصون على إصلاح قلوبهم، إن من أسباب استقامة القلب وصلاحه: تعظيم الله تعالى الذي ينشأ عنه تعظيم أمره ونهيه، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣)، وشعائر الله هي أوامره ونواهيه، فعظّموا الله - سبحانه وتعالى - يصلح لكم قلوبكم ويغفر لكم ذنوبكم.

ومن أسباب صلاح القلوب وتطهيرها: الحرص على البعد عن أسباب فسادها وخرابها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (٤)، قال الشيخ عبد الرحمن السّعدي رحمه الله: "وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشرّ فإنه أسلم له وأطهر لقلبه" (٥).

(١) الوابل الصيب (١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٣) سورة الحج: ٣٢.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٦٦/٤.

فكلُّ شيءٍ يفسدُ قلبك أيها العبدُ، فاحرص على تجنُّبه والبعدِ عنه، فإن قلبك أعظمُ ما تملكه، وإذا فسَدَ عليك فسَدَتْ عليك حياتك وأخرتُك.

اللَّهُمَّ أصلح قلوبنا، وآت نفوسنا تقواها، وزكها فأنت خير من زكها.



## ٥١ - سلامة الصدر.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله تعالى حقَّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعلموا أيها المؤمنون أن من لوازم التقوى سلامة الصدر من الغلِّ والحقدِ والحسدِ والضغائنِ والردائلِ، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، ولا يكون صلاح ذاتِ البينِ إلا بسلامةِ الصدرِ من تلك الآفاتِ؛ لذا فإن دينَ الإسلامِ قد حرصَ حرصاً شديداً على أن تكون الأمةُ أمةً واحدةً في قلبها وقالِها، تسودها عواطفُ الحبِّ المشتركِ والودِّ الشائعِ، والتعاونُ على البرِّ والتقوى، والتناصحُ البناء الذي يثمرُ إصلاحَ الأخطاءِ مع صفاءِ القلوبِ وتألفِها، دونَ فرقةٍ وغلِّ وحسدٍ ووقيةٍ وكيدٍ وبغيٍّ. وقد جاءت الآياتُ القرآنيةُ والآثارُ النبويةُ منسجمةً متناسقةً متضافرةً لتحقيق ذلك المقصدِ الشرعيِّ الكبيرِ.

فمن تلك الآياتِ: قولُ الله تعالى في الطائفتينِ المقتلتينِ من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

(١) سورة الأنفال: ١.

إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١﴾<sup>(١)</sup>، فالأخوة الإيمانية تعلقو على كل خلافٍ مهما اشتدت وطأته واضطربت شدته، وبلغ حدَّ الاشتباك المسلح.  
 أما الأحاديث، فمنها: قوله ﷺ: « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا،  
 وكونوا عبادَ الله إخواناً »<sup>(٢)</sup>.

ومنها قوله ﷺ: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبنينِ، يشدُّ بعضُهُ بعضاً، وشبكَ بين أصابعِهِ»<sup>(٣)</sup>.  
 ولقد ضربَ الصحابةُ رضي الله عنهم أروعَ الأمثلةِ في سلامةِ القلوبِ وطهارةِ الصدورِ، فكان لهم من هذه الصفةِ أوفرُ الحظِّ والنصيبِ، فلقد كانوا رضي الله عنهم صنفاً واحداً يعطفُ بعضُهُم على بعضٍ، ويرحمُ بعضُهُم بعضاً، ويحبُّ بعضُهُم بعضاً، كما وصفهم - جل وعلا - بذلك حيث قال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وكما قال - جل ذكره - في وصفهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾<sup>(٥)</sup>.

لقد كان لسلامةِ الصدرِ عندهم منزلةٌ كبرى، حتى إنهم جعلوها سببَ التفاضلِ

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٢٧)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) سورة الحشر: ٩.

(٥) سورة الفتح: ٢٩.

بينهم، قال إياس بن معاوية بن قررة عن أصحاب النبي ﷺ: "كان أفضلهم عندهم أسلمهم صدراً وأقلهم غيبة"<sup>(١)</sup>، وقد قال سفيان بن دينار لأبي بشر أحد السلف الصالحين: "أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً. قال سفيان: ولم ذاك؟ قال أبو بشر: لسلامة صدورهم"<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن المرء لا ينقضي عجبُه من ذلك الجليلِ الصالحِ الكريمِ حيث إن قلوبهم بقيت صافيةً وسليمةً، سرائرهم طيبة نقية، رغم ما وقعَ بينهم من فتنٍ كبارٍ، أشهرت فيها السيوفُ واشتبتك فيها الصفوفُ، فلا إله إلا الله، ما أطيبَ المعشرَ وأكرمَه، ومن تلك المواقف ما حفظه التاريخ عن الشعبي رحمه الله قال: رأى علي بن أبي طالب ﷺ طلحة بن عبيد الله ﷺ في وادٍ ملقى، بعد وقعة الجمل التي كانت بين عليٍّ ﷺ وبين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم، فنزل ﷺ فمسح الترابَ عن وجه طلحة، وقال: عزيزٌ عليَّ يا أبا محمد أن أراك مجندلاً في الأودية تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عَجْرِي وبُجْرِي<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون..

إن سلامة الصدرِ خصلةٌ من خصالِ البرِّ عظيمةٌ، غابت رُسومُها واندثرت معالمُها وخبثت أعلامُها، حتى غَدَت عزيزة المنالِ عسيرة الحصولِ، مع ما فيها من الفضائلِ

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٣ / ٤٩٧.

(٢) الزهد لابن السري ٢ / ٦٠٠.

(٣) أسد الغابة ٢ / ٤٥.

والخيرات.

وها أنا ذا أذكر بعض فضائلها عسى أن تكون حافزا لنا على الأخذ بها والحرص عليها، فإنه قبل الرّماء تملأ الكنائن.

فمن فضائل سلامة الصدر: أنها صفة أهل الجنة الذين هم خير أهل ومعشر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن فضائل سلامة الصدر أن صاحبها خير الناس وأفضلهم، فإن النبي ﷺ قد سئل: أي الناس أفضل؟ فقال: «كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقُ اللِّسَانِ» قالوا: فما مخموم القلب؟

قال ﷺ: «هو التقيّ النقيّ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد»<sup>(٢)</sup>، فبدأ ﷺ بالتقوى التي تثمر صفاء القلوب وسلامتها من الآفات والرذائل.

ومن فضائل سلامة الصدر أنها من موجبات الجنة فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان اليوم الثاني قال النبي ﷺ مقالته الأولى. فطلع ذلك الرجل، وكذلك في اليوم الثالث. فلما قام النبي ﷺ تبع عبد الله بن عمرو بن العاص ذلك الرجل فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي؟ فقال: نعم. قال أنس (راوي الحديث

(١) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الكناي في مصباح الزجاجة (٣٠٥١).

(: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله إنني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت ثلاث مرات. فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به. فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ذلك؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. قال: فلما وليت دعائي فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من فضائل سلامة الصدرِ جمعية القلبِ على الخيرِ والبرِّ والطاعةِ والصلاحِ، فليس أروحَ للمرءِ ولا أطرَدَ لهممٌ ولا أقرَّ للعينِ من سلامةِ الصدرِ على عبادِ اللهِ المسلمينِ. ومن فضائلِ سلامةِ الصدرِ أنها تقطعُ سلاسلَ العيوبِ وأسبابَ الذنوبِ، فإن من سلِمَ صدره وطَهَرَ قلبه عن الإراداتِ الفاسدةِ والظنونِ السيئةِ عَفَّ لسانه عن الغيبةِ والنميمةِ وقالةِ السوءِ.

ومن فضائلِ سلامةِ الصدرِ أن فيها صدقُ الاقتداءِ بالنبيِّ ﷺ؛ فإنه ﷺ أسلمَ الناسِ صدرًا وأطيبهم قلباً وأصفاهم سريرةً، وشواهدُ هذا في سيرتهِ كثيرةٌ، ليس أعظمها أن

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٨٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠٤٨).

قَوْمَهُ أَدَمُوا وَجَهَهُ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَشَجَّوْا رَأْسَهُ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ، فَكَانَ يَسْلُتُ الدَّمَ  
وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها الناس.

اتقوا الله وطيبوا قلوبكم وطهروها من الآفات، كما أمركم الله تعالى حيث قال:

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>

فإن سوء الطوية وفساد الصدور ومرض القلب من باطن الإثم الذي أمرتم بتركه.

أيها المؤمنون.

اعلموا أنه لا نجاة ولا فلاح للعبد يوم القيامة، إلا بأن يقدم على مولاه بقلب طيب

سليم، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> وصاحب القلب السليم هو الذي سلم صدره وعوفي فؤاده من الشرك

والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدينار والرياسة، فسلم من كل آفة تبعد

عن الله تعالى.

أيها المؤمنون

إن لسلامة الصدر أسباباً وطرقاً لا بدَّ من سلوكها.

فمن تلك الأسباب: الإخلاص لله تعالى، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«ثلاث لا يُغَلُّ عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم

(١) سورة الأنعام: ١٢٠.

(٢) سورة الشعراء: ٨٨، ٨٩.

جماعة المسلمين»<sup>(١)</sup> ، قال ابن الأثير عند هذا الحديث: "إن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر"<sup>(٢)</sup>.

ومن أسباب سلامة الصدر: الإقبال على كتاب الله تعالى، الذي أنزله شفاءً لما في الصدور، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فكلما أقبلت يا عبد الله على كتاب الله تلاوة وحفظاً وتدبراً وفهماً صلح صدرك وسلم قلبك.

ومن أسباب سلامة الصدر: دعاء الله تعالى أن يجعل قلبك سليماً من الضغائن والأحقاد على إخوانك المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون..

إن من طرق إصلاح القلب وسلامة الصدر: إفشاء السلام بين المسلمين، ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا

(١) أخرجه أحمد (١٢٩٣٧). من حديث زيد بن ثابت، قال الترمذي (٢٦٥٦): "حديث زيد بن ثابت

حديث حسن"، وقال الهيثمي في "المجمع" (١٤٢/١١): "رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وثقوا".

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٧١٧/٣.

(٣) سورة يونس: ٥٧.

(٤) سورة الحشر: ١٠.

تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»<sup>(١)</sup>، وقد أجاد من قال:

قد يمكثُ الناسُ دهرًا ليس بينهمُ  
وَدُّ فيزرعُه التسليمُ واللففُ<sup>(٢)</sup>

ومن أسباب سلامة الصدر: الابتعاد عن سوء الظن، فإنه بئس سريرة الرجل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد قال النبي ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»<sup>(٤)</sup>.

فانظر كيف بدأ بالتهي عن سوء الظن؛ لأنه الذي عنه تصدر سائر الآفات المذكورة في الحديث، فالواجب عليك يا عبد الله أن تطهر قلبك من سوء الظن ما وجدت إلى ذلك سبيلاً. أيها المؤمنون.

هذه بعض أسباب صلاح القلب وسلامة الصدر، فإنه من صدق في طلبها أدركها ف:  
لو صحَّ منك الهوى أرشدت للحيل<sup>(٥)</sup>

اللهم إنا نسألك صدوراً سليمة وقلوباً طاهرة نقية، اللهم طهر قلوبنا من الشرك والشك والنفاق وسائر الآفات.

(١) أخرجه مسلم (٥٤).

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (٥٧).

(٣) سورة الحجرات: ١٢.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) التمثيل والمحاضرة (٤٨).

## ٥٢- أسباب انشراح الصدر.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها الناس.

اتقوا الله، فإن سعادة الدنيا ونعيم الآخرة تُنالُ بصلاح القلوب وانشراحها، وزوال همومها وغمومها.

أيها المؤمنون.

إن أعظم ما تنشرح به صدور العالمين: ما ذكره الله ربُّ الأوّلين والآخِرِينَ في محكم التنزيل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup>، فالإسلامُ أعظم ما يشرح اللهُ به الصّدر، فبقدرِ التزام العبدِ به يحصلُ من البهجةِ والسرورِ، فالزموا طاعةَ الله وطاعةَ رسوله تدرِكوا هذا المطلوبَ، أقيموا أركانه، واحفظوا شرائعه وحدوده يشرح اللهُ صدوركم ويُبرِّق قلوبكم.

(١) سورة الأنعام (١٢٥).

أيها المؤمنون.

إن من أعظم أسبابِ شَرِّهِ الصَّدْرِ: اللَهَجُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَرْطِيبِ اللِّسَانِ عَلَى الدَّوَامِ بِذَلِكَ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(١)</sup>، فإذا أكثرَ العبدُ ذَكَرَ رَبَّهُ انْفَسَحَ لَهُ صَدْرُهُ، وَانْشَرَحَتْ نَفْسُهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْخَيْرَاتِ وَانصَرَفَ عَنِ السَّيِّئَاتِ، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنْ شَرَّعَ الْإِسْلَامَ قَدْ كَثُرْتُ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ». فَقَالَ ﷺ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي "صحيح البخاري" قال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»<sup>(٣)</sup>.  
فاذكروا الله كثيراً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

أيها المؤمنون.

إن من أسبابِ انشراحِ الصَّدْرِ: الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَالسَّعْيُ فِي نَفْعِهِمْ بِالْمَالِ أَوْ الْجَاهِ أَوْ الْبَدَنِ أَوْ بغيرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحَ النَّاسَ صَدْرًا وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا وَأَنْعَمَهُمْ قَلْبًا، أَمَا الَّذِي يَحْسِبُ الْخَيْرَ عَنِ النَّاسِ وَيَمْنَعُهُمْ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا وَأَنْغَضُهُمْ عَيْشًا وَأَعْظَمُهُمْ هَمًّا وَغَمًّا، فَأَحْسَنُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَ«لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الرعد (٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٢٢٧)، والترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣) عن عبد الله بن بسر ؓ، وقال الترمذي: "حسن غريب".

(٣) "صحيح البخاري" (٦٤٠٧) من حديث أبي موسى الأشعري ؓ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر ؓ.

أيها المؤمنون.

إن من أسباب انشراح الصدر: العلم بالكتاب والسنة، فإن العلم الشرعي يشرح الصدر ويوسّعه حتى يكون أوسع من الدنيا، فكلما اتسع علم العبد انشراح صدره واتسع، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾<sup>(١)</sup>.

فأقبلوا أيها المؤمنون على كتاب الله وسنة رسوله، فإن فيهما الخير والهدى والبر والتقوى والسعادة في الآخرة والأولى.

أيها المؤمنون.

إن من أسباب انشراح الصدر: الإنابة إلى الله تعالى ومحبتة والإقبال عليه والتوبة إليه، فإنه لا شيء أشرح لصدر العبد من هذا، وقد قال ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجدَّ بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفرِ بعد إذ أنجاه الله منه كما يكره أن يُلقى في النارِ»<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من أسباب انشراح الصدر اتباع سنة النبي ﷺ في الأمر كله، فإن خير الهدى هدى محمد ﷺ.



(١) سورة الأنعام (١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

أيها المؤمنون.

اتقوا الله ربكم، واستكثروا من الأعمال الصالحة قبل نزول الآجال وانقطاع الأعمال، سابقوا أيها المؤمنون إلى الخيرات وبادروا إلى الطاعات واعزموا عليها، ففي "الصحيحين" من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت تخبر عن النبي ص ﷺ: «ما رأيت في شهر أكثر صياماً منه في شعبان»<sup>(١)</sup>.

فالنبي ﷺ كان يكثر الصيام في هذه الأيام، فأكثرُوا من صيامها أيها الناس، فإن خير الهدى هدي محمد ﷺ، وفي ذلك تمرين لكم على الصيام، فصيام شعبان بمنزلة الراتبه للفريضة، تُعين عليها وتسهلها.  
أيها الناس.

من كان منكم عليه شيءٌ من قضاء رمضان السابق، فيجب عليه قضاؤه قبل مجيء رمضان الآخر، ولا يجوز تأخيرُه عن ذلك إلا لضرورة، فاتقوا الله عباد الله، وبادروا إلى القضاء، وذكروا أهليكم بذلك، وأعينوهم عليه كما أمركم الله بذلك، حيث قال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾<sup>(٢)</sup> فهذا الحكم يعم كل عبادة واجبة، وإنما ذكر

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (٢٧٧٩).

(٢) سورة طه (١٣٢).

الصلاة لكونها أشرف العبادات، وأجل الواجبات، بعد التوحيد.

أيها المؤمنون..

يجدر بنا التنبيه إلى أنه لم يثبت نص يستند إليه في فضل ليلة النصف من شهر شعبان، وغاية ما ورد آثاراً عن بعض التابعين، فلا ينبغي أن تميز هذه الليلة بشيء من العبادات،

بل اجتهدوا في الخيرات وفق سنة خير البريات، نبينا محمد ﷺ.



## ٥٣- آلام وآمال.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، فقد أوصاكم بتقواه، واشكروه على أن اختاركم على العالمين، فجعلكم من أتباع خاتم النبيين وإمام المرسلين نبينا محمد ﷺ، في وقتٍ اندرست فيه أعلام الهدى، وكثر فيه أهل الباطل والفساد، ونفقت فيه بضاعة أهل الإباحية والإلحاد، وراجت فيه سوق الزندقة والنفاق عند أكثر العباد، تفتت فيه البدع والحداثت، فلبست الأمة فتن، ربا فيها الصغار، وفني عليها الكبار، قل الفقهاء والعلماء والصلحاء، وكثر الأديعاء والقراء، فظهر صدق ما أخبر النبي ﷺ مما ستقع فيه الأمة من الانحرافات والمنكرات والمخالفات.

فمن ذلك: أن النبي ﷺ الذي أمضى أكثر دعوته يحذر من الشرك ويدعو إلى التوحيد، أخبر أن الشرك سيقع في الأمة فقال: «لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فتأم من أمتي الأوثان»<sup>(١)</sup> وها هو صدق ما أخبر به ﷺ، فإن فتأما من الأمة بينون القباب على القبور، ويعمرون المشاهد والأضرحة، يدعون غير الله

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وابن ماجه (٣٩٥٢) من حديث ثوبان رضي الله عنه،

وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٦٥٤).

ويعبدون الأموات ويزبحون لهم القرابين، وينذرون لهم النذور، يُعلنون أعلام الشرك، ويطمسون منارات التوحيد.

ومما وقع في الأمة وقد أخبر به ﷺ: متابعة اليهود والنصارى والتشبه بهم والأخذ عنهم، ففي "الصحيحين" أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»<sup>(١)</sup>

والأمة اليوم تتسابق وتتسارع في التبعية لليهود والنصارى والتشبه به، حتى أصبح تقليدُهم ومضاهياتهم في سلوكهم وأفكارهم وأخلاقهم ونظُمهم واقتصادياتهم وسياساتهم معيار التحضر والتقدم والتمدن عند كثير من المسلمين، فإننا لله وإنا إليه راجعون. وأخبرنا أيضاً ﷺ أن الأمة ستضطرب موازينها وتتكسر مقاييسها وتُغش معاييرها، فقال ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصدَّق فيها الكاذبُ ويكذَّب فيها الصادقُ، ويؤمَّن فيها الخائنُ، ويخون فيها الأمينُ، وينطق فيها الرؤيضةُ، قيل: وما الرؤيضة؟ قال: الرَّجُلُ النَّافِهُ يتكلَّم في أمرِ العامَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

ومما أخبر به ﷺ: أن الأمة ستدعُ الجهادَ وتأخذُ أسبابَ الضعفِ والرقادِ، فقال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذنابَ البقرِ ورضيتم بالزرعِ وتركتم الجهادَ سلَّط اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»<sup>(٣)</sup>.

(١) تقدم تخريجه في ص (١١٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم (٨٤٩٣) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والحديث صححه الألباني في صحيح

الترغيب والترهيب (١٣٨٩).

وهاهي الأمة رَكَنتْ إلى الدنيا وأعرَضَتْ عن الآخرة، هَجَرَتْ ظهورَ الخيلِ التي عُقِدَ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ، وأَخَذَتْ أذنانَ البَقْرِ، فسَلَطَ اللهُ عليها الذُّلَّ الموعودَ، حتى تَجَرَّعتْ كؤُوسَ الذُّلِّ والهوانِ والصِّغارِ من أذَلِّ الخلقِ يهودَ، الذين ضُرِبَتْ عليهم الذلَّةُ والمسكَنَةُ وبأؤوا بغضبٍ على غضبٍ حتى غَدَتْ كما قال الأول:

وَيُقْضَى الأَمْرُ حِينَ تَغِيْبُ تَيْمٌ      ولا يَسْتَأْذِنونَ وَهُمُ شَهودٌ<sup>(١)</sup>

هذا بعضُ ما أخبر به النبي ﷺ أنه سيقعُ في الأمة، وهو وللأسفِ جزءٌ من واقعها اليومَ لا يمكنُ إغفاله، فالأمةُ اليومَ تصطلي بنارِ الوهنِ والضعفِ والغفلةِ من أبنائها، وبنارِ الكيدِ والمكرِ والتخطيطِ والتشويهِ والتدميرِ والمسخِ من أعدائها، فالأزماتُ والكروبُ تحدِّقُ بها من كلِّ جانبٍ، فالحقُّ في أمتنا ضعيفُ الشوكَةِ مهَيَّضُ الجناحِ؛ لذا فإن الناظرَ لحالِ أمتنا اليومَ قد تعتريه مشاعرُ اليأسِ والقنوطِ من ابتعاثِ هذه الأمة وحياتها، وقد تتنابه مشاعرُ الإحباطِ من أن تعود هذه الأمة إلى سابقِ عزمها وسالفِ مجدها ومكانتها.

ولكن هذا الشعورَ وهذه الهواجسَ والوساوسَ سرعانَ ما تبددُ وتنقشعُ وتزولُ وتضمحلُّ عندما ندركُ أن الله ﷻ وَعَدَنَا بحفظِ دينه كما قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكرَ وإنا له لحافظون﴾<sup>(٢)</sup> فهذه الأمةُ محفوظةٌ بحفظِ رسالتها ودينها وكتابها، فهي باقيةٌ ما بقيَ الليلُ والنهارُ.

(١) خزانة الأدب ٢٧/٣.

(٢) سورة الحجر: ٩.

وَوَعَدَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَنْ لَا يَجْمَعَهَا عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهَا مَعَهَا ضَعُفَتْ وَبُعِدَتْ وَأَعْرَضَتْ  
عَنْ ذِكْرِهِ وَدِينِهِ سَبْحَانَهُ، فَلَا تَزَالُ فِيهَا طَائِفَةٌ تَحْمِلُ هَذَا الدِّينَ، هِيَ مَنْارٌ لِلسَّائِرِينَ  
وَدَلِيلٌ لِلْحَائِرِينَ وَمَلَاذٌ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ، يَقُومُونَ لِلَّهِ بِالْحُجَّةِ وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ،  
يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، فَمِمَّا تَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «  
لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ، وَلَفْظُ  
الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا  
يُضْرَبُ مِنْ خَدِّهِمْ وَلَا مِنْ خَالَفِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» جَعَلْنَا اللَّهَ  
وَأَيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

وَمِمَّا يَسْرِي عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ تَقَرَّحَتْ قُلُوبُهُمْ وَتَفْتَقَتْ أَفْعُدُهُمْ مِمَّا نَزَلَ  
بِالْأُمَّةِ مِنَ الْمَاسِي وَالْخَطُوبِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ آخِرَ مِنْ  
اللَّهِ عَلَى دِينِهِ أَنْ يُذَلَّ أَوْ يُمْتَهَنَ، وَلَا عَلَى أَوْلِيَائِهِ أَنْ يُعَدَّبُوا أَوْ يُقَهَّرُوا، وَهُوَ سَبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى تَكْفَلُ بِنَصْرِ دِينِهِ وَإِظْهَارِهِ عَلَى كُلِّ دِينٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ  
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ فِيمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ  
اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ - أَي: جَمَعَهَا وَضَمَّهَا - فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنْ مُلِكَ أُمَّتِي

(١) أخرجه مسلم (١٥٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١).

(٣) سورة التوبة: ٣٣.

سبيلُ ما زوى لي منها»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ مبشراً أمته فيما أخرجه أحمد وغيره: (ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدبر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزٍ عزيز أو بذلٍ ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذلُّ به الكفر»<sup>(٢)</sup>).

وما أجمل ما قاله ابن القيم رحمه الله في نونيته:

والله كافٍ عبده بأمان	فالله ناصر دينه وكتابه
فقتالهم بالكذب والبهتان	لا تخش من كيد العدو ومكرهم
واصبر فنصر الله ربك دان	واثبت وقاتل تحت رايات الهدى
تعجب فهذي سنة الرحمن	والحق منصور وممتحن فلا
تت هنا كانت لدى الديان <sup>(٣)</sup>	لكنما العقبى لأهل الحق إن فا



(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٥٠٩) من حديث تميم الداري رضي الله عنه، والحديث صححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧).

(٣) القصيدة النونية (١٦).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فمن بشائر الخير التي بشر- بها نبينا محمد ﷺ أمته ما رواه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »، فكلما أصاب الأمة الضعف والوهن، وقل تمسكها بدين الله تعالى بعث الله لها من يردها إلى جادة الطريق، ويعيدها إلى الصراط المستقيم.

وإن من بشائر الخير وبوارق الأمل التي تشع في النفوس الفرح والسرور، وتلبسها لباس البهجة والحبور، هذه الجذوة التي تلوح في الأفق، تشرق كالفجر والتي يسمونها الصحوة، وهي حقيقة تجديد وبعث لهذا الدين، أهلها من الغرس الموعود الذي بشر به النبي ﷺ، ففي "سنن ابن ماجه" بسند جيد عن أبي عتبة الخولاني قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يزال الله يغرُس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته »، فأهل الصحوة هم غرس الله، وهم حُرَّاسُ الدِّينِ وحماته، قبلوا شريعة الله قولاً وفعلاً، وحرسوا سنة نبيه حفظاً وعملاً، قوامون بأمر الله، عن الدِّينِ ينافحون، ودونه يناصرون، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

هدم الله بهم البدع المحدثه للمذاهب الضالة والآراء المنحرفة، صاحوا بأعلى أصواتهم ينادون بالعودة إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما في العقائد والأحكام، فمن

(١) "سنن أبي داود" (٤٢٩١) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٧٥٥).

(٢) "سنن ابن ماجه" (٨) وصححه الكناي في مصباح الزجاجه (٤).

الله ﷻ على كثيرٍ من المسلمين فاستجابوا لدعاة الإيمان مع كثرة العوائق والعقبات، فعاد قطع عريض من الأمة إلى الله تعالى، فحيثما توجهت رأيت رجوعاً خاشعاً خاضعاً لله تعالى، ووجدت نفوساً متعطشةً إلى الدين وأهله، مشتاقةً إلى الإسلام ورجاله، بعد أن أضناها طول السرى وراء مناهج الكفر والإلحاد، وأرهقها طول السعي وراء السراب، وأمضاها السير في دروب التيه والظلام، فحيثما مشيت سمعت أهات التائبين وزفرات النادمين وعبرات الباكين تردد ودموع الخشوع والندم تزين وجوههم: تائبون عائدون لربنا حامدون، فالحمد لله الذي نصر دينه وأنجز وعده وهزم الأحزاب وحده، وصدق القائل:

صُبْحُ تنفسِ بالضياء وأشرفاً والصحوه الكبرى تهز البيرقا  
ما أمر هذي الأوبة الكبرى سوى وعد من الله الجليل تحقفا

عباد الله، إن هذه الوعود وهذه الآمال وهذه المبشرات لا تعفي الأمة وأهل الصحوه والخير خاصة من العمل الدائب والكذب الدائم الناصح، فلا بد من جهد صادق ونية صالحة ودعوة مثابرة وعلم راسخ حتى يتحقق للأمة نصر. الله تعالى، فإن الله سبحانه وعد الأمة بالنصر والعز والتمكين والظهور على الأعداء والمعاندين إذا استقامت على الشرع القويم علماً ودعوة وعملاً، قال الله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾<sup>(١)</sup>.

ولا يظن ظان أن هذا النصر. وهذا الوعد بالتمكين سيأتي بارداً بلا آلام وتضحيات

، فَإِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ تَعَالَى تَأْبَى ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فنسأل الله الكريم ربَّ العرشِ العظيم أن يرزقنا وإياكم الثباتَ على الدين، وأن يجعلنا جميعاً من عباده المتقين ومن حزبه المفلحين وأن يقر أعيننا بنصر الدين.



## ٥٤- وجوب الخوف من الذنوب.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المؤمنون اتقوا الله، وذروا ظاهر الإثم وباطنه، فإن الذنوب والآثام أصل كلِّ بلاءٍ، ومصدر كلِّ فتنَةٍ، وسبب كلِّ فسادٍ في البرِّ أو البحرِ، كما قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فكلُّ بلاءٍ وحادثةٍ، وكلُّ فتنَةٍ وكارثةٍ، وكلُّ تغيُّرٍ في أحوالِ الناسِ، فبسببِ ذنوبِهِمْ وما كَسَبَتْ أَيْدِيَهُمْ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وأقلِّعوا عن الذنوبِ والمعاصي، واحذروا مكرَ الله تعالى، فإن مكرَ الله بأعدائه شديدٌ، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا

(١) سورة الروم: ٤١.

(٢) سورة الشورى: ٣٠.

هُم بِمُعْجِزِينَ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ ، وقال الله تعالى:  
 ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ \* وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
 بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ \* أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ  
 الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٢﴾ .

أيها المؤمنون.

إن مما يؤكد وجوب الخوف من الذنوب والمعاصي والحذر من عاقبتها وشؤم مآلها أن  
 الله تعالى قد أهلك أُمماً وأقواماً وقرى وقروناً، كانوا أشدَّ قوةً وأطول أعماراً وأرغد  
 عيشاً وأكثر أموالاً، فاستأصلهم وأبادهم ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ  
 وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ \* فَمَا بَكَتْ  
 عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿٣﴾ وما ذاك والله إلا بسبب الذنوب والآثام  
 والخطايا والأوزار، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا  
 حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا \* فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ ﴿٤﴾ ،  
 وقال تعالى بعد أن ذكر جمعاً من الأمم التي عصت وعتت وأذنت وكذبت الله ورسله:  
 ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ

(١) سورة النحل: ٤٥-٤٧ .

(٢) سورة الأعراف: ٩٧-٩٩ .

(٣) سورة الدخان: ٢٥-٢٩ .

(٤) سورة الطلاق: ٨-٩ .

مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ .

لهذا المعنى قال ابن القيم - رحمه الله - كلاماً طويلاً، منه قوله رحمه الله: "وهل في الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلا سببه الذنوب والمعاصي، وما الذي غرق أهل الأرض كلهم حتى بلغ الماء فوق رؤوس الجبال، وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قُطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم، وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً، وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، وإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد" (٢).

أيها المؤمنون! لم يجر ما جرى لهؤلاء إلا بسبب الذنوب والآثام، وهذه سنة الله في كل من عصاه وخالف أمره وتكبد عن صراطه، وهجر هُدهاه وهي لا تتغير ولا تتبدل. فسنة الله الدينية الشرعية مطردة منضبطة، لا تتغير فما وقع من العذاب للأمم السابقة يقع لكل أمة شابهتها في كل عصرٍ ومصرٍ، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٣).

(١) سورة العنكبوت: ٤٠.

(٢) الجواب الكافي (٤٣).

(٣) سورة فاطر: ٤٣.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

قد أخبر النبي ﷺ أن من الذنوب والآثام ما هو سببٌ لحلول العقاب والعذاب العام، فمن ذلك ما أخرجه ابن ماجه والحاكم بسندٍ لا بأس به من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ قَطُّ ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، إِلَّا أَحْدُوا بِالسِّنِينَ ، وَشَدَّةِ الْمُؤُونَةِ ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من أسباب نزول البلاء وحلول الهلاك ظهور الربا، الذي قال فيه النبي ﷺ: «الربا ثلاثٌ وسبعون شعبةً، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا الاستطالة في

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) وأبو نعيم (٣٣٣/٨) ، والحاكم (٥٨٣/٤) ح (٨٦٢٣) وقال : " صحيح

عرض الرجل المسلم»<sup>(١)</sup>.

وقد تهَدَّد اللهُ تعالى أهلَ الرِّبَا وتوعَّدَهُم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد أذنَ اللهُ تعالى المِرابِينَ المِصرِّينَ بالحِربِ، فيالها من عقوبةٍ عَظيمةٍ، لا تقومُ لها الجبالُ الرَّوَاسِي.

وقد جعلَ اللهُ تعالى أكلَ الرِّبَا سبباً لتَحريمِ الطَّيبَاتِ، فقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً \* وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدِ بُهِتُوا عَنْهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي "مسند الإمام أحمد" من حديثِ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما من قومٍ يظهرُ فيهم الرِّبَا إلا أخذوا بالسَّنة»<sup>(٤)</sup>؛ أي: الجَدْبِ والقَحْطِ. فاتقوا اللهُ أيها المؤمنون ولا تأكلوا الرِّبَا أضعافاً مضاعفةً. أيها المؤمنون.

ومن أسبابِ نزولِ العقوباتِ الشُّحُّ الذي بُليتَ به كثيرٌ من النفوسِ، فحملتهم على

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣|٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٢) سورة البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) سورة النساء: ١٦٠-١٦١.

(٤) "مسند أحمد" (١٧٣٦٧).

أخذ الأشياء من غير حلّها، ومنع ما أوجب الله عليها من الحقوق، وحقائق الشحّ تشوّق النفس إلى ما حرّم الله ومنع، فلا يقنع المرء بما أحلّ الله له من مالٍ أو نكاحٍ أو نصيبٍ، فيتعدّى إلى ما حرّم الله تعالى، وقد حدّر الله من الشحّ، فقال: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي "صحيح مسلم" من حديث جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اتقوا الشحّ، فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»<sup>(٢)</sup>.  
نعوذ بالله من معصيته وغضبه وسوء عاقبته.



(١) سورة التغابن: ١٦.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

## ٥٥- أسباب المغفرة.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها الناس.

«كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ»<sup>(٢)</sup>، فنحن أيها الناس موطنُ الخطايا والسيئاتِ، أنا وأنت يا عبدَ اللهِ، مستودعُ الذنوبِ والهفواتِ، غرَّتنا هذه الدنيا بزخرفها، وما فيها من الشهواتِ والملذاتِ، وأعانَ على ذلك نفسٌ بالسوءِ أمارَةٌ، وشيطانٌ رجيمٌ على بابِ الصالحاتِ قاعدٌ يزهدُ، وعلى بابِ المعاصي والسيئاتِ قائمٌ يرغَّبُ ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الحشر (١٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٥٧٦)؛ والترمذي (٢٤٢٣)؛ وابن ماجه (٤٢٥١)؛ والدارمي (٢٧٢٧)، والحاكم

(٧٦١٧) وصححه، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) سورة الأعراف (١٦-١٧).

أيها الناس.

هذه حال كثيرٍ منا، إقامةً على الذنبِ والعصيانِ، وهجرٌ وتركٌ للطاعةِ والإحسانِ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فإننا لله وإنا إليه راجعون، فلا ملجأً ولا ملاذً ولا مفرًّا ولا وزرًا إلا عفوُ الله ورحمته ومغفرته وإحسانه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، إن ربكم عفوٌ كريمٌ جوادٌ برٌّ رحيمٌ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾<sup>(٣)</sup> ضعيفاً في خلقه وبنيتِه، ضعيفاً في رأيه وإرادته، فمن رحمةِ الله بنا تخفيفُهُ عنا:

وهو العفوُ فعفوهُ وَسِعَ الْوَرَى لولاه غَارَ الْأَرْضِ بِالْإِنْسَانِ<sup>(٤)</sup>

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>، فربنا البرُّ الرؤوفُ الرحيمُ أيها المؤمنون واسعُ المغفرةِ والرحمةِ ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾<sup>(٦)</sup>، قال جلُّ شأنه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾<sup>(٧)</sup>، فاللهُ جلُّ في علاه لم يزل ذا عفوٍ عن الذنبِ، لم يزل يجود ويعفو منَّةً وتكرماً طمَّعكم في جوده وكرمه

(١) سورة يوسف (١٠٣).

(٢) سورة الذاريات (٥٠).

(٤) سورة النساء (٢٨).

(٦) سورة غافر (٧).

(٧) سورة النجم (٣٢).

ومغفرته وإحسانه، فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد جعل الله ﷻ بعلمه وحكمته وفضله ورحمته لنيل عفوهِ وحصول مغفرته أسباباً وطرقاً كثيرةً عديدةً يسيرةً متنوّعةً، فاجتهدوا في الأخذ بأسباب العفو والمغفرة، فإن الذنوب والمعاصي سلاسل وأغلال في عنق صاحبها، لا يفكّه منها إلا عفو الله ومغفرته، فالله يدعوكم يا عباد الله ليغفر لكم من ذنوبكم، وقد أمركم بحث الخطأ وإسراع السير إليه سبحانه، فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»<sup>(٣)</sup> فسبحان من وسع حلمه وعفوه ورحمته أهل السماوات والأرض. فيا أيها الناس :

كم ذا التأخر لا إقلاع يصحبه ولا عزيمة هذا العجز والكسل

فالبدار البدار يا عباد الله إلى الأخذ بأسباب العفو والغفران قبل فوات الأوان، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم .

(١) سورة الزمر (٥٣).

(٢) سورة آل عمران (١٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٧٧)، ومسلم (١٢٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المؤمنون! إن أعظم ما يحصل به العبد مغفرة الله وعفوه كثرة التوبة والاستغفار؛ ولذلك أمر الله بها جميع المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد وعد الله التائبين بالقبول، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فبادروا عباد الله إلى التوبة النصوح، فإن التوبة تُجِبُّ ما قبلها؛ فبالتوبة يمحو الله الخطايا ويعفو عن السيئات، ألا وإن التوبة الصادقة يا عباد الله لا تكون إلا بالإقلاع عن المعصية، والندم على واقعة الخطيئة، والعزم على عدم العودة إلى الرذيلة، وردّ المظالم إلى أهلها أو استحلالهم، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فإذا فعلت أيها المؤمن هذا فأبشر- فإنك حبيب الله، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، فكونوا عباد الله ممن وصف الله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. فأكثرُوا عباد الله من التوبة والاستغفار، قال الله تعالى في الحديث الإلهي: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم»<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون! إن مما تكفّر به الخطايا وتحصل به مغفرة السيئات الأعمال الصالحات،

(١) سورة النور (٣١).

(٢) سورة الشورى (٢٥).

(٣) سورة آل عمران (١٣٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾<sup>(١)</sup>.

فالحسنات والصالحات تكفّر الخطايا والسيئات، ففي الصحيح جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني عاجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسّها، فأنا هذا فاقض فيّ ما شئت، فقال له عمر رضي الله عنه: لقد سترك الله لو سترت نفسك. قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئاً، فقام الرجل فانطلق فأرسل إليه النبي رجلاً، وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، واستكثروا من الأعمال الصالحات، من الوضوء والصلاة والصدقة والصوم والحجّ والجهاد وغير ذلك من أبواب الخير وسبل البرّ. أيها المؤمنون.

إن الله لا يتعاطم ذنباً أن يغفره، بل من جوده وكرمه وإحسانه ورحمته أن يغفر للمستغفر الدقيق والجليل، الصغير والكبير: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظم<sup>(٤)</sup>

(١) سورة طه (٨٢).

(٢) سورة هود (١١٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٦٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) سورة الزمر (٥٣).

(٥) ديوان الإمام الشافعي (١٢٣).

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا .



## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي تتلاشى وتضمحل في واسع عفوهِ ومغفرتِهِ الخطايا والذنوب، أحمدُهُ على حلمِهِ وواسعِ جودِهِ وكرمِهِ، وأشهد أن لا إله إلا الله الجوادُ الكريمُ البرُّ الرحيمُ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، وأحسنوا إن الله يحبُّ المحسنين، واعلموا أن مما تحصلُ به مغفرةُ الغفورِ الرحيمِ الإحسانُ إلى الخلقِ، ففي "الصحيحين" قال رسولُ الله ﷺ: «بيننا رجلٌ يمشي- بطريقٍ اشتدَّ عليه العطشُ، فوجدَ بئراً فنزَلَ فيها فشرِبَ ثم خرَجَ، فإذا كلبٌ يلهثُ، يأكلُ الثرى من العطشِ، فقال الرجلُ: لقد بلغَ هذا الكلبُ من العطشِ مثلَ الذي كانَ قد بلغَ مني، فنزَلَ البئرَ، فملاً خُفَّهُ ماءً، ثم أمسَكَه بِيديه -أي: بضمه- حتى رقيَ فسقى الكلبَ، فشكرَ اللهُ له فغفرَ له. قالوا: يا رسولَ الله، إنَّ لنا في البهائمِ أجراً؟ فقال ﷺ: في كلِّ رطبةٍ أجرٌ»<sup>(١)</sup>.

فانظروا إلى هذا كيفَ غفرَ اللهُ له بسببِ سقيهِ الكلبِ!؟

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وفي "صحيح مسلم" قال ﷺ: «لقد رأيتُ

رجلاً يتقلَّب في الجنةِ في شجرةٍ قطعَها من ظهرِ الطريقِ، كانت تؤذي المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

فاجتهدوا عبادَ الله في الإحسانِ إلى الخلقِ، ولا تحقرنَّ من المعروفِ شيئاً: ﴿مَا يَفْعَلُ

(١) "صحيح البخاري" (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) "صحيح مسلم" (١٩١٤) من حديث أبي هريرة ؓ.

اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢﴾، وقال جلَّ ذكره: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٣﴾.

فهو الشكور فلن يضيع سعيهم لكن يضاعفه بلا حسابان (٤)

فلا تبخلن يا عبد الله على نفسك بالصلحات، ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ ﴿٥﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٦﴾.



(١) سورة النساء (١٤٧).

(٢) سورة التوبة (١٢).

(٣) سورة الكهف (٣٠).

(٤) القصيدة النونية (٢٠٨).

(٥) سورة الشورى (٤٥).

(٦) سورة الحجرات (١١).

## ٥٦ - ظلال المحبة.

الخطبة الأولى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله، إن أعظم ما يحصله العبد في دنياه وآخرته هو محبة الله تعالى له، فهي الغاية التي يتنافس فيها المتنافسون، وإليها شخّص العاملون، وإلى علمها شمّر الصادقون، فهي جنة الدنيا ولذة القلب وقوته وحياته، فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بمعرفة الله تعالى ومحبته، فمحبة العبد لربه ومحبة الله لعبده هي النور والشفاء والسعادة واللذة، وهي التي تحمل العباد إلى بلاد لم يكونوا بالغيبها إلا بشقّ الأنفس، وهي التي ترفعهم إلى درجاتٍ ومنازلٍ لم يكونوا بدونها وأصلها، تالله لقد ذهب أهل المحبة بشرف الدنيا والآخرة.

أيها الناس.

إنه ليس عند العقول السليمة والأرواح الطيبة والعقول الزاكية أحلى ولا ألدُّ ولا أطيب ولا أسرُّ ولا أنعم من محبة الله تعالى والإقبال عليه والأنس به والشوق إليه، فالحلاوة التي يحصلها العبد في قلبه بمحبة الله تعالى فوق كل حلاوة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان» وذكر على رأسهن: «أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ الرجل لا يحبُّه إلا

لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفرِ بعد أن أنقذه اللهُ منه كما يكره أن يُلقى في النارِ<sup>(١)</sup>.  
 فمحبَّةُ اللهِ تعالى أيها المؤمنون شأنها عظيمٌ، وأمرها كبيرٌ، فإن الله تعالى إنما خلق الخلقَ لعبادته، وعبادته لا تكونُ إلا بمحبته والخضوعِ له والانقيادِ لأمره، قال ابنُ القيمِ رحمه اللهُ: "فأصلُ العبادةِ محبةُ اللهِ تعالى بل إفرادهُ بالمحبةِ وأن يكونَ الحبُّ كُلُّهُ لله، فلا يجب معه سواه، وإنما يجبُ لأجله وفيه، كما يجبُ أنبياءه ورسله وملائكته، فمحبته لهم من تمامِ محبته وليست محبةً معه"<sup>(٢)</sup>.

والمحبةُ هي الباعثةُ على العبودية؛ لذا فإنَّ الله تعالى قد فَطَرَ القلوبَ على أنه ليسَ في محبوباته ومراداته ما تطمئنُ إليه وتنتهي إليه إلا اللهُ وحده، فمن أحبَّ من دونه شيئاً كما يحبُّه سبحانه فقد اتخذَ من دونِ اللهِ أنداداً في الحبِّ والتَّعظيمِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>، فقد جعلَ اللهُ تعالى صرفَ المحبةِ لغيره شركاً، ينقضُ أصلَ الإيمانِ، وما ذاكُ إلا أن محبةَ اللهِ تعالى أعظمُ واجباتِ الإيمانِ، وأكثرُ وأكبرُ أصوله وأجلُّ قواعده، بل هي أصلُ كلِّ عملٍ من أعمالِ الإيمانِ والدينِ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللهُ.  
 أيها المؤمنون.

إن من أسبابِ بعثِ محبةِ العبدِ لربه سبحانه: مطالعتك يا عبدَ اللهِ إلى مِنَّةِ اللهِ تعالى

(١) أخرجه البخاري (١٦).

(٢) مدارج السالكين ١/٩٩.

(٣) سورة البقرة: ١٦٥.

وإحسانه إليك في جميع أحوالك وأطوارك، فإن نعمته عليك لا تُحصى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> فبقدر مطالعتك أيها العبد لمنّة الله تعالى ونعمه الظاهرة والباطنة عليك بقدر ما يكون في قلبك من محبة، فإن القلوب مجبولة على حبّ من أحسن إليها وليس للعبد إحسان قط، إلا من الله تعالى، فلا أحد أعظم إحساناً منه سبحانه، فإن إحسانه على عبده في كل نفسٍ ولحظةٍ، فالعبد يتقلب في إحسان ربّه في جميع أحواله، فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى.

أيها المؤمنون! إن مما يرسخ في قلب العبد محبته لربه سبحانه ويثبته عليها: نظره في أسماء الله تعالى وصفاته، فإن أسماءه وصفاته توجب تعلق قلوب العباد به؛ ولذا جاءت رُسُلُه جميعاً به معرفين وإليه داعين، قال ابن القيم رحمه الله: "فعرّفوا الربّ المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفاً مفصلاً، حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه وينظرون إليه فوق سماواته على عرشه، يكلمهم ملائكته ويدبر أمر مملكته ويسمع أصوات خلقه ويرى أفعالهم وحركاتهم ويشاهد بواطنهم، كما يشاهد ظواهرهم، يأمر وينهى ويرضى ويغضب ويضحك من قنوطهم وقرب غيره، ويجيب دعوة مضطّرهم ويغيث ملهوفهم ويعين محتاجهم ويجبر كسيرهم ويغني فقيرهم ويميت ويحيي ويمنع ويعطي، يؤتي الحكمة من يشاء، بيده الخير ويرحم مسكيناً ويغيث ملهوفاً، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها ويجريها على نظامها"<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النحل: ١٨.

(٢) مدارج السالكين ٣/٤٨٨.

فإذا عرف العبدُ عن ربِّه هذا وغيره من الأسماءِ الحسنَى والصفاتِ العليا أورهته ذلك حبًّا لا تنفصمُ عُراه ولا يُحد مَداه، فالحمدُ لله الذي فتَحَ لعباده طريقاً يتعرَّفون بها عليه. أيها المؤمنون! ومن أسبابِ حصولِ محبةِ العبدِ ربَّه تعالى: قراءةُ القرآنِ العظيمِ وتدبُّره وتأملُه، فلا شيءَ أنفعُ من قراءةِ القرآنِ الكريمِ بتدبُّرٍ وتفكُّرٍ، فتلاوةُ القرآنِ ومحبتُه سببٌ لمحبةِ الله تعالى لعبده، فإن رجلاً من أصحابِ النبي ﷺ استجلبَ محبةَ الله بتلاوةِ سورةٍ واحدةٍ وتدبُّرِها ومحبتها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبُّه»<sup>(١)</sup>.

ومن الأسبابِ الجالبةِ لمحبةِ الله تعالى: إدامةُ ذكرِه سبحانه، فذكرُ الله تعالى شعارُ المحبِّين ودثارُ أولياءِ الله المتقين، فإن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ يقولُ: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»<sup>(٢)</sup>، فصاحبُ الأذكارِ مذكورٌ عند الله بالثناءِ والمحمدةِ والمحبةِ، كما قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾<sup>(٣)</sup>، فنصيبيك يا عبدَ الله من محبةِ الله على قدرِ ذكرِاه لله تعالى.

ومن الأسبابِ التي يحصلُ بها العبدُ محبةَ الله تعالى: التقربُ إليه بالنوافلِ بعد الفرائضِ، ففي "الصحيح" عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسولُ الله ﷺ: قال الله تعالى: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٥٩٣) والحاكم (١٨٢٤) من حديث أبي هريرة ؓ، و صححه الحاكم.

(٣) سورة البقرة: ١٥٢.

عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ».

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى لعبده: متابعة النبي ﷺ في أعماله وأقواله وأحواله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فمحبة الله تعالى لعبده لا تحصل إلا إذا اتبع العبد رسول ربه وحببه ظاهراً وباطناً، وصدقه خيراً وأطاعه أمراً وأجابه دعوةً، فما لم تحصل المتابعة لنبي الله ﷺ فليس العبد محباً لله تعالى، ولا الله تعالى محباً له، فالجزء من جنس العمل. فله كم فضحت هذه الآية من كاذب، والأمر كما قال الأول:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه

هذا محال في القياس شنيع

لو كان حُبك صادقاً لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع<sup>(٢)</sup>

فكل عاصٍ لله مخالفٌ لأمره مرتكبٌ لنهيه كاذبٌ في دعواه المحبة، فإن الله قد نصب طاعته والخضوع له على صدق المحبة دليلاً.

والدعاوى إن لم تقيموا عليها

بينات أبنائها أدياء



(١) سورة آل عمران: ٣١.

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب ١/١٠٣.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

تدبروا كتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ، فإن القرآن والسنة مملوءان بذكر من يحبّه الله تعالى، وما يحبّه سبحانه من الأعمال والأقوال والأحوال، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

أيها المؤمنون.

ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ الَّتِي سَمِعْتُمُوهَا أَصْنَافًا مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ وَالتَّوَّابِينَ وَالتَّطَهِّرِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالتَّوَكِّلِينَ، وَفِي آخِرِ مَا ذَكَرْتَهُ مِنَ الْآيَاتِ ذَكَرَ اللَّهُ

(١) سورة البقرة: ١٩٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٥) سورة المائدة: ٥٤.

سبحانه لمن يحبهم أربع صفاتٍ: أذلةٌ على المؤمنين، أعزّةٌ على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، فإن من لوازم حبِّ الله تعالى الولاء لله ولرسوله ولأوليائه، والبراءة من أعدائه، كما قال النبي ﷺ: «إن أحبَّ الأعمالِ إلى الله الحبُّ في الله والبغضُ في الله»<sup>(١)</sup>، وبهذا يتبين لنا كذبُ الذين ادَّعوا محبةَ الله، ثم وألوا أعداء الله وحابوهم.

وأما الجهادُ بالسيفِ والسَّنانِ والعلمِ والبيانِ، فإن محبةَ الله تعالى توجِّبه قطعاً، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فإن من أحبَّ الله وأحبه الله أحبَّ ما يحبه الله وأبغض ما يبغضه الله، ووالى من يواليه وعادى من يعاديه"<sup>(٢)</sup>.

وأما السنَّةُ، فمن النصوص التي وردت في ذكر من يحبُّ الله وما يحبُّه، فقد قال النبي ﷺ عن الذي يَخْتَمُّ قراءته في الصلاة بسورة الإخلاص لكونها صفة الرحمن، وهو يحبُّها: «أخبروه أن الله يحبه»، وكذلك أخبر ﷺ أن قوِيَّ الإيمان محبوبٌ لله تعالى، فقد روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ»<sup>(٣)</sup>.

وغير ذلك من الصفاتِ الواردة في السنَّةِ الشريفةِ، فاحرصوا أيها المؤمنون على

(١) أخرجه أحمد (٢٠٧٩٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٣٠٤).

(٢) جامع الرسائل ٢/٢٧٥.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الاتِّصافِ بِصِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى أَنْ تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنَّ النَّاتِجَ بِمَقْدَمَاتِهَا، وَالْأَشْيَاءَ مُرَبَّوطةً بِأَسْبَابِهَا، فَاجْتَهِدُوا فِي الْإِتِّصَافِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى مَنَّةٌ وَمَوْهَبَةٌ، وَهِيَ لَا تَحْصُلُ بِالذَّعَةِ وَالْكَسَلِ.

فتلك مواهبُ الرحمنِ ليست      تحُصَّلُ باجتهادٍ أو بكسبٍ

ولكن لا غنى عن بذلِ جهدٍ      بإخلاصٍ وجدٍّ لا بلعبٍ

فَاعْمَلُوا عِبَادَ اللَّهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَاكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْفَضَائِلَ وَتِلْكَ الْمَنَازِلَ يَسِيرَةٌ عَلَى مَنْ يَسَرَّهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهِيَ حَاصِلَةٌ لِكُلِّ مَنْ جَدَّ فِي طَلِبِهَا وَسَعَى فِي تَحْصِيلِهَا، فَإِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

فليسَ على الجُودِ والمكْرُماتِ      إذا جئتَها حاجِبٌ يَحْجِبُكَ<sup>(١)</sup>



(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ١/١٦٨.

## ٥٧- مبطلات الأعمال.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فإنها خير ما يقدم به العبد على ربه تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

عباد الله احذروا الذنوب والآثام صغيرها وكبيرها، فإنها والله بئس زاد المرء يقدم به على ربه، فهي سبب كل شر وداء في الدنيا والآخرة، ومن شؤمها وسوء عاقبتها أن منها ما يوجب العمل ويبطل السعي ويبدد الجهد؛ ولذا فإن الله تعالى أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله، ونهاهم عن إبطال أعمالهم بمعصية الله ورسوله، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>. قال أبو جعفر الطبري رحمه الله عند هذه الآية: "ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما (أي: الله ورسوله)

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) سورة محمد: ٣٣.

وكفركم بربكم ثواب أعمالكم، فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح".

أيها المؤمنون ذروا ظاهر الإثم وباطنه، فإن الله تعالى قد توعد على بعض الذنوب بإحباط العمل وإبطال السعي فمن ذلك: الارتداد عن دين الله، والكفر بعد الإيمان، فإنه أعظم ما يبطل الأعمال ويحبطها بالكلية، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى عن أعمال الكفار والمكذبين: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾<sup>(٣)</sup> والآيات في هذا المعنى كثيرة في كتاب الله تعالى، دالة على أن كل من كفر أو ارتد عن دينه ومات على ذلك، فقد حبط عمله وبطل سعيه وماله إلى جهنم وبئس المصير.

أيها الإخوة الكرام إن الارتداد عن دين الله تعالى والكفر بالله - جل وعلا - يكون بأمور عديدة منها:

الشرك بالله تعالى في عبادته سبحانه أو ربوبيته تعالى ذكره أو أسمائه وصفاته عز وجل قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

(١) سورة البقرة: ٢١٧.

(٢) سورة المائدة: ٥.

(٣) سورة الفرقان: ٢٣.

بِالْكَفْرِ أَوْلَيْتَكَ حَبِطَتْ أَعْمَاهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١﴾ فالشرك يا عباد الله يحبط العمل بالكلية فلا تنفع معه حسنة كما قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَاهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ ﴿٢﴾.

ولتقرير هذه الحقيقة وهي أن الشرك يحبط العمل خاطب الله سبحانه نبيه ورسوله الذي عصمه من الوقوع في الكبائر فضلاً عن التلطح بأرض الشرك، فقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٣﴾.

أيها الناس إن الشرك بالله تعالى في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه أو صفاته، أمر خطير عظيم خافه أولو العزم من الرسل وخافه النبي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم، فاحذروا الشرك عباد الله، ولا يظنن أحدكم أنه بمنأى عن الشرك أو في أمان من الوقوع فيه، فإن هذا خطأ وضلال قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٤﴾.

(١) سورة التوبة: ١٧.

(٢) سورة إبراهيم: ١٨.

(٣) سورة الزمر: ٦٥.

(٤) سورة الأعراف: ٩٩.

أيها المؤمنون إن الشرك الذي يحبط العمل بالكلية هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك وذلك بأن تصرف العبادة أو نوعاً منها لغير الله تعالى؛ كأن تحب غير الله، أو تحب معه غيره، أو تعظم غير الله، أو تتوكل على غيره، أو تدعو غيره، أو تذبح لغيره، أو تنذر لغيره، أو تطيع غيره في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله تعالى. ومن الشرك المحبط للعمل اعتقاد العبد النفع والضرر- بغير الله تعالى وأن غيره سبحانه قادر على جلب المنافع ودفع المضار استقلالاً. ومن الشرك أيضاً جحد شيء من أسمائه وصفاته نعوذ بالله من ذلك.

عباد الله إن مما تحصل به الردة المبطله للأعمال عدم اعتقاد كفر الكفار أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم أو اعتقاد جواز التدين بغير دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>. فكل من لم يكفر الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم أو شك في كفرهم أو اعتقد صحة ما هم عليه فقد كفر بما أنزل على محمد، نعوذ بالله من ذلك.

ومما تحصل به الردة المحبطة للأعمال بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ، قال الله

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) "صحيح مسلم" (٢٣). من حديث أبي مالك عن أبيه

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَاهُمْ﴾ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَاهُمْ﴾<sup>(١)</sup>. فمن كره تحريم الربا أو وجوب الصلاة مثلاً فقد حبط عمله وكفر بالله تعالى.

ومما يحصل به الارتداد عن دين الله الاستهزاء بشيء من دين الله تعالى أو ثوابه أو عقابه أو ما يتعلق بذلك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ \* لا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ومنها جحد شيء مما جاء به الرسول ﷺ ومنها سب الله تعالى أو سب الرسول ﷺ، فإن هذه الأمور مما تحصل به الردة والكفر بالله تعالى، نعوذ بالله من ذلك.

أيها المؤمنون إن مما يحبط أعمال العاملين ويخيب سعيهم الرياء في العمل وهو أن يطلب العبد بعمله ثناء الناس ومدحهم وذكرهم، قال الله تعالى في حق المرأتين بنفاقهم: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. وفي حديث أبي أمامة قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ قال: لا شيء له. فأعاده عليه ثلاثاً كل

(١) سورة محمد: ٨-٩.

(٢) سورة التوبة: ٦٥-٦٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٤.

ذلك يقول: لاشيء له. ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه» رواه النسائي<sup>(١)</sup>، وهذا يفيد أن العمل الذي لا يتبغى به وجه الله تعالى حابط باطل لا ينفع صاحبه، فكل من عمل عملاً طلب فيه غير وجه الله تعالى فإن عمله مردود عليه وليس له عند الله فيه من خلاق.

أيها المؤمنون إن مما يحبط العمل ويجعله هباءً منثوراً انتهاك حرمت الله تعالى في الخلوات، فعن ثوبان مرفوعاً: «لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً يجعلها الله ﷻ هباءً منثوراً. قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل ما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» رواه ابن ماجه بسند صحيح<sup>(٢)</sup>.



(١) "سنن النسائي" (٣١٤٠).

(٢) "سنن ابن ماجه" (٤٢٤٥).

## الخطبة الثانية:

أما بعد.

فإن مما يبطل العمل أيها المؤمنون المن والأذى بالطاعات، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾<sup>(١)</sup>. فَمَنْ مَنَّ بِصَدَقَتِهِ وَطَاعَتِهِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ وَخَابَ سَعِيَهُ وَأَوْجِبَ ذَلِكَ عَقُوبَتَهُ، فعن أبي ذر مرفوعاً: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» كررها ثلاثاً، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل إزاره، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>. فاتقوا الله عباد الله واشهدوا منة الله عليكم أن هداكم للإيمان، فلو لا فضل الله عليكم ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم.

عباد الله إن مما يحبط العمل ترك الصلاة المفروضة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» رواه مسلم<sup>(٣)</sup>. وفي المسند قال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»<sup>(٤)</sup>، وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم

(١) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٢) "صحيح مسلم" (رقم ١٠٦).

(٣) "صحيح مسلم" (رقم ٨٢).

(٤) "مسند أحمد" من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه (رقم ٢٢٤٩٨).

على كفر تارك الصلاة، فعن عبد الله بن شقيق رضي الله عنه قال: "كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة". رواه الترمذي بسند صالح. وقد جاء في "صحيح البخاري" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ترك صلاة العصر حبط عمله»<sup>(١)</sup>.

فهذه النصوص أيها المؤمنون تفيد أن ترك الصلاة من محبطات الأعمال قال ابن القيم رحمه الله عند كلامه على الحديث الأخير: "والذي يظهر في الحديث - والله أعلم بمراد رسوله - أن الترك نوعان: ترك كلي لا يصلحها أبداً فهذا يحبط العمل جميعه، وترك معين في يوم معين فهذا يحبط عمل ذلك اليوم، فالحبوط العام في مقابلة الترك العام، والحبوط المعين في مقابلة الترك المعين"، فعلى هذا أيها المؤمنون من ترك صلاة من الصلوات في يوم من الأيام كأن يترك صلاة الفجر من يوم أو الظهر أو العصر. أو المغرب أو العشاء فإن عمله ذلك اليوم حابط باطل ولو كان أمثال الجبال، أما من ترك الصلاة بالكلية فهذا كافر مرتد كل عمله باطل حابط، نعوذ بالله من الخذلان.

أيها المؤمنون إن مما يحبط العمل ويفسد السعي التآلي على الله تعالى المصاحب للعجب فعن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: «من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟ قد غفرت لفلان

(١) "صحيح البخاري" من حديث بريدة رضي الله عنه (رقم ٥٩٤).

وأحببت عملك»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون ذكر أهل العلم -رحمهم الله- أن التعامل بالربا مما يحبط العمل، واستدلوا لذلك بما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما أخبرت بأن زيد بن أرقم باع عبداً بثمانمائة نسيئة واشتراه بستمائة نقداً قالت للتي أخبرتها: أبلغني زيداً أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب.

فاتقوا الله عباد الله، ولا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة، واعلموا أن من السيئات ما يذهب الحسنات، فذروا ظاهر الإثم وباطنه كما أمركم الله تعالى بذلك.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

## ٥٨ - مهلايا دعاة التحرر.

## الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن قضية المرأة من القضايا الكبرى التي شغلت الأفكار، واستفزت كثيراً من الأقلام، وافترق فيها الناس طرائق عدة، ومذاهب شتى، تراوحت بين الغلو والتقصير، وبين الإفراط والتفريط، وهذا الاضطراب وذاك التخبط لا نستغرب من من لم يهتد بنور الإسلام ولم يعرف السنة والقرآن، ولا ما كان عليه سلف الأمة الكرام، لكننا نستغرب غاية الاستغراب من أقوام نشؤوا في بلاد الإسلام، وعرفوا شيئاً من السنة والقرآن، وعندهم من يعلمهم ما جهلوه من أهل العلم والبيان: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة النحل: ٤٣.

فلماذا هذا التخبط في شأن المرأة، ولماذا هذا الاضطراب؟ ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أَوْلَيْتَكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن هذا الدين العظيم يستمد أحكامه وتصدُر شرائعه من لدن عزيز حكيم، عالم بالخلق وما يصلحهم في معاشهم ومعادهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن دين الإسلام دين عدلٍ ورحمةٍ، لا ظلم فيه بوجهٍ من الوجوه، فالله -جل وعلا- لا يظلم الناس شيئاً: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٣)</sup>، فدين الإسلام أعطى كل ذي حق حقه، لا وكس ولا شطط، لا هضم ولا ظلم، فجميع شرائع الإسلام الحاكمة على المرأة، أو على الرجل شرائع عدلٍ وخيرٍ، تكفل لكل من أخذ بها الأمن والاهتداء، ومن داخله في ذلك شكٌ أو ريبٌ، فظنَّ الخير والعدل في غير شرائع الإسلام، فقد خلع عنه ربة الإيمان، والله ورسوله منه بريان: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.  
أيها المؤمنون.

(١) سورة النور: ٥٠.

(٢) سورة الملك: ١٤.

(٣) سورة فصلت: ٤٦.

(٤) سورة النساء: ٦٥.

إن الله تعالى قد كرم بني آدم ذكوراً وإناثاً وفصلهم على كثيرٍ من خلقٍ تفضيلاً، وإن نظرة عجلي في بعض آيات الكتاب الحكيم، وأحاديث السنة المطهرة تكسب الناظر المنصف يقيناً ثابتاً، وإيماناً راسخاً، بأن الإسلام كرم المرأة وحررها من كل سيئة، فالمرأة في دين الإسلام حرة كريمة مصونة، ذات حقوقٍ مرعية، لا ظلم عليها ولا جور، وقد أكد النبي ﷺ تكريم المرأة وصيانة حقوقها، في أعظم مجمعٍ شهدته ﷺ في خطبة يوم عرفة في حجة الوداع فقال: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

المرأة في الإسلام شريكة الرجل، لا تعاني من خصامٍ معه ولا نزاعٍ، بل هي مكتملة له وهو مكتمل لها، هي جزءٌ من الرجل، وهو جزءٌ منها، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فعلاقة الرجل بالمرأة في المجتمع المسلم علاقة موالاةٍ ومناصرةٍ ومؤاخاةٍ وانتفاءٍ، فالرجل والمرأة جناحان، لا تقوم الحياة البشرية السوية إلا بهما.

أيها المؤمنون.

المرأة في دين الإسلام هي الأم التي جعلها أحق الناس بحسن الصحبة، والمرأة في

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٥.

دين الإسلام هي البنت التي من أحسن تربيتها ورعايتها كانت له سترًا من النار، والمرأة في دين الإسلام هي الزوجة التي قال فيها النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن المرأة في دين الإسلام هي كالرجل تماماً في الغاية من الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، فالمرأة والرجل خلقاً جميعاً لعبادة الله وحده لا شريك له، وبقدر تحقيق واحدٍ منهما لهذه الغاية ينال من الكرامة والهداية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الأصل في أحكام الشريعة المطهرة استواء الرجال والنساء في الأحكام، إلا ما اقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يكون خاصاً بأحدهما، فهما مستويان في جميع ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وأركانه وفيما عليهما من أركان الإسلام وواجباته، وكذلك هما مستويان في جزاء الآخرة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وصححه، وابن ماجه (١٩٧٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

حِسَابٍ ﴿١﴾ .

هذا أيها المؤمنون غيُض من فيضٍ، وقليلٌ من كثيرٍ، من الدلائل على أن المرأة في دين الإسلام تعيش حياةً عزيزةً كريمةً، موفورة الاحترام، مصونة الجانب، محفوظة الحقوق، ليس كمثليها امرأةٌ من نساء العالمين في جلال حياتها وسناء منزلتها وعلو مكانتها.

معاشر المسلمين.

إن دين الإسلام ليس في مقامِ تهمةٍ، نحاول دفعها عنه، وليس فيه نقصٌ نجهد في إخفائه أو ستره، بل هو شمسٌ مشرقةٌ لا نقص فيه ولا مطعن: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ﴿١﴾ .

فرضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وإنما هو البيان وإقامة الحجة، ليحيا من حيٍّ عن بينةٍ، ويهلك من هلك عن بينةٍ، بارك الله لي ولكم.

✦

(١) سورة غافر: ٤٠.

(٢) سورة المائدة: ٣.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، وبادروا بالأعمالِ فتناً كقطع الليلِ المظلمِ، يُصبحُ الرجلُ مؤمناً ويمسي - كافراً ويمسي - مؤمناً ويصبح كافراً، فتنٌ تطيرُ الأبوابَ وتقلبُ القلوبَ والأبصارَ، نعوذُ باللهِ من الفتنِ ما ظهر منها وما بطن.

أيها المسلمون.

إن العجبَ لا ينقضي. من أقوامٍ زَعَموا كذباً وميناً أنهم دعاةٌ لتحريرِ المرأةِ، والخروجِ بها مما هي فيه من الظلمِ والقهرِ، فيا لله العجبُ ممَّ يحررونها؟

أمن دينِ الإسلامِ الذي لا سعادةَ للبشريةِ إلا به؟ أم من الاقتداءِ بالسلفِ الصالحِ في الحشمةِ والحياءِ والعفةِ والصيانةِ؟

أحقاً يريدُ أذعياءُ التقدمِ ودعاةُ التحررِ تكريمَ المرأةِ وتحريرها؟ أم يريدون تجريدَها من العفةِ والحياءِ وتقييدها بأوضارِ السيئةِ الرذيلةِ.

أيها المؤمنون.

بالله من هم أذعياءُ تحريرِ المرأةِ؟ وما تاريخهم؟ ما الذي قدّمه هؤلاءُ للأمةِ حتى يوثقَ بهم وبما يقولون ويدعون؟ إن جانباً من نتاجِ هؤلاءِ كافٍ في إسقاطِ عدالتهم والثقةِ بهم، فالمتبع لكتاباتِ هؤلاءِ يجدُ فيها الهمزَ والتشكيكَ بأحكامِ الشريعةِ وآدابِ الإسلامِ تحتَ مسمى "نبذِ التقاليدِ الباليةِ" يجدُ فيها التلميحَ والتصريحَ بالدعوةِ إلى تقليدِ الأممِ الغربيةِ، وأنه لا تقدّمَ ولا رقيَ إلا بمسايرةِ أممِ الكفرِ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنْ

النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴿١﴾ بعباراتٍ بَرَّاقَةٍ فضفاضةٍ يدسُّون فيها السُّمَّ ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ ﴿٢﴾.

أيها المؤمنون.

إن دعاءَ تحريرِ المرأةِ يقولون: المرأةُ المسلمةُ في البلادِ السعوديةِ المباركةِ امرأةٌ مهیضةٌ الجناحِ، مسلوبةٌ الحقوقي مصادرةُ الإرادةِ مهمَّشةُ الدَّورِ، لا وزنَ لها في المجتمعِ ولا أثرَ، هذه دعواهم بهتاناً وزوراً تضليلاً وتلبيساً، يلبسون الحقَّ بالباطلِ، ويكتمون الحقَّ وهم يعلمون.

فما حلُّ هذه المشكلةِ أيها المؤمنون في نظرِ هؤلاء؟ إن الحلَّ عند دعاءِ التحرُّرِ أن تهبَّ المرأةُ من سباتِها وتنزعَ حجابها الذي عطلها وألغى دورها!

إن الحلَّ عند أولئك أن تنخلعَ المرأةُ من حيائها فتخالطَ الرجالَ الأجانبَ؛ فعدمُ الاختلاطِ شذوذٌ وانحرافٌ!

إن الحلَّ عند هؤلاء أن تقومِ الخصومةُ والمنازعةُ المريعةُ بين رجالِ المجتمعِ ونسائه؛ هذه حلولهم وأطروحاتهم، مهما حاولوا إخفاءَ وجهها القبيحِ، خابوا وخسروا، فالله جل في علاه لا يصلح عملَ المفسدين.

أيها المؤمنون! أما نتيجةُ هذا السعيِّ المشؤومِ، فلسنا واللهِ سعداءُ بأن نراه في بلادنا الحبيبةِ الغاليةِ، كيف وقد شرَّقَ به أهلهُ ومن سار في ركابهم، فالسعيدُ من وُعطَ بغيره،

(١) سورة النساء: ١٠٨.

(٢) سورة الأنعام: ١١٢.

فحديثُ الإحصاءاتِ والدارساتِ عما تعانيه المجتمعاتُ الغربيةُ من دمارٍ ووبالٍ من كثرةِ الزنى ورواجِ البِغاءِ وتفككِ الأسرةِ وانخفاضِ نسبةِ الزواجِ وارتفاعِ معدلاتِ الطلاقِ، وكثرةِ الخيانةِ وأولادِ الزنى واللِّقْطاءِ، وشيوعِ الأمراضِ بأنواعِها النفسيةِ والعصبيةِ والبدنيةِ كافٍ عن حوضِ غمارِ هذا المستنقعِ الآسنِ، ولو أنك سألتَ أحدَ هؤلاء الأعدياءِ -هداهم اللهُ وكفى المسلمين شرَّهم-: ما النموذجُ الأمثلُ الذي تقدّمه للمرأةِ السعودية؟ لم تجد عنده إلا نموذجَ المرأةِ الغربيةِ المطحونةِ الغارقةِ في حمأةِ الرذيلةِ، التي تتلمس من ينفذها ويتشلّها، لا من يتأسّى بها.

أيها المؤمنون.

إن قضيةَ المرأةِ قضيةٌ كبرى تحتاجُ إلى عنايةٍ فائقةٍ ورعايةٍ تامةٍ ومعالجةٍ منبثقةٍ من هديِ كتابِ الله تعالى وسنةِ نبيِّه ﷺ وسيرةِ السلفِ الصالحِ، وإن أيَّ معالجةٍ لقضيةِ المرأةِ من غيرِ هذا السبيلِ إنما هي وهمٌ وضلالٌ.

فاتقوا الله عبادَ الله، استمسكوا بالعروةِ الوثقى، واحذروا هؤلاء المرجفين المشكّكين: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾.



## ٥٩ - الثبات وأسبابه.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون كما أمركم ربكم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، واعلموا أيها المؤمنون أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ، يصرفه حيث شاء، ثم قال: اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك»<sup>(٢)</sup>، وقد قال النبي ﷺ مبيناً شدة تقلب قلوب العباد: «لقلب ابن آدم أشدُّ انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلياناً»<sup>(٣)</sup>، وقد قيل:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب<sup>(٤)</sup>

ومصدق هذا كله مُشاهدٌ ملموسٌ في واقع الناس، فكم من روضةٍ أمست وزهرها

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٣٠٤) من حديث المقداد بن أسود رضي الله عنه.

(٤) زهر الأكم في الأمثال والحكم (١٢٣).

يانعٌ عميمٌ أصبحت وزهرها يابسٌ هشيمٌ، فبينما ترى الرجلَ من أهل الخير والصلاح، ومن أربابِ التقى والفلاحِ قلبه بطاعةِ ربه مشرقٌ سليمٌ، إذا به انقلبَ على وجهه فتركِ الطاعةَ وتقايسَ عن الهدى، وبينما ترى الرجلَ من أهل الخنا والفسادِ أو الكفرِ والإلحادِ قلبه بمعصيةِ الله مظلمٌ سقيمٌ إذا به أقبلَ على الطاعةِ والإحسانِ وسلكَ سبيلَ التقى والإيمانِ. أيها الإخوة المؤمنون.

إن تذكرَ هذا الأمرَ لتطيرَ له ألبابُ العقلاءِ وتنفطرَ منه قلوب الأتقياءِ وتنصدعَ له أكبادُ الأولياءِ، كيف لا والخاتمةُ معيَّبةٌ والعاقبةُ مستورةٌ، والله غالب على أمره والنبي ﷺ قد قال: «فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخلها»<sup>(١)</sup>، فالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فيا عبادَ الله، عليكم أن تجتهدوا في أخذِ أسبابِ الثباتِ، وأن تحتفوا بها علماً بأن المقامَ جدُّ خطيرٌ، والنتائجُ لا تخالفُ مقدماتها، والمسبباتُ مربوطةٌ بأسبابها، وسننُ الله ثابتةٌ لا تتغيرُ، سنةُ الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

أيها المؤمنون.

إننا في هذه العصورِ أحوجُ ما نكونُ إلى معرفةِ أسبابِ الثباتِ والأخذِ بها، فالفتنُ تترى بالشبهاتِ والشهواتِ، والقلوبُ ضعيفةٌ والمعينُ قليلٌ والناصرُ عزيزٌ، وقد أخبرَ النبي ﷺ عن سرعةِ تقلُّبِ أهلِ آخرِ الزمانِ لكثرةِ الفتنِ فقال: «إن بين يدي الساعةِ فتناً

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيَمْسِي- كَافِرًا، وَيَمْسِي- مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ كَافِرًا<sup>(١)</sup>.

لكل واحدٍ منكم أيها الحاضرون أذكرُ بعضَ أسبابِ الثباتِ، عسى الله أن ينفعنا بها وأن يثبتنا بالقول الثابت.

فمن أسبابِ حصولِ الثباتِ على الحقِّ والهدى والدينِ والتقوى: الشعورُ بالفقرِ إلى تثبيتِ الله تعالى، وذلك أنه ليس بنا غنى عن تثبيته طرفة عينٍ، فإن لم يثبتنا الله، وإلا زالت سماءُ إيماننا وأرضه عن مكانها، وقد قال مخاطباً خيرَ خلقه وأكرمهم عليه:

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ

إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٣)</sup> وكان نبينا ﷺ يكثرُ من قوله: «لا ومصرف

القلوب»<sup>(٤)</sup> مما يؤكِّد أهمية استشعارِ هذا الأمرِ واستحضاره.

ومن أسبابِ الثباتِ على الخيرِ والصلاح: الإيمان بالله تعالى، قال عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أخرجه مسلم (٣٢٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) سورة الإسراء: ٧٤.

(٣) سورة الأنفال: ١٢.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٠٩٢) من حديث عبد الله بن عمر ؓ، وحسنه الألباني.

(٥) سورة إبراهيم: ٢٧.

والإيمان الذي وُعدَ أهله وأصحابه بالتثبيت هو الذي يرسخ في القلب وينطق به اللسان وتصدقه الجوارح والأركان فليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل، فالالتزام الصادق في الظاهرِ والباطنِ والمنشطِ والمكره هو أعظمُ أسبابِ التثبيتِ على الصالحات، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾<sup>(١)</sup>، فالمثابرة على الطاعةِ المداومِ عليها المبتغى وجهُ الله بها موعودٌ عليها بالخيرِ والتثبيتِ من الله مقلبِ القلوبِ ومصرفِها.

ومن أسبابِ الثباتِ على الطاعةِ والخيرِ: تركُ المعاصي والذنوبِ صغيرها وكبيرها ظاهرها وباطنِها، فإن الذنوبَ من أسبابِ زيغِ القلوبِ، فقد قال ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرقُ السارقُ حين يسرقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ »<sup>(٢)</sup>.

وأما الصغائرُ فعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومحقراتِ الذنوبِ، كقوم نزلوا بطنَ وادٍ، فجاءَ ذا بعودٍ وجاءَ ذا بعودٍ وجاءَ ذا بعودٍ حتى أنضجوا خبزَهم، وإن محقراتِ الذنوبِ متى يؤخذُ بها صاحبُها تهلكه »<sup>(٣)</sup>.

خَلَّ الذنوبَ صغيرها وكبيرها — ذاك التقوى

(١) سورة النساء: ٦٦.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٥٠)، ومسلم (٢١١).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٢٧)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٤٦٢).

واصنع كـماشٍ فوق أُر  
ضِ الشوكِ يـحذرُ ما يـرى  
لا تحقـرنَّ صـغـيرةً  
إن الجبال من الحصى—<sup>(١)</sup>

ومن أسباب الثبات على الإسلام والإيمان: الإقبال على كتاب الله تلاوةً وتعلماً وعملاً وتدبراً، فإن الله ﷻ أخبر بأنه أنزل هذا الكتاب المجيد تثبيتاً للمؤمنين وهدايةً لهم وبشرى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فكتاب الله هو الحبل المتين والصراط المستقيم والضياء المبين لمن تمسك به وعمل.

ومن أسباب الثبات على الصالحات: عدم الأمن من مكر الله، فإن الله ﷻ قد حذر عباده مكره، فقال عز وجل: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد قطع خوف مكر الله تعالى ظهور المتقين المحسنين، وغفل عنه الظالمون المسيئون، كأنهم أخذوا من الله الجليل توقيعاً بالأمان، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ \* سَلُّهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

يا أماناً مع قبح الفعلِ منه أهلٌ  
أتاك توقيعُ أمنٍ أنت تملكه

(١) ديوان ابن المعتز ص ٤٥.

(٢) سورة النحل: ١٠٢.

(٣) سورة الأعراف: ٩٩.

(٤) سورة القلم: ٣٩-٤٠.

جمعت شيئين أمنًا واتباع هوى هذا وإحداهما في المرء تهلكه

أما المحسنون من السلف والخلف فعلى جلالته أقدارهم وعمق إيمانهم ورسوخ علمهم وحسن أعمالهم، فقد سلكوا دربَ المخاوف، يخافون سلبَ الإيمانِ وانسلاخَ القلبِ من تحكيمِ الوحيِّ والقرآنِ حتى صاح حادِيهم يقول:

والله ما أخشى الذنوبَ فإنها لعلى سبيلِ العفوِ والغفرانِ

لكننا أخشى انسلاخَ القلبِ من تحكيمِ هذا الوحيِّ والقرآنِ

فالخذرَ الخذرَ من الأمنِ والركونِ إلى النفسِ، فإنه مادام نَفْسُكَ يتردّدُ فإنك على خطرٍ، قال ابن القيم رحمه الله: "إن العبد إذا علم أن الله - سبحانه وتعالى - مقلب القلوب وأنه يحول بين المرء وقلبه وأنه تعالى كل يوم هو في شأنٍ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرفع من يشاء ويخفض من يشاء فما يؤمنه أن يقلب الله قلبه ويحول بينه وبينه ويزيغه بعد إقامته، وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، فلولا خوف الإزاغة لما سأله أن لا يزيغ قلوبهم" (١).

ومن أسباب الثبات على الهدى والحق: سؤال الله التثبيت، فإن الله هو الذي يثبتك ويهديك، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢)، فألحوا على الله تعالى بالسؤال أن

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين (٤٣١).

(٢) سورة إبراهيم: ٢٧.

يربطاً على قلوبكم ويثبتكم على دينكم، فالقلوبُ ضعيفةٌ والشبهاتُ خطّافةٌ، والشيطانُ قاعدٌ لك بالمرصادِ، ولك فيمن تقدّمك من المؤمنين أسوةٌ حسنةٌ، فإن من دعائهم:

﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(١)</sup> ، وما

ذكره اللهُ تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقد كان أكثرَ دعاءِ النبي ﷺ: «يا مقلبَ القلوبِ ثبتْ قلبي على دينك»<sup>(٣)</sup> .



(١) سورة آل عمران: ٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٠.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٤٤)، والحاكم (١٩٢٦)، وصححه.

## الخطبة الثانية

الحمد لله مقلب القلوب والأبصار، ومثبت عباده المتقين الأبرار في الدنيا والآخرة، دار القرار، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المختار، وعلى آله وأصحابه الأطهار.

أما بعد

فمن أسباب الثبات على الإيمان: نصر دين الله الواحد الديان، ونصر أوليائه المتقين وحزبه المفلحين، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، ونصر دين الله تعالى وأوليائه يكون بطرائق عديدة لا يحدها حد، ولا تقف عند رسم، فالدعوة إلى الله بجميع صورها نصر. لدين الله، وطلب العلم نصر. لدين الله، والعمل بالعلم نصر. لدين الله، وجهاد الكفار والمنافقين والعصاة نصر. لدين الله، والرد على خصوم الإسلام وكشف مخططاتهم نصر. لدين الله، والبذل في سبيل الله والإنفاق في وجوه البر نصر لدين الله، والذب عن أهل العلم والدعوة وأهل الخير والصحوة نصر. لدين الله، وطرائق نصر. دين الله وأوليائه كثيرة جعلنا الله وإياكم منهم من أوليائه وأنصار دينه، ولا تحقرن من هذه الأعمال شيئاً، فقاعدة الطريق " اتق النار ولو بشق تمرة ". قال ابن القيم رحمه الله:

هذا ونصر الدين فرض لازم  
بيد وإما باللسان فإن عجز  
لا للكفاية بل على الأعيان  
ت فبالوجه والدعاء بجنان<sup>(٢)</sup>

(١) سورة محمد: ٧.

(٢) القصيدة النونية (٣٦٥).

ومن أسباب الثبات على الهدى: الرجوعُ إلى أهلِ الحقِّ والتقوى من العلماءِ والدعاةِ الذين هم أوتادُ الأرضِ ومفاتيحُ الخيرِ ومغاليقُ الشرِّ، فافزع إليهم عند توالي الشبهاتِ وتعاقبِ الشهواتِ، قبل أن تنشبَ أظفارُها في قلبك فتوردك المهالك، قال ابن القيم - رحمه الله - حاكياً عن نفسه وأصحابه: "وكنا إذا اشتدَّ بنا الخوفُ وساءت بنا الظنون وضافت بنا الأرضُ أتيناه - أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا وينقلب انشراحاً وقوةً و يقيناً وطمأنينة" (١).

ومن أسباب الثبات على الحقِّ والتقوى: الصبرُ على الطاعاتِ والصبرُ عن المعاصي، فإنه لن يحصلَ العبدُ الخيراتِ إلا بهذا، وقد أمر الله تعالى نبيه بالصبرِ، فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٢)، وقد قال النبي ﷺ: «وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبرِ» (٣).

فالصبرُ مثلُ اسمه مُرٌّ مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسلِ

ومن أسباب الثباتِ على الدينِ والصلاح: كثرةُ ذكرِ الله تعالى، كيف لا وقد قال:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٤)، وقال ﷺ: «مثلُ الذي يذكرُ ربهَ والذي لا يذكرُ ربهَ

(١) الوابل الصيب (٦٧).

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري ؓ.

(٤) سورة الرعد: ٢٨.

مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»<sup>(١)</sup>؟! وقد أمر الله تعالى عباده بالإكثار من ذكره فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، فذكر الله كثيراً وتسيبته كثيراً سبباً لصلواته سبحانه و صلاة ملائكته التي يخرج بها العبد من الظلمات إلى النور فياحسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله وإحسانه.

ومن أسباب الثبات على الحق والهدى: ترك الظلم، فالظلم عاقبته وخيمته، وقد جعل الله التثبيت نصيب المؤمنين والإضلال حظّ الظالمين، فقال جل ذكره: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>.

فاتقوا الظلم أيها المؤمنون، اتقوا ظلم أنفسكم بالمعاصي والذنوب، واتقوا ظلم أهليكم بالتفريط في حقوقهم والتضييع لهم، واتقوا ظلم من استرعاكم الله إياهم من العمال ونحوهم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

هذه بعض أسباب الثبات على الحق والهدى والدين والتقوى، من أخذ بها فقد أخذ بحظ وافر ووقاه الله سوء العاقبة والمآل.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري ؓ.

(٢) سورة الأحزاب: ٤١-٤٣.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٧.



٦٠- ألا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ.

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي زَيَّنَ بذكره ألسنَ الذاكرين وأظهرَ من جميلِ أسمائه وصفاته وأفعاله ما سرَّ به قلوبَ العارفين، فأثنى عليه بها المفردون الموحدون من الأولين والآخرين، أحمده تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.

عبادَ الله اتقوا الله وأكثروا من ذكره، فإن ذكره سبحانه قوتُ قلوبِ الذاكرين، وهو قُرَّةُ عيونِ الموحدين وهو عُدَّتْهم الكبرى، وسلاحهم الذي لا يبلى، وهو دواءُ أسقامهم الذي متى تركوه أصيبت منهم المقاتل، فانتكسوا على أعقابهم خاسرين.

إِذَا مَرَضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمْ وَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أحياناً فَنَتَكَسَّرُ

فبالذكرِ يستدفعُ الذاكرون الآفاتِ ويستكشفون الكرباتِ وتهون عليهم المصيباتُ، وإليه الملجأ إذا ادلهمت الخطوبُ، وإليه المفزعُ عند توالي الكوارثِ والكروبِ، به تنشق الظلماتُ والأكدارُ وتحلُّ الأفراحُ والمسراتُ.

وقد أمر الله تعالى به المؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا

كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾<sup>(١)</sup>،

(١) سورة الأحزاب: ٤١.

وقد أثنى الله ﷻ في كتابه على الذَّاكِرِينَ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما الأخبارُ عن النبي ﷺ فقد دلت الأدلَّةُ على أن أفضل ما شغل العبدُ به نفسه في الجملة ذكرُ الله تعالى، فمن ذلك ما رواه أحمد عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُنبئكم بخيرِ أعمالِكُمْ وأزكاهَا عندَ مليكِكُمْ وأرفعِهَا في درجاتِكُمْ، وخيرٌ لكم من إنفاقِ الذهبِ والورقِ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوَّكُمْ فتضربوا أعناقَهُمْ ويضربوا أعناقَكُم» قالوا: بلى، قال: «ذكُرُ اللهِ تعالى»<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما رواه الإمام مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة ﷺ قال: "كان رسولُ اللهِ ﷺ يسيرُ في طريقِ مكةَ فمرَّ على جَبَلٍ يقالُ له: جُمدانُ فقال ﷺ: (هذا جمدانُ سبقَ المفردون) قالوا: وما المفردون يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الذَّاكِرُونَ اللهُ كثيراً والذَّاكِرَاتُ»<sup>(٤)</sup>.

ومما يُظهِرُ فضلَ الذِّكْرِ وعلوَ مرتبته ما أخرجه الترمذي عن عبد الله بن بسرٍ ﷺ أن

=

(١) سورة البقرة: ١٥٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٣) "مسند أحمد" (٢١٩٩٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وحسنه الهيثمي في المجمع (١٦٧٤٣).

(٤) "صحيح مسلم" (٢٦٧٦).

رجلاً قال: "يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيءٍ أتشبّثُ به  
قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكرِ الله»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على ذلك أن الله تعالى أمر المؤمنين بأن يذكروه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم،  
فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كان النبي ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكرُ الله

على كلِّ أحيانه»<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

اعلموا أن أعلى مراتبِ الذِّكْرِ الذي أمر الله به هو ما تواطأ فيه القلبُ واللسانُ،  
واعلموا أن هذا الفضل العظيم والأجر الكثير ليس معلقاً على ذكرِ الشِّفَةِ واللسانِ  
فحسب، بل لا يثبت هذا الأجرُ الموعودُ إلا على ذكرٍ يتواطأ فيه القلبُ واللسانُ، فذكرُ  
الله إن لم يخفِقْ به القلبُ، وإن لم تعشْ به النفسُ، وإن لم يكن مصحوباً بالتضرُّع والتذلُّلِ  
والمحبَّةِ لله تعالى فلن يكون سبباً لتحصيلِ هذه المزايا والفضائلِ.

وقد يسأل المرءُ ما سرُّ تفضيلِ الذِّكْرِ على سائرِ أنواعِ وأعمالِ البرِّ مع أنه خفيفٌ على  
اللسانِ، ولا يحصل به تعبٌ على الأبدانِ؟

فالجوابُ أن سرَّ هذا التفضيلِ هو أن الذِّكْرَ يورثُ يقظةَ القلبِ وحياتهَ وصلاحهَ؛

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٣٦٥٨).

(٢) سورة النساء: ١٠٣.

(٣) أخرجه مسلم (٣٧٣).

ولذلك قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»<sup>(١)</sup>  
 فالذكرُ حياةُ القلوب وصلاحها، فالذكر للقلبِ كالماءِ للزرعِ بل كالماءِ للسمكِ، لا  
 حياة له إلا به، فإذا حَيَّت القلوبُ وَصَلَحَتْ صلحت الجوارحُ واستقامت، قال النبي  
 ﷺ: «أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَّحَتْ صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ  
 كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(٢)</sup>.

فعلیکم عبادَ الله بالإكثارِ من ذكره سبحانه وعمارَةِ الأوقاتِ والأزمانِ بالأذکارِ  
 والأورادِ المطلقةِ والمقيدةِ، كقول: لا إلهَ إلا اللهُ فإنها من خيرِ الأقوالِ وأحبِّها إلى اللهُ،  
 أو قول: سبحانَ اللهُ والحمدُ لله ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، فإنها خيرٌ مما طلعت عليه  
 الشمسُ، وغيرِ ذلك من الأقوالِ التي تنمى بها الحسناتُ وترفعُ بها الدرجاتُ وتوضعُ  
 السيئاتُ، فإن قصرتِ همَّتْك وضعتِ قوَّتْك عن تلك المنازلِ الكبارِ، فلا أقلَّ من أن  
 تحافظَ على الأذکارِ المؤقتةِ والمقيدةِ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأقلُّ ذلك  
 -؛ أي: ما ينبغي على العبدِ المحافظةُ عليه من الأذکارِ- أن يلازمَ العبدُ الأذکارَ الماثورةَ  
 عن معلِّمِ الخيرِ وإمامِ المتقين ﷺ كالأذکارِ المؤقتةِ في أولِ النهارِ وآخره، وعند أخذِ  
 المضجعِ، وعند الاستيقاظِ من المنامِ، وأدبارِ الصلواتِ، والأذکارِ المقيدةِ، مثل ما يقالُ  
 عند الأكلِ والشربِ واللباسِ والجماعِ ودخولِ المنزلِ والمسجدِ والخلاءِ والخروجِ من

(١) أخرجه مسلم (٧٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩). من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

ذلك وعند المطر والرعد وغير ذلك" (١)، وقد صنف في ذلك بعض الكتبيبات فما عليك أيها المبارك إلا أن تقتني واحداً من تلك المصنفات وتواظب على المسابقة في الخيرات. ومما يشحذ همتك ويلهب حماسك ويجذبك إلى ذكر مولاك أن تعلم أن للذكر فوائد كثيرة وعواقب حميدة لمن حافظ عليه وأكثر منه، وإليك بعض هذه الفوائد. فمن فوائد الذكر الكبار: أنه يورث محبة الله سبحانه وتعالى، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراتها الأقوم، فكلما ازداد العبد لله ذكراً ازداد له حياً، فمن أراد أن يفوز وينال محبة الله تعالى فليلهج بذكره.

ومن فوائد ذكر الله تعالى: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، ويزيل الهم والغم والحزن، ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، ففي الترمذي وأبي داود والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال - يعني: إذا خرج من بيته -: باسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيت وهديت ووُقيت، وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدي وكُفي ووُقي» (٢).

وقد ثبت أن الشيطان يهرب من الأذان، ففي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدرى كم

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٦٦١.

(٢) "سنن الترمذي" (٣٤٢٦)، وأبو داود (٥٠٩٥)، والنسائي في الكبرى (٩٨٣٧)، وصححه الألباني.

(١) «صلى» .

ومنها: أنه يكسو الذاكِرَ المهابةَ والحلاوةَ والنضرةَ، ويمُدُّه بالقوةِ في قلبه وبدنه حتى إنه ليفعل مع الذكرِ ما لا يفعله بدونه؛ ولذلك علّم النبي ﷺ ابنته فاطمةَ وعليَّ بن أبي طالب رضي الله عنهما أن يسبحا كلَّ ليلةٍ إذا أخذوا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين، ويكبرا أربعاً وثلاثين لما سألته أن يعطيها خادماً وقال: «إنه خير لكما من

(٢) «خادم» .

ومنها: أن الذكرَ يورثُ ذكرَ الله تعالى للعبدِ، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الحديث القدسي قال تعالى: «فإن ذكرني في نفسه

ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ خيرٍ منهم»<sup>(٤)</sup> .

❖

(١) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٣) سورة البقرة: ١٥٢.

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الثانية .

الحمدُ لله الذي أمرَ بِذِكْرِهِ ورَتَّبَ على ذلك عَظِيمَ أَجْرِهِ، والصلاةُ والسلامُ على أعظمِ الناسِ ذكراً لربِّه، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه .  
أما بعد .

فاعلموا أيها المؤمنون أن من فوائِدِ الذِكرِ أن اللهُ ﷻ يباهي بالذاكِرين ملائكتَه، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لجماعةٍ اجتمعوا يذكرون الله: «أتاني جبريلُ فأخبرني أن الله يباهي بكم ملائكتَه»<sup>(١)</sup> .

ومن فوائِدِ الذِكرِ: أنه سببٌ لنزولِ الرِحمَةِ والسكِنةِ كما قال ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ اللهِ ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ وغشيتهم الرِحمَةُ وحفتهم الملائكةُ، وذكرهم اللهُ فيمن عنده»<sup>(٢)</sup> .

ومن فوائده: أنه يورثُ المراقبةَ حتى يُدخل العبدَ في بابِ الإحسانِ، فيعبد الله كأنه يراه .  
ومن فوائِدِ الذِكرِ: أنه يورثُ الإنابةَ، وهي الرجوعُ إلى الله تعالى، فإنه متى أكثرَ العبدُ الرجوعَ إلى الله تعالى بِذِكْرِهِ أورثه ذلك رجوعَه إلى الله تعالى بقلبه في كلِّ الأحوالِ، فيصير اللهُ تعالى مفرِّعَه وملجأَه وملاذَه ومعاذَه وقبلةَ قلبه ومهرَبَه عند النوازلِ والبلايا .

ومن فوائده: أنه يزيل الوحشةَ بين العبدِ وبين ربه تبارك وتعالى، فإن الغافلَ بينه وبين

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله حجابٌ كثيفٌ ووحشةٌ لا تزولُ إلا بالذكرِ.

ومن فوائده: أنه سببُ اشتغالِ اللسانِ عن الغيبةِ والنميمةِ والكذبِ والفحشِ والباطلِ، فإن العبدَ لا بد له من أن يتكلمَ، فإن لم يتكلمِ بذكرِ الله تعالى تكلمَ بهذه المحرماتِ، ولا سبيلَ إلى السلامة منها ألبتَّةَ إلا بذكرِ الله تعالى، والمشاهدةُ والتجربةُ شاهدانِ بذلك، فمن عوَّدَ لسانَه ذَكَرَ اللهُ صانَ لسانَه عن الباطلِ واللغوِ، ومن يبسَ لسانَه عن ذكرِ الله تعالى ترطَّبَ بكلِّ باطلٍ ولغوٍ وفحشٍ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، ونفسُك إن لم تشغلها بالحقِّ شغلتك بالباطلِ ولا بد.

ومن فوائد الذكر: أنه من أكبرِ العونِ على طاعتهِ سبحانه، فإنه يجبُ الطاعةَ إلى العبدِ ويسهلها عليه، يجعلها قرّةَ عينه فلا يجد في الطاعةِ من الكلفةِ والمشقةِ والعناءِ ما يجده الغافلُ.

ومن فوائده: أنه يسهلُ المصاعبَ ويسرُ العسيرَ ويخففُ المشاقَ، فما ذكر اللهُ على صعبٍ إلا هانَ، ولا على عسيرٍ إلا تيسرَ، ولا على شاقٍّ إلا خفَّ، ولا على شدةٍ إلا زالت، ولا كربةٍ إلا انفرجت؛ وذلك لأن الذكرَ يذهبُ عن القلبِ المخاوفَ كلّها، وله تأثيرٌ عجيبٌ في حصولِ الأمنِ، فليس للخائفِ الذي قد اشتدَّ خوفُه أنفعُ من ذكرِ الله عزَّ وجلَّ إذ بحسبِ ذكرِهِ يجدُ الأمنَ ويزولُ الخوفُ، قال اللهُ تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

الْقُلُوبُ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن أعظمِ فوائدِ الذكرِ: أنه ينبهُ القلبَ من نومه ويوقظه من سِنَتِهِ، والقلبُ إذا كان نائمًا فاتته الأرباحُ والمتاجرُ، وكان الغالبُ عليه الخسرانُ، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في

نومته شدَّ المئزرَ وأحيا بقیةَ عمِّره، واستدرك ما فاتته ولا تحصل یقظته إلا بذكرٍ.  
أیها المؤمنون.

هذه بعضُ فوائدِ الذكرِ الذي هو من أسهلِّ الأعمالِ وأيسرِها وأقلِّها كلفةً، فهلا عمَّرنا به الأوقاتَ، وشغلنا به المشاهدَ والخلواتِ، عسى أن ندرك بعض هذه المناقبِ والخيراتِ، فإنه والله وبالله من أعظمِ الحرمانِ ومن أشدِّ الخذلانِ أن يمضيَ الواحدُ منَّا الساعاتِ، إما صامتاً ساكتاً أو متكلماً فيما لا يعودُ عليه بنفعٍ، لا في الدنيا ولا في يومِ المعادِ، بل إنه قد أصبحَ من غرائبِ المشاهداتِ عندَ أكثرِ الناسِ أن يروا من يحركُ شفثيه بالذكرِ في الجامعِ والخلواتِ، فما أن يروا من ذلك شيئاً إلا رمقه الناسُ بأبصارهم وتابعوه بأنظارهم، وقد يسيء به بعضهم الظنَّ فينسبُه إلى قلةِ العقلِ أو غير ذلك من الأمراضِ، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

## ٦١- الزُّنَى.

الخطبة الأولى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واحذروا أسبابَ سَخَطِهِ ومُوجِبَاتِ عِقَابِهِ، فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ، فَذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَعِظَائِمِ الذُّنُوبِ ظَهُورَ الزُّنَى وَتَيْسِيرَ أَسْبَابِهِ وَسُبُلِهِ، فَإِنَّ ظَهُورَ الزُّنَى مِنْ أَمَارَاتِ خَرَابِ الْعَالَمِ وَفَسَادِ نِظَامِ الْكُونِ، وَقَرَبِ قِيَامِ السَّاعَةِ، فِي "الصَّحِيحِينَ" قَالَ ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيُظَهَرَ الْجَهْلُ، وَيُظَهَرَ الزُّنَى»<sup>(١)</sup>.

عباد الله .

إِنَّ ظَهُورَ الزُّنَى وَتَيْسِيرَ تَحْصِيلِهِ وَانْتِشَارَ أَسْبَابِهِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ غَضَبِ اللَّهِ وَمَقْتِهِ وَعَاجِلِ عِقَابِهِ، فِي "الصَّحِيحِينَ" قَالَ ﷺ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزِيَّ عَبْدُهُ أَوْ تَزِيَّ أُمَّتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً»<sup>(٢)</sup>.

(١) "صحيح البخاري" (٨١)، ومسلم (٢٦٧١) من حديث أنس ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٩٨٦)، ومسلم (١٩٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فدلّ هذا على أن فاحشة الزنى تغضب الجبار وتقصم الأعمار وتحرب الفيافي والقفار، فهي من أعظم أسباب الفقر والدمار. أيها المؤمنون.

إن فاحشة الزنى من أعظم أسباب ظهور غريب الأدواء وجديد الأمراض ومنكرات الأسقام، فإنها لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، كما قال ﷺ: «وها نحن اليوم نشاهد صدق ما أخبر به من لا ينطق عن الهوى، فهاهي معضلات الأمراض ومنكرات الأدواء تنتشر في بلاد الإباحية والفجور، أعيّت مهرة الأطباء، وحيرت الخبراء، وصدق الله ومن أصدق من الله قيلاً: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن قبح فاحشة الزنى مركوز في الفطر، مقرر في شرائع رسل من غير، وإنه لمن عجائب القصص والأخبار، ما رواه البخاري في "صحيحه" عن عمرو بن ميمون الأودي رحمه الله قال: "رأيت في الجاهلية قرداً زنى بقردة، فاجتمع القرد فرجموها حتى ماتا"<sup>(٢)</sup> فدلّ هذا على أن الزنى مستقب محقوت، حتى عند بعض الحيوانات.

عباد الله، اتقوا الله ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً، فهو والله أقبح

(١) سورة الإسراء (٣٢).

(٢) "صحيح البخاري" (٣٨٤٩).

سبيلٍ وشُرَّ طريقِ خزيٍّ وعذابٍ في الدنيا والآخرة، أما الدنيا ف: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، هذا إن كانا غيرَ محصنين.

أما إن كان الزاني والزانية محصنين فَحَدُّهُمَا رميٌّ بالحجارة حتى الموت، هذه عقوبةُ البدن، وأعظمُ من ذلك وأشدُّ عذابُ القلب، ففي الصحيحين قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»<sup>(٢)</sup>، فإذا زنى العبدُ انخلعَ منه الإيمان، وكان -؛ أي: الإيمان- كالسحابة فوق رأسه ما دام على هذه المعصية، فإن شاء الله سلبه إياه، وإن شاء جلَّ وعلا رده عليه.

أيها المؤمنون.

هذه عقوبته في الدنيا، أما عقوبته في البرزخ بعد الموت، وقبل أن يقوم الناس لربِّ العالمين، فما رواه البخاري عن سمرة بن جندبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ الليلةَ رجلين أتياي فأخرجاني، فانطلقتُ معها فإذا أنا ببناءٍ على مثلِ التُّورِ، أعلاه ضيِّقٌ وأسفله واسعٌ، يوحد تحتَه نارٌ، فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، فإذا أُوقدتِ النارُ ارتفعوا حتى يكادوا يخرجون، وإذا خمدت رجعوا، فقلتُ للرجلين: من هؤلاء؟ قالوا: هم الزناة»<sup>(٣)</sup>. فلا إله إلا الله، ما أعظم عذابهم وأشدُّ بؤسهم.

(١) سورة النور (٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٥)، ومسلم (٨٦).

(٣) "صحيح البخاري" (٦٥٢٥).

أيها المؤمنون.

أما عذابهم في الآخرة، فقال جلّ وعلا فيه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يضاعف له

العذاب يوم القيامة﴾<sup>(١)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله حقّ تقاته، واجتنبوا هذه الفاحشة الميينة والموبقة الكبيرة، فإن الله

تعالى نهاكم عن قربانها فضلاً عن الوقوع فيها: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ

سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من أعظم أسباب الوقوع في فاحشة الزنى: التساهل في أسبابه ودواعيه، كإطلاق

البصر في المحرمات والنظر للنساء الأجنبية في الأسواق أو الصحف أو المجلات، أو

من خلال الشاشات والقنوات.

ومن أسبابه أيضاً: سماع الأغاني التي تهيّج النفوس على الرذائل وسماع الكلمات التي

تبعث في القلب الشهوات.

ومن أسباب الزنى يا عباد الله: الاختلاط بالنساء والخلوة بهن في البيوت والسيارات

وغير ذلك. فاتقوا الله الذي إليه ترجعون.

أيها المؤمنون.

احذروا هذا اليوم ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا

(١) سورة الفرقان (٦٨-٦٩).

(٢) سورة الإسراء (٣٢).

يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾

واعلموا: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

فاحفظوا عباد الله أبصاركم وأسماعكم وأرجلكم وأيديكم عن الزنى، فإن النبي ﷺ

قال: «العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان تزنيان وزناهما الاستماع، واللسان يزني

وزناه الكلام، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها الخطأ، والقلب يهوى

ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»<sup>(٢)</sup>.



(١) سورة الإسراء (٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١٩٣).

## الخطبة الثانية

أما بعد! فاتقوا الله أيها المؤمنون وقوا أنفسكم شر الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً،  
احفظوا أبصاركم وجوارحكم عما يدعو إليه الشيطان ويزينه لكم، بادروا إلى الزواج  
فإنه أغض للبصر- وأحصن للفرج، تفكروا في عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة  
،اصبروا وصابروا وتذكروا ما أعدده الله لعباده المتقين من الجنان والنعيم والفوز برضا  
الله الكريم، تذكروا عقوبة العاصين وما أعدده الله لهم من العذاب وبئس المصير ذهبت  
اللذات وبقيت الحسرات ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ  
سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون! قوا أهليكم أزواجكم أبناءكم بناتكم هذه البلية الكبرى فامنعوا عنهم  
أسباب الفساد ودواعي الشر- بادروا إلى تزويج من بلغ من أبناءكم وبناتكم ولا  
تؤخروا ذلك، فإن أسباب الانحراف كثيرة ودواعي الفساد منتشرة وأسبابه ميسرة وطرقه  
مذللة لا سيما في هذه العصور المتأخرة التي ضعف فيها الإيمان وراجت فيها سوق الشيطان.  
عباد الله توبوا إلى الله جميعاً لعلكم تفلحون، توبوا قبل فوات الأوان، تب يا عبد الله  
من النظرة المحرمة والكلمة القبيحة والزلة الخفية والسيئة الظاهرة، استكثروا عباد الله  
من أعمال البر والخير فإن الحسنات يذهبن السيئات.

﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾

(١) سورة الفرقان (٢٧-٢٨).

## ٦٢- الخمر والمخدرات

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، بشيراً ونذيراً، يأمركم بالمعروف، وينهاكم عن المنكر، ويحلُّ لكم الطيبات، ويحرمُّ عليكم الخبائث، قال الله تعالى في وصف ما جاء به النبي ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾<sup>(١)</sup>.

ألا، وإن أمَّ الخبائث الخمر، كما قال النبي ﷺ: «الخمير أم الخبائث»<sup>(٢)</sup>، وقد أخبر النبي ﷺ بأنها مفتاح الشرور، فعن أبي الدرداء<sup>(٣)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ «لا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر»<sup>(٣)</sup>.

وصدق الله ورسوله ﷺ، فإنه قد اجتمع فيها من الشرور والآثام والخبائث ما لم يجتمع

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) أخرجه الدارقطني (٤٦١٠) من حديث عبد الله بن عمرو، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٣٧١)، وصححه الألباني.

في غيرها، كيف لا والمرء إذا سكرَ خرجَ عن طوره، وفقد عقله، وضاع سمته، وغرق في ألوانِ المعاصي والموبقاتِ؟!.

فالخمرُ يا أيها المؤمنون، تُفسدُ الأديانَ، وتهلكُ الأنفُسَ، وتعطلُ العقولَ، وتهتكُ الأعراصَ، وتتلِفُ الأموالَ، وهذا سرُّ تسميةِ النبي ﷺ الخمرَ: أمَّ الخبائثِ، وأمَّ الفواحشِ، ففي حديثِ ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: « الخمرُ أمُّ الفواحشِ، وأكبرُ الكبائرِ، مَنْ شربها وقعَ على أمِّه وخالتهِ وعمِّته »<sup>(١)</sup>. نعوذُ باللهِ من ذلك، فإياك يا من يرجو نجاته:

وإياك شرباً للخمورِ فإنها  
تُسوِّدُ وجهَ العبدِ في اليومِ والغدِ  
وكُلِّ صفاتِ الذمِّ فيها تجمَّعتُ  
كذا سُمِّيتِ أمُّ الفجورِ فأسندِ

وقد جاء تحريمُ الخمرِ في الكتابِ والسنة، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

أما السُّنة، فالأحاديثُ الدالَّةُ على تحريمها كثيرةٌ عديدةٌ، فمن ذلك ما رواه ابن عمر

(١) أخرجه الطبراني (١١٢٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٥٦٥٦).

(٢) سورة المائدة: ٩٠-٩١.

رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مسكِرٍ خمرٌ، وكُلُّ خمرٍ حرامٌ»<sup>(١)</sup>، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ شرابٍ أسكرَ فهو حرامٌ»<sup>(٢)</sup>، وقد أجمع المسلمون على تحريمها، وهذا الحكم ثابتٌ لكلِّ ما أسكر، سواءً كان مشروباً أو مطعوماً أو مستنشقاً أو متعاطىً بغير ذلك، فالمخدرات وما شابهها حكمها حكمُ الخمر، أو أشدُّ. أيها المؤمنون.

إن الله ﷻ توعَّد من خالف أمره، وتعدَّى حدوده، فشرب الخمر، توعَّدَه بعقوباتٍ دينيةٍ شرعيةٍ، وعقوباتٍ كونيةٍ قدريةٍ.

فمن العقوبات الشرعية: أن النبي ﷺ قد لعنَ في الخمر تسعةً، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لعن رسولُ الله ﷺ الخمر، وشاربها، وساقِها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولةُ إليه»<sup>(٣)</sup>.

ومن العقوبات الشرعية الكبرى: أن شارب الخمر مُهدَّدٌ بنزع الإيمان، ورفع من قلبه، ففي "الصحيحين" قال ﷺ: «ولا يشربُ الخمرَ حين يشربها، وهو مؤمنٌ»<sup>(٤)</sup>، قال

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٢)، ومسلم (٢٠٠١).

(٣) أخرجه أحمد (٥٦٨٣)، وصححه الألباني في الإرواء (١٥٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧).

أبو هريرة رضي الله عنه: "من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان، كما يخلع الإنسان القميص من رأسه"<sup>(١)</sup>، نعوذ بالله من الخذلان.

أيها المؤمنون.

إن من العقوبات الشرعية لشارب الخمر أنه لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، فعن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وابن عباس رضي الله عنهم: «من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، وإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، وإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، وإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من ردة الخبال، يوم القيامة، قالوا: يا رسول الله، وما ردة الخبال؟ قال: عسارة أهل النار»<sup>(٢)</sup>.

ومن العقوبات الشرعية: أن شارب الخمر في هذه الدنيا يُحرم شربها في الآخرة، ففي "صحيح مسلم" قال رضي الله عنه: «من شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها، لم يشربها في الآخرة»<sup>(٣)</sup>.

بل الأمر أعظم من ذلك وأدهى، فإن شارب الخمر متوعد بحرمان الجنة، فعن أبي

(١) أخرجه الحاكم (٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٦٢)، وابن ماجه (٣٣٧٧)، وحسنه الترمذي.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة عاقٌّ، ولا مدمنٌ خمرٍ، ولا مكذِّبٌ بالقدر»<sup>(١)</sup>،  
وفي رواية عن أبي موسى ﷺ عند ابن حبان: «لا يدخل الجنة مُدمنٌ خمرٍ، ولا مؤمنٌ  
بالسحرِ، ولا قاطعٌ رحم»<sup>(٢)</sup>.

ومن أعظم ما ورد في حال مدمن الخمر، مارواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال  
رسول الله ﷺ: «مدمنٌ الخمرِ إذا ماتَ لقيَ اللهُ كعابدٍ وثني»<sup>(٣)</sup>.  
ومن العقوبات الشرعية أن يُجلدَ شاربُ الخمرِ، فعن أنسٍ ﷺ: «أن النبي ﷺ جلدَ في  
الخمرِ بالجريدِ والنَّعالِ، وجلدَ أبو بكرٍ ﷺ أربعين»<sup>(٤)</sup>، فإن تكرر ذلك منه، فقد قال  
النبي ﷺ فيما رواه معاويةٌ ﷺ: «من شربَ الخمرَ فاجلدوه، فإذا عادَ في الرابعة فاقتلوه»<sup>(٥)</sup>.  
فمن أدمنَ الخمرَ، فهو عنصرٌ فاسدٌ، يجبُ على المجتمع أن يتخلص منه؛ دفعاً لشربه  
وأذاه.

أيها المؤمنون، هذه بعض العقوبات الشرعية.

أما العقوبات القدرية الكونية، فكثيرةٌ لا حدَّ لها، إلا أن منها: أن شربَ الخمرِ

(١) أخرجه أحمد (٦٨٥٣)، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٣٢١).

(٢) أخرجه ابن حبان (٦١٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٥٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٤٩)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٢١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٧٣)، ومسلم (١٧٠٦).

(٥) أخرجه أحمد (١٦٨٩٣)، وأبو داود (٤٤٨٥)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٦٦٧).

والمخدرات، وما شابهها سببٌ للإصابة بأنواعٍ من الأسقام، والأمراضِ الصحية والنفسية، وقد أفاضَ المختصُّون في بيان تأثير هذه الموبقاتِ على صحَّة الإنسان، فما من عضوٍ من أعضاء البدن، إلا وتطاله آثارُ شُرْبِها، وعقوبةٌ تعاطيها.

أما الأمراضُ النفسيةُ والعصبيةُ، فذاك البحرُ الذي لا ساحلَ له، فإن شاربها يعاني من ألوانِ الاضطراباتِ، وأضرابِ الضيقِ والضنكِ، فلا يسكنُ همُّه، ولا يذهبُ غمُّه إلا بمعاقرةِ الخُمورِ، ومداومةِ شربها، فله ما أُصدقَ ما أخبرَ به الصادقُ المصدوقُ عليه السلام، فعن طارقِ الجعفي رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله عن الخمرِ فنهى عنها، فقال: إنما أصنعها للدواءِ، فقال: «إنها ليست بدواءٍ، ولكنها داءٌ»<sup>(١)</sup>.

أما أضرارُ الخمرِ الاجتماعيةُ، فله كم هدمت من بيتٍ، وشتت من شملٍ، وأزهقت من نفسٍ، وأفسدت من عقلٍ، ونغصت من عيشٍ.

ولله كم بنت من منكرٍ، وقلعت من معروفٍ، كيف لا؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: «من شربها وقع على أمه وخالته وعمته»<sup>(٢)</sup>.

فشؤمُ معاقرةِ الخُمورِ وشربها لا يقتصرُ على شاربها، بل يمتدُّ ذلك إلى أسرته، وأهل بيته ومجتمعِهِ، فمدمنُ الخمرِ وشاربها بليدُ الإحساسِ، غيرُ مهتمٍّ بأولاده أو أهله، ولا هو أهلٌ لتحملِ المسؤوليةِ.

ومن أضرارِ شربِ الخُمورِ يا عبادَ الله: إشاعةُ الفاحشةِ والجريمةِ بين المسلمين، فإن

(١) أخرجه مسلم (٣٦٧٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٢٠٩).

شارب الخمر المتورط بها عضو فاسد في مجتمعه، يزين الشرّ ويحسّنه، ولا يقَرُّ قراره حتى يجرّ غيره إلى هذا المستنقع القذر.

كما أن متعاطي الخمر والمخدرات هم رواد الجريمة وتجّارها، فكثير من الجرائم تقع بسبب شرب الخمر، وقد صدق رسول الله ﷺ لما قال محذراً: «لا تشرب الخمر؛ فإنها مفتاح كل شرٍّ»<sup>(١)</sup>، فتباعدوا يا عباد الله عنها وعن أهلها.

ومغالق للخير والإيمان

فتباعدوا عن شرب مفتاح الردى



(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٧١)، وحسنه الكناني في مصباح الزجاجة (٩٦١١).

## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أحلّ لنا الطيبات، وحرّم علينا الخبائث والمنكرات، وأصلي وأسلم على نبيّنا محمد ﷺ، الذي ختم الله به الرسل والنبوات، وعلى آله وأصحابه وسائر المؤمنين والمؤمنات.

أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وتعاونوا على البرّ والتقوى، كما أمركم الله تعالى، فتعاونوا جميعاً، صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، أفراداً وجماعات، على مكافحة هذا الداء العضال الفتاك، الذي إذا تفشى في المجتمع كان أحد أهم أسباب هلاكه ودماره، ويشهد لذلك أن الخمر تنتشر في آخر الزمان، الذي هو وقت قرب هلاك الدنيا، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنى»<sup>(١)</sup>.

إن أهم وسائل مكافحة هذا البلاء الكبير، والداء الخطير بناء الإيمان وإشاعته، وترسيخ الوازع الديني في النفوس، فإن القلوب إذا لم تكن قد عمّرت بالإيمان فلن يردعها أضرارٌ صحيّة، ولا أزماتٌ نفسية، ولا مشاكلٌ أسرية أو اجتماعية، ولا ضائقة اقتصادية، فالنفوس ضعيفة، والشهوات جذابة؛ ولذا فإن الله ﷻ لم يحرم الخمر في بداية دعوة النبي ﷺ، بل حرّمها بعد أن استقر الإيمان في قلوب المسلمين، ورسخ وأينع وأثمر، فمَعَ شدة تعلّق العرب بالخمر في ذلك الوقت، إلا أن الإيمان الصادق الراسخ

(١) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

قد تغلب على هذا العشق الجامح للخمر، قال أنس رضي الله عنه: "حُرِّمَتِ الخمرُ، ولم يكن

للعرب عيشٌ أعجبَ منها، وما حُرِّمَ عليهم شيءٌ أشدَّ من الخمرِ" <sup>(١)</sup>.

ويوضِّحُ شدةَ تعلقِ العربِ بالخمرِ قبل تحريمها أن بعضَ الصحابةِ رضي الله عنهم لم يُقلِعوا عنها إلا عند التصريحِ بتحريمها، مع توالي الآياتِ التي تزهّدُ فيها، وتنفّرُ منها، فما أن نادى منادي رسولِ الله صلّى الله عليه وآله: "ألا إنَّ الخمرَ قد حُرِّمَت"، حتى أهرقَ الصحابةُ رضي الله عنهم الشرابَ، وكسروا الكؤوسَ والقلالَ، حتى سالت أزيقةَ المدينةِ بالخمرِ، وتوقّفَ الناسُ عن شربها، وقالوا: انتهينا ربّنا، انتهينا.

أيها المؤمنون.

هكذا يفعلُ الإيَّمانُ الراسخُ، أمةٌ تربّتْ على عِشقِ الخمرِ والتعلُّقِ بها، حتى قال قائلُها

عند موته موصياً:

إذا متُّ فادفني إلى جنبِ كَرَمَةٍ      تروِّي عظامي بعد موتي عروقتها

ولا تدفني بالفلاةِ فإنني      أخافُ إذا ما متُّ أن لا أذوقها <sup>(٢)</sup>

يرتفعُ كلُّ هذا الحبِّ والتعلُّقِ، ويزول عندما سمعوا قولَ المنادي: "ألا إنَّ الخمرَ قد

حُرِّمَت"، فليله دُرهم! ما أعمقَ إيماهم.

أيها المؤمنون.

(١) الدر المشور ١ / ٦٠٦، ٦٠٥.

(٢) الأغاني ١٨ / ٣٨٤.

إن مكافحة المخدرات والخمور شغلٌ شاغلٌ لكثيرٍ من الأمم، ولكننا أمة الإسلام لن نحقق النجاح، في مكافحة السوءات، إلا بإشاعةٍ خلال الإيمان وخصاله، وتربية المجتمع عليها، فقبل أن نقول: "لا للخمور ولا للمخدرات"، ونعلق على جدراننا وشوارعنا: "لا للخمور أو لا للمخدرات" يجب أن نرسخ في قلوبنا: "لا إله إلا الله" وأن نصبغ حياتنا بمقتضياتها، وأن نظهر إعلامنا المرئي والمسموع والمقروء، من كل ما يزيّن الخمور والفواحش، وما يدعو إليها، وبغير ذلك لن نجني إلا العطب، ولن نصيب إلا الخبال، والشاهد على ذلك قائمٌ ناطقٌ، فأمرىكا سنت في أوائل هذا القرن الميلادي قانوناً يمنع شرب الخمور وصناعتها وبيعها، فما هو إلا أن مرّت سنواتٌ إلا وتهاوى هذا القانون، وأفل هذا النظام، وكانت النتيجة عكسيةً، فزادت نسبة الشاربين للخمير، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٌ بِقَيْعَةٍ يَخْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من أهم وسائل مكافحة هذا الداء الفتاك إظهار الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في المجتمع، ودعم الأمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، الذين لهم أثر ملموس، ودورٌ رائدٌ، وجهدٌ مشكورٌ في محاربة أهل الزيغ والفساد، فلله درهم، ما أحسن صنيعهم، فكّم من مصنعٍ خمرٍ قد هدموه، وكم من مروجٍ له قد فضحوه، وكم من تائه ضائعٍ حائرٍ، غارقٍ في المعاصي والآثام والذنوب قد انتشلوه وأنقذوه.

(١) سورة النور (٣٩).

أيها المؤمنون! إن من وسائل مكافحة انتشار هذه البلايا إقامة الحدود وإظهارها، فإن الحدود على اسمها، تحذ من انتشار الرذائل والآثام، فبها يضعف الشر وينحسر، وينقمع أهل الباطل ويخسبون.

ومن وسائل الوقاية من هذه الكبيرة: حفظ الأولاد وتوعيتهم، والابتعاد بهم عن أسباب الوقوع في هذه القاذورات، من رفقة سيئة خبيثة، تزين الباطل وتدعو إليه، أو إعلام مدمر يغري بالخبائث، ويزين الفواحش، أو سفر إلى بلاد خلعت ثوب الإيمان، ولبست لباس الكفر والإباحية والفجور والعصيان.

وأخيراً أقول لأولئك الذين استنزهم الشيطان، فتورطوا في شرب الخمر أو غيرها من الآثام. فالبدار البدار، التوبة التوبة، الإقلاع الإقلاع، قبل فوات الأوان، وانصرام الزمان، فقد دعاك مولاك إلى التوبة، فأخبر خير جواب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

فقل كما قال الأول:

فله عهد لا أخيس بعهدِه لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا<sup>(٢)</sup>



(١) سورة الزمر (٥٣).

(٢) التذكرة الحمدونية ١/ ٢٧١.

## ٦٣ - استقبال شهر الخير ( رمضان ).

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أَمَّا بَعْدُ.

## أيها المؤمنون.

قد أظلكم شهرٌ كريمٌ، وموسمٌ عظيمٌ، فيها هو يطرُق الأبوابَ هلالُهُ، يُرتقب الليلةَ أو  
القابلةَ، فلا إلهَ إلا اللهُ، ما أسرعَ تعاقبَ الليالي والأيام، وما أعجلَ دورانَ رحي  
الزمانِ، فالليالي والأيامُ تُطوى، والأعمارُ والأعوامُ تَفنى، ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ  
والإكرامِ، لكلِّ أجلٍ كتابٌ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
، فهذا مولودٌ يبكي، وهذا مقبورٌ يبكي، وكلُّ الناسِ يغدو، فبائعٌ نفسه إلى ربه ومولاه  
فمعتقٌها، وبائعٌ نفسه للشيطان وهواه فمُهلكٌها.

## أيها المؤمنون.

إن خيرَ ما استقبلتم به شهرَ رمضانَ المباركَ التوبةُ الصادقةُ، والدموعُ الهاميةُ على  
التفريطِ والتقصيرِ ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فإنَّ من لم

(١) سورة الأعراف: (٣٤).

(٢) سورة النور: (٣١).

يتب فأولئك هم الظالمون.

وفي "صحيح البخاري" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن التوبة الصادقة المقبولة لا تكون إلا بالندم على ما فرط من السيئات، والإقلاع فوراً عن الخطايا والموبقات، والعزم على عدم موقعة الذنوب والمهلكات، وردّ المظالم، والتحلل من أصحاب الحقوق والجنايات. أيها المسلمون.

إن مما يُستقبل به هذا الموسم الكريم الفرح ببلوغه وإدراكه، فإن من النعم العظيمة على العبد: أن يبلّغه الله مواسم الخيرات، ومنازل المغفرة والرحمات: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. أيها الإخوة الكرام.

إن المؤمن يفرح برمضان؛ لما فيه من أسباب الفوز بالجنات، والنجاة من النيران، يفرح المؤمن برمضان، يصوم نهاره، ويقوم ليله، ويسأل ربه ومولاه من خير الدنيا والآخرة، فيحقق بذلك التقوى، التي قال في أهلها: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) "صحيح البخاري" (٦٣٠٧).

(٢) سورة يونس: (٥٨).

(٣) سورة يونس (٦٢-٦٣).

يفرح المؤمنُ برمضان؛ لأنه شهرٌ يربِّي فيه نفسه على الصبرِ عن الشهوات، والصبرِ على الطاعات، فيفيده ذلك قوةً في دينه، ورسوخاً في يقينه، وزيادةً في إيمانه، فما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيراً، ولا أوسعَ من الصَّبرِ.

يفرح المؤمنُ برمضان؛ لأنه يتذكَّرُ به ما صنعَ اللهُ لأوليائه، من الانتصاراتِ والفتوحِ، فشهرُ رمضانَ شهرُ نصرٍ- لأمّةِ الإسلامِ، فيه وقعت بدرُ الكبرى، وفيه فتحَ اللهُ لنبيه مكةَ، البلدَ الحرامَ، وفيه معركةُ اليرموكِ وحنينَ، وغيرُ ذلك من وقائعِ النصرِ والفتحِ المبينِ. فكلُّ انتصاراتِ أهلِ الإسلامِ العظامِ، التي حصل بها للمسلمين الفرجُ، وغيرت موازينَ القوى، إنما كانت في هذا الشهرِ المباركِ، فصدَّقَ رسولُ اللهِ ﷺ القائلُ: «واعلم أنَّ النصرَ مع الصبرِ، وأنَّ الفرجَ مع الكربِ، وأنَّ مع العسرِ يسراً»<sup>(١)</sup>.

يفرح المؤمنُ بهذا الشهر؛ لأنه يجدد في نفسه الأملَ، فإن المستقبل للإسلام، مهما اشتد الظلام، وإن الله ناصرُ دينه، ومعلي كلمته، بعزٍّ عزيزٍ، أو بدُّلٍ ذليلٍ، عزًّا يعزُّ اللهُ به أهلَ الإسلامِ، ودُّلاً يذلُّ به الكفارَ، فما أحوَجَ الأمةَ اليومَ، وهي تعيش هذه النكباتِ، والخطوبَ المدلهماتِ، إلى من يحيي في قلبها الأملَ، ويدكِّرها بأسبابِ الخروجِ من هذه الأزماتِ، فإنه من يتقِ اللهُ يجعلَ له مخرجاً، ويجعلُ له من أمره يسراً: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٣) من حديث ابن عباس ؓ، وحسنه السخاوي في المقاصد الحسنة (٣٣٦).

(٢) سورة يونس (٥٨).

إن من الناس من عمي عن كل هذه المعاني، التي يحملها هذا الشهر المبارك، ولم ير فيه إلا موسماً سنوياً للموائد الزاخرة، وفرصةً للسمرِ واللهو، ومتابعة البرامج، والسهر الممتد إلى بزوغ الفجر، والنوم الطويل إلى غروب الشمس، فإني والله أخشى على هذا أن يجيب الله فيه دعاء جبريل، الذي أمّن عليه خاتم المرسلين:

ففي "صحيح ابن خزيمة" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: من أدرك رمضان، فلم يُغفر له فدخل النار، فأبعده الله. قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: قل آمين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: آمين»<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إنني أحذركم - نصيحةً لله، نصيحةً مُشفقٍ محبٍّ - أن تستجيبوا إلى شياطين الإنس، الذين يدعونكم إلى متابعة القنوات، بما أعدوه من البرامج والفقرات؛ ليصدوا عن سبيل الله، ويذهبوا بما حصلته قلوبكم من التقوى والإيمان، بسبب الصيام والقيام.

فاتقوا الله عباد الله، واجعلوا شهركم شهر توبة وأوية وصلاح ودعاء وتضرع وبكاء، فعند الصباح يحمد القوم السرى<sup>(٢)</sup>، جعلنا الله وإياكم ممن يقول: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ. فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ. إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿﴾

(١) صحيح ابن خزيمة (١٨٨٨)، وهو عند أبي يعلى (٥٩٢٢).

(٢) الأمثال لابن سلام (٣١).

(٣) سورة الطور: (٢٦-٢٨).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واستقبلوا شهركم بالعزم على الطاعات، ونية الخيرات، والمسارة إلى الباقيات الصالحات، فإن ذلك من المسابقة إلى الخيرات، ونية الطاعة طاعة يثاب عليها المؤمن يا عباد الله.

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»<sup>(١)</sup>.

أيها الإخوة الكرام..

إن من نعمة الله تعالى على أهل الإسلام أن خصَّ شهرَ الصيام، شهرَ رمضان المبارك بفضائلٍ قدريةٍ وشرعيةٍ.

فمن ذلك: أن الله تعالى أنزل فيه أحسنَ كتبه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن تلك الخصائص: أنه جعل فيه ليلةَ القدر، التي يُفرقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيمٍ،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٢) سورة البقرة: (١٨٥)

فيجري فيها تقديرُ الله عز وجل لما يكون في تلك السنّة.

ليلةُ القدرِ، التي عَظَمَ اللهُ شأنَها، فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾<sup>(١)</sup>.

ليلةُ القدرِ، التي قال فيها الصادقُ المصدوقُ صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(٢)</sup>.

ومن الفضائلِ والخصائصِ التي جعلها اللهُ لشهر الصيام: أن من على عباده المؤمنين، بفتح أبواب الجنان، وتغليق أبواب النيران، و تصفيد الشياطين من أول ليلة من لياليه. ففي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسُلسلت الشياطين»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»<sup>(٤)</sup>.

وفيه ينادي منادي الإيمان: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر. ومن فضائل الشهر المبارك: أن الله جلّ وعلا منّ فيه على أهل الإسلام بأعظم الانتصارات، وأكبر الفتوحات، ففيه نصر الله رسوله على أهل الكفر والإلحاد، يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان في غزوة بدر الكبرى، التي هي شامة في عين التاريخ:

(١) سورة القدر: (١-٢)

(٢) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) "صحيح البخاري" (١٨٩٩)، ومسلم (٢٥٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إذا قامت الدنيا تُعدُّ مفاخرًا فتاريخنا الوضاح من بدر ابتداءً<sup>(١)</sup>  
 وفيه فتح الله بيته المعظم لنا نبينا محمد ﷺ، وخلَّصه بذلك من أوضاع الشرك، ولوثات الكفر.  
 شهرٌ عظيمٌ مبارك، فيه تكفَّر الخطايا، وتُحى الذنوب، ويُعفى عن السيئات، من حُرِّم  
 خيرَه فقد حُرِّم.

أتى رمضانُ مزرعةَ العبادِ لتطهيرِ القلوبِ من الفسادِ  
 فأدَّ حقوقَه قولاً وفعلاً وبادرَ فيه أزوادَ المعادِ



(١) ديوان وليد الأعظمي (٩٥).

## ٦٤ - شهر النصر.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن شهر رمضان لم يكن عند سلفنا شهر صيام وقيام ودعاء واعتكافٍ وعمرة وإكثارٍ من العبادة فحسب، بل كان شهر جهادٍ ومجاهدةٍ ودعوةٍ وعملٍ، فقد سَطَّروا فيه أعظم الانتصارات، وأكبر الفتوحات، وإن ليالي هذا الشهر وأيامه تحكي ما حققته الأمة من انتصاراتٍ وأجسادٍ، فقد كان في هذا الشهر يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان في غزوة بدر الكبرى، التي هي شامةٌ في جبين التاريخ.

إذا قامت الدنيا تعدُّ مفاجراً      فتاريخنا الوضاح من بدر ابتداء<sup>(١)</sup>

فقد فرَّق الله في هذه الغزوة بين الحقِّ والباطل، فنَصَرَ الله دينه، وأظهر نبيّه، وأطاح رؤوس الكفرِ والشرِّ والظلم والطغيان، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فكانت هذه الغزوة صفحةً من صفحات المجدِ المشرق، في تاريخ هذه الأمة.

(١) ديوان وليد الأعظمي (٩٥).

(٢) سورة آل عمران: ١٢٣.

وقد منَّ اللهُ تعالى على الأمة في هذا الشهر أيضاً، ففتحَ بيته لنبيه، وطهره من أوضاعِ الشرك، ولوثاتِ الكفر، ومظاهرِ الظلم والاستكبار، فكان حديثاً عظيماً كبيراً، ليس في تاريخِ الأمة فحسب، بل وفي تاريخِ البشرية كلها، كيف لا؟ وقد أعزَّ اللهُ بهذا الفتحِ دينَه ورسوله ﷺ وحزبه، واستنقذَ به بلده وبيته من أيدي الكفار والمشركين.

وقد استبشَرَ بهذا الفتحِ أهلُ السماء، وضربت أطنابُ عزِّه على مناكِبِ الجوزاء، ودخل الناسُ به في دينِ الله أفواجا، وأشرقَ به وجهُ الأرضِ؛ ضياءً وابتهاجاً، وانحسرت به الوثنيةُ في جزيرةِ العرب.

وما انفكَّ هذا الشهرُ المعطاءُ أن يكون محلاً ومضماراً، لأمجادٍ وبطولاتٍ وانتصاراتٍ لهذه الأمة عبرَ التاريخ، وهذا يؤكِّدُ أن شهرَ الصيام له أثرٌ بالغٌ في تحقيقِ النصرِ، وصناعةِ المجدِ، وكيف لا يكون كذلك، وهو شهرُ الصبرِ والتقوى؟ أما الصبرُ فإن من الكلامِ المأثور: "الصومُ نصفُ الصبرِ"<sup>(١)</sup> فالصومُ يربِّي المسلمَ على تركِ المحابِّ والملاذِّ والشهواتِ؛ ولذا قال النبي ﷺ قال الله تعالى: «كُلْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي»<sup>(٢)</sup>.

أما التقوى، فإن الله إنما فرَضَ الصيامَ على عباده لتحقيقِها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) له شاهد بلفظه من حديث أبي هريرة عند ابن ماجه (١٧٤٥)، ومن حديث سلمان الفارسي عند ابن خزيمة (١٨٨٧) وفيه في وصف رمضان: وهو شهر الصبر.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٢٧) مسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة البقرة: ١٨٣.

وبالصبر والتقوى يحقق العبد أول درجات النصر - الكبرى وأسبابه، قال الله تعالى:  
﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا  
يُضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فإذا صبرت الأمة، وأتقت الله سبحانه وتعالى وقاها شرَّ عدوِّها، ودافع عنها ﴿إِنَّ  
اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا مما يؤكد أهمية تحقيق المقصود من الصيام، فإن المتقدمين لما حققوا غايات  
الصيام ومقاصده جعل الله شهر صومهم شهر عز ونصر وتمكين ومجد.

ولما ضعف صبر الأمة، وقل تقواها وتمسكها بدينها، وتركت الجهاد، جعلها الله  
غرضاً لأعدائها، فأحلَّ بها الكفر - أعظم الضيم - وأنزل بها الأعداء ألوان الكيد  
والتعذيب:

أحلَّ الكفر بالإسلام ضيماً	يطول به على الدين النحيبُ
فحق ضائع وحمى مباح	وميض قاطع ودّم صيبُ

أيها المؤمنون.

إن المتأمل لحركة المد والجزر في تاريخ الأمة لا يعتره شك أن الأمة اليوم تمر بأصعب  
أيامها، وأشدَّ أحوالها، فإنه - وإن كان قد نزل بالأمة نكبات، وحلت بها الكوارث  
والأزمات - فإنها لم تنزل على ثقة بدينها وربها، معتزةً بالإسلام، فخورةً بالإيمان؛ لذا

(١) سورة آل عمران: ١٢٠.

(٢) سورة الحج: ٣٨.

فإنها سرعان ما وثبتت من سباتها، وانقضت كروها بمراجعة دين ربها. أما اليوم، فإن كثيراً من المسلمين أصيبوا في إيمانهم ودينهم، واجتمع عليهم أعداؤهم، فرمؤهم عن قوسٍ واحدةٍ، كما أخبر النبي ﷺ حيث قال: «تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا. قَالُوا: أَوْ مِنْ قَلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَغُنَاءِ السَّيْلِ، وَلِيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مَهَابَتَكُمْ مِنْ صُدُورِ أَعْدَائِكُمْ، وَيُلْقِيَنَّ فِي صُدُورِكُمْ الْوَهْنَ، قَالُوا وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»<sup>(١)</sup>.

وواقع الأمة اليوم مجسّد هذا الحديث ويوضّحه، فأعداد المسلمين كثيرة، ولكنها لا تفرحُ صديقاً، ولا تخيفُ عدوّاً، فهم غنَاءُ كَغُنَاءِ السَّيْلِ. وأما أعداؤنا من اليهود والمشرّكين والنصارى والمنافقين، فقد جمَعُوا فُلُوقَهُمْ، وَرَضُوا صَفُوفَهُمْ، وَجَمَعُوا كَلِمَتَهُمْ عَلَى حَرْبِ الْأُمَّةِ وَتَدْمِيرِهَا وَإِذْلَالِهَا، وَنَهَبِ ثُرُوتِهَا. فالوثنيون والملحدون ممثلون بالعالم الشرقي، يَسْحَقُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ، يَتَرَبَّصُونَ بِالْأُمَّةِ الدَّوَائِرَ، وَيَكِيدُونَ لَهَا الْمَكَائِدَ، وَلَا يَجِدُونَ فُرْصَةً، يَنْفُسُونَ فِيهَا عَنْ أَحْقَادِهِمْ إِلَّا فَعَلُوا، وَمَا تَخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، وَمَا يَفْعَلُونَهُ بِأَخْوَانِنَا فِي كَشْمِيرٍ، وَفِي الْهِنْدِ، وَفِي بُورْمَا، وَفِي بِلَادِ الشَّيْشَانِ خَيْرٌ شَاهِدٍ عَلَى ضِرَاوَةِ عِدَاوَتِهِمْ. أما الصليبيون ممثلون بالعالم الغربي الكافر، فهم ورثةُ الأحقادِ والضغائنِ على الأمة، فالصليبيون ضائقون بالإسلام منذُ ظهوره، وقد اشتبكوا مع المسلمين في حروبٍ

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٩٧)، وأبو داود (٤٢٩٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وإسناده حسن.

طويلة مضمّنة، إلا أن التاريخ لم يشهد حدة في العداء، وخبثاً في الأداء، وإصراراً وتصميماً على تدمير الأمة وإفنائها، كما يجري منهم اليوم. فهاهم خبّاروهم وكبرأؤهم وساستهم يتنادون لحرب الإسلام، وما ذاك الذي يجري في بلاد البوسنة والمهرسك، وغيرها من بلاد الإسلام إلا ثمرة أعمالهم، وجني أحقادهم.

وما هذه الهيمنة السياسية، والتسلط الاقتصادي، والاستكبار الحضاري على المسلمين، إلا قليلاً من كثير، وغيضاً من فيض، وقد صدق القائل:

عاد الصليبيون ثانية                      وجالوا في البطاح  
عاثوا فساداً في الديار                      كأنها كلاً مبأح

أما اليهود، فقد زرّعوا دولتهم في قلب العالم الإسلامي، وهم سباسة الكيد والمكر والخبث، وقد ضربوا أفضع الصور في تشريد المسلمين وإذلالهم، والتسلط عليهم، والتلاعب بهم، وانتهاك مقدساتهم.

ولا عجب في ذلك، فهم الذين قال الله عنهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾<sup>(١)</sup>.

وهم الذين آذوا رسول الله ﷺ، ودبروا له المكائد، ونقضوا العهود والمواثيق.

وهل ما يجري اليوم في فلسطين الغالية، وفي غيرها من البلاد، إلا من صنائعهم؟! فعجباً لمن نسي الكتاب، وركض وراء السراب، بطلب الصلح أو السلم، مع أرباب

(١) سورة المائدة: ٨٢.

الغدرِ والمكرِ، اليهودِ!!

لمثلِ هذا يذوبُ القلبُ مِنْ كَمَدٍ      إنْ كَانَ فِي القلبِ إيمانٌ وإسلامٌ

أما المنافقون، فهم أشدُّ الأعداءِ خطراً، وأعظمُهم فتكاً؛ لذا قال الله تعالى عنهم:  
﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

لا يَرِقبون في مؤمنٍ إلاّ ولا ذِمّةً، لبسوا مُسوحَ الضّانِ على قلوبِ الذئابِ، فالظواهرُ  
ظواهرُ الأنصارِ، والبواطنُ قد تميّزت إلى الكفارِ، دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، يصدّون عن  
سبيلِ الله، ويبغونها عوجاً.

تلوّنت رايائهم، وتشكّلت شعاراتهم، فتارةً قوميون، وتارةً وطنيون، وتارةً علمانيون،  
تعدّدت الأسماءُ والكفرُ واحدٌ، عاثوا في الأمةِ فساداً ودماراً، فهل التغريبُ الذي تعيشه  
الأمةُ إلا من صنعهم؟!

وهل تنحيةُ الشريعةِ، وتطبيقُ القوانينِ الوضعيةِ إلا من أعملهم؟!

وهل محاربةُ الدّينِ وأهلهِ وعلمائهِ ودعايتهِ إلا تجارهم؟!

فللهِ، كم من رايةٍ للدّينِ قد نكسوها؟

وكم من شعيرةٍ من شعائرهِ قد عطّلوها؟

وكم من عالمٍ أو عاملٍ أو داعيةٍ للهِ قد آذوه؟

فلا يزال الإسلامُ وأهلهُ منهم في محنةٍ وبليّةٍ، فإنّا للهِ وإنا إليه راجعون.

أيها المؤمنون.

(١) سورة المنافقون: ٤.

هؤلاء هم أعداء دينكم الظاهرون والمستترون، سَعَوْا إِلَيْكُمْ بِالْبَوَاتِقِ وَالْأُزْمَاتِ،  
 وجرمكم الذي اقترتموه أنكم رضيتم بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا  
 ﴿وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(١)</sup>.




---

(١) سورة البروج: ٨.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

أيها المؤمنون.

إِنَّ أُمَّتَكُمْ مَغْرُورَةٌ مِنْ دَاخِلِهَا، وَمَحَارِبَةٌ مِنْ خَارِجِهَا، أَمَا غَزَوُهَا مِنَ الدَّاخِلِ، فَذَلِكَ بِالْمُنَافِقِينَ الْمُرْتَبِّصِينَ مِنَ الْعُلَمَائِينَ وَأَشْيَاعِهِمْ، الَّذِينَ أضعَفُوا إِيمَانَ الْأُمَّةِ بِرَبِّهَا وَدِينِهَا، بِشُبُهَاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ.

وأما حربها من خارجها، فهذا التَّدَاعِي الْعَالَمِيّ لِأُمَّمِ الْكُفْرِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَشْرِكِينَ وَالْمُلْحِدِينَ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَنْ تَنْجُو الْأُمَّةُ مِنْ هَذَيْنِ الشُّبُهَاتَيْنِ، إِلَّا بِاقْبَالِهَا عَلَى رَبِّهَا، وَرَجُوعِهَا إِلَى دِينِهَا، وَإِعْلَانِهَا رَايَاتِ الْجِهَادِ بِأَنْوَاعِهِ، جِهَادِ النَّفْسِ، وَجِهَادِ الْعُصَاةِ، بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجِهَادِ الْمُنَافِقِينَ، وَجِهَادِ الْكُفَّارِ، فَإِنَّهُ مَا أَصَابَ الْأُمَّةَ مَا أَصَابَهَا إِلَّا لَمَّا هَجَرَتْ ظَهْرَ الْخَيْلِ، وَأَخَذَتْ بِأَذْنَابِ الْبَقْرِ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقْرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»<sup>(١)</sup>.

فعلينا أيها الأخوة الأخذ بأسباب النصر - وسننه للخروج من مآسي اليوم، وتحقيق

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٤)، وصححه ابن القطان من طريق آخر عند أحمد بلفظ: "إِذَا بَغَى النَّاسُ تَبَايَعُوا بِالْعَيْنِ، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقْرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَلَاءً، فَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ حَتَّى يَرَا جَعُوا دِينَهُمْ".

آمالِ الغدِّ، فَإِنَّ النَّصْرَ لَا يَنْزِلُ اعْتِبَاطًا، وَلَا يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءٍ، بَلْ يَجِيءُ وَفْقَ سَنَنِ وَقَوَائِنَ مُضْبُوطَةٍ، كَانضِبَاطِ حَرَكَةِ سَيْرِ الشَّمْسِ.

فَمِنْ هَذِهِ السَّنَنِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَخْبَرَنَا مَوْلَانَا، حَيْثُ قَالَ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، فَمَهْمَا طَلَبْنَا النَّصْرَ مِنْ غَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ، وَخَيَّبَ سَعِينَا، وَمَا أَحْوَجَنَا إِلَى أَنْ نَجَارَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا قَالَهُ الْأَوَّلُ:

**فِيَارِبُّ هَلْ إِلَّا بِكَ النَّصْرُ يُرْتَجَى عَلَيْهِمْ وَهَلْ إِلَّا عَلَيْكَ الْمُعْوَلُ<sup>(٢)</sup>**

وَمِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ: أَنْ نَنْصُرَ. اللَّهُ تَعَالَى بِأَقْوَالِنَا وَأَعْمَالِنَا وَقُلُوبِنَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وَنَصْرُنَا لِلَّهِ تَعَالَى يَكُونُ بِتَعْظِيمِ دِينِهِ، وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَتَحْكِيمِ شَرْعِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَيَانِ الْمُسْتَحْقِينَ لِلنَّصْرِ: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ سَنَنِ النَّصْرِ: أَنَّهُ آتٍ لَا مَحَالَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَأَنَّ التَّمَكِينَ لِلْإِسْلَامِ مُتَحَقِّقٌ، رَغْمَ الْعَوَاقِقِ وَالْعُقْبَاتِ، فَالَّذِينَ دِينُ اللَّهِ، وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ، قَالَ اللَّهُ

(١) سورة آل عمران: ١٢٦.

(٢) من هاشميات كميته بن زيد الأسدي. انظر: أوضح المسالك ١/٢١٣.

(٣) سورة محمد: ٧.

(٤) سورة الحج: ٤١.

تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>(١)</sup>.  
 لكنَّ هذا الوعد لا يعني ألا يُبتلى المؤمنون بالنكبات والأزمات، ولا يعني ألا تصاب  
 الأمة بالمصائب والكوارث، بل كلُّ هذا لا بدَّ منه، ليميز الله الخبيث من الطيب، قال  
 الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ  
 الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ  
 نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد بيتلي الله تعالى الأمة بتأخير النصر، أو تمكين الأعداء بسبب الذنوب والمعاصي،  
 قال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ  
 أَنْفُسِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

فإذا أصريتُ أنا وأنت على تقصيرنا وذنوبنا، فهل نرجو أن يصلح الله الأحوال،  
 ويرفع عنا هذا الدُّلَّ والصِّغارَ والانكسارَ؟! إنَّ هذا لمنَّ أحمَلِ المُحَالِ، قال الله تعالى:  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

فإن لم يكن منَّا نزوعٌ عن الذنوب، وإقلاعٌ عن المعاصي، ونصرٌ للدين وأهله، فإنَّ الله  
 ينصرُ- دينه بغيرنا، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا

(١) سورة غافر: ٥١.

(٢) سورة البقرة: ٢١٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٥.

(٤) سورة الرعد: ١١.

أَمْثَالِكُمْ ﴿١﴾ .

أيها الأخوة المؤمنون .

اعلموا أن من أقل ما يجب علينا تجاه إخواننا أن نشعر بما يشعرون به، من ألمٍ وضيقٍ، فإن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى» (٢) .

وإن من واجبتنا تجاه إخواننا أن ننصرهم بما نستطيع من مالٍ، ونعينهم به على جهاد أعدائهم وأعدائنا، فنكسوا أولادهم، ونطعم جائعهم، ونخلفهم في أهليهم وذويهم، وهذا هو أقل ما يجب علينا تجاههم .

فأنفقوا في سبيل الله، فإنها من أعظم النفقات، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٍ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٤) .

وما زال السلف الصالح رضي الله عنهم يبذلون جهودهم في الإنفاق في سبيل الله،

(١) سورة محمد: ٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

(٣) سورة البقرة: ٢٦١ .

(٤) أخرجه مسلم (٩٩٤) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

والتقرب إلى الله تعالى، بمساعدة الغزاة والمجاهدين، وإدخال السرور عليهم، بما تصل إليه استطاعتهم، قليلاً كان أو كثيراً، حتى إن بعض نساءهم تصدقت بشعرها، عقالاً لفرس في سبيل الله: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّهَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿٤٩٨﴾

(١) سورة محمد: ٣٨.

## ٦٥- العبرة في تعاقب الليل والنهار

## الخطبة الأولى

الحمد لله منشيء الأيام والشهور، ومفني الأعوام والدهور، المتفرّد بتقدير الأقدار،  
وتصرف الأمور، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

أحمده سبحانه، فهو الغفور الشكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.  
أما بعد.

فاتقوا الله أيها الناس، وتوبوا إليه وأطيعوه، واحذروا أن تُقدموا عليه بقلوب عاطلة،  
وأعمال باطلة، وظهور للأوزارِ حاملةٍ.  
أيها المؤمنون عباد الله .

تصرّمت الأعوام، عاماً بعد عام، وتعاقبت الليالي والأيام: ﴿يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(١)</sup>.

عباد الله.

تبصّروا واعتبروا، تأمّلوا وتفكّروا في أعمالكم وأعمالكم، وحوادث زمانكم.  
أما تشاهدون أيها الناس مواقع المنايا بينكم، وحلول الآفات والرزايا بكم أو  
بغيركم؟!!

أما تنظرون كيف فاز المتقون، وخسر المبطلون؟!!

(١) سورة النور: (٤٤).

إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصارِ.

أيها المؤمنون.

إن عامتكم هذا قد آذنَ بصرمٍ وارتحالٍ، فيا ليت شعري !! على أيِّ شيءٍ تُطوى صحائفُ الأعمالِ؟

أعلى أعمالٍ صالحةٍ، وتوبةٍ صادقةٍ نصوحٍ، تُحى بها الأوزارُ والآثامُ؟ أم على فسقٍ وعصيانٍ؟

فالتوبةُ التوبةُ أيها المؤمنون، فإنما الأعمالُ بالخواتيمِ، فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واستدركوا ما بقي لكم من أيامِ العمرِ بالأعمالِ الصالحاتِ، التي تؤنسُكم في قبورِكم، وتبيّضُ بها يومَ القيامةِ وجوهُكم.

أيها المؤمنون .

إنكم تغدّون وتروحون إلى أجلٍ قريبٍ، قد غيَّبَ عنكم علمُه، فإن استطعتم ألا يمضيَ هذا الأجلُ، إلا وأنتم في برٍّ وإحسانٍ، وطاعةٍ وإيمانٍ، فافعلوا ذلك لعلكم تفلحون.

أيها المؤمنون.

إنَّ في تعاقبِ الليلِ والنهارِ واختلافِهما عبرةً وآيةً، لمن أرادَ أن يدكّرَ، أو أرادَ شكوراً، فتدبّروا وانظروا، فأنت يا عبدَ الله بينَ عمُرٍ قد مضى، لا تدري ما اللهُ صانعٌ فيه، وبينَ عمُرٍ قد بقي، ما تدري ماذا قضيَ عليك فيه؟

فالجأ إلى ربِّك ومولاك، واسأله أن يغفرَ لك، ويعفوَ عنك، وأن يجعلَ ما أقبلتَ عليه من عمرك خيراً مما أدبرت عنه.

فاستبقوا الخيراتِ أيها المؤمنون ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث قال ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل  
سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»<sup>(٢)</sup>.



(١) سورة آل عمران (١٣٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک رقم (٧٨٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٣١٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (٧٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٣٥٥).

## ٦٦- مخاطرُ المراكبِ والسياراتِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، فإنَّ من الواجبِ عليكم أيُّها المؤمنون أن تشكروا الله تعالى على  
نعمة، التي منَّ بها عليكم، فإنه ما من نعمةٍ تصلُّ إليكم، إلا بتقديرِ الله تعالى وتيسيره،  
فما بكم من نعمةٍ فمن الله.  
أيها الناس.

إن من نعمِ الله تعالى على أهلِ هذا الزمانِ ما يسره لهم، من الاختراعاتِ التي غيرت  
حياةَ الناسِ، قربت البعيدَ، ويسرت العسيرَ، فالحمدُ لله على ما يسر.  
واللهُ تعالى ابتلاكُم بهذا لينظر: أتشكرونه أو تكفرونه؟ فمن شكرَ فإنما يمهدُ لنفسه،  
ومن كفرَ، فإنَّ اللهَ غنيٌّ عن العالمين.

فاشكروا الله أيها الناسُ على ما يسره لكم، من نعمٍ عظيمةٍ، في المآكلِ والمشاربِ،  
وفي المراكبِ والملابسِ، وفي سائرِ شؤونِ حياتكم ومعاشكم، فإنَّ شكرَ الله تعالى سببٌ  
لمزيدٍ من الخيرِ والنعمةِ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي  
لَشَدِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>

(١) سورة إبراهيم: (٧).

أيها الناس.

إن من النعم التي يَسرها اللهُ لأهلِ هذا العصرِ وسائلَ النقلِ، من السياراتِ وغيرها، التي تنقلكم وتحملُ أثقالكم، إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه، إلا بشقِّ الأنفسِ، فحقُّ هذه النعمةِ أن تُشكَّرَ، وأن تُسَخَّرَ في طاعةِ اللهِ تعالى، ونفعِ عبادهِ.

فإن من النَّاسِ من أساءَ استعمالَ هذه المراكبِ، فسَخَّرَها في إلحاقِ الضررِ بنفسه، أو غيره، فلم يُحسِنِ التصرفَ فيها، فَمِنَ الناسِ مَنْ يقودُ هذه السياراتِ والمراكبَ بسرعةٍ فائقةٍ، ومنهم من يقودُها، وهو جاهلٌ بقواعدِ القيادة، ومنهم من يقودُها وهو مفرطٌ بأسبابِ السلامة، ومنهم من يقودُ هذه السياراتِ من غيرِ مراعاةٍ لأنظمةِ المرورِ والسيرِ، غيرَ مبالٍ بأرواحِ الناسِ وممتلكاتهم.

تهوُّرٌ واستهتارٌ طيشٌ وخبالٌ.

ولما كانت هذه حالٌ كثيرٍ ممَّن يقودُ السياراتِ، كانت النتيجةُ مأساةً فادحةً، وفواجعَ متواصلةً، وحوادثَ مروعةً، ذهب بسببِها كثيرٌ من الأنفسِ والأموالِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وارعوا هذه النعمةَ حقَّ رعايتها، خذوا أسبابَ النجاةِ، من مخاطرِ هذه السياراتِ ومهالكِها، واعلموا أنَّ أهمَّ الأسبابِ التي تقي أخطارَ هذه المراكبِ تعلُّمُ أنظمةِ السَّيرِ والمرورِ، والالتزامُ بها، فإنَّ في ذلك خيراً عظيماً، فيه حفظُ الأنفسِ، وحفظُ الأموالِ، وتوقِي الأخطارِ، وطاعةُ اللهِ ورسوله المختارِ صلى اللهُ عليه وسلم، اللَّذينَ أمرا بطاعةِ ولاةِ الأمورِ، في غيرِ المعصيةِ، فيجب على المؤمن أن يلتزمَ بقواعدِ السَّيرِ، وأنظمةِ المرورِ؛ تعبداً لله، وتحقيقاً لمصلحةِ العبادِ والبلادِ.

## ٦٧- آية كُسُوفِ الشَّمْسِ والقَمَرِ.

الخطبة الأولى.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، أحمده جلَّ شأنه، خلقَ الليلَ والنَّهارَ والشمسَ والقمرَ، وكلُّ في فلكٍ يسبحون، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، أما بعد ..

فأوصيكم عبادَ الله بتقوى الله في السرِّ-والعلنِ، والغيبِ والشهادةِ، فما استمطرت الرحمتُ، ولا استجلبت النفحاتُ، ولا استدفعت المصائبُ والبلياتُ بمثل تقوى الله، ربِّ البريات.

فاتقوا الله أيها المؤمنون؛ لعلكم تفلحون: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
أيها الناس.

إنَّ ربَّكم اللهُ الذي لا إلهَ إلا هو، خالقُ كلِّ شيءٍ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ

(١) سورة الأنعام : (١).

(٢) سورة الزمر : (١٦).

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

خلق الله سبع سماواتٍ طباقاً، وجعل القمرَ فيهن نوراً، وجعل الشمسَ سراجاً، فالشمسُ والقمرُ والليلُ والنهارُ آياتٌ عظيمةٌ باهرةٌ، دالةٌ على ربِّ عظيمٍ، وإليه قويٌّ قديرٌ عليمٌ، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنيراً. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ (٢).

أيها الناس.

إن من آياتِ الله الباهرةِ في الشمسِ والقمرِ ما يُجْريه اللهُ عليهما من الخسوفِ والكسوفِ، وهو ذهابُ ضوءِهما، واضمحلالُ سلطانِهما، وزوالُ جمالِهما وبهاءِهما:

فسبحان مَنْ لا يقدرُ الخلقُ قدره      ومن هو فوق العرشِ فردٌ موحَّدُ

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

عباد الله.

إن انكسافَ الشمسِ والقمرِ، وخسوفَهما يدلُّ على قدرةِ اللهِ النافذةِ، وحكمتهِ البالغةِ، وقد أشار النبي ﷺ إلى حكمةِ هذه الآيةِ العظيمةِ.

ففي "الصحيحين" أن الشمسَ كَسَفَتْ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فخرج ﷺ إلى

(١) سورة الأعراف: (٥٤).

(٢) سورة الفرقان: (٦١-٦٢).

(٣) سورة: الصافات: آيات (١٨٠، ١٨٢).

المسجد فزعاً، فاقتراً رسول الله ﷺ قراءةً طويلةً، ثم كَبَّرَ، فركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع رأسه، فقال: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» ثم قام فاقتراً قراءةً طويلةً، هي أدنى من القراءة الأولى، ثم كَبَّرَ، فركع ركوعاً طويلاً، هو أدنى من الركوع الأول، ثم قال: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» ثم سجد، ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ذلك، حتى استكمل أربع ركعاتٍ، وأربع سجداً، وانجلت الشمس قبل أن ينصرف، ثم خطب خطبةً بليغةً، كان منها أن قال: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده»<sup>(٢)</sup>.

فالحكمة الكبرى من الكسوف أيها الناس تخويف العباد، وزجرهم عن السيئات، وحثهم على الطاعات، فالله جلّ في علاه يخوف عباده إذا عصوه، أو عصوا رسله، بترك المأمورات، والوقوع في المنهيات.

فالله تعالى يا عباد الله، يخوفكم بهذه الآية الظاهرة، التي يدركها الصغير والكبير، والحاضر والبادي، والعالم والجاهل، يندركم بهذا الاختلال في نظام الكون حصول الكوارث والمصائب، ونزول النكبات والعقوبات.

فالكسوف يا عباد الله، قد يكون سبباً لعقوبةٍ حالّةٍ مهلكةٍ، كرياحٍ شديدةٍ عاصفةٍ، أو أمطارٍ متواترةٍ، أو زلازلٍ مدمرةٍ، أو غير ذلك من العقوبات، فلولا إمكان حصول

(١) أخرجه البخاري (١٠٤٦)، ومسلم (٩٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٩١١).

الضرر بالناس عند الخسوف ما كان ذلك تخويفاً، فإنها يخاف الناس مما يضرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾<sup>(١)</sup>؛ ولذلك وجه النبي ﷺ أمته عند ظهور علامات التخويف إلى ما تستدفع به الشرور والنكبات، ويحصل به الأمن من العقوبات، فأمر بالفرع إلى الأعمال الصالحات، من الدعاء والذكر والصلاة والعناق والصدقة والتوبة؛ حتى ينكشف ما بالناس، وينجلي عنهم الكسوف والخسوف: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها الناس.

إن كسوف الشمس والقمر ليس مشهداً طبيعياً، مجرداً خالياً عن المعاني والمضامين، بل هو مشهدٌ عظيمٌ مروّعٌ، ترتعد له قلوب المؤمنين، وتنزعج منه أفئدة المتقين. إنه مشهدٌ يذكر العبد المؤمن بيوم القيامة، الذي قال الله فيه: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ.. وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ. كَلَّا لَا وَزَرَ﴾<sup>(٣)</sup> - أي: لا ملجأ من الله ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ. يُنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾<sup>(٤)</sup>. ولذلك لما كسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ قام فزعاً صلى الله عليه وسلم، يجرّ رداءه، يخشى أن تكون الساعة!!

(١) سورة: الإسراء: (٥٩).

(٢) سورة: النور: (٣١).

(٣) سورة: القيامة: (٧-١١).

(٤) سورة: القيامة: (١٢-١٣).

أفيسوغُ بعد هذا أيها المؤمنون أن يقول شخصٌ، يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ: إن الكسوفَ أمرٌ طبيعيٌّ، وحدثٌ عاديٌّ، كَشُرُوقِ الشمسِ وغروبِها، لا يوجبُ قلقاً ولا فزعاً؟!!

كلا والله، بل الأمرُ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ . وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ . أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن نبيكم محمداً ﷺ قال في خطبة الكُسُوفِ: «يا أمة محمد، والله ما من أحدٍ أغيرُ من الله، أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة محمد، لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»<sup>(٢)</sup>.

وهذا بيِّنٌ ويشيرُ يا عباد الله، إلى أنَّ من أسبابِ الكسوفِ الشرعية كثرةُ الذنوبِ والمعاصي، والغفلة عن الآخرة، والانهاك في الدنيا.

ألا وإن من أعظم الأسباب، التي يحصل بها كسوفُ الشمسِ، وخسوفُ القمرِ كثرةُ الزنى وظهوره، وقد حذر الله أهلَ الإيمانِ من قربانِ الزنى، فضلاً عن الوقوع فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>، والناظرُ إلى حياةِ الناسِ

(١) سورة يوسف: (١٠٥-١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) سورة الإسراء: (٣٢).

اليوم يشهدُ ظهورَ الزّنى، ورواجَ مقدماتِهِ وأسبابِهِ، وتذليلَ عقباتِهِ.  
فالزّنى وأبوابُهُ عملةٌ رائجةٌ في الحضارةِ الحديثةِ، لا يسلمُ منه إلا الأقلُّون، يستوي في ذلك بلادُ الكفرِ، وأكثرُ بلادِ المسلمين، فإننا لله وإنا إليه راجعون.  
فمن علاماتِ ظهورِ الزّنى أنه لا يعاقبُ عليه قانونٌ، إذا كان بالتراضي من الطرفين.

ومن ظهورِ الزّنى في حياةِ الناسِ أيها المؤمنون ما يبيّثُ في القنواتِ الفضائيةِ والتلفزيونيةِ والشبكيةِ، من صورِ النساءِ الكاسياتِ العارياتِ، أو الأفلامِ والغرامياتِ، التي تزيّنُ الفاحشةَ وتُشيعُها بين المسلمين والمسلماتِ.

ومن ظهورِ الزّنى ما تحويه الصحفُ والمجلاتُ، وغيرها من المطبوعاتِ، من صورِ السفاراتِ والماجئاتِ، التي تقولُ كل صورةٍ منها: هيت لك !!

ومن ظهورِ الزّنى الدعوةُ إلى تجريدِ المرأةِ المسلمةِ، وخلعِ جلبابِ الحياءِ عنها.  
ومن ظهورِ الزّنى سهولةُ الوصولِ إلى بُؤرِ الفسادِ، وبيوتِ الخنا، وتجارِ الرذيلةِ في الشرقِ أو الغربِ، البعيدِ منه والقريبِ.

أفبعدَ هذا نأمنُ سخطَ اللهِ وعقوبتَهُ؟! ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ  
الْحَاسِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن كثيراً من الناسِ غرّتهم الأمانِيُّ، وغرّهم باللهِ الغرورُ، وأتبعوا خطواتِ الشيطانِ،

(١) سورة الأعراف: (٩٩).

فتورّطوا في المعاصي والموبقات.

أيها الناس.

إن الذُّنُوبَ على اختلافِ ألوانِها من أعظمِ أسبابِ فسادِ الكونِ، وخرابِ العالمِ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾<sup>(١)</sup>، وقال جل ذكره: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
فهذه الخسوفاتُ والكسوفاتُ وغيرها من الآياتِ نُذُرٌ، يخوِّفُ اللهُ بها أولي الألبابِ، فاعتبروا يا أولي الأبصارِ.



(١) سورة الأعراف: (٥٦).

(٢) سورة الروم: (٤١).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، إن عذاب الله شديدٌ.

أيها المؤمنون! إن الله تعالى ذكره حلِيمٌ ذو أناةٍ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، ومن عظيمِ رَحْمَتِهِ وحلَمِهِ أنه لا يعاجِلُ عبده بالعقوبة، بل يمهلُه ويستعتبه، ويخوفُه وينذرُه؛ رجاءً أن يتوبَ إليه ويستغفره، فإن رجَعَ وتابَ وآبَ وأنابَ عفا عنه، وغفرَ له وتابَ عليه، أمَّا من أعرَضَ عن الآياتِ، وانهمك في الموبقات، وأسرفَ على نفسه بالمعاصي والسيئات، فله نقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾<sup>(١)</sup> فأين المفرُّ؟ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن حكمة الله تعالى أنه يملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، كما قال سبحانه:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فلا يغرنك يا عبد الله إمهالُ الله لك، وتأخيرُه العقوبة عنك، مع إصرارك على مواقعَةِ السيئات، وترك الواجبات، فهبْ أنك سلِمْتَ في هذه الدنيا من جميع العقوبات، فمن يضمنُ لك السلامةَ بعد المماتِ؟! من يضمنُ لك السلامةَ من عذابِ القبرِ، ومن عذابِ يومِ القيامةِ، ومن عذابِ النارِ؟!

أما تخشى أن تكونَ ممن قال اللهُ فيهم: ﴿ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ

(١) سورة الفجر: (١٤).

(٢) سورة القيامة: (١٢).

(٣) سورة هود: (١٠٢).

يَعْلَمُونَ ﴿١﴾!؟

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، واحذر الآخرة، فإن الله تعالى قد تهددك، فقال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فتب إلى الله، وبادر إلى الطاعة والإحسان، قبل فوات الأوان.  
أيها المؤمنون.

بالكسوف يتبين للناس عظمة الله تعالى، وعظيم قدرته، فإن هذه المخلوقات العظيمة مخلوقة مدبرة، مسخرة بأمر الله، يحكم فيها ما يشاء، ويقضي فيها ما يريد، تسيرو وفق نظام دقيق: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾<sup>(٤)</sup>؛ ولذلك لا غرابة في أن يعرف الحاسبون الفلكيون أوقات الكسوف، وأزمنتته، ومدته وأماكن ظهوره؛ لأن ذلك يُعرف بالحساب، كشروق الشمس وغروبها، ودخول الفصول وأوائل الشهور، وغير ذلك مما يُدرك بالحساب، فهذا دالٌّ على عظيم صنع الله تعالى، وبديع خلقه، وليس فيه منازعة له جل وعلا. وبالكسوف يا عباد الله، يتبين فضل الله على عباده، بهدئين النيرين، الشمس والقمر، فبهما تقوم مصالح العباد في معاشهم وديارهم، وقد امتنَّ الله بذلك على عباده، فقال جل ثناؤه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ

(١) سورة الحجر: (٣)

(٢) سورة القمر: (٤٦).

(٣) سورة يس: (٤٠).

(٤) سورة الرحمن: (٥).

يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ .

وبالكسوف أيها المؤمنون يتبين ضلال الوثنيين، الذين يعبدون الشمس والقمر من دون الله، فلو كان الشمس والقمر إلهين لما لحقهما النقص باضمحلال نورهما أو نقصه، فسبحان من هدى هدهد سليمان عليه السلام، حيث قال عن ملكة سبأ وقومها: ﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ هُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٢) .

ومما ذكر أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: "يا أيها الناس، إن ربكم يستعجبكم فأعتبوه" (٣)، ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (٤) لعلهم يعتبرون، أو يذكرون أو يرجعون، وإن الخسوف والكسوف من العلامات التي تُشعرُ بقرب ظهور علامات الساعة الكبرى، وأشرطها العظمى .



(١) سورة القصص: (٧١-٧٣).

(٢) سورة النمل: (٢٤-٢٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٤٢٠).

(٤) سورة الإسراء: (٥٩).

## ٦٨ - بمناسبة تأخر نزول المطر .

الخطبة الأولى:

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، وتوبوا إليه، فإن تقوى الله جلّ وعلا تنجيكم من الكروب والشدائد، وتوجب لكم الخيرَ وعظيمَ الفوائد.  
فاتقوا الله ربكم أيها المؤمنون، لعلكم ترشدون.  
عباد الله.

إن ربكم الله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، بيده ملكوت كل شيءٍ وخزائنه، وهو الجواد الكريم، يده مبسوطان، ينفق كيف يشاء، وهو البر الرحيم، لا إله إلا هو، له القدرة النافذة، والحكمة البالغة في تدبير خلقه، وأمر مملكته، يسأله من في السموات والأرض، كل يوم هو في شأن، يُعطي حكمة، ويمنع حكمة، وهو أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأعلم العالمين، أرحم بعباده منهم بأنفسهم، وأرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، تولى جلّ وعلا تدبير أمر عباده بموجب علمه وحكمته ورحمته، كما قال جلّ ذكره ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فهو جلّ وعلا يختار لهم ما يصلحهم، يبتليهم سبحانه بالسراء لعلهم يشكرون،

(١) سورة الشورى (٢٧).

ويبتليهم بالشدّة والضراء لعلّهم يتوبون ويستغفرون، فله الحمد على عطائه ومنعه،  
وعسى أن تكرّها شيئاً، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

أيها المؤمنون.

عباد الله، تعلمون -رحمني الله وإياكم- ما حصل من تأخر المطر عن وقته في كثير  
من البلاد، حتى اقتصرت الأرض، وصوّح نبتها، وغیض الماء، وعظم الضرر، جفت  
الأبدان، وهزلت الأنعام، ويست الأشجار، فلا إله إلا الله على حلمه بعد علمه: ﴿  
ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فما أصابكم عباد الله بما كسبت أيديكم، ويعفو عن كثير، فما نزل بلاء  
إلا بذنب؛ عظة وتذكرة ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ  
يَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إنّكم في أعظم ضرورة إلى ربكم جلّ وعلا، فأنتم الفقراء المساكين المحاويج إليه،  
ليس لكم غنى عن فضله، يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد، فلا  
غنى بكم عن رحمته ونعمته، فلا يغرنكم يا عباد الله أن أحدكم في هذه الأيام المتأخرة  
يجد الماء بلا عناء، فما هو إلا أن يفتح صنوبر المياه حتى يحصله.

فاتقوا الله عباد الله، فإن عذاب الله إذا جاء لا يرد عن القوم المجرمين، فها هي

(١) سورة الروم (٤١).

(٢) سورة الأعراف: (١٣٠).

البلاد، التي تجري من تحتها الأنهار، تَصْعُ الخُطَطُ والدراساتِ لمواجهةِ قَلَّةِ مواردِ الماءِ. فاتقوا الله عباد الله، احذروا غضبه، وشديدَ عقابه، فهو القائلُ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

خُذُوا أيها المؤمنون بأسبابِ الرحمةِ والمغفرةِ، عسى اللهُ أن يبدِّلَ حالكم، ويجيبَ سُؤلكم.

أيها المؤمنون.

إن لنزولِ الرحمةِ وحصولِ الغيثِ أسباباً شرعيةً، لا بد من أخذها واعتبارها، فمن تلك الأسبابِ:

تقوى الله، فوالله ما استُجلبتِ الخيراتُ، ولا استُدْفعتِ البليَّاتُ، بمثلِ تقوى الله، ربِّ الأرضِ والسمواتِ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمفتاحُ بركاتِ السماءِ وخيراتِ الأرضِ تقوى الله العزيزِ الحكيمِ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الملك: (٣٠).

(٢) سورة الأعراف: (٩٦).

(٣) سورة المائدة: (٦٦).

فاتقوا الله أيها المؤمنون، قُومُوا بِمَا أُوجِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ، واجتنبوا المعاصيَ والسيئاتِ، مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَاَنْهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، فإذا أخذتم يا عباد الله بهذه الأسبابِ، فأبشروا، فإن الله قد قال: ﴿وَأَلِّوْا اسْتِقَامًا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من أسبابِ نزولِ الغيثِ والرحمةِ: الإحسانَ إلى الخلقِ، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»<sup>(٤)</sup>.

فأحسنوا أيها المؤمنون على فقرائكم وأهلِ الحاجةِ منهم، فإن الجزاءَ من جنسِ العملِ، هل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ؟!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «بينما رجلٌ يمشي بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتاً في سحابةٍ: اسقى حديقةَ فلانٍ، فتنحى ذلك السحابُ، فأفرغ ماءه كله حيثُ أمر، فلما سُئِلَ صاحبُ الحديقةِ عن عمله؟ قال: أتصدَّقُ بثلثِ ما يخرج منها، وأكل أنا وعيالي

(١) سورة المائدة: (٦٥).

(٢) سورة الجن: (١٦).

(٣) سورة نوح: (١٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، وأخرجه مسلم (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

ثلاثاً، وأزُدُّ فيها ثلاثاً»<sup>(١)</sup>.

والصدقةُ تطفئُ غضبَ الرحمنِ، فأحسنوا عبادَ الله، إن الله يحبُّ المحسنين.  
أيها المؤمنون.

إن من أعظم أسبابِ نزولِ الغيثِ كثرةُ الاستغفارِ والتوبةِ، فإن الله جلَّ وعلا أمرَ عباده عند انحباسِ المطرِ عنهم أن يستغفروه، ويتوبوا إليه، فقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فاستغفروا عبادَ الله ربَّكم وتوبوا إليه، استغفروه استغفاراً صادقاً، تهجروا فيه السيئاتِ، وتقلعون فيه عن الموبقاتِ الظاهرةِ والباطنةِ، توبوا إلى الله توبةً نصوحاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.



(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

(٢) سورة نوح: (١٠).

(٣) سورة هود: (٥٢).

## الخطبة الثانية:

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، واعلموا أنَّ من أسبابِ نزولِ المطرِ دعاءَ اللهِ وسؤالَهُ والإلحاحَ عليه، فإن ربَّكم قريبٌ مجيبٌ، لا يخلفُ الميعادَ، فأحسنوا الظنَّ به، وأعظِّموا الرغبةَ فيما عنده، أظهروا الفاقةَ والحاجةَ والذلَّ له، والانكسارَ بين يديهِ، فإنه جلَّ وعلا ابتلاكُم بحبسِ المطرِ لعلكم تذكَّرون، فترجعون إليه وتضرَّعون إليه، وفي الحديث: «صَحَّحْكَ رَبُّنَا مِنْ قَنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غَيْرِهِ»<sup>(١)</sup> أي: قرب فرجه جلَّ وعلا.

فادعوا الله أيها المؤمنون أن يُغيثكم، فإن الله يجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعاه، فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: دخل رجلٌ يومَ جمعةٍ، والنبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قائمٌ يخطبُ، فقال: يا رسولَ الله، هلكت الأموالُ، وانقطعت السبلُ، فادعوا الله يغيثنا، فرفعَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه، ثم قال: اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، قال أنسٌ رضي الله عنه: فلا والله، لا نرى في السماءِ من سحابٍ، ولا قزعةٍ، وما بيننا وبين سلعٍ من بيتٍ ولا دارٍ، قال: فطلعت من ورائه سحابةٌ مثل التُّرسِ، فلما توسطت السماءَ انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمسَ سبتاً<sup>(٢)</sup>.

فألحُّوا عبادَ الله على ربِّكم بالسؤالِ أن يغيثَ قلوبكم بالعلمِ والإيمانِ، وبلاَدنا

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٨٨) وابن ماجه (١٨١) من حديث أبي رزين رضي الله عنه، قال الكتافي: "هذا إسناد فيه مقال، وكيعٌ ذكره ابن حبان في الثقات، وذكره الذهبي في الميزان، وباقي رجال الإسناد احتج بهم مسلم، ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده من هذا الوجه". مصباح الزجاجة ٢٦/١.

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٤)، وأخرجه مسلم (٨٩٧).

بالسبيلِ المباركِ النافعِ، اللَّهُمَّ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا  
الْغَيْثَ، وَلا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ.



## ٦٩ - وجاء الشتاء.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد .

فاتقوا الله أيها الناس، وقوموا بما فرض الله عليكم من الحقوق والواجبات، وانتهوا عما نهاكم عنه من المعاصي والسيئات، فإن الله قد أعدَّ لعباده المتقين ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلبٍ بشرٍ.

واعلموا أيها المؤمنون، أن ربكم، الذي لا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه، له الحكمةُ البالغةُ، والقدرةُ النافذةُ، يَلْبَسُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يَوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَيَوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فمن بديع حكمته الباهرة، وعظيم منته الله تعالى على عباده، ورحمته بهم، أن نَوَّعَ لَهُمُ الْفُصُولَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ، بَيْنَ صَيْفٍ وَشِتَاءٍ، وَبَيْنَ رَبِيعٍ وَخَرِيفٍ، لِتَتِمَّ بِذَلِكَ مَصَالِحُهُمْ، وَيَسْتَقِيمَ مَعَاشُهُمْ، وَيُسْتَوِيَ أَمْرُهُمْ.

فالحمد لله الذي لا إله إلا هو على برِّه وإِحْسَانِهِ، وَلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَامْتِنَانِهِ.

عباد الله.

قد أظلكم فصل الشتاء، وهو فصل كان يكتب فيه عمر رضي الله عنه لعالمه: (إنَّ الشَّتَاءَ قد حَضَرَ، فتأهَّبُوا له أُهْبَتَه، من الصُّوفِ والخِفافِ والجوارِبِ، واتَّخِذُوا الصُّوفَ شِعَاراً وِدْثَاراً)<sup>(١)</sup>.

وإن من منة الله تعالى عليكم أن جعل لكم سراييل تقيكم الحرَّ، وسراييل تقيكم البردَ، فخلق لكم من أصواف بهيمة الأنعام وأوبارها وأشعارها، ما فيه دفء لكم ووقاية، قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فاشكروا الله تعالى، فإن الشُّكْرَ سببٌ في المزيد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

عباد الله.

إن من نعمة الله عليكم بتنويع الفصول أن يحصل بذلك تذكُّرُ جهنم، فإن شدة الحرِّ وشدة البردِ يذكِّران الناس بما في جهنم، من الحرِّ والزَّمهيرِ، ففي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (اشتكت النارُ إلى ربِّها فقالت: يا ربِّ أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفسٌ في الشتاء، ونفسٌ في الصيف، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ، وأشدُّ ما تجدون من الزَّمهيرِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره ابن رجب في: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (٣٥٦).

(٢) سورة النحل: ٥.

(٣) سورة إبراهيم: ٧.

(٤) أخرجه البخاري (رقم ٣٢٦٠) ومسلم (رقم ٦١٧).

قال الله تعالى مخبراً عن أهل جهنم - نعوذُ بالله منها- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا ﴿١﴾، فجهنمُ يعذبُ أهلها بالحرِّ والزَّمْهيرِ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الغَسَّاقُ الزمهيرُ الباردُ الذي يجرِّقُ من برده" (٢).

وقال الحسن رحمه الله: "كُلُّ بردٍ أَهْلَكَ شَيْئًا فهو من نَفْسِ جهنم" (٣).

فَيَا مَنْ آذَاهُ حَرُّ الصَّيْفِ، وَيَا مَنْ أزعجُهُ بَرْدُ الشِّتَاءِ، اتَّقِ عَذَابَ جهنمِ، إِنْ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا، فَإِنْ مَا تَجَدَّهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ، أَوْ شِدَّةِ الحَرِّ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَسِيرٌ مِنْ حَرِّ جهنمِ وزمهيرِها.

كَيْفَ بِكَ يَا مَنْ أَسْرَفْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالدُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، يَوْمَ يُؤْتَى بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زَمَامٍ، ثُمَّ يُقَالُ: ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤).

أيها المؤمنون.

إِنَّا نَعِيشُ هَذَا الفِضْلَ، وَيَعِيشُ مَعَنَا إِخْوَانُنَا، قَدِرَتْ عَلَيْهِمُ أَرْزَاقُهُمْ، وَقَصُرَتْ بِهِمُ التَّنْفِيقَةُ، وَهُمْ بِأَمْسِ الحَاجَةِ إِلَى العَوْنِ وَالمُساعدَةِ فِي إِقْبَالِ الشِّتَاءِ، فَقَدِّمُوا لأنفُسِكُمْ،

(١) سورة النبأ: ٢٤-٢٦.

(٢) تفسير ابن رجب ٢/٣٣٦.

(٣) ذكره ابن رجب في: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (٣٥٦).

(٤) سورة الطور: ١٦.

وَتَفَقَّدُوا إِخْوَانَكُمْ الْمَحْتَاجِينَ، وَابْدُؤُوا بِأَقْرَبِكُمْ، وَذَوِي أَرْحَامِكُمْ، ثُمَّ جِيرَانِكُمْ، وَأَهْلِ بَلَدِكُمْ، ثُمَّ الْأَقْرَبِ مِنْكُمْ فَالْأَقْرَبِ، وَلَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (اتَّقِ النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) <sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

أخرج الإمام أحمد بسندٍ ضعيفٍ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشتاءُ ربيعُ المؤمنِ، طالَ ليله فقامه، وقصُرَ نهاره فصامه» <sup>(٢)</sup>.

قال ابنُ رجب رحمه الله: "إنما كان الشتاءُ ربيعَ المؤمنِ؛ لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، ويُنزّه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه" <sup>(٣)</sup>.  
فالمؤمنُ يا عبادَ الله يُقدِرُ في الشتاءِ على صيامِ نهاره، من غيرِ مشقةٍ ولا كلفةٍ، فإن نهاره قصيرٌ باردٌ، فلا يُحسُّ فيه بمشقةِ الصيامِ.

قال رسول الله ﷺ: «الصَّيَامُ فِي الشَّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ» <sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٣٤٧) ومسلم (رقم ١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) (١١٧٣٤)، والحديث حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٥٨.

(٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (٣٥٦).

(٤) جاء من حديث عامر بن مسعود عند أحمد (٣٣٥/٤)، والترمذي (٧٩٤)، وابن خزيمة (٣٠٩/٣) وغيرهم، وفيه علتان: جهالة نمير بن عريب، والإرسال. وجاء من حديث أنس عند الطبراني في الصغير (٥٧١٦)، والشجري في الأمالي (١١١/٢)، وابن عدي (١٢١٠/٣)، وفيه ثلاث علل: ضعف سعيد بن بشير الأزدي، وعنعة الوليد بن مسلم، والوقف، وجاء من حديث جابر أيضاً عند ابن عدي (١٠٧٥/٣)، وفيه أربع علل: عبد الوهاب البلخي، وهو متروك الحديث بل كذبه أبو حاتم، وعنعة الوليد بن مسلم، وضعف زهير بن محمد التميمي في رواية الشاميين عنه، وهذا منها، والمخالفة في الإسناد.

فاغتنموا هذه الفرصة يا عبادَ الله فإنَّ للصَّيامِ فضائلَ عظيمةً عديدةً، ولو لم يكن فيه إلا ما قاله اللهُ تعالى في الحديثِ الإلهي: (الصَّيَامُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ) <sup>(١)</sup> لكان كافياً. أيها المؤمنون.

إن من أبوابِ الخيرِ في هذا الفصلِ طولَ الليلِ، الذي يتمكَّنُ العبدُ فيه من القيامِ، فليطوِّله يمكنُ أن تأخذَ النفسَ حظَّها من النَّومِ، ثم تقومُ بعد ذلك إلى الصلاةِ، إلى صلاةِ الليلِ، التي قال اللهُ فيها: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ <sup>(٢)</sup>، وقال فيها: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ <sup>(٣)</sup>، فإن صلاةَ الليلِ شعارُ المتقين، وِدثارُ أولياءِ اللهِ المفلحين، قال اللهُ تعالى في وصفِ عبادهِ المتقينِ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٤)</sup>.

قال الطبريُّ في تفسيرِ هذه الآية: "فلا تعلمُ نفسٌ أيُّ نفسٍ، ما أخفى اللهُ لهؤلاءِ، الذين وصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ صفتَهُم في هاتينِ الآيتينِ، مما تَقَرَّبَ به أعينُهُم في جناتِهِ يومَ القيامةِ، ثواباً لهم على أعمالِهِم التي كانوا في الدُّنيا يعملون" <sup>(٥)</sup>.

فاتقوا اللهُ عبادَ اللهِ، فليلُ الشتاءِ طويلٌ، فلا تقصِّروه بمنامِكُمْ، ولا تضيِّعوه بسهرِكُمْ

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الإنسان: ٢٦.

(٣) سورة ق: ٤٠.

(٤) سورة السجدة: ١٦-١٧.

(٥) تفسير الطبري ٦١٦/١٨.

على المعاصي والملذات، واجعلوا ليكم ليل المتقين الذاكرين، لا ليل الغافلين المستهترين.

قال ابن القيم رحمه الله: "فيا عجباً من سفية في صورة حليم، ومعتوه في صورة عاقل، آثر الحظّ الفاني الرخيص على الحظّ الباقي النفيس، باع جنّة عرضها الأرض والسماوات بسجنٍ ضيقٍ بين أصحاب البلية والشهوات" (١).

أيا صاح هذا الركبُ قد سارَ مُسرِعاً      ونحنُ قعودُ ما الذي أنتَ صانعُ  
على نفسه فليبك مَنْ كانَ باكياً      أيذهبُ وقتي وهو باللّهو ضائعُ  
اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

❖

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٤).

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربَّ العالمين، وأحكمِ الحاكمين، وبعده.  
فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وسابقوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنةٍ، عرضها السماءُ والأرضُ،  
أعدَّت للمتقين.  
أيها المؤمنون.

إن من أبوابِ الخيرِ في فصلِ الشتاءِ إسباغُ الوضوءِ وإتمامه، فإن ذلك من أفضلِ  
الأعمالِ، ففي صحيحِ مسلمٍ عن النبيِّ ﷺ: «ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا،  
ويرفعُ به الدرجاتِ؟ قالوا: بلى، يا رسولَ الله، قال: إسباغُ الوضوءِ على المكاره، وكثرةُ  
الخطا إلى المساجدِ، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، فذلِّكم الرباطُ»<sup>(١)</sup>.

فأسبغوا أيها المؤمنون الوضوءَ، فإنَّ أجره عند الله عظيمٌ.  
وإسباغُ الوضوءِ يكونُ بتعميمِ الماءِ على جميعِ أعضاءِ الطهارةِ، فقد أمرَ النبيُّ ﷺ  
بذلك، فقال في حديثِ لقيطِ بنِ صبرةَ رضي الله عنه: «أسبغِ الوضوءَ، وخلِّلْ بينَ  
الأصابعِ، وبالغِ في الاستنشاقِ ما لم تكنْ صائماً»<sup>(٢)</sup>.  
أيها المؤمنون..

إن ربَّكم الكريمَ الحليمَ لم يجعلِ عليكم في الدينِ من حرجٍ، بل جعله يسيراً سهلاً، قال

(١) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٧٨٨)، وأبو داود (١٤٢)، والنسائي (٨٧) وابن ماجه (٤٠٧) وقال الترمذي:

حديث حسنٌ صحيح.

تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾<sup>(١)</sup>.

فمن تيسيره: أن أجاز لكم المسح على الخفين، بدلاً من غسل الرجلين، إذا كانتا مستورتين بخُفٍّ أو جوربٍ ونحوهما.

وذلك بشرط أن يكونا قد لبسا على طهارة، وقد رخص النبي ﷺ في ذلك للمقيم يوماً وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها<sup>(٢)</sup>، تبتدىء المدة من أول مسحة بعد الحدث، فإذا لبس الإنسان الجورب مثلاً وقت صلاة الفجر، ولم يمسح عليهما أول مرة إلا لصلاة الجمعة، فيكون ابتداءً مدة مسحه من صلاة الجمعة إلى مثل هذا الوقت من الغد، فإذا تمت المدة وجب عليه غسل رجليه إذا توضأ.

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، ودعوةً مستجابةً يا رب العالمين.



(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٧٧)، وابن ماجه (٥٥٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٤٧).

## ٧٠- وقفات مع الإجازة الصيفية.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المسلمون إن مرجع كثير من المشكلات الدينية أو الاجتماعية أو الأخلاقية والسلوكية في فترات الإجازات الصيفية ذلك الفراغ الهائل الذي يجيم على أكثر الناس في هذه الفترة فما الإجازة عند أكثر الناس إلا كمٌّ كبيرٌ من الوقت الفراغ الذي لا يحسن استعماله ولا تصريفه فهي أوقات سائبة وطاقات معطلة من خير الدنيا أو الآخرة ولقد صدق رسول الله ﷺ حين قال: « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ »<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون إنما كان الفراغ نعمة لأن استغلاله في الطاعة والبر يرفع درجة العبد عند ربه ويحصل له بذلك سعادة الدنيا ونعيم الآخرة؛ فإن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر كسبها وربحها يوم يقوم الناس لرب العالمين، ولذلك وجّه الله تعالى نبيه ﷺ والأمة بعده إلى استثمار الفراغ بالاجتهاد في الطاعة والنصب والتعب فيما يقرب إلى الله تعالى فقال جل وعلا: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ »<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

(٢) الشرح: ٧-٨.

وسر هذا التوجيه أيها المؤمنون أن العبد إنما خلق لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له في كل وقت وحين فقال جل وعلا: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾<sup>(١)</sup> وقال سبحانه: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(٣)</sup> فإذا فرغ الإنسان مما لا بد له منه من أشغال الدنيا فليعد إلى غاية وجوده وهي عبادة الله تعالى.

أيها المؤمنون إن الفراغ نعمة مهددة مضيعة عند كثير من الناس بل هو سبب كثير من المفساد والشور الدينية والدينية فمن ذلك:

أن الفراغ المهدر سبب لتسلط الشيطان بالوساوس الفاسدة التي ينشأ عنها كثير من الانحرافات والمعاصي، فنفسك إن لم تشغلها بالحق والخير شغلتك بالباطل والشر. أيها المؤمنون إن الفراغ السائب سبب لكثير من الأمراض الجسمية والنفسية الحسية والمعنوية، فحق على كل مؤمن أن يأخذ بما أمر الله تعالى به وبما أوصى به النبي ﷺ: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك، صحتك، فراغك، غناك، حياتك»<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون إن كيفية قضاء الإجازة الصيفية أمر يحتاج إلى أن نقف معه عدداً من الوقفات.

(١) آل عمران: من الآية ٤١.

(٢) الروم: ١٨.

(٣) الحجر: ٩٩.

(٤) تقدم تخريجه في ص (٥٠٠).

**الوقفة الأولى** مع الشباب ذكوراً وإناثاً: أيها الشباب أنتم عماد الأمة ورصيدها وذخرها وسر نهضتها وبناء مجدها ومستقبلها، فبصلاحكم واستقامتكم تصلح الأمة وتستقيم، ومن أهم عوامل تحقيق صلاحكم واستقامتكم: وعيكم بواجبكم وملؤكم أوقاتكم بالنافع المفيد، وها أنتم أيها الشباب، تستقبلون إجازاتكم السنوية فإياكم وإياكم إياكم والفراغ والبطالة؛ فإنهما أصل كثير من الانحراف ومصدر أكثر الضلال، كما قال الأول:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

فاملؤوا أوقاتكم في هذه الاجازة بالنافع والمفيد، في دين أو دنيا ولا تتركوها نهياً لشياطين الإنس والجن، وقد يسر الله تعالى لكم في هذه الأزمان قنوات عديدة، تستغلون من خلالها أوقاتكم وتنمون قدراتكم وعلومكم ومعارفكم، بل وإيمانكم، فمنها حلق القرآن الكريم المنتشرة في المساجد، فإنها من رياض الجنة وفيها خير عظيم. ومن هذه القنوات التي تحفظون بها أوقاتكم: تلك الدروس العلمية والدورات التي تقام هنا وهناك، وفيها يتعلم الشاب ما يجب عليه معرفته من علوم الشريعة والدين، ومن هذه القنوات أيضاً المراكز الصيفية التي يشرف عليها أساتذة فضلاء ومربون نجباء، يعملون على إشغال أوقات الشباب بما يفيدهم وينفعهم، ففيها الأنشطة الترويحية والمهنية، وفيها الدورات العلمية والثقافية فاحرصوا أيها الشباب على الانضمام إليها والاستفادة منها، فإن فيها خيراً كثيراً، وغالب المشتركين فيها هم أهل الخير والصلاح من الشباب:

شباباً كما الإسلام يرضى خلائقاً ودينياً ووعياً في اسوداد المفارق

وأقاموا لواء الدين من بعد صدعه وأعلوا لواء الحق فوق الخلائق  
فإن أبيت هذا فاحرص على شغل وقتك بتجارة أو زراعة أو صناعة، تملأ وقتك  
وتحفظك من شرور الفراغ وأهله، فإن نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل  
ولابد. وإياك يا أخي الحبيب ورفقة السوء وقرناء الشر، الذين يزينون لك المنكر  
ويدعونك إليه؛ ففرّ منهم فرارك من الأسد.

**الوقفة الثانية:** مع أولياء الأمور من الآباء والأمهات فأقول لهم: أيها الأفضل، إن الله  
تعالى منّ عليكم بالولد ذكوراً وإناثاً، وتلك من مننه الكبار.

منن الإله على العباد كثيرة وأجلهنّ نجابة الأولاد

وحملكم الله تعالى مسؤولية تربيتهم وحفظهم وتنشئتهم على العبادة والطاعة، كما قال  
النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(١)</sup> فما  
تقومون به اليوم من حسن التربية والرعاية والحفظ والصيانة لفلذات أكبادكم، تجنونه  
ثوباً وأجراً عند الله في الآخرة وبراً وإحساناً في الدنيا، وقد كلفكم الله وأمركم  
بحفظهم ووقايتهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً  
وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾<sup>(٢)</sup> وقد قال النبي ﷺ: «والرجل راع في أهله ومسؤول عن  
رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»<sup>(٣)</sup> رواه الشيخان.

(١) تقدم تخريجه في ص (٢٥٤).

(٢) التحريم: ٦.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

فمحافظةك على أولادك ورعايتك لهم والاجتهاد في إصلاحهم وإبعادهم عن الفساد وأهله، مقدمة ضرورية لاستقامتهم وصلاحيهم.

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

فالأب الذي أدار ظهره لأولاده وبيته، فلم يجلس فيه إلا ساعات قصاراً في نوم أو أكل، وقد أخذت مشاغله بتلايب قلبه وشغلت لبه وقلبه، فلم يلتفت لأولاده ولا لتربيتهم وإصلاحهم، هل قام بما أوجب الله عليه؟

والأب الذي ترك الحبل على الغارب لأولاده، ذكوراً وإناثاً، يخرجون متى يشاؤون ومع من يريدون، يسهرون إلى الفجر، وينامون أكثر النهار ويصاحبون أهل السوء، ويهاتفون أهل الشر، هل قام بحفظهم ورعايتهم؟

والأب الذي أدخل إلى بيته وسائل الإفساد والدمار، وامتنعت صحون الشر. وأطباق البلاء سهوة بيته، وانتشرت مجلات الشر. وأشرطه الخراب في حجر أولاده، هل قام بتنشئة أولاده على البر والتقوى!!؟

إن الجواب على هذه الأسئلة، ماترونه من أحوال أبناء هؤلاء، لا ماتسمعون. . فيا أولياء الأمور، اتقوا الله فيمن استرعاكم الله إياهم، مروا أولادكم بالمعروف ورجبهم فيه، وانهوهم عن المنكر ونفروهم منه، احفظوهم عن قرناء السوء وأصحاب الشر، أبعدهم عن وسائل الإعلام الفاسد، أشغلوا أوقاتهم في هذه الإجازة بما يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم، وبادروا بذلك كله في أوائل أعمارهم، فإن الأمر كما قيل:

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ولا تلين إذا قومتها الخشب

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون إن الوقفة الثالثة مع أولئك الذين قد شدوا حقائقهم، وأعدوا امتعتهم وحجزوا مراكبهم للسفر إلى بلاد الكفر والبلاء، ومواطن الفتنة العمياء، في الغرب أو الشرق وما شابهها من البلدان العربية أو الإسلامية... إلى هؤلاء أقول: اتقوا الله في أنفسكم وأهلكم؛ فإن السفر إلى تلك البلاد محرم لا يجوز؛ لما فيه من تعريض النفس والأهل والولد للفتنة التي أعلاها الكفر بالله تعالى، وأدناها موافقة المعاصي والذنوب، أو على أقل الأحوال: استساعة المنكر والفجور، فإن تلك البلاد والمصايف قد تعرت قلوب أهلها عن الإيمان، وانسلخت أجسادهم عن زي أهل الحشمة والحياء والإسلام، وانتشرت بين أهلها الخمر وظهر الزنى والخنا، فعُدَّ المنكر معروفاً والمعروف منكراً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولا شك أن من ذهب إلى تلك الأمصار؛ فقد عرض نفسه للفتن والأخطار، وأنت يا عبد الله مأمور بالنأي عن الفتن صغيرها وكبيرها، فقد قال النبي ﷺ في فتنة الدجال وأخبر أن خير مال المسلم في آخر الزمان غنم يتبع بها شعف الجبال يفر بدينه من الفتن<sup>(١)</sup> وأعادنا الله وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وليعلم هؤلاء المفتونون بالسفر إلى تلك البلاد: أن عليهم وزر كل ذنب يقارفه أولادهم وأهلهم، قال النبي ﷺ: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم

(١) أخرجه البخاري (١٨).

شيئاً»<sup>(١)</sup>.

**الوقفة الأخيرة** هي مع ورثة الأنبياء من الدعاة وطلبة العلم، فأقول لهؤلاء: أنتم يا من عقدت الأمة عليكم آمالها ورنتم اليكم بأبصارها وهوت إليكم بأفئدتها، إن المسؤولية التي أنيطت بكم وألقيت على كاهلكم في توجيه الناس وتربيتهم ودعوتهم وتبصيرهم، أعظم من غيركم، لا سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه الباطل والفساد، ونفقت فيه سلع أهل الكفر والإلحاد، ونشطت دعاة التغريب والإفساد وقويت فيه أسباب الزيغ والانحراف، فالأمة مهددة بجحافل هؤلاء المفسدين المتربصين الذين يجرون الناس إلى الفساد جراً، ويأطرونهم على الكفر والفسوق والعصيان أطراً.

فواجبكم إزاء هذا الواقع المفزع المرير، كبير خطير، لا يسوغ لكم التخلي عنه ولا الرجوع عنه، فسبقوا برك الله فيكم أعداءكم واعملوا بمضاء وجد، فاجتهدوا في الدعوة إلى الله تعالى، اسلكوا كل سبيل، واطرقوا كل باب لنشر الخير بين الناس، سافروا إلى القرى والأمصار، وعلّموا الجاهل وأرشدوا التائه ودلوا الحائر، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، حذروا الناس من الفساد والعصيان، عرّفوا لهم الباطل واهتكوا ستره، واكشفوا زيفه، واجهوا الغارة الشعواء التي يشنها خصوم الإسلام وأعداؤه، بالعلم والبيان والدعوة والصبر والإيمان، قاوموا وسائل التدمير والإفساد بوسائل البناء والإرشاد، انشروا الكلمة الطيبة والمحاضرة النافعة والكتاب المفيد، أقيموا الدروس والكلمات في مساجدكم وأحيائكم ومجالسكم وإجتماعاتكم، وليبذل

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

كُلُّ منكم في مجاله: فالمدرس في حلقاته والمربي في مركزه، والإغاثي في مواطن الاحتياج إليه، أخلصوا في ذلك كله لله تعالى، فإن ما كان لله يلقى وما كان لغيره يذهب أدراج الرياح، لا تحقروا من أعمال البر والدعوة شيئاً، ولو أن يلقى المسلم أخاه بوجه طلق.

واعلموا أنكم إذا أخذتم بذلك من أحسن الناس قولاً قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ

قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.



## ٧١ - الإجازة.

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المؤمنون .

إنها أيامٌ قلائلٌ معدودةٌ، ويستقبل عددٌ كبيرٌ من الطلاب، ذكوراً وإناثاً الإجازة السنوية الكبرى، يتفرغون فيها من الدراسة والواجبات، وغير ذلك من الالتزامات، وهذه الإجازة في حقيقتها عند كثيرٍ من الطلاب كم هائلٌ من الوقت الفارغ، الذي لا يُحسُن استعماله ولا تصريفه، بل إن أكثرهم يدفع الزمنَ دفعاً عجبياً، ويهدره إهداراً مَنْ لا يخشى فقراً، ولا يرقُب موتاً، فإن طال بهم الليل فبحديثٍ لا ينفع، أو اجتماعٍ على مشاهدةٍ أو سماعٍ ما يضرُّ ويفزع، وإن طال بهم النهار، فبالنومِ على الفرش، أو التقلب عليها. وهم في أطرافِ النهارِ، إما في الأسواقِ، أو للسَّهرةِ والسَّمرِ في إعدادٍ، فلما رأيت أن هذه هي الحالُ كان من واجبِ النصِّحِ للأمةِ أن نقفَ مع هذه الإجازة الكبرى وقفاتٍ، نعالج فيها أخطاءنا، ونقوم فيها معوجنا، ونُرشد فيها ضالنا، وإن هذه الحالُ لهي غبنٌ حقيقيٌّ، وصدقَ رسولُ الله ﷺ إذ يقول: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة

والفراغ<sup>(١)</sup>.

فمن أمضى يوماً من أيامه في غير حقِّ قضاها، أو فرضٍ أدّاه، أو مجدِّ أثَّله، أو حمد حصَّله، أو خيرٍ أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عتق يومه، وظلم نفسه. أيها المؤمنون.

إن أول ما نذكرُ به أنفسنا أننا يا عبادَ الله في سفرٍ، شأنه عظيمٌ، فنحنُ في سفرٍ إلى الدارِ الآخرة، فمننا من يقطعُ مراحلَ سفرِهِ بما يرضي الله تعالى، في البُكورِ والآصالِ، وأناءِ الليلِ وأطرافِ النهارِ، حتى إذا طلعَ صبحُ الآخرة، وانقشعَ ظلامُ الدنيا حمدَ سعيه، وابتهجَ بما أعدَّ الله له ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومنا من أقبلَ على شهواتِهِ وحظوظِ نفسه، وغفلَ عن لقاءِ ربِّه، فقطعَ مراحلَ سفرِهِ بمساختِ الله، فليس له همٌّ في هذه الحياةِ الدنيا إلا بطنه وفرجه، حتى إذا جاء يومَ القيامةِ، وعاینَ عمله وسعيه، وكسبه وكده في هذه الدنيا، قال: يا ليتَ بيني وبينك بُعدَ المشرقين، فبئسَ القرينُ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واستعملوا حياتكم في طاعة الله تعالى، وما تُسرُّون به، يومَ تبيُّضُ وجوهٌ وتسوَّدُ وجوهٌ، فإن العبدَ إذا أيقنَ أنه في سفرٍ تُقطعُ مراحلُه، إما إلى جنَّةٍ، وإما إلى نارٍ، جدَّ واجتهد، وسعى في فكِّ نفسه من عذابِ الله وغضبه.

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سورة هود: (١٠٨).

أيها المؤمنون.

إن ثاني ما نذكرُّ به أنفسنا يا عبادَ الله، قولُ الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ . وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾<sup>(١)</sup>.

وروي عن النبي ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم، وفيه حفص بن برقان أن النبي ﷺ قال: «اغتنم خمساً قبلَ خمسٍ، وذكر منها: فراغك قبلَ شُغلك»<sup>(٢)</sup>.

فإن الإنسان في هذه الدنيا لا بد له من انشغالٍ بما يصلح دنياه، مع قيامه بما أمر الله به، فإذا فرغ العبدُ من أعماله، التي يُصلحُ بها دنياه، وجب عليه أن يبادرَ إلى عملٍ صالحٍ، تُرفع به درجته، وتُقَال به عَثْرَتُهُ، ويثقلُ به ميزانُهُ.

ثم أنتم أيها المؤمنون، مأمورون بعبادة الله تعالى في كلِّ وقتٍ وحينٍ، فلم يجعل الله تعالى لعبادته أمداً تنتهي عنده، فاعمل قبل موتك يا عبد الله، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من أهمِّ وقفاتنا مع هذه الإجازة هي كيفية قضاائها، فإن كثيراً من الناس يغيبُ عنه الاستثمارُ الصحيحُ لهذه الإجازة، بسبب جهله بأبواب الخير، التي يمكنُ قضاءَ الإجازةِ

(١) سورة الشرح: (٧-٨).

(٢) تقدم تخريجه في ص (٥٠٠).

(٣) سورة الحجر: (٩٩).

فيها، فأبواب الخير أيها الآباء والأولياء، وأيها الشباب والطلاب كثيرة، متعددة، تستوعب الطاقات، وتحفظ الأوقات، وتقي السيئات، وتنمي القدرات، ويتحقق من خلالها كثير من الخيرات، فمن الأبواب التي تقضى فيها هذه الإجازة حلق القرآن الكريم، يلتقي المشاركون فيها على خير كلام وأحسنه وأصدقه، يلتقون على كلام الله تعالى، الذي تحيا به القلوب وتطيب.

فاحرصوا عليها أيها الشباب، واحرصوا عليها أيها الآباء، وشجعوا أولادكم على الدخول فيها، فإنها خير لكم، لو كنتم تعلمون.

أيها المؤمنون.

إن من أبواب الخير التي تُقضى فيها هذه الإجازات الدورات والدروس العلمية، التي ازدانت بها المساجد، فإن فيها خيراً كثيراً.

فيها يقترب المرء من أهل العلم والإيمان، الذين يبصرون من العمى، ويهدون من الضلالة.

وفيها يتعلم المؤمنون ما يجب معرفته من علوم الشريعة وأحكامها.

أيها المؤمنون.

إن من القنوات التي تُحفظ بها أوقات الشباب -ذكوراً وإناثاً- المراكز الصيفيّة، التي يُشرف عليها أساتذة فضلاء، ومربون نجباء، يعملون على إشغال أوقات الشباب بما يفيدهم وينفعهم، ففيها الأنشطة الثقافية، والأعمال الترويجية والمهنية، ولو لم يكن فيها إلا حفظ الشباب من الاجتماعات السيئة لكان ذلك خيراً كثيراً.

أيها المؤمنون.

إن من أبواب الخير التي تُقضى بها الإجازة السفر إلى بيت الله الحرام، ومسجد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

ومما تستغل فيه الإجازة صلة الأرحام، وزيارة الأصحاب والإخوان. أيها المؤمنون.

إن من الوقفات المهمة في إقبال هذه الإجازة أن نذكر أولياء الأمور، من الآباء والأمهات وغيرهم بضرورة العناية بأولادهم صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، فإنهم يحتاجون في هذه الفترة، من العناية والرعاية والحفظ والصيانة قدراً كبيراً؛ وذلك أنهم في فراغ عن الأشغال، والفراغ السائب الخالي من التوجيه والاستثمار من أكبر أسباب الانحراف ودواعي الضلال:

### إن الشباب والفراغ والجدّة مفسدة للمرء أي مفسدة<sup>(١)</sup>

لاسيما في هذه الأزمان، التي كثرت فيها أسباب الضلال، التي تتخطف الناس عن صراط الله المستقيم.

فاحرصوا أيها الأولياء على إشغال أولادكم بما يفيدهم ويحفظهم، وإياكم إياكم والتفريط في ذلك، فإن الأمر جدّ خطيرٌ.

احفظوهم من أصحاب السوء.

احفظوهم من القنوات الفضائية المفسدة للأخلاق والأديان.

احفظوهم من الاهتمامات الهابطة، والسهرات الفارغة.

(١) من ديوان أبي العتاهية - الأرجوزة الزهدية.

أشغلوهم بالأعمال التي تحفظ أوقاتهم، وتنمي قدراتهم، واستعينوا بالله في ذلك  
واصبروا عليهم، واحتسبوا الأجر عند الله، فإنَّ من خير ما تركتم بعدكم ذريةً سالحةً،  
تذكر الله وتعبدُه، وتدعو لكم بخير.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إنني أحذركم في هذه الوقفة من أمرٍ عظيمٍ، استهانَ به كثيرٌ من الناسِ، وهو السفرُ إلى الخارجِ، السفرُ إلى بلادِ الكفرِ، أو بلادِ المعصيةِ والفسقِ.

السفرُ إلى مواطنِ البلاءِ، والفتنةِ العمياءِ، إلى بلادٍ يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً صالحاً، ويمسي فاسقاً عاصياً.

أيها المؤمنون! إنني أقولُ بلا شكٍّ ولا تردُّدٍ: إن السفرَ إلى الخارجِ للنزهة حرامٌ، لا يجوزُ، لا يشكُّ في ذلك مَنْ عرفَ ما في تلكِ البلادِ من الفتنِ، التي هي كقطعِ الليلِ المظلمِ.

فاحذروا أيها المؤمنون الفتنَ، ما ظهر منها وما بطن، فإن رسولَ الله ﷺ قد قال: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ - أي: رؤوسها - وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفْرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»<sup>(١)</sup>.

فكيف نقولُ في أقوامٍ ذهبوا بأنفسهم وأهليهم وأولادهم، ذكوراً وإناثاً، إلى بلادٍ، كثرَ فيها الخبثُ والشرُّ، انتشرت فيها الخمرُ والشرورُ، وظهر فيها الزنى والخنائُ؟!  
أما يخافُ هذا أن يقلبَ اللهُ قلبه، أو أن يزيغَ بصره، أو يسلبه الإيمانَ، أو ينزلَ عليه

(١) أخرجه البخاري (١٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

سخطُ الله الواحدِ الديانِ.

فاتقوا الله عباد الله، فإنه لا يجوز لكم السفرُ إلى بلادِ الفتنةِ والشرِّ، فإن قال قائل: الحرُّ شديدٌ، فأقول له: أخي بارك الله فيك، أنسيتَ قولَ الله العزيزِ الحكيمِ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فاصبروا عباد الله، واثبتوا على الحقِّ، واحمدوا الله أن جعلَ لكم في بلادكم ما يحصلُ به مقصودكم، من النزهةِ والفسحةِ والبرادِ.

أيها المؤمنون! الوقفة الأخيرة، أحثُّكم فيها جميعاً على نشرِ الخيرِ بين الناس، ودعوتهم إلى البرِّ والتقوى، لا سيما طلبَةُ العلمِ، وأهلِ الخيرِ، فإن عليهم واجباً عظيماً، لا سيما في هذه الأزمانِ المتأخرة، التي راجت فيها سوقُ الفسادِ، ونشط أهلُ الإفسادِ، وقويت فيها أسبابُ الزَّيغِ والانحرافِ.

فاجتهدوا أيها المؤمنون في الدعوةِ إلى الله، بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ. علِّمُوا الجاهلَ، وأرشدُوا الضالَّ التائهَ، مُرُّوا بالمعروفِ، وانهوا عن المنكرِ. انشروا الخيرَ بين الناس، واستمدوا من الله التوفيقَ والإعانةَ، واعلموا أن العاقبةَ للمتقين، وكفى بربك هادياً ونصيراً.

هذه أيها المؤمنون بعضُ الوقفاتِ المهمةِ، التي نحتاجُها جميعاً، فأسألُ الله الكريمَ، ربَّ العرشِ العظيمِ أن ينفعنا بها سمعنا، وأن يُسمعنا ما ينفعنا.

﴿٥٤٤﴾

(١) سورة التوبة: (٨١).

## ٧٢- وقفة مع المخيمات.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد .

فيا أيها الناس اتقوا الله، فلا نجاة لكم إلا بتقواه، قال الله تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها الإخوة المؤمنون.

اعلموا أن أعلى وأنفس ما تملكونه هو أوقاتكم، التي هي حياتكم ومزارع أعمالكم، ومخازن حسناتكم وسيئاتكم، فاليوم أنتم تزرعون، وغداً تحصدون، وبين يدي الله تعالى موقوفون، وعن أعمالكم وأعماركم مسؤولون، وبها مجزيون.

فعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عَمَلِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن التاريخ لم يشهد أمة عظمت الوقت، ولا ملة حافظت عليه، وحثت على اغتنامه،

(١) سورة الزمر: (٦١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، (٢٤١٧) وقال: "حسن صحيح".

كأُمَّتِكُمْ هَذِهِ، فَقَدْ أَقْسَمَ رَبُّكُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْوَقْتِ، فَقَالَ: ﴿وَالْعَصْرِ - (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ -﴾<sup>(١)</sup>، وَأَمَرْنَا سُبْحَانَهُ بِمَسَابِقَةِ الْأَيَّامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»<sup>(٣)</sup>.

وَالنُّصُوصُ الْحَائِثَةُ عَلَى حِفْظِ الْوَقْتِ، وَصَرَفِهِ فِيمَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ كَثِيرَةٌ عَدِيدَةٌ، وَقَدْ فَهَمَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ، فَحَرِّصُوا عَلَى أَوْقَاتِهِمْ حَرَصًا شَدِيدًا، وَكَانُوا يَقُولُونَ: مِنْ عِلَامَاتِ الْمَقْتِ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ، فَاتَّمِرَ هَذَا الْفَقْهُ فِي وَاقِعِ الْأُمَّةِ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا صَالِحًا، وَإِبَانًا صَادِقًا، وَجِهَادًا دَائِبًا، وَفَتْحًا مَبِينًا، وَحَضَارَةً رَاسِخَةً الْجَذُورِ، بِاسْقَةِ الْفُرُوعِ.

فَسَادُوا الْعَالَمَ قَرُونًا طَوِيلَةً، فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ، أَضَاعُوا الْأَوْقَاتَ، وَتَفَنَّنُوا فِي تَبْدِيدِ السَّاعَاتِ، وَتَبْذِيرِ الطَّاقَاتِ، فَأَرْخَصَ مَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَوْقَاتِهِمْ، يَصْرِفُونَهَا بِلَا حِسَابٍ، وَلَا تَدْقِيقٍ، كَأَنَّمَا كُتِبَ لَهُمُ الْبَقَاءُ وَالْخُلُودُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

(١) سورة العصر: (١-٢).

(٢) سورة إبراهيم: (٣١).

(٣) تقدم تخريجه في ص (٥٠٠).

إن آفة إضاعة الوقت إحدى أبرز سمات هذا الجيل، وتشتدُّ هذه السمة وتبدو للعيان في أوقات الإجازات، حين يتفرَّغ قطاعٌ كبيرٌ من الناس من الانشغالات والارتباطات، فتجدُ كثيراً من الناس يوقفون أوقاتهم على الملاهي والملذات، أو الرغبات والشهوات. ولا شك أن هذا من علامات المقْت، ومن أسباب الخسران والحِرمان، فإن الله تعالى قد وجّه عباده، وأمرهم باغتنام الفراغات، ومِلئها بالصالحات الباقيات، قال تعالى:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ. وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ حاثاً على اغتنام الفراغ: «نعمتان مغبُونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاسِ: الصَّحَّةُ والفراغُ»<sup>(٢)</sup>.

فاعمروا بارك الله فيكم هذه الإجازة بما يقربُكم من الجنة، ويباعدُكم عن النار، واستغلوا أوقاتكم بعلمٍ نافع، أو عملٍ صالح، أو دعوة جادة، أو صلة للأرحام، أو غير ذلك من أبواب البرِّ، ولا بأس باللّهو المباح اليسير، الذي لا يستوعبُ كلَّ الوقت، ويُعينُ على الطاعة، ويحقِّقُ راحة النفس، وإجمام الروح، وسعة الصدر، فإنَّ هذا قد يكونُ مما يؤجِّرُ عليه العبدُ إذا أحسنَ قصده، وأصلحَ نيته، فإنها الأعمال بالنيات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى.

أيها الإخوة.

إن مما اعتاده كثيرٌ من الناس في هذه الإجازة الصيفية أن يُمضوا أوقاتهم في النزهة،

(١) سورة الشرح: (٧-٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والمتعة في البرِّ أو في غيره، وكثيراً ما يصاحبُ هذا الاستمتاعُ بعضَ المظاهرِ السَّلبيةِ السيئةِ، التي تُفسدُ القلوبَ، وتكدِّرُ صفوها، وتُكسِبُ الآثامَ، وتغضبُ الحيَّ الذي لا ينامُ.

فمن ذلك: إضاعةُ بعضِ هؤلاءِ للصلاةِ، بتأخيرها عن وقتها، أو قلةِ المبالاةِ بها، وعدمِ الاهتمامِ بها، وقد حذَّرَ اللهُ تعالى من ذلك، فقال تعالى: ﴿فويل للمصلين . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال جلَّ ذكره: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد توعَّدَ اللهُ من ضيَّع الصلاةَ، أو سها عنها بالغوايةِ والويلِ، وهذان هما بابا التعاسةِ في الدنيا، والشقاوةِ يومَ القيامةِ.

ومن السيئاتِ التي يقترفها بعضُ المنتزِّهين: إضاعةُ حقِّ الوالدينِ، أو الأهلِ، أو الأولادِ؛ وذلك أن كثيراً من هؤلاءِ يخرجُ إلى البرِّ مع زملائه وأترابه من أولِ الإجازةِ، وقد لا يدخلُ إلا نادراً لقضاءِ بعضِ أشغاله وحوادثه، ثم يعودُ أدراجَه إلى البرِّ، فيفترطُ في حقِّ والديه، اللذين جعلَ اللهُ حقَّهما بعضَ حقِّه، فلا يراعى شؤونهما، ولا يقضي حوائجهما، بل قد يكونُ سبباً لإزعاجهما وإيذائهما، بالقلقِ عليه، أو غيرِ ذلك، ويضيِّع حقَّ زوجته وأولاده، فلا يعرفُ من شؤونهم إلا النزرَ القليلَ، الذي قد يعرفه الجيرانُ، فلا يدري عن أبنائه، مع مَنْ يذهبون، ولا مَنْ يخالطون، وكم من الساعاتِ في خارجِ

(١) سورة الماعون: (٤ - ٥).

(٢) سورة مريم: (٥٩).

البيت يقضون، أو حتى مع من يخيمون، أو يسافرون، وهو أيضاً قد أدار ظهره لبناته في البيت، فلا يعلم متى يخرجن، ولا من يكلمن، ولا ماذا يشاهدن، أو يسمعن!!  
 فهل بعد هذا التفريط لنوم الأبناء على العقوق والانحراف، أم هل بعد هذا نرجو من البنات الاستقامة والصلاح؟ لا والله، فإن هذا بعيدٌ كُبعد المشرقين.

ومن المظاهر السيئة في بعض هذه الاجتماعات، التي تكون في الإجازات: إعمال اللسان فيما يضر. ولا ينعف، كالغيبة أو الكذب أو المزاح الساقط، والكلام الفاحش البذيء، وغير ذلك من آفات اللسان، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك، فقال لمعاذ رضي الله عنه: «ألا أدلك على ملاك ذلك كله - أي: على ملاك أبواب الخير - كُفَّ عليك هذا، وأمسك بلسان نفسه صلى الله عليه وسلم، فقال معاذ: يا رسول الله، أو إننا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال ﷺ: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»<sup>(١)</sup> نعوذ بالله من ذلك.

وبكفيك في حفظ لسانك ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»<sup>(٢)</sup>.

وقد قال الأول: رُبَّ كلمةٍ قالت لصاحبها دعني.  
 ولا تقل إنما هي سوا ليف، أو كلامٌ يحصل به إيناسُ الأصحاب، فقد قالها قومٌ من

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣) قال الترمذي "حسن صحيح".

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَبْلِكَ، فقال لهم اللهُ تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.  
 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَيْن فِيهَا، يَزُلُّ بِهَا  
 إِلَى النَّارِ أْبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»<sup>(٢)</sup>، وقد قال ﷺ في النَمِيمَةِ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ  
 نَمَامٌ»<sup>(٣)</sup>.



(١) سورة التوبة: (٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فإنَّ من المظاهر السيئة في بعض المجتمعات والاجتماعات: اصطحاب آلات اللهو وأجهزته، التي تَبَثُّ الشرَّ، وتنشرُ الفسادَ، كالتلفازِ والفيديو وأجهزة البثِّ المباشرِ، وأشرطة الغناء وآلاته، فعلى إخواننا هؤلاء أن يتقوا الله ربهم، وليذكروا قولَ الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ هُم عَذَابٌ مُهِينٌ﴾<sup>(١)</sup>، وليذكروا قولَ الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن المظاهر السيئة: خروج الصغار إلى البرِّ بمفردهم، في خيماتٍ مستقلةٍ عن أهلهم، ليس معهم مرشدٌ ولا مصلحٌ، أو خروجهم مع أجنبٍ، فارق السنِّ بينهم كبيرٌ.

فليتق الله أولياء هؤلاء، فإن هذا من تضييع الأمانة.

أيها المؤمنون.

هذه بعض المظاهر السلبية، التي قد توجد هنا وهناك في بعض المخيمات، فعلينا جميعاً أن نتقي الله تعالى، القاهر الغالب الطالب، الذي يُمهّل ولا يُهمّل، فإن تقوى الله تعالى أعظم أسباب الوقاية، من هذه الخطايا والسيئات.

(١) سورة لقمان: (٦).

(٢) سورة الأعراف: (٩٧-٩٩)

واحرصوا على شغلِ أوقاتكم بالطاعاتِ والصالحاتِ، حتى في البراري والمخيماتِ، وذلك من خلالِ اصطحابِ بعضِ الكتبِ النافعةِ الميسرةِ، أو الأشرطةِ المفيدةِ الممتعةِ، أو من خلالِ قراءةٍ، تتفوقون عليها بعد إحدى الصلواتِ، أو من خلالِ استضافةِ أهلِ الصَّلاحِ، من الدعاةِ وطلابِ العلمِ، والبحثِ معهم، وسؤالهم عن بعضِ ما يُشكَلُ، أو غير ذلك من سُبُلِ استثمارِ الأوقاتِ.

واعلموا أنكم إن لم تشغلوا أوقاتكم بما يفيدُ وينفعُ، فسيقعُ ما قد يضرُّ ويفسدُ، فإن النفسَ لا تخلو من خيرٍ أو من شرٍّ، فاشغل نفسك بالحقِّ وإلا شغلتك بالباطل، ولا بدَّ من أحدٍ هذين.

واعلموا أن من سُبُلِ تخفيفِ هذه السيئاتِ الأمرَ بالمعروفِ، والنهيَ عن المنكرِ، فإن هذا من الضماناتِ الضروريةِ، التي تُحفظُ بها الأممُ والمجتمعاتُ، قال الله تعالى:

﴿كُتِبَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد قال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ»<sup>(٢)</sup>.

فإذا رأى أحدكم على أخيه أو بعضِ إخوانه ما يضرُّهم في دينهم أو دنياهم، فليأمرهم بالمعروفِ، ولينهمهم عن المنكرِ، فإن أطاعوه صلح الحالُ، وإن لم يطيعوه برئت ذمتهُ وكتب أجره.



(١) سورة آل عمران: (١١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

## ٧٣- يوم الجمعة سيد الأيام.

## الخطبة الأولى

الحمد لله خالق كل شيء ومبدعه، له ما في السموات وما في الأرض، يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة، سبحانه وتعالى عما يشركون، أحمدُه تعالى حمداً كثيراً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه المباركين، وعلى سائر عباد الله الصالحين.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد اصطفى هذه الأمة الإسلامية على سائر الأمم، ونحلها وخصها بخصائص كثيرة، وفصائل عديدة، ومناقب عظيمة، فبعث فيها خاتم رسوله وأنزل إليها أعظم كتبه، ودلها على أحسن شرائعه، حتى غدت خير أمة أخرجت للناس، ومما خص به الله تعالى هذه الأمة، وميزها به هذا اليوم المجيد العظيم - يوم الجمعة - الذي هو سيد الأيام، وخيرة الله منها، إذ خصه الله سبحانه بكثير من الحوادث الكونية، والشعائر الدينية التي تميزها عن سائر الأيام.

فمن خصائصه الكونية: أنه خير يوم طلعت فيه الشمس، وأن الله تعالى قدر في هذا اليوم أهم حوادث الخلق، وأبرز وقائع التاريخ الكبار، ففيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه

أَدْخَلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا) <sup>(١)</sup>، وفي رواية له: (وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ) <sup>(٢)</sup>، وعند أحمد بسند لا بأس به، قال ﷺ: (وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينَ تَصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجَنَّةَ وَالْإِنْسَ) <sup>(٣)</sup>. وقد فرض الله تعالى على عباده تعظيم يوم الجمعة، فَضَّلَ الْيَهُودَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ، فَعَظَّمُوا يَوْمَ السَّبْتِ، وَضَلَّ النَّصَارَى لَعْنَهُمُ اللَّهُ، فَعَظَّمُوا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَهَدَى اللَّهُ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ إِلَى خَيْرِ الْأَيَّامِ وَسَيِّدِهَا، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (نَحْنُ الْأَخْرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَدِ أَهْلِهِمْ أَوْ تَوَاتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ فَالْنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبِعَ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ) <sup>(٤)</sup> فالحمد لله الذي هدانا للإسلام، وخصَّنا بأشرف الأيام.

وَأَمَّا خِصَائِصُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الدِّينِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ، فَكَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، فَقَدْ خَصَّ اللَّهُ هَذَا الْيَوْمَ بِأَدَابٍ شَرْعِيَّةٍ، وَشَعَائِرٍ دِينِيَّةٍ تَعْبُدِيَّةٍ، وَاجِبَةٍ وَمُسْتَحَبَّةٍ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَحْتَفُوا بِهَذِهِ الْخِصَائِصِ، وَأَنْ يَهْتَمُوا بِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا.

فَمَنْ أَبْرَزَ خِصَائِصَ هَذَا الْيَوْمِ الشَّرْعِيَّةِ: صَلَاةُ الْجُمُعَةِ، الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِالْبَلَدِ حُرًّا، وَدَلِيلٌ وَجُوبًا أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّعْيِ إِلَيْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٤).

(٣) أخرجه أحمد (٩٩٣٠)، وأبو داود (١٠٤٦) من حديث أبي هريرة، بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿١١﴾ .

وقد ورد التحذير الشديد عن النبي ﷺ في حق من تهاون بها أو تركها، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أنها سمعا رسول الله ﷺ على أعواد المنبر يقول: (ليتهين أقوامٌ عن ودعهم الجمعات، أو ليختمنَّ الله على قلوبهم، ثم ليكوننَّ من الغافلين) <sup>(١)</sup> .

فترك الجمعة سببٌ للختم على القلب، وهذا من أعظم العقوبات وأشدّها، فإذا ختم عليه ضعفت بصيرته وعمي قلبه، وإذا عمي القلب أظلم وانتكس، وفاتته خيرات الدنيا والآخرة.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى صلاة الجمعة سبباً لتكفير السيئات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما، إذا اجتنبت الكبائر) <sup>(٢)</sup> وعنه أيضاً: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة، فاستمع وأنصت غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام) <sup>(٣)</sup> .

ولما كانت هذه الصلاة بهذه المنزلة وهذه المكانة، فقد حُصت بأداب وأحكام، منها ما

(١) سورة الجمعة: ٩ .

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣).

(٤) أخرجه مسلم (٨٥٧).

هو سابق لها، ومنها ما هو في أثنائها، أما الآداب السابقة:

فمنها سنة الاغتسال والتنظيف والتطيب قبلها، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم)<sup>(١)</sup>، وقد أخرج الامام أحمد بسند جيد عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من غسل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكرّ وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع وأنصت ولم يلغ، كان له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة، أجر صيامها وقيامها)<sup>(٢)</sup>.

ويتأكد الاغتسال في حق من به رائحة يحتاج إلى إزالتها، ويستحب تأخيرها إلى ما قبل خروجه للصلاة، وأما استعمال الطيب، فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْعُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَالسَّوَاكَ، وَأَنْ يَمَسَّ مِنَ الطَّيِّبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

ومن الآداب السابقة للصلاة يوم الجمعة: لبس أحسن الثياب التي يقدر عليها، فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر يوم الجمعة: (ما على

(١) أخرجه البخاري (٨٧٩) ومسلم (٨٤٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٧٤٠) والترمذي (٤٩٦) وحسنه.

(٣) أخرجه أحمد (٣٠/٣)، والنسائي (١٣٨٣)، وصححه ابن خزيمة (١٢٣/٣)، ح (١٧٤٣)، وابن

حبان (٣٤/٤)، من حديث أبي سعيد الخدري.

أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة، سوى ثوبي مهنته<sup>(١)</sup>.

ومن الآداب أيضاً: التبكير في المجيء إلى صلاة الجمعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ وَمَثَلُ الْمُهْجِرِ كَمَثَلِ الَّذِي يَهْدِي بَدَنَةً ثُمَّ كَالَّذِي يَهْدِي بَقْرَةً ثُمَّ كَبَشًا ثُمَّ دَجَاجَةً ثُمَّ بَيْضَةً فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)<sup>(٢)</sup>.

ومن المؤسف والمحزن أنك تدخل المسجد قبل مجيء الإمام بوقت قليل، ولا ترى إلا عدداً يسيراً من المصلين، حتى إذا قارب الإمام أن يفرغ من خطبته، أو فرغ منها اكتظت المساجد، وغصت بالمصلين، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ومن الآداب المشروعة أثناء صلاة الجمعة: الإنصات والاستماع للخطبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا قَلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ)<sup>(٣)</sup>.

فالكلام أثناء الخطبة حرام، لا يجوز، حتى ولو كان أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر، إلا أن يكلم الإمام نفسه، فالواجب الإنصات وترك المشاغل عن الخطبة، فليست صلاة الجمعة ملتقى لتبادل الأخبار، ولا مكاناً لتداول الكلام، بل هي شعيرة من شعائر

(١) أخرجه أبو داود (١٠٧٨) وابن ماجه (١٠٩٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٨٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) أخرجه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

الدين لإقامة ذكر الله تعالى.

ومن الآداب الدينية أثناء الخطبة: أن من جاء متأخراً يجلس حيث انتهت الصفوف، ولا يجوز له تخطي رقاب الناس، فقد رأى النبي ﷺ رجلاً يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب، فقال له: (اجلس فقد أذيت)<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على تحريم التخطي؛ إذ إن أذية المسلمين محرمة، ومن رغب في الخير وفي الصفوف الأولى فليبادر إلى الصلاة ولا يتأخر، فإن الفضائل والدرجات والمراتب لا تحصل بالكسل، بل هي كما قال الأول:

بعيدٌ عن الكسلانِ أو ذي ملالةٍ وأما من المشتاقِ فهو قريبٌ

ومن الآداب الشرعية أيضاً: أن من دخل والإمام يخطب، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين خفيفتين، ففي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: جاء سليك الغطفاني رضي الله عنه يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فجلس، فقال رسول الله ﷺ: (إذا جاء أحدكم الجمعة والإمام يخطب، فليصل ركعتين خفيفتين، ثم ليجلس)<sup>(٢)</sup>.

رزقنا الله وإياكم التأدب بآداب الشرع، والأخذ بأحكامه ظاهراً وباطناً.

الخطبة الثانية

أما بعد.

(١) أخرجه أبو داود (١١١٨) وابن ماجه (١١١٥)، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وصححه

الكناني في مصباح الزجاجة (٤٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٥).

الحمد لله الذي هدانا إلى أحسن الأديان وسيد الأيام، وخصنا بذلك دون سائر الأنام، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد.

فإن من الخصائص الشرعية التي خص بها هذا اليوم: أن فيه ساعة، لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يدعو الله تعالى من خير الدنيا والآخرة، إلا أجاب الله دعاءه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن في الجمعة لساعة، لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ وهو قائم يصلي، يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وقال بيده يقللها) <sup>(١)</sup> فيالها من نفحة عظيمة، وفرصة جليظة، ومنحة كريمة، يفتح فيها الله تعالى أبوابه لعباده ليسألوه، فالمحروم من حرم فضل هذا اليوم، وبركة هذه الساعة المباركة، التي تتكرر علينا كل أسبوع.

وأرجح الأقوال في تحديد وقت هذه الساعة أنها ما بين صلاة العصر - إلى غروب الشمس، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يوم الجمعة ثنتا عشرة، يريد ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه الله عز وجل، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر) <sup>(٢)</sup>.

ومن خصائص يوم الجمعة: أنه يُسن فيه قراءة سورة الكهف، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من

(١) أخرجه البخاري (٥٢٩٥)، ومسلم (٨٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، وصححه ابن رجب في "الفتح" (٣٥٦/٥).

النور ما بين الجمعتين<sup>(١)</sup> .

ومن خصائص هذا اليوم: أن الصلاة على النبي ﷺ فيها مزيد فضل، فعن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ)<sup>(٢)</sup> .

فأكثروا أيها المؤمنون من الصلاة والسلام على نبيكم محمد ﷺ، فإنه من صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا .

أيها المؤمنون .

اعلموا أن الله العليم الخبير سبحانه وتعالى قد خصَّ بعض البقاع والأمكنة، وبعض الأوقات والأزمنة بمزيد فضلٍ دون غيرها من الأماكن والأزمان، والله تعالى في ذلك حكمةٌ بالغة، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾<sup>(٣)</sup> فهو سبحانه يجتبي من خلقه ما يشاء، ويخصه بما يشاء من الفضائل والخصائص، فيجبُ تعظيمُ ما عظمه الله سبحانه وتعالى من الممكنة والأزمنة، فإن من امتهن ما عظمه تعالى يوشك أن تنزلَ به عقوبته، أو يحلَّ به سخطه، قال الله تعالى في حق من لم يعظم حرمة: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ

(١) رواه الحاكم (٣٣٩٢) وصححه .

(٢) أخرجه أحمد (٨/٤) وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٦٣٦)، والحاكم (٤١٣/١)

وقال: "صحيح على شرط البخارى" .

(٣) سورة القصص: ٦٨ .

بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١﴾ ، وقال في حق الأشهر الحرم: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ ﴿٢﴾ .

وهذا اليوم يوم الجمعة، عظمه الله تعالى، واختاره على الأيام، فيجب تعظيمه بالإكثار من الطاعات المشروعة فيه، والتخفف من المعاصي والسيئات، فإن الطاعة تضاعف في المكان المبارك والزمان الفاضل، والمعصية تعظم في المكان الفاضل والزمان المبارك، فطاعة يوم الجمعة وليلتها ليست كطاعة غيره من الليالي والأيام، إلا أنه لا تُخصُّ ليلتها بقيام، ولا يومها بصيام، دون سائر الليالي والأيام، والمعصية في يوم الجمعة وليلتها ليست كالمعصية في غيرها، وإنه لما يفطر القلب، ويُدمع العين، أن ترى كثيراً من المسلمين جعلوا ليلة الجمعة ويومها محلاً ومرتعاً للمعاصي والسيئات، فليلة الجمعة عند كثير من الناس تُعمَّر بالمعاصي والذنوب، وتحيا بالسهر على المحرمات، وألوان من السيئات، ولعمركم الله إن هذا لما يغضب الله تعالى؛ إذ كيف يرضى ربنا سبحانه علينا، وقد جعلنا خير أيامه وأفضلها عنده محلاً لمعصيته، وتعدي حدوده، وقد ذكر بعض أهل العلم أن سنة الله تعالى في تعجيل عقوبة من ينتهك حرمة هذا اليوم بالمعاصي والذنوب مشهودة، عافانا الله من عقوبته وعذابه وسخطه، وجعلنا من المسارعين إلى مغفرته وطاعته، واغتنام مواسم فضله، ونفحات كرمه.

ومما أحدثه بعض الناس الاحتفال بليلة السابع والعشرين من رجب وقيامها،

(١) سورة الحج: ٢٥ .

(٢) سورة التوبة: ٣٦ .

والإكثار من العبادة فيها، زعموا أنها ليلة الإسراء، ولا شك أن ما يفعله هؤلاء في هذه الليلة لا أصل له في الدين، وهو من البدع المردودة على أصحابها، وهي لا تزيدهم من الله إلا بُعداً، فإننا نقول في الجواب على فعل هؤلاء:

**أولاً:** أنه لم يثبت بالنقل الصحيح تحديد الشهر الذي أُسري فيه بالنبي ﷺ، فضلاً عن تحديد ليلة الإسراء.

**ثانياً:** أنه لو ثبت أنه أُسري به في شهر رجب في ليلة السابع والعشرين، فإن هذا لا يسوّغ الاحتفال بهذه الليلة، ولا تخصيصها بشيء من العبادات أو الطاعات، بل هي ليلة كسائر الليالي؛ وذلك أن النبي ﷺ والصحابة والتابعين من بعده لم ينقل عنهم تخصيصها بشيء، وهم أحرص منّا على الخير والطاعة، فالواجب التمسك بما جاء به السلف الصالح.

فخير الأمور السالفات على الهدى      وشر الأمور المحدثات البدائع

## ٧٤- الصلاة الصلاة.

الخطبة الأولى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المؤمنون.

اتقوا الله واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، فالصلاة عماد الدين وعصام اليقين، هي  
ناصية القربات وعزة الطاعات، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رأس

الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) <sup>(١)</sup>.

والصلاة أيها المؤمنون أعظم شعائر الدين وأهم أركان الإسلام بعد الشهادتين فعن  
ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن إله  
إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من  
استطاع إليه سبيلاً) <sup>(٢)</sup>.

والصلاة يا عباد الله أحب الأعمال إلى الله تعالى، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٦٦)، والترمذي (٢٦١٦) رضي الله عنه، وابن ماجه (٣٩٧٣) من حديث معاذ بن جبل.

(٢) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على وقتها)<sup>(١)</sup>.  
 وروى الحاكم عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: (استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خيرَ  
 أعمالكم الصلاة)<sup>(٢)</sup>.

والصلاة أيها الإخوان صلة بين العبد وربّه تبارك وتعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن  
 النبي ﷺ قال: (أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجدٌ، فأكثرُوا الدعاء)<sup>(٣)</sup>.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي  
 نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين.  
 قال الله تعالى: حمدي عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا  
 قال: مالك يوم الدين. قال جل وعلا: مجدي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين.  
 قال تعالى: هذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم. قال  
 الله تعالى: هؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل)<sup>(٤)</sup>.

والصلاة أيها المؤمنون مفتاح من مفاتيح الجنة، فعن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: (كنت مع  
 رسول الله ﷺ، فكنت آتية بوضوئه وحاجته، فقال لي: سلني فقلت: أسألك مرافقتك في

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٧٣٧) و"ابن ماجة" (٢٧٧) ومالك في "الموطأ" (٧٢)، والحاكم في المستدرک  
 (٤٤٩)، وصححه.

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٤) أخرجه مسلم (٣٩٥).

الجنة. قال: أو غير ذلك؟ قلت: هو ذلك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود<sup>(١)</sup>.

وعن ابي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى البردين - أي: الصبح والعصر -

دخل الجنة)<sup>(٢)</sup>.

والصلاة يا عباد الله من أعظم ما يكفر الخطايا ويرفع الدرجات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال:

فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا)<sup>(٣)</sup>.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى

المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)<sup>(٤)</sup>.

والصلاة يا عباد الله نور، قال النبي ﷺ: (الصلاة نور)<sup>(٥)</sup>.

وهي أيها المؤمنون من أهم أسباب ترك الفحشاء والمنكر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥١).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٣).

تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿١﴾ ، وقال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ ﴿٢﴾ فَرَّبَّ اللَّهُ تَعَالَى اتِّبَاعَ الشَّهَوَاتِ وَلَقِيَانِ الْغِيِّ عَلَى إِضَاعَةِ الصَّلَاةِ.

هذا أيها المؤمنون طرفٌ من فضائل هذه الشعيرة الكبرى، وإلا فإن فضائلها تفوق الحصر، كيف لا وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أكثر أحاديث النبي ﷺ في الصلاة والجهاد" (٣).

وقد أجاد من قال:

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع	لأن بها الآراب لله تخضع
وأول فرض من شريعة ديننا	وأخر ما يبقى إذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة	وكان كعبد باب مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته	نجيا فيا طوباه لو كان يخشع (٤)

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى أمركم بالصلاة، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وقال تعالى: ﴿أَقِمِ

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٢) سورة مريم: ٥٩.

(٣) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: ص (٣٧).

(٤) انظر تفسير القرطبي (١٠٤/١٢).

الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿١﴾  
 وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ ﴿٢﴾ .

وقد أمر الله تعالى بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ  
 وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿٣﴾ . وقد حثَّ النبي ﷺ على ذلك، فقال: (من حافظ عليها كانت له  
 نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة،  
 وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف) ﴿٤﴾ .

وقد توعَّد الله تعالى المضيعين لها بالغِيِّ والإثم والتورُّط في وحلِّ الشهوات، قال  
 تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ  
 غِيًّا﴾ ﴿٥﴾ وقد هدَّد الله الساهين عن الصلاة بالويل، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ

هُمَ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿٦﴾ .  
 أيها المؤمنون.

(١) سورة الإسراء: ٧٨.

(٢) سورة النساء: ١٠٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٤) أخرجه أحمد (٦٥٤٠)، والدارمي (٢٧٢١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنها، وصحيح

ابن حبان (١٤٦٧) وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦١١).

(٥) سورة مريم: ٥٩.

(٦) سورة الماعون: ٤-٥.

إن أعظم صور إضاعة الصلاة والغفلة عنها ذاك الذنب العظيم الخطير الكبير، الذي تورط فيه جمعٌ غير قليل، ألا وهو ترك الصلاة والعياذ بالله، ويألها من نكبة كبرى، ومصيبة عظيمة، ونازلة شنعاء أن يقطع العبد صلته بمولاه، الذي لا غنى له عنه طرفة عين.

أيها المؤمنون.

إن ترك الصلاة انخلاعٌ من الدين، وانسلاخٌ من الإسلام، وكفرٌ بالله الواحد القهار، فترك الصلاة، والمحافظة على عدم القيام بها لا يكون من رجلٍ في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان، بل والله لا يصدُرُ إلا من قلبٍ قد عَشَعَشَ فيه الشيطان، كما قال الله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>؛ ولذا فإن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى حكم على تارك الصلاة بالكفر، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)<sup>(٢)</sup>، وفي المسند قال ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)<sup>(٣)</sup>.

وقد أجمع الصحابة الكرام على كفر تارك الصلاة، فعن عبد الله بن شقيق رحمه الله

(١) سورة المجادلة: ١٩.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧) وابن ماجه (١٠٧٩) والتِّرْمِذِيُّ (٢٦٢١) من حديث بريدة الأسلمي ؓ.

قال: "كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر، غير الصلاة" <sup>(١)</sup>.

وقد قال عمر رضي الله عنه: "لا إسلام لمن لم يصل" <sup>(٢)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: "من لم يصل فقد كفر" <sup>(٣)</sup>.

وقد جعل الله ترك الصلاة من أسباب دخول النار، فاستمع -بارك الله فيك- إلى جواب أهل النار، عندما يسألون عن سبب دخولها، قال الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَحُوصُ مَعَ الْحَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ <sup>(٤)</sup>، فياليت شعري! هل علم أولئك المستهترون الساهون، الذين حافظوا على ترك الصلوات واستهانوا بها، بأنه لا إيمان لمن لا صلاة له!؟

فترك الصلاة كفر أيضاً، أولئك متلاعبون بدينهم، يظنون أن الأمر هين سهل، لا والله، إن الأمر جد خطير، فإن ترك صلاة واحدة سبب لإحباط العمل، فعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من ترك صلاة العصر حبط عمله) <sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢) ورواه الحاكم (٧ / ١) وقال الذهبي: إسناده صالح، وصححه الألباني في

صحيح الترمذي (٢١١٤).

(٢) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٨٩٧/٢ (٩٣٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٨٧/٢ (٧٧٢٢).

(٤) سورة المدثر: ٤٢-٤٧.

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٤) من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه.

فكيف أيها الإخوان بترك الصلاة تلو الصلاة؟!  
واعلموا بارك الله فيكم أن إحباط العمل ليس خاصاً بترك صلاة العصر، بل هو  
ثابت بترك أي صلاة من الصلوات المكتوبة.  
فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على هذه الشعيرة العظيمة، التي من لم يحافظ عليها  
أدركه الخذلان، وغشيتة اللعنة والسخط، وانقطع عنه من ربه المدد، ومن حافظ عليها،  
فقد أخذ بأسباب السعادة والنجاة والفوز والفلاح.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها الناس.

إن الصلاة من أعظم العبادات، وقد أمر الله تعالى بها الأنبياء جميعاً، فهذا إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام يسأل ربه، فيقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾<sup>(١)</sup> وأمر تعالى بها موسى عليه السلام، فقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

<sup>(٢)</sup> ومما يؤكد أهمية الصلاة أنها واجبة على كلِّ أحد، ولا تسقط ما دام العقل ثابتاً.

ويظهر مكانتها أن النبي ﷺ أوصى بها وهو في سكرات الموت، وفي الرَّمَقِ الأخير، فكان يقول لأصحابه في مرضه الذي تُوفي فيه: (الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم) فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية: وهو يغرغر بنفسه: (الصلاة وما ملكت أيمانكم)<sup>(٤)</sup>.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب لأمرأ الأمصار: "إن أهمَّ أموركم عندي

(١) سورة إبراهيم: ٤٠.

(٢) سورة طه: ١٤.

(٣) رواه أحمد (٢٦٥٢٦) والضياء في الأحاديث المختارة (٢٤٢١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، والحديث حسنه الكناني في مصباح

الزجاجة (٩٥٩).

الصلاة، فمن حفظها وحافظَ عليها حفظَ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيَّعٌ" (١).  
 وبقدرِ اهتمامِك بالصلاةِ وحرصِك عليها تعرفُ يا عبد الله مدى حبِّك له تعالى،  
 ورغبتِك في الله، وقدرَ الدينِ في قلبِك، قال الإمام أحمد رحمه الله: "إننا حظُّهم من  
 الإسلامِ على قدرِ حظُّهم من الصلاةِ، ورغبتُّهم في الإسلامِ على قدرِ رغبتهم في الصلاةِ"  
 ثم قال رحمه الله: "فاعرف نفسك يا عبد الله، احذرُ أن تلقى الله عز وجل ولا قدرَ  
 للإسلامِ عندك، فإن قدرَ الإسلامِ في قلبِك كقدرِ الصلاةِ في قلبِك" (٢).

فاعرفوا أيها المؤمنون مكانةَ هذه الشعيرةِ، وحافظوا عليها، أدوها في أوقاتها، أتمَّوا  
 ركوعَها وخشوعَها وسجودَها، حافظوا على هذه الصلواتِ في المساجدِ مع الجماعةِ،  
 فإن صلاةَ الجماعةِ واجبةٌ، قال الله تعالى: ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ﴾ (٣)، وقال ﷺ: (لقد  
 هممتُ أن أمرَّ بالصلاةِ فتقام، ثم أمرَّ رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلقُ معي برجالٍ معهم  
 حِزْمٌ من حطبٍ إلى قومٍ لا يشهدون الصلاةَ، فأحرقُ عليهم بيوتهم) (٤)، فكيف يطيبُ لك  
 تركُ الجماعةِ، والجلوسُ في البيتِ أو المكتبِ، والنبِي ﷺ الذي وصفه الله تعالى بقوله:  
 ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (١٠/٢) (٩)، وعبد الرزاق في المصنف (٢٠٣٨).

(٢) الصلاة للإمام أحمد (٥٤).

(٣) سورة البقرة: ٤٣.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رَحِيمٌ ﴿١﴾ هَمَّ أَنْ يَحْرِقَ بِيوتَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ !!؟

فالصلاة مع الجماعة لها منزلة عظيمة؛ لذا أمر الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٢) فكان الصحابة رضي الله عنهم إذا جاءت الصلاة تركت منهم طائفة القتال، وأقبلوا على صلاتهم، كما قال الأول في وصفهم:

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم  
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا  
والحرب تسقي الأرض جاماً أحمر  
يدعون رباً بالفضائل أنعماً

واسمع أرشدك الله وصية ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: "من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبِيِّكُمْ ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) سورة النساء: ١٠٢.

حسنةً، ويرفعه بها درجةً ويحطُّ عنه بها سيئةً، ولقد رأيتنا وما يتخلفُ عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاق، ولقد كان الرجلُ يُؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقامَ في الصف" <sup>(١)</sup>.

فليت شعري!! ماذا تراه يقول ابن مسعود رضي الله عنه لو رأى أولئك الذين هجروا بيوت الله، وعمَّروا الشوارعَ والطرقَاتِ أو البراريَ والاستراحاتِ، لا يقيمون ولا يشهدون الجماعاتِ، تعاهدوا على العصيان؟!!

أم ماذا تراه ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو رأى أولئك الذين قضوا الساعاتِ تلوَ الساعاتِ على مدرَّجاتِ الكرة، يدخل وقتُ الصلاة ويخرج وهم على ما هم عليه، من لهوٍ، ولا يصلي منهم إلا نفرٌ قليلٌ؟!  
فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فاتقوا الله عباد الله، وحافظوا على هؤلاءِ الصلواتِ في المساجدِ حيثُ ينادى بهن.  
أيها المؤمنون.

مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَحُثُّوهُمْ عَلَيْهَا، وَتَعَاهِدُوهُمْ عَلَيْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ <sup>(٢)</sup>.

عباد الله، إن ما نشهده من استهتارٍ كثيرٍ من الشبابِ بهذه الفريضة، وتهاونهم بها إنما هو نتاجُ تفریطِ الآباءِ في الغالبِ، فاتقوا الله أيها الآباءُ والأولياءُ، فيمن استرعاكم الله

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤).

(٢) سورة طه: ١٣٢.

إياهم، قوموا بما أمر الله به من الرعاية والصيانة، فإن الأمر جدُّ خطيرٌ؛ إذ الصلاةُ فرقانٌ بين أولياء الله وبين أولياء الشيطان، فمن تركها فإنه كافرٌ.

رَبُّوهم على ارتيادِ المساجِدِ من صِغَرِهِم، وإياكم والتفريطَ والتهاونَ في ذلك، فإن عواقِبَهُ وخيمَةٌ، فإذا أهملتَ اليومَ صعبَ عليك الإصلاحُ غدًا، ولا ينفعُ عندها الندمُ.  
ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة، ومن ذريتنا، ربنا وتقبل دعاء.



## ٧٥- إضاعة الصلاة.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿حَافِظُوا  
عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، إن الصلاة عماد الدين وعصام اليقين، هي ناصية القربان وغيرة الطاعات  
وخير الأعمال، قال ﷺ: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في  
سبيل الله)<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى أمركم بإقامة الصلاة والمحافظة عليها، وقد حثكم على ذلك نبيكم ﷺ  
فقال: (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم  
تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن

(١) سورة آل عمران (١٠٢).

(٢) سورة البقرة (٢٣٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٣٦٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وابن ماجه (٣٩٧٣) والترمذي (٢٦١٦) والنسائي

في "الكبرى" (١١٣٣٠).

خلف<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الله جلّ وعلا توعّد المضيعين للصلاة بالإثم والغيّ، والتورط في الشهوات والآثام، فقال عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾<sup>(٢)</sup> أي: فسوف يلقون خسراناً وشرّاً، وعذاباً أليماً شديداً.

عباد الله، إن إضاعة الصلاة من أعظم الكبائر وأكبر الآثام: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن لإضاعة الصلاة صوراً عديدة، إلا أن أعظمها ذنباً وأخطرها جرماً وأشدّها عقوبةً وأسوأها عاقبةً تركها بالكليّة، والعياذُ بالله، فترك الصلاة أيها المؤمنون كفرٌ بالله العظيم، وانخلاعٌ من الدّين، وانسلاخٌ من عبودية الله ربّ العالمين، وهي -والله العظيم- نكبةٌ كبرى، ومصيبةٌ عظيمة، أن يقطع العبد صلته بمولاه، الذي خلقه فسوّاه، ومن كلّ نعمةٍ أعطاه، فترك الصلاة والمحافظة على تركها لا يكون ممن في قلبه مثقالُ حبةٍ خردلٍ من إيمانٍ، بل لا يصدُرُ ذلك إلا من قلبٍ عشش فيه الشيطان، وفرّخ فيه

(١) أخرجه أحمد (٦٥٤٠)، والدارمي (٢٧٢١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنها، وصحيح

ابن حبان (١٤٦٧) وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦١١).

(٢) سورة مريم (٥٩).

(٣) سورة الماعون (٤-٥).

وباض، فحال بينه وبين ذكر الله تعالى وشكره، كما قال جل وعلا: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

لما كانت هذه حال المعرض عن الصلاة التارك لها، قال من لا ينطق عن الهوى ﷺ: (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة)<sup>(٢)</sup>. وفي رواية الإمام أحمد قال ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)<sup>(٣)</sup>.

وقد أجمع خير القرون وأفضل الخلق بعد الأنبياء، أجمع صحابة رسول الله ﷺ على كفر تارك الصلاة، فعن عبد الله بن شقيق رحمه الله قال: "كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة"<sup>(٤)</sup>.

وقد قال عمر رضي الله عنه المحدث الملهم: "لا إسلام لمن لم يصل"<sup>(٥)</sup>.  
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "من لم يصل فقد كفر"<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة المجادلة (١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧) و"ابن ماجة" (١٠٧٩) والترمذي (٢٦٢١) من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه، وأخرجه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٦٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢) ورواه الحاكم (٧ / ١) وقال الذهبي: إسناده صالح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢١١٤).

(٥) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/٨٩٧ (٩٣٠).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/٣٨٧ (٧٧٢٢).

فكفرُ تاركِ الصلاة -يا عباد الله- أمرٌ أخبرَ به النبي ﷺ، وأجمعَ عليه الصحابةُ رضي الله عنهم ، وجعله الله تعالى سبباً لدخولِ النارِ، فقال تبارك وتعالى في ذكرِ أسبابِ دخولِ النارِ، والخروجِ عن زمرة الأبرار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ . وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾<sup>(١)</sup>، فهذه أربعُ صفاتٍ أخرجتهم من زمرةِ المفلحين، وأدخلتهم في جملةِ الهالكين: أولاهما: تركُ الصلاة، ثم تركُ إطعامِ المسكين، ثم الخوضُ بالباطل، ثم التكذيبُ بيومِ الدين.

وقد ورد الوعيدُ يا عبادَ الله في حقِّ من ترك صلاةً واحدةً، فقال ﷺ: (من ترك صلاةَ العصرِ فقد حبطَ عمله)<sup>(٢)</sup>، فكيف بمن ترك الصلاةَ تلوَ الصلاةِ، أليس هذا أحقُّ بالحبوطِ والخسرانِ؟

أيها المؤمنون! إن من إضاعة الصلاة تأخيرها عن وقتها، فإن الله جل وعلا فرضها مؤقتةً، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾<sup>(٣)</sup>. فالصلاةُ لها وقتٌ لا تصحُّ إلا به، لا يجوزُ تأخيرها عنه، كما لا يجوزُ تقديمها عليه، فمن أخلَّ هذه الأوقاتِ تقديماً أو تأخيراً فقد جاءَ حوباً كبيراً، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ \* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ \* وَيَمْنَعُونَ

(١) سورة المدثر (٤٢-٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣).

(٣) سورة النساء (١٠٣).

المَاعُونَ ﴿١﴾.

فليت شعري! ليتني أعلم أين هؤلاء المستهترون السّاهون، الذين يؤخّرون الصلوات ولا يحافظون عليها؟! أين هؤلاء من هذه الآية؟! أهم عنها غافلون؟! أم هم في غيهم يعمهون؟! أم استحوذَ عليهم الشيطانُ، فأنساهم ذكرَ الحيِّ القيومِ؟!!

فاتقوا اللهَ عباد الله، حافظوا على هؤلاء الصلواتِ في أوقاتها، فإنها منارُ الإسلامِ فسطاطُ الأديانِ، من حفظها وحافظَ عليها حفظَ دينه، ومن ضيّعها، فهو لما سواها أضيّعُ.

عباد الله، إن من إضاعة الصلاةِ عدمَ إقامةِ واجباتها وأركانها، فإن الله جل وعلا جعل من علاماتِ النفاقِ وسمايته الإخلالَ بأمرِ الصلاةِ، فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، وفي صحيح مسلمٍ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (تلك صلاةُ المنافقِ، يجلس يرقبُ الشمسَ، حتى إذا كانت بين قرني الشيطانِ قامَ فنقرها أربعاً، لا يذكرُ اللهَ فيها إلا قليلاً)<sup>(٢)</sup>.

فهذا -يا عباد الله- يدلُّ على أن عدمَ إقامةِ أركانِ الصلاةِ وواجباتها من علاماتِ النفاقِ.

فاتقوا اللهَ عباد الله، حافظوا على الصلاةِ، وصلوا كما كان ﷺ يصلي، فإن خيرَ الهدى

هدى محمدٍ ﷺ، فقوموا لله قانتين خاشعين راغبين راهبين.



(١) سورة الماعون (٤-٧).

(٢) سورة النساء (١٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (٦٢٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

أيها المؤمنون.

اتقوا الله واعرفوا قدرَ هذه العبادةِ الجليلةِ، فإن قدرَ الدينِ في قلوبكم بقدرِ ما يقومُ بها من تعظيم الصلاةِ والعنايةِ بها، فإن للصلاةِ عندَ الله منزلةً عظيمةً، وما زال رسولُ الله يوصي أمته بها، حتى وهو في سكراتِ الموت، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول وهو في الرَّمقِ الأخير: (الصلاة، وما ملكت أيمانكم) حتى جعل يغرغر بها في صدره، ولا يفيض بها لسانه. وقال الإمام أحمد رحمه الله: (إنما حظهم من الإسلام على قدرِ حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدرِ رغبتهم في الصلاة).

وقال رحمه الله: فاعرف نفسك يا عبدَ الله، احذر أن تلقى الله عز وجل ولا قدرَ للإسلامِ عندك، فإن قدرَ الإسلامِ في قلبك كقدرِ الصلاةِ في قلبك، فاعرفوا -أيها المؤمنون- منزلةَ هذه العبادةِ، حافظوا عليها في أوقاتها، أتمُّوا ركوعها وسجودها، حافظوا عليها في المساجدِ، فإنها من شعائرِ الدين التي أمركم الله بها، حيث قال: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ﴾<sup>(١)</sup> وأمر بها حتى مع القتال والحرب، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً

(١) سورة البقرة (٤٣).

وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ  
وَأُخَذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠١﴾، فكان الصحابة رضي الله عنهم  
إذا جاء وقت الصلاة تركت منهم طائفة القتال، وقاموا لله قانتين: يدعون ربًا  
بالفواضل أنعم، فما بالكم يا من تتخلفون عن صلاة الجماعة، يسمع أحدكم داعي الله: حي  
على الصلاة، حي على الفلاح، وهو مقيم آمن، فلا يحرك ذلك النداء فيه ساكنًا، بل هو في  
شغله أو لهوه؟ .

أما سمع هذا المستهتر بما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من سرّه أن يلقى الله غدًا  
مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن، فإنكم لو صليتم في بيوتكم كما  
يصلي هذا المتخلف لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما  
يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق" (١).

فاتقوا الله أيها المؤمنون، حافظوا على الصلوات واستكثروا من الصالحات الباقيات،  
تعاهدوا أولادكم وأهليكم، مروهم بالصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ  
وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (٣).

ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا، ربنا وتقبل دعاءنا.

(١) سورة النساء (١٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٤).

(٣) سورة طه (١٣٢).

## ٧٦- زكاة ثمرة النخيل.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله فرض عليكم زكاة فيما يخرج من الأرض من  
الثمار، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ  
مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد تساءل كثير من الناس عن زكاة ثمار النخيل وما الواجب فيها؟

فاعلموا ببارك الله فيكم أن النبي ﷺ قد بين لأمته ما يجب عليهم من زكاة الثمار بياناً  
شافياً، ففي "صحيح البخاري" من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال  
رسول الله ﷺ: (فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعَيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ  
نِصْفُ الْعُشْرِ)<sup>(٢)</sup> فما سقي بلا كلفة ولا مؤونة فإن الواجب فيه العشر، كما أخبر النبي ﷺ،  
وأما ما سقي بالنضح -أي: بالسواني أو المكائن- ففيه نصف العشر.

(١) سورة البقرة (٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وهذا الحكمُ يشملُ كلَّ أنواعِ النخيلِ الجيِّدِ منها والرديءِ، ما كان منها في البساتينِ أو البيوتِ لا فرقَ في ذلك.

أيها المؤمنون.

إن كثيراً ممن عندهم نخلٌ في بيوتهم يغفلون عن هذا الأمرِ، فلا يخرجون الزكاةَ عنها، وهم بهذا الفعلِ مخطئون، فالواجبُ عليهم أن يقدِّروا ثمرةَ ما في البيتِ، ويخرجوا عُشرَها إن كانت مما سقت السماءُ، أو نصفَ عُشرِها إن كانت مما سقيَ بالنضحِ.

فإن قال قائلٌ: إن ثمرةَ نخلِ البيوتِ تؤكلُ شيئاً فشيئاً، ويصعبُ تقديرُ العُشرِ فيها أو نصفِ العُشرِ؟

فالجوابُ على هذا: أنه يجبُ على صاحبِ النخيلِ أن يقدِّرَ ثمنَ الثمرِ الذي في بيته، ويخرجَ من ثمنه نصفَ العُشرِ. إن كان مما سقيَ بالنضحِ، فعلى سبيلِ المثالِ: لو قدرنا أن ثمرَ نخلِ البيتِ يساوي ألفَ ريالٍ، فإن على صاحبِ الثمرِ أن يخرجَ نصفَ العُشرِ. إن كان مما سقيَ بالنضحِ، ونصفُ عُشرِ الألفِ خمسون ريالاً، فزكاته خمسون ريالاً.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وإياكم ومنعَ ما أوجبَ اللهُ عليكم في أموالِكُمْ، واحذروا يا عبادَ اللهِ من إخراجِ الرديءِ من الطيبِ، فإن اللهَ قد نهاكم عنه فقال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾<sup>(١)</sup> فإن اللهَ تعالى طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، وفقنا الله وإياكم لطاعته والاستجابة له ولرسوله ﷺ.

## ٧٧ - أحكام الصيام.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى، فإن الله تعالى شرع الصيام لتتقوه، واشكروا الله عباد الله أن بلغكم شهر رمضان العظيم، الذي أنزل فيه أحسن كتبه، وبعث فيه خاتم رسله، وجعله روضة من رياض الجنة، وموسماً عظيماً من مواسم الخير، فيه تغلق أبواب النيران، وفيه تفتح أبواب الجنان وتصفد الشياطين.

واعلموا عباد الله، أن الله تعالى قد خصَّ الصيام بأجرٍ عظيمٍ، جازَ قانون التقدير والحساب، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، يَضَاعَفُ الْحَسَنَةَ بَعْسَرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)<sup>(١)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن الفضائل والأجور التي جعلها الله تعالى للصائمين لا تحصل إلا إذا أخلص فيه

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

العباد لله تعالى، واقتفي فيه أثر النبي ﷺ، فإن الله تعالى طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، وقد قال ﷺ: (من صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه) (١) والإيمانُ والاحتسابُ إنما يكونان بإخلاصِ النيةِ لله تعالى وابتغاء وجهه، ومتابعة النبي ﷺ. فعليك يا عبد الله، بإخلاصِ النيةِ لله تعالى، فإن الله لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصاً، وابتغى به وجهه.

وعليك أيضاً أن تتابع النبي ﷺ في قوله وفعله، فإن الله تعالى قد سدَّ كلَّ الطُّرُقِ الموصلةِ إليه سبحانه، إلا طريقَ النبي ﷺ، فاجتهدوا ببارك الله فيكم في معرفة سننِ نبيكم وأحواله وأقواله، فإن فيهما خيرَ الدنيا والآخرة. أيها المؤمنون.

إن مما يجبُ على الصائم أن يعلمه أحكامَ المفطرات التي يجبُ عليه اجتنابها في الصَّيام، وقد ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٢).

فأكبرُ هذه المفطراتِ وأعظمُها: الجماعُ في نهارِ رمضانَ، فإنَّ فيه الكفارةَ المغلظةَ وهي عتقُ رقبةٍ، فإن لم يجد فصيامُ شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعامُ ستين مسكيناً. أما ثاني هذه المفطراتِ: فهو إنزالُ المنِيِّ بشهوةٍ اختياراً، فإذا نزلَ المنِيُّ بغيرِ اختيارٍ، كأن يحتلمَ الصائمُ فإنه لا يفطرُ بذلك. أيها المؤمنون.

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة (١٨٧).

ثالثُ هذه المفطراتِ: الأكلُ والشُّربُ، سواءً كان عن طريقِ الفمِّ أو الأنفِ، لقوله ﷺ  
 للقيط بن صبرة رضي الله عنه: (بالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائماً)<sup>(١)</sup>.  
 أيها المؤمنون.

إن مما يلتحق بالأكلِ والشربِ في حصولِ الفطرِ به الإبر المغذية، والتي يستغني بها  
 أخذها عن الطعامِ والشرابِ؛ لأنها بمعناها.  
 وأما الإبرُ العلاجيةُ فإنها لا تفتِّر؛ لأنها لا تقومُ مقامَ الطعامِ والشرابِ.  
 أيها المؤمنون.

رابعُ هذه المفطراتِ: تعمُّدُ القيءِ، وهو إخراجُ ما في الجوفِ من طعامٍ أو شرابٍ، فإذا  
 تعمَّد ذلك الصائمُ، وخرجَ منه شيءٌ فإنه يفطر بذلك، لكن إذا خرجَ ما في جوفه بدونِ  
 تعمُّدٍ ولا معالجةٍ، فإنه لا يفطرُ وصيامُه صحيحٌ، لقوله ﷺ: (من ذرعه القيء - أي:  
 غلبه - فليس عليه القضاء، ومن استقاء عمداً فليقض)<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إنَّ من رحمةِ الله بنا أن هذه المفطراتِ، لا يفطرُ بها الصائمُ إلا إذا فعلها عالماً ذاكراً  
 مختاراً، فلا يفطرُ إن فعلها جاهلاً، مثل أن يفعل شيئاً من المفطراتِ يظنُّ أنه لا يفطرُ،  
 وهو يفطرُ، أو يظنُّ أن الفجرَ لم يطلعْ، وهو طالعٌ، أو يظنُّ أن الشمسَ قد غربت، وهي

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي (٨٧)، وابن ماجه (٤٠٧) من حديث لقيط بن  
 صبرة رضي الله عنه وصححه الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٨٢) والترمذي (٧٢٠)، وابن ماجه (١٦٧٦) وحسنه الترمذي.

لم تغرب، فليس عليه في ذلك حرجٌ ولا قضاءً، وصيامُه صحيحٌ، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ولما في "صحيح البخاري" عن أسماء بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما قالت: (أَفْطَرْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي يَوْمٍ غَيْمٍ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ)<sup>(٢)</sup> ولم تذكر أن النبي ﷺ أمرهم بالقضاء، وهذا يفيد أنه لا يجبُ القضاء مع الجهلِ بالحالِ، لكن متى علمَ بأنه في نهارٍ وَجَبَ عَلَيْهِ الإِمْسَاكُ.

ولا يفطرُ الصائمُ إذا فعل شيئاً من هذه المفطراتِ ناسياً؛ لقولِ الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾<sup>(٣)</sup> ولقوله ﷺ: (من نسيَ. وهو صائمٌ فأكلَ أو شربَ فليتمَّ صومه، فإنما أطعمه اللهُ وسقاه)<sup>(٤)</sup>.

ولا يفطرُ الصائمُ أيضاً إذا حصل له شيءٌ من هذه المفطراتِ، بغيرِ اختيارِه، فلو طارَ إلى جوفِه غبارٌ، أو تسربَ إلى جوفِه ماءٌ عند المضمضةِ أو الاستنشاقِ، فلا شيء عليه، وصومه صحيح.

أيها المؤمنون.

إن من المفطراتِ خروجَ دمِ الحيضِ أو النفاسِ، وهذا المفطرُ مما تختصُّ به النساءُ،

(١) سورة الأحزاب (٥)

(٢) "صحيح البخاري" (١٩٥٩).

(٣) سورة البقرة (٢٨٦)

(٤) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فمتى خرج دم الحيض أو النفاس أفطرت المرأة، ولو كان ذلك قبل غروب الشمس  
بثانية، وعليها قضاء ذلك اليوم، لكن لو أحسّت بحركته قبل الغروب، ولم يخرج إلا  
بعده فصومها صحيح، ولا قضاء عليها.

أيها المؤمنون.

إن مما أباحه الله تعالى للصائم الاكتمال بأيّ كحلٍ شاء؛ ومما أباحه الله تعالى له  
التطيّب بأيّ طيبٍ كان، إلا إن كان بخوراً، فعليه ألا يستنشقه، لئلا يدخل الدخان إلى  
جوفه، ويجوز له أن يبخر ثيابه، أو المكان الذي يجلس فيه .

ومما يجوز للصائم أيها المؤمنون، أن يقطر دواءً في عينه أو أذنه، وأن يداوي جروحَه،  
فليست هذه الأمور مما يحصل به الفطر.

أيها المؤمنون.

إن مما يسنُّ للصائم أن يتسوك في أوّل النهارٍ وآخره، ومما يسنُّ له أيضاً أن يعجّل  
الفطر وأن يؤخّر السحور، فإن النبي ﷺ قال: (لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس  
الفطر؛ فإن اليهود والنصارى يؤخرون)<sup>(١)</sup>.

ومما يسنُّ أيضاً أن يفطر على رطبٍ، فإن لم يكن فتمرٍ، فإن لم يكن فماءٍ، فإن لم يكن  
فعلى ما شاء مما أحلّ الله تعالى، من الطعام والشراب.

أيها المؤمنون.

هذه بعض الأحكام الشرعية والآداب النبوية التي يجب على الصائم تعلّمها،

(١) أخرجه أحمد (٤٥٠/٢)، وأبو داود (٢٣٥٣) وصححه ابن خزيمة (٢٠٥٨)، من حديث أبي هريرة.

فاحرصوا على معرفتها والعمل بها، فإن أشكل عليكم شيءٌ من ذلك، فاعملوا بوصية الله لكم، كما قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿﴾

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاغتنموا عبادَ الله هذا الموسمَ الكريمَ بالاستكثارِ من الطاعاتِ والقرباتِ، واحذروا فيه موقعةَ السيئاتِ، فإن السيئةَ في رمضانَ أعظمُ عندَ الله تعالى من السيئةِ في غيره. بادروا يا عبادَ الله بالأعمالِ الصالحاتِ، واحذروا التسويفَ والتأجيلَ، فإنه أصلُ كلِّ عجزٍ وبلاءٍ، وإيَّاكم والفتورَ والمللَ:

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ويصبحُ ذو الأحزانِ فرحانَ جاذلاً<sup>(١)</sup>

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى قد فرضَ عليكم الصيامَ لغايةٍ كبرى، ولقصدٍ أسمى، ألا وهو تحقيقُ التقوى في قلوبكم وأقوالكم وأعمالكم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال النبي ﷺ في "الصحيح": (من لم يدع قولَ الزورِ والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه)<sup>(٣)</sup>.

فليس مقصودَ الشارعِ من الصومِ الجوعُ والعطشُ، ولا تركُ اللذةِ والشهوةِ فحسبُ، بل مقصودهُ الأعظمُ استقامةُ القلبِ والجوارحِ على الطاعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ

(١) انظر "زاد المعاد" (٧٥/٣)، ومدارج السالكين (٨/٣).

(٢) سورة البقرة (١٨٣)

(٣) "صحيح البخاري" (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ف:

طوبى لمن كانت التقوى بضاعته في شهره وبحبل الله معتصما<sup>(٢)</sup>

فأعيذكُم بالله يا أيها المؤمنون أن تكونوا ممن منع نفسه الطعام والشراب وما أحلَّ الله، ثم أسرفَ على نفسه بارتكابِ المعاصي ومقارفة السيئات.  
أيها المؤمنون.

إن تقوى الله التي من أجلها شرع الصيام هي أن تجعل -يا عبد الله- بينك وبين عذاب الله وقاية، بفعل الطاعة وترك المعصية.

فيا ليت شعري، هل اتقى الله عبدٌ صام عن الطعام والشراب، ثم أعمل لسانه بالغيبة والنميمة والفاحش من القول؟!!

أم هل اتقى الله عبدٌ أضاع الصلاة واتبع الشهوات؟!!

أم هل اتقى الله من أحيأ ليالي شهره بالملاهي والمنكرات؟!!

أم هل اتقى الله من شغل أذنه بسماع المحرمات، ونظره بالنظر إلى الممنوعات والمحظورات؟!!

أم هل اتقى الله رجلٌ ضيع الواجبات وأهمل الأولاد والبنات، ويسر لهم سبل

الفساد؟!!

لا والله، لا والله، لم يتق الله من تورط في تلك السيئات، إنما اتقى من قام

(١) سورة البقرة (١٨٣)

(٢) قاله ابن رجب الحنبلي في "لطائف المعارف" (١/١٨٤).

بالواجباتِ وانتهى عن المنهياتِ وزاده صيامُه استقامةً وصلاحاً.

اللَّهُمَّ أصلح قلوبنا واغفر ذنوبنا، اللَّهُمَّ بارك لنا في رمضانَ، وارزقنا فيه الأعمالَ

الصالحاتِ، واجعلنا ممن صام رمضانَ إيماناً واحتساباً.



## ٧٨- شهر الصَّيام

## الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل مواسم الخيرات نزلاً للأبرار، ونورَ برحمته لعباده سبيل البرِّ وطرائق الإحسان، أحمده على عظيم الفضلِ وواسع الإنعام، أنعم بما لا يحصيه حسابٌ، ولا يسعه كتابٌ، له الحمدُ كلُّه، أولُه وآخرُه، ظاهرُه وباطنه ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال والإكرام، والعزّة التي لا ترام، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله إلى عامّة الورى وكافة الأنام، صلى الله عليه وعلى أزواجه، وعلى أصحابه وأتباعه على ملّته وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد.

فأوصيكم أيها الناس بتقوى الله تعالى في السرِّ والعلن، فالتقوى أحصنُ جُنّةً يعتصمُ بها الخائفون، وأوثقُ عروةٍ يستمسكُ بها المتمسكون، فطوبى للمتقين، لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (٣٠) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (٣١) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (٣٢) وَكَأْساً دِهَاقاً (٣٣) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَاباً (٣٤) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون! عباد الله، الغنيمة الغنيمة، البدار البدار، قبل فوات الأوان، ففي هذا

(١) سورة النحل ٥٣ .

(٢) سورة النبأ (٣١-٣٦).

الشهر المبارك شهر رمضان أبواب الجنة مفتحة، وأبواب الجحيم مغلقة، والشياطين مسلسلة، والمنادي ينادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة، من ليالي هذا الشهر المبارك.

فاستبقوا الخيرات، وسارعوا إلى الطاعات، وإياكم والبخل، فمن يبخل فإنها يبخل عن نفسه، ففاعل الخير غانم، وتارك الشر سالم. أيها المؤمنون.

إن الكيس العاقل من عرف شرف مواسم الرحمات، ورغب فيها إلى الله تعالى بالباقيات الصالحات، فشهراً رمضان نوع الله فيه للمؤمنين سبل الطاعة، وخصال الإيمان، فمن أجل الطاعات في هذا الشهر المبارك الصيام؛ إيماناً بالله تعالى، واحتساباً للأجر عنده، ففي "الصحيحين" قال رسول الله ﷺ: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه) (١).

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة. عباد الله.

إن من أبواب الخير في هذا الشهر المبارك قيام ليله احتساباً، ففي "الصحيحين" قال ﷺ: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (٢)، فطوبى لمن هو قائم آناء الليل، ساجداً وراكعاً، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قلوب خاشعة، وأعين دامعة،

(١) "صحيح البخاري" (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) "صحيح البخاري" (٣٧)، ومسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَلْسِنُ بذكرِ اللَّهِ وتلاوةِ كلامه لا هجة ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة. أيها المؤمنون.

إنه من سبلِ البرِّ والإحسانِ في شهرِ رمضانَ قيامُ ليلةِ القدرِ، وما أدراك ما ليلةُ القدرِ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣) تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿١﴾ ليلة القدر ليلة عتق ومباهاة وقربة ومناجاة، يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيمٍ، وفي "الصحيحين" قال ﷺ: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)<sup>(٢)</sup>.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة. أيها الأخوة المسلمون.

ألا وإنَّ من بواباتِ البرِّ الكبرى التي ازدان بها هذا الشهرُ كثرةَ قراءةِ القرآنِ الكريمِ، فهذا شهرُ القرآنِ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(٤)</sup>، فاستكثروا عبادَ الله من تلاوته وتدبره وسماعه، والاهتداءً بنوره ﴿إِنَّ

(١) سورة السجدة (١٧).

(٢) سورة القدر (٣-٥).

(٣) "صحيح البخاري" (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سورة البقرة (١٨٥).

هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِيَّ هِيَ أَفْوَمٌ ﴿١﴾، ومن المحفوظِ من هديِّ النبي ﷺ أنه كان يختمُ القرآنَ في رمضانَ، ففي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة ؓ قال: (كان جبريلُ يعرضُ على النبي ﷺ القرآنَ كلَّ عامٍ مرةً فعرضَ مرتينِ في العامِ الذي قبضَ فيه) ﴿٢﴾. لكن انتبه يا عبدَ الله، لم يكن ذلك هَذَا كَهَذَا الشَّعْرِ، ولا نثراً كَثْرَ الدَّقَلِ، بل وقوفاً عند عجايبه، وتدبراً لآياته ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٣﴾.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة.  
معاشر المسلمين.

إن من أبرز سمات شهر رمضان الإحسان قولاً وفعلاً، جوداً وبراً وكرماً، فالنفوسُ زاكيةٌ بالصيام والقيام وقراءة القرآن، فإن الحسنات من الأعمال يذهبن السيئات، ومن جزاء الحسنات الحسنة بعدها، روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناسِ، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريلُ، وكان يلقاه كلَّ ليلة في رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسولُ الله ﷺ حين يلقاه جبريلُ أجودُ بالخير من الرِّيحِ المرسلة) ﴿٤﴾.

(١) سورة الإسراء (٩).

(٢) البخاري (٤٩٩٨)، مسلم (٢٤٥٠).

(٣) سورة ص (٢٩).

(٤) "صحيح البخاري" (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

فأحسنوا عبادَ الله، إن الله يحبُّ المحسنين، أحسنوا في طاعةِ الله، وأحسنوا ببذلِ ما تحبون، فلن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون، وإياكم والبخل والشحَّ ووساوسَ الشيطانِ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ يمنعكم من البرِّ والإحسانِ ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرِّ أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة .  
عباد الله.

إن من أبوابِ الطاعةِ في هذا الموسمِ الكريمِ قصدَ البيتِ العتيقِ بالعمرة، فإن العمرةَ في رمضان تعدل حجةً، فالحمدُ لله عظيم الإحسان، يعطي على القليلِ الأجرَ العظيم، إلا أنه ليس من البرِّ والإحسانِ إضاعةُ الواجباتِ في سبيلِ فعلِ المسنوناتِ والمستحباتِ، فإن من الناسِ من يشغلُ ذمته بالديونِ أو يضيعُ البناتِ والبنين ليجاورَ في مكة أو طيبة، وليس هذا من الإحسانِ، بل الإحسانُ فعلُ الواجباتِ، وفقه مراتبِ العباداتِ والمسابقةُ إلى الخيراتِ.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرِّ أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة .  
أيها المؤمنون.

إن من طرائقِ التقوى في هذا الموسمِ الكريمِ ما داومَ عليه نبينا ﷺ من اعتكافِ العشرِ الأخيرِ من هذا الشهرِ، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ كان يعتكفُ العشرَ الأخيرَ من رمضان، والاعتكافُ أيها الناس لزومُ بيتٍ من بيوتِ الله طاعةً لله ورغبةً في الدارِ

الآخرة.

فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة ف:

طوبى لمن كانت التقوى بضاعته في شهره وبحبل الله معتصما

اللهم أعنا على الطاعة والإحسان، ووفقنا إلى ما تحب وترضى من الأقوال والأعمال

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(١)</sup>

﴿﴾

(١) سورة فاطر (١٥).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله أيها الناس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر.  
أيها المسلمون.

إن من أوسع الطرق الموصلة إلى الله تعالى وأقصرها في هذا الشهر، وفي بقية العُمُر دعاء الله تعالى، وسؤاله، وإنزال الحوائج به، ف (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)<sup>(٢)</sup> ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الحديث : (من لم يسأل الله يغضب عليه)<sup>(٤)</sup>.

فأكثرُوا أيها المسلمون من سؤال الله ودعائه في الشدة والرخاء، في السراء والضراء، أسألوه من خير الدنيا والآخرة ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٥)</sup>.

تحروا مواطن الإجابة، فإن للصائم دعوة مستجابة، وأرجى ما تكون عند فطره، وفي

(١) سورة البقرة (١٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الترمذي.

(٣) سورة غافر (٦٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣) وصححه.

(٥) سورة البقرة (٢٠١).

كُلَّ لَيْلَةٍ سَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ، وَفِي آيَاتِ الصِّيَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فادعوا الله بقلوبٍ خاشعةٍ منكسرةٍ ذليلةٍ ملحّةٍ، سلوا الله كلَّ شيءٍ، سلوه الدقيق والجليل، فإنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، واعلموا أن خير ما تسألونه الله تعالى في الدنيا والآخرة الهداية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرِّ أقصر.

أيها المؤمنون.

هذه أبواب الخير مشرعةٌ، وسُبُلُه ممهدةٌ، فاستبقوا الخيرات قبل فواتها

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ويصبح ذو الأحزان فرحاناً جاذلاً

اللهم يسرنا لليسرى، وجنبنا العسرى.



(١) سورة البقرة (١٨٦).

(٢) سورة الفاتحة (٦).

## ٧٩- شهر النصر.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن شهر رمضان لم يكن عند سلفنا شهر صيامٍ وقيامٍ  
ودعاءٍ واعتكافٍ وعمرةٍ وإكثارٍ من العبادةٍ فحسب، بل كان شهر جهادٍ ومجاهدةٍ  
ودعوةٍ وعملٍ، فقد سطروا فيه أعظم الانتصارات وأكبر الفتوحات، وإن ليالي هذا  
الشهر وأيامه تحكي ما حققته الأمة من انتصاراتٍ وأمجادٍ، فقد كان في هذا الشهر يوم  
الفرقان، يوم التقى الجمعان في غزوة بدر الكبرى، التي هي شامةٌ في جبين التاريخ.

إذا قامت الدنيا تعدُّ مفاخرا فتاريخنا الوضاح من بدر ابتداء<sup>(١)</sup>

فقد فرق الله في هذه الغزوة بين الحقِّ والباطل، فنصر الله دينه، وأظهر نبيه، وأطاح  
رؤوس الكفر والشرِّ والظلم والطغيان، قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ  
أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فكانت هذه الغزوة صفحةً من صفحات المجد  
المشرق في تاريخ هذه الأمة.

(١) قصيدة "رسول العلى والفضل والخير والهدى". للشاعر وليد الأعظمي.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٣.

وقد منَّ اللهُ تعالى على الأمة في هذا الشهر أيضاً، ففتح بيته لنيبه، وطهره من أوضار الشرك، ولوثات الكفر، ومظاهر الظلم والاستكبار، فكان حدثاً عظيماً كبيراً، ليس في تاريخ الأمة فحسب، بل وفي تاريخ البشرية كلها.

كيف لا؟! وقد أعزَّ اللهُ بهذا الفتح دينه ورسوله وحزبه، واستنقذ به بلده وبيته من أيدي الكفار والمشركين، وقد استبشر بهذا الفتح أهل السماء، وضربت أطنابُ عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً، وانحسرت به الوثنية في جزيرة العرب.

وما انفكَّ هذا الشهر المعطاء أن يكون محلاً ومضماراً للأجناد وبطولات وانتصارات لهذه الأمة عبر التاريخ، وهذا يؤكد أن شهر الصيام له أثرٌ بالغ في تحقيق النصر. وصناعة المجد.

وكيف لا يكون كذلك؟! وهو شهر الصبر والتقوى، أما الصبرُ فإن من الكلام المأثور: "الصوم نصف الصبر"<sup>(١)</sup> فالصوم يربي المسلم على ترك المحابِّ والملاذِّ والشهوات؛ ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: (كُلْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَتْرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي)<sup>(٢)</sup>.

أما التقوى، فإن الله إنما فرض الصيام على عباده لتحقيقها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٩)، وابن ماجه (١٧٤٥)، وحسنه الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٨) ومسلم (٢٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا لفظ البخاري.

الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾  
 وبالصبر والتقوى يحقق العبد أول درجات النصر الكبرى وأسبابه، قال الله تعالى: ﴿إِنْ  
 تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يُضْرِبْكُمْ  
 كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾<sup>(١)</sup>، فإذا صبرت الأمة، واتقت الله سبحانه  
 وتعالى وقاها شرَّ عدوها، ودافع عنها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا مما يؤكد أهمية تحقيق المقصود من الصيام، فإن المتقدمين لما حققوا غايات  
 الصيام ومقاصده جعل الله شهرَ صومهم شهرَ عزٍّ ونصرٍ وتمكينٍ ومجدٍ، ولما ضعفت  
 صبرُ الأمةِ وقلَّتْ تقواها وتمسكها بدينها، وتركت الجهادَ جعلها الله غرضاً لأعدائها،  
 فأحلَّ بها الكفرَ أعظمَ الضيم، وأنزل بها الأعداءَ ألوانَ الكيد والتعذيب:

أحلَّ الكفرُ بالإسلام ضيماً      يطولُ به على الدِّينِ النحيبُ  
 فحقُّ ضائعٌ وحمى مباحٌ      وميضٌ قاطعٌ ودمٌ صيبٌ<sup>(٤)</sup>  
 أيها المؤمنون.

إن المتأملَ لحركة المدِّ والجزرِ في تاريخِ الأمةِ، لا يعتريه شكُّ أن الأمةَ اليومَ تمرُّ

(١) سورة البقرة: ١٨٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٠.

(٣) سورة الحج: ٣٨.

(٤) أبيات من قصيدة للشاعر وجيه بن عبد الله بن نصر التنوخي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

بأصعب أيامها، وأشدّ أحوالها، فإنه - وإن كان قد نزل بالأمّة نكباتٌ، وحلّت بها الكوارثُ والأزماتُ - فإنها لم تنزل على ثقةٍ بدينها وربّها، معتزّةً بالإسلام، فخورةٌ بالإيمان؛ لذا فإنها سرعانَ ما وثبت من سُبّاتها، وانقشعت كروبها بمراجعةٍ دين ربّها. أما اليوم، فإنّ كثيراً من المسلمين أُصيبوا في إيمانهم ودينهم، واجتمع عليهم أعداؤهم فرمّوهم عن قوسٍ واحدةٍ، كما أخبر النبي ﷺ حيث قال: ( يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلةُ على قصعتها، قالوا: أو من قلةٍ يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: لا. بل أنتم كثير، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعنَّ اللهُ مهابتكم من صدورِ أعدائكم، ويليقن في صدوركم الوهنُ. قالوا: وما الوهنُ يا رسول الله؟ قال: حبُّ الدنيا، وكراهيةُ الموت )<sup>(١)</sup>.

وواقعُ الأمّةِ اليومَ يجسّد هذا الحديثَ ويوضّحُه، فأعدادُ المسلمين كثيرةٌ، ولكنها لا تُفرِحُ صديقاً، ولا تخيفُ عدوّاً، فهم غثاءٌ كغثاء السيل، وأما أعداؤنا من اليهودِ والمشرّكين والنصارى والمنافقين، فقد جمعوا فلولهم، ورسّوا صفوفهم، وجمعوا كلمتهم على حربِ الأمّةِ، وتدميرِها وإذلالِها، ونهبِ ثرواتها. فالوثنيّون والملحدون ممثلون بالعالمِ الشرقيّ، يسحقون المسلمين بالحديدِ والنارِ، يتربصون بالأمّةِ الدوائر، ويكيدون لها المكائد، ولا يجدون فرصةً يُنفسون فيها عن أحقادهم إلا فعلوا، وما تخفي صدورهم أكبر، وما يفعلونه بإخواننا في كشمير وفي الهند وفي بورما وفي بلادِ الشيشان، خيرٌ شاهدٍ على ضراوةِ عداوتهم.

(١) تقدم تخريجه في ص (٢٥١)

أما الصليبيون ممثّلون بالعالم الغربيّ الكافر، فهم ورثة الأحقاد والضغائن على الأمة، فالصليبيون ضائقون بالإسلام منذ ظهوره، وقد اشتبكوا مع المسلمين في حروبٍ طويلةٍ مُضنيةٍ، إلا أن التاريخ لم يشهد حدةً في العداء، وخبثاً في الأداء، وإصراراً وتصميماً على تدمير الأمة وإفنائها كما يجري منهم اليوم، فهاهم خبراءٌ وهم وكبراءٌ وهم وساستهم يتنادون لحرب الإسلام، وما ذاك الذي يجري في بلاد البوسنة والهرسك وغيرها من بلاد الإسلام إلا ثمرة أعمالهم، وجني أحقادهم، وما هذه الهيمنة السياسية، والتسلط الاقتصادي، والاستكبار الحضاريّ على المسلمين، إلا قليل من كثير، وغيض من فيض، وقد صدق القائل:

عاد الصليبيون ثانيةً                      وجالوا في البطاح  
عاثوا فساداً في الديار                      كأنها كلاً مباح<sup>(١)</sup>

أما اليهود، فقد زرعوا دولتهم في قلب العالم الإسلامي، وهم سماسرة الكيد والمكر والخبث، وقد ضربوا أفضع الصور في تشريد المسلمين وإذلالهم، والتسلط عليهم والتلاعب بهم، وانتهاك مقدساتهم، ولا عجب في ذلك، فهم الذين قال الله عنهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾<sup>(٢)</sup>، وهم الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودبروا له المكائد، ونقضوا العهود والمواثيق، وهل ما يجري اليوم في فلسطين الغالية، وفي غيرها من البلاد، إلا من صنائعهم؟! فعجباً لمن

(١) من شعر د. يوسف القرضاوي.

(٢) سورة المائدة: ٨٢.

نبيِّ الكتاب، وركض وراء السراب، بطلب الصلح أو السلم مع أرباب الغدر والمكر يهود:

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ      إن كان في القلب إيمانٌ وإسلامٌ<sup>(١)</sup>

أما المنافقون، فهم أشدُّ الأعداء خطراً، وأعظمهم فتكاً؛ لذا قال الله تعالى عنهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(٢)</sup> لا يرقبون في مؤمنٍ إلا ولا ذمّة، لبسوا مسوح الضأن على قلوب الذئاب، فالظواهر ظواهر الأنصار، والبواطن قد تحيزت إلى الكفار، دعاة على أبواب جهنم، يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، تلونت رايائهم، وتشكّلت شعاراتهم، فتارة قوميون، وتارة وطنيون، وتارة علمانيون، تعددت الأسماء والكفر واحد، عاثوا في الأمة فساداً ودماراً، فهل التغريب الذي تعيشه الأمة إلا من صنعهم؟! وهل تنحية الشريعة وتطبيق القوانين الوضعية إلا من أعماهم؟! وهل محاربة الدين وأهله وعلماؤه ودعايته ألا تجارئهم!؟

فلله كم من راية للدين قد نكسوها؟ وكم من شعيرة من شعائره قد عطّلوها؟ وكم من عالمٍ أو عاملٍ أو داعيةٍ لله قد آذوه؟ فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنةٍ وبليّةٍ، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المؤمنون.

هؤلاء هم أعداء دينكم الظاهرون والمستترون، سعوا إليكم بالبوائق والأزمات، وجُرّمكم الذي اقترتموه أنكم رضيتُم بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً ﴿وَمَا

(١) شعر أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس.

(٢) سورة المنافقون: ٤.

تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾.

﴿١﴾

## الخطبة الثانية

أما بعد.

أيها المؤمنون، إن أمتكم مغزوة من داخلها، ومحاربة من خارجها، أما غزوها من الداخل، فذلك بالمنافقين المتربصين من العلمانيين وأشياءهم، الذين أضعفوا إيمان الأمة برّبها ودينها بشبهاتهم وشهواتهم، أما حربها من خارجها، فهذا التداعي العالمي، لأمم الكفر من اليهود والنصارى والمشرّكين والملحدّين على أمة الإسلام، ولن تنجو الأمة من هذين الشّبحين إلا بإقبالها على ربّها، ورجوعها إلى دينها، وإعلانها رايات الجهاد بأنواعها، جهاد النفس، وجهاد العصاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد المنافقين وجهاد الكفار، فإن ما أصاب الأمة ما أصابها، إلا لما هجرت ظهور الخيل، وأخذت بأذنان البقر، ويدلُّ لذلك ما رواه أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)<sup>(١)</sup>.

فعلينا أيها الأخوة الأخذ بأسباب النصر - وسنّه للخروج من مآسي اليوم، وتحقيق آمال الغدّ، فإن النصر - لا ينزلُ اعتباراً، ولا يخبطُ خبطَ عشواء، بل هو وفق سنن

(١) "سنن أبي داود" (٣٤٦٢)، البيهقي (٣١٦/٥، رقم ١٠٤٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٩/٥)، وقال

المنذري في "مختصره" (١٠٢/٥ - ١٠٣): "في إسناده: إسحاق بن أسيد أبو عبد الرحمن الخرساني، نزل

مصر، لا يحتج بحديثه، وفيه أيضاً: عطاء الخرساني، وفيه مقال."

وقوانين مضبوطة، كسَيْرِ الشمسِ.

فمن هذه السنن: أن تعلم أن النصر من عند الله تعالى، كما أخبرنا مولانا، حيث قال ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، فمهما طلبنا النصر من غيره أذلنا الله، وخيب سعيًا، وما أحوجنا إلى أن نجأز إلى الله تعالى بما قاله الأول:

**فياربُّ هل إلَّا بك النصرُ يُرتجى عليهم، وهل إلَّا عليك المعولُ<sup>(٢)</sup>**

ومن أسباب النصر: أن النصر لله تعالى يكون بأقوالنا وأعمالنا وقلوبنا، فإن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ونصرنا لله تعالى يكون بتعظيم دينه، وامثال أمره، وإعلاء كلمته، وتحكيم شرعه، والجهاد في سبيله، قال الله تعالى في بيان المستحقين للنصر: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن أسباب النصر: أنه آتٍ لا محالة للمؤمنين الصادقين، وأن التمكين للإسلام متحقق رغم العوائق والعقبات، فالدين دين الله، والله ناصر دينه وأوليائه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>(٥)</sup>، لكن هذا الوعد لا يعني ألا يبتلى المؤمنون بالنكبات والأزمات، ولا يعني ألا تصاب الأمة

(١) سورة آل عمران: ١٢٦.

(٢) الأغانى ٦/١٧.

(٣) سورة محمد: ٧.

(٤) سورة الحج: ٤١.

(٥) سورة غافر: ٥١.

بالمصائب والكوارث، بل كل هذا لا بد منه ليميز الله الخبيث من الطيب، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقد يتبلى الله تعالى الأمة بتأخير النصر، أو تمكين الأعداء بسبب الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فإذا أصريت أنا وأنت على تقصيرنا وذنوبنا، فهل نرجو أن يصلح الله الأحوال، ويرفع عنا هذا الذل والصغار والانكسار، إن هذا لمن أمحل المحال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، فإن لم يكن منّا نزوع عن الذنوب، وإقلاع عن المعاصي، ونصر للدين وأهله، فإن الله ينصر دينه بغيرنا، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

أيها الأخوة المؤمنون، اعلموا أن من أقل ما يجب علينا تجاه إخواننا أن نشعر بما يشعرون به من ألم وضيق، فإن النبي ﷺ قال: (مثل المؤمنين في توادعهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر

(١) سورة البقرة: ٢١٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٥.

(٣) سورة الرعد: ١١.

(٤) سورة محمد: ٣٨.

والْحَمَى<sup>(١)</sup>.

وإن من واجبتنا تجاه إخواننا أن نصرهم بما نستطيع من مال، ونعينهم به على جهاد أعدائهم وأعدائنا، ونكسو أولادهم، ونطعم جائعهم، ونخلفهم في أهليهم وذويهم، وهذا هو أقل ما يجب علينا تجاههم، فأنفقوا في سبيل الله، فإنها من أعظم النفقات، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: (أفضل دينار ينفقه الرجل دينارٌ ينفقه على عياله، دينارٌ ينفقه على دابة في سبيل الله، دينارٌ ينفقه على أصحابه في سبيل الله)<sup>(٣)</sup>.

وما زال السلف الصالح رضي الله عنهم يبذلون جهدهم في الإنفاق في سبيل الله، والتقرب إلى الله تعالى، بمساعدة الغزاة والمجاهدين، وإدخال السرور عليهم بما تصل إليه استطاعتهم، قليلاً كان أو كثيراً، حتى إن بعض نساءهم تصدقت بشعرها عقلاً لفرس في سبيل الله ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٦٧٥١) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة: ٢٦١.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٧٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٤) سورة محمد: ٣٨.

## ٨٠ - صنوف البر في رمضان.

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون، اتقوا ربكم واشكروه، أن من عليكم بإدراك هذا الشهر العظيم،  
الذي أنزل فيه أحسن كتبه، وبعث فيه خاتم رسله، وفيه أظهر أمر رسوله ﷺ يوم بدر،  
وخلص بيته من المشركين على يد رسوله ﷺ يوم الفتح، فالحمد لله أولاً وآخراً، والحمد  
لله ظاهراً وباطناً.

أيها المؤمنون.

قد أظلكم شهر كريم، وموسم عظيم، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران،  
وتسلسل الشياطين، نوع الله فيه أبواب الخير الموصلة إليه، وصنوف البر التي تقرب  
منه، فهو من أعظم مزارع الآخرة.

والذكر والقرآن يا رمضان

الخير باد فيك والإحسان

حنت لطيب عبرها الرهبان<sup>(١)</sup>

والليل فيك نسائم هههههههه

(١) شعر محمود عواد.

أتى رمضان مزرعة العباد      لتطهير القلوب من الفساد  
فأد حقوقه قولاً وفعلاً      وبأدز فيه أزواد المعاد

فمن أعظم صنوف البرِّ في هذا الشهرِ الكريمِ أبوابُ الخيرِ في هذا الشهرِ.  
أيها المؤمنون.

إن أبوابَ الخيرِ في هذا الشهرِ المباركِ كثيرةٌ، فأبوابُ الخيرِ فيه مُشرعةٌ، وطُرُقُه مُيسرةٌ،  
وسُبُلُه ممهدةٌ في أصنافٍ متنوعةٍ، فمن أبوابِ الخيرِ:

الصيامُ الذي يغفرُ به اللهُ ما تقدّم من السيئاتِ، ويبلغُ به العبدُ العالِي من الدرجاتِ،  
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (من صامَ  
رمضانَ إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه)<sup>(١)</sup>، فصيامُ هذا الشهرِ سببٌ لغفرانِ  
الذنوبِ، بشرطِ أن يكونَ الصومُ لله تعالى، لا رياءً ولا سمعةً ولا عادةً، بل عبادةً لله  
رغباً ورهباً.

وهذا فضلُ صيامِ رمضانَ خاصّةً، وأما فضائلُ الصيامِ عموماً فذاك بحرٌ بعيدٌ  
ساحلهُ، ويكفي في ذلك قولُ الله تعالى في الحديثِ القدسيِّ: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا  
الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أُجْزِي بِهِ)<sup>(٢)</sup>.

ومن صنوفِ البرِّ في هذا الشهرِ الكريمِ: قيامُ الليلِ، الذي توارَدَ في الحثِّ عليه وبيانِ  
فضله الأخبارُ، إذ فيه تُسكَبُ العبراتُ، وتمحى السيئاتُ، وتحصُلُ به الدرجاتُ، وقد

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خُصَّ قِيَامُ هَذَا الشَّهْرِ بِمَزِيدٍ فَضْلٍ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)<sup>(١)</sup>.

وقيام رمضان يتحقق بالمحافظة على صلاة التراويح، وعدم الانصراف منها إلا إذا انتهت، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: صُمنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ رَمَضَانَ، فلم يُقَمِّ بنا شيئاً في الشهر حتى بقي سبْعٌ، فقام بنا حتى ذهبَ ثلثُ الليلِ، فلما كانت السادسةُ لم يقم بنا، فلما كانت الخامسةُ قام بنا حتى ذهبَ شطرُ الليلِ، فقلت: يا رسولَ اللهِ، لو نفلتُنَا قِيَامَ هذه الليلةِ -أي: قمتها كاملةً-؟ قال: فقال: (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ اللَّيْلَةِ)<sup>(٢)</sup>، وهذا يفيدُ أن من صلى مع الإمام ولم يفارقه حتى ينصرفَ كُتِبَ له قِيَامُ هذه الليلةِ، وإذا حافظَ على ذلك جميعَ ليالي الشهر يكون قد قامَ رمضانَ، ومن قامَ رمضانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومن حافظَ على ذلك أيضاً حَصَلَ فَضْلُ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، التي هي إحدى ليالي الشهر، وقد قال النبي ﷺ في فضلها: (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)<sup>(٣)</sup>.

ومن أبوابِ البر في هذا الشهرِ الكريم: قراءةُ القرآن، فإن هذا الشهرَ هو شهرَ القرآن، قال اللهُ تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى

(١) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٧٥)، والنسائي (١١٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَالْفُرْقَانَ ﴿١﴾ وقد كان النبي ﷺ يَحْتَمُّ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ، فعن أبي هريرة ؓ قال: (كان جبريلُ يعرضُ على النبي ﷺ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَّضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ) (٢).

وقد كان السلفُ يهتمُّونَ بِالْقُرْآنِ اهْتِمَامًا زَائِدًا فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَقَدْ كَانَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانَ تَرَكَ قِرَاءَةَ الْحَدِيثِ، وَأَقْبَلَ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ الْمَصْحَفِ، وَقَالَ الزَّهْرِيُّ: "إِذَا دَخَلَ رَمَضَانَ، فَإِنَّمَا هُوَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ".  
وَمِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ: الْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالسَّخَاءُ وَالصَّدَقَاتُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النُّفُوسَ إِذَا زَكَتْ وَطَهَّرَتْ أُعْطِيَتْ وَبِذَلَّتْ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيَدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) (٣).

فَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَحْبَابُ بِكَثْرَةِ النِّفْقَةِ وَالصَّدَقَةِ فِي وَجْهِ الْبِرِّ، فِي هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يَفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ) (٤)، وَقَدْ قَالَ ﷺ، فِيمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: (وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ) (٥).

(١) سورة البقرة (١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٩٨)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٤) أخرجه أحمد (١٦٨٨٢) وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦١٢).

(٥) أخرجه الترمذي (٦١٤) وحسنه.

ولي عند هذا الباب من أبواب البر في هذا الشهر وقفات:

**الأولى:** أن كثيراً من الناس يؤخر زكاته إلى هذا الشهر الكريم، أو يعجلها فيه، ويكتفي بإخراجها عن إخراج الصدقات غير الواجبة، التي ورد في الحث عليها نصوص كثيرة، وقد يكون فيه أيضاً تضييع للفقراء والمستحقين للزكاة، في غير شهر رمضان.

**الثانية:** أن بعض أهل الإنفاق يمسك عن البذل والصدقة خشية الفقر، أو بسبب الركود الاقتصادي أو غير ذلك من الأسباب، وهؤلاء الإخوة نقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما نقصت صدقة من مال)**<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ لما سئل: أي الصدقة أفضل؟ قال: **(جهد المقل، وابدأ بمن تعول)**<sup>(٢)</sup>.

**الثالثة:** أن بعض الناس لا يتحرى المستحقين للصدقة والزكاة، فهو يعطي كل من سأله، بل بعض الناس اعتاد أن يعطي أناساً كل عام، حتى لو اغتنى هؤلاء، ولا شك أن هذا لا يحل صرف الزكاة فيه، وهي لا تجزىء عن صاحبها، وقد يتعذر بعض المتصدقين بأنه لا يعرف المحتاجين، والجواب على هذا أن نقول: ابحث عمّن يدلك عليهم. أيها الإخوة الكرام.

ومن أبواب الخير في هذا الشهر الكريم: العمرة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧٩)، وأبو داود (٨٦٨٧) وابن حبان (١٣٤/٨) ح (٣٣٤٦)، والحاكم (٥٧٤/١)

ح (١٥٠٩) جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: "صحيح على شرط مسلم".

(فإن عمرة فيه - أي: رمضان - تعدل حجة) أو قال: (حجة معي)<sup>(١)</sup> وهذا الفضل حاصل لمن اعتمر في أي جزء من أجزاء هذا الشهر، فليس هذا مخصوصاً بزمان معين فيه.

ومن أبواب الخير في هذا الشهر: اعتكاف العشر الأواخر منه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم: (كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله عز وجل)<sup>(٢)</sup>. فأبواب الخير، وصنوف البر في هذا الشهر كثيرة، والسعيد من اغتنم مواسم النفحات، وسارع في الخيرات، وصدق من قال:

طوبى لمن كانت التقوى بضاعته  
في شهره، وبحبل الله معتصماً



(١) أخرجه مسلم (١٢٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاغتنموا عبادَ الله هذا الموسمَ الكريمَ، واعلموا أن الحسنَةَ فيه تضاعفُ، والسيئةُ تعظمُ، فاستكثروا من الحسناتِ، وتخففوا من السيئاتِ، فإن الصيامَ لم يشرعْ إلا لتحقيقِ هذه الغايةِ، وفي هذا المقصدِ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup> فقد ذكر اللهُ تعالى في هذه الآية أن الغايةَ من فريضةِ الصيامِ على هذه الأمةِ، وعلى الأممِ التي قبلها هي تقوى الله عز وجل، فليس المقصودُ من الصيامِ الجوعُ والعطشُ وتركُ الشهوةِ فحسب، فإن هذه الأشياءُ وسيلةٌ إلى غايةٍ، ووصلةٌ إلى نهايةٍ، وقد قال النبي ﷺ: (من لم يدعْ قولَ الزُّورِ والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامه وشرابه)<sup>(٢)</sup>.

فمن منع نفسه الطعامَ والشرابَ والشهوةَ، ثم أطلقَ لجوارحه وقلبه العنانَ في ارتكابِ المعاصي والذنوبِ، فإنه لم يحققِ التقوى التي من أجلها شرعَ الصيامُ. إذ إن تقوى الله تعالى هي أن تجعلَ بينك وبين عذابِ الله وقايةً، بفعلِ الطاعاتِ واجتنابِ المنهياتِ، فهل اتقى الله، يا عبادَ الله، عبدٌ صام عن الطعامِ والشرابِ، ثم أعملَ لسانه في الغيبةِ والنميمةِ؟

أم هل اتقى الله عبدٌ نامَ عن الصلواتِ المكتوباتِ، وضيعَ الحقوقَ والواجباتِ؟

(١) سورة البقرة (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أم هل اتقى الله من أحياناً ليلاً بالملذات والشهوات والمنكرات؟  
 أم هل اتقى الله من شغل أذنه بسماع المحرمات، ونظره بمشاهدة المنوعات  
 والمحظورات؟ .

أم هل اتقى الله من هجر القرآن وترك القيام، وعمّر وقته بما يغضب الرحمن؟  
 أم هل اتقى الله رجلٌ ضيّع أبناءه وبناته، فلم يحمهم بحفظهم ووقايتهم مما حرّم الله؟  
 الجواب: لا والله، لم يتق الله، إنما اتقى الله من زاده الصيام استقامةً وعبادةً وصلاحاً.  
 فاتقوا الله عباد الله، وأكثروا من عبادة الله تعالى في هذا الشهر، فإن النبي ﷺ كان  
 يخصّ رمضان بالإكثار من العبادات والطاعات، واستغلوا أيها المؤمنون مواسم  
 الخيرات لتكثير الحسنات، وتكفير السيئات، فإن المحروم من أدرك هذا الشهر ولم يغفر  
 له.

## ٨١ - من أخطاء الصائمين

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله الذي خلقكم والذين من قبلكم، واعلموا أن الله ﷻ قد خصَّ الصيام بأجر عظيم، فقال ﷺ: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ) قال الله تعالى: (إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث يفيد أن الصوم قد جاوز قانون التقدير والحساب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، واعلموا أيضاً أن ثمره الصيام جليلة عظيمة، فثمرته تقوى الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إلا أن ذلك الأجر العظيم، وتلك الثمرة الجليلة قد تنقص وتضمحل، أو تذهب بسبب بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الصائمين، فمن رغب في تحصيل الأجر

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة (١٨٣).

الكبير والثمرة العظيمة، فعليه أن يفتش ويتحسس نفسه وسلوكه، وينقي صيامه من هذه العيوب والأخطاء، التي قد تنقص الأجر وتحبط العمل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( رَبِّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنَ الْقِيَامِ السَّهْرُ، وَرَبِّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنَ الصِّيَامِ الْجَوْعُ وَالْعَطْشُ )<sup>(١)</sup>، وأنا أذكر إن شاء الله تعالى بعض هذه الأخطاء تعريفاً بها، وتحذيراً من عاقبتها وسوء غائلتها، فمن هذه الأخطاء:

أن بعض الصائمين لا يصومُ هذا الشهر إيماناً بالله تعالى واحتساباً للأجر، بل يصومُه عادةً، فلا يستحضر نيةَ التَّعَبُّدِ لله تعالى بهذا الصيام، وخطرٌ على صاحبِ هذه النيةِ ألا يتقبلَ اللهُ منه، فإنما يتقبلُ اللهُ من المتقين، واللهُ طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، ثم لو قُبِلَ مع هذه النيةِ المهلهلة، فقد فاتته الفضائلُ والمناقبُ والأجورُ، التي رُتبت على حسن النيةِ وصفاء القصد، فإنه كما قيل: "النيةُ مطيةٌ" فإن كانت نيتك خالصةً صحيحةً كانت مطيتك موصلةً لك إلى مرادك ومطلوبك، فإنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه)<sup>(٢)</sup>، فاشترطَ للمغفرةِ التصديقَ والنيةَ، وقد قيل: ربَّ عملٍ صغيرٍ تعظَّمه النيةُ، وربَّ عملٍ كبيرٍ تصغَّره النيةُ، فإنما السَّيرُ سَيْرَ القلوب، وإنما يتعثر من لم يخلص.

فلا بدَّ من قصدِ ذاتِ الإلهِ وتركِ الرِّيا ليصحَّ العملُ

(١) أخرجه أحمد (٨٦٣٩)، والدارمي (٢٧٢٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والحديث صحيحه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الإخوة الكرام.

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الصائمين: الفتور والانقطاع عن العمل الصالح، فإنه من الملاحظ أن كثيراً من الناس يُقبلون في أول هذا الشهر الكريم على العبادة والطاعة، خاصة في أوله، إلا أن هذا الإقبال ينحسر بعد مضي عددٍ من الأيام، ولا ريب أيها الأحابُّ أن هذا من الحرمان، حيث ينقطع هؤلاء عن الخير في شهر الخيرات؛ بسبب العجز أو الكسل أو الملل وعدم اعتياد الطاعة، وعدم صبر النفس عليها، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر على الطاعة، فقال: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

فعلينا أيها الإخوة أن نصبر أنفسنا على الطاعة، ومما يعينك على هذا أن تعلم أن أفضل هذا الشهر آخره، وما ذلك والله أعلم إلا أن الله تعالى ادَّخَرَ الفضائل والدرجات العلا لمن صبر على الطاعة، وأدام العبادة، فالكسالى والباطالون سينقطع سيرهم عند أول الطريق، وإنما يعانق المجد من أوفى، ومن صبرا، فسلعة الله غالية.

يا سلعة الرحمن لست رخيصةً

بل أنت غالية على الكسلان

إلا أولو التقوى مع الإيمان<sup>(٢)</sup>

يا سلعة الرحمن ماذا كفؤها

جعلنا الله وإياكم منهم.

فأديموا طاعتكم، فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ، ولا تؤجلوا ولا

(١) سورة الكهف (٢٨).

(٢) "متن القصيدة النونية" لابن القيم ص (٣٥٤).

تسوّفوا، بل بادروا وسارعوا إلى الطاعة، كما قال الله تعالى آمراً عباده: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الأخطاء: أن بعض الصائمين جعل الصيام سبباً يرجع إليه ما يصدر عنه، من رذائل سلوكية، ومخالفات ولوثات خلقية، فكثير من هؤلاء تجده يستفز عند أدنى سبب، ولأتفه ملبسة، فيصدر من الألفاظ ما يصم الآذان، وبعضهم يسوء خلقه وتحسن معاملته، فإذا عاتبته أو نصحته قال لك: أنا صائم!! فليت شعري، أما علم هذا أن الصيام فرض لتهديب الأخلاق وكبح السيئات!؟

أما شعر هذا أن النبي ﷺ كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان؟! أما درى هذا أن النبي ﷺ قال: (من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)<sup>(٢)</sup>، وأنه قال: (الصيام جنة)<sup>(٣)</sup> أي: وقاية يتقي بها العبد الآثام والسيئات والرذائل والنار (فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إني صائم)<sup>(٤)</sup>.

فالصيام سبب لكبح جماح النفس والهوى والشيطان، وليس مبرراً لمقارفة الخطايا والرذائل والآثام

(١) سورة آل عمران (١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أبشُرُ- برضوانٍ من الدِّيَانِ

يا صائماً عافت جوارحه الخنا

أيها الإخوة الكرام.

ومن الأخطاء: أن بعض الناس يرتبط في ذهنه الكسل والعجز والخمول بالصيام؛ ولذا فإن كثيراً من الناس يوقف نهاره للنوم أو التناوم، فلا هو في دنيا ولا في دين، وهذا من أعظم الخسار، وقد كان هذا الشهر عبر تاريخ الأمة العريق شهر نصر وعزة وتمكين، وهذا لا يكون للعاجزين الخاملين النائمين، بل هو للمجاهدين العاملين العابدين.

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس: التقصير في معرفة ما يجب عليهم معرفته، من الشرائع والأحكام المتعلقة بالصيام، فلا يتعلم ما يجب عليه تعلّمه، ولا يسأل عما يشكل عليه، أو يلتبس عليه من أمر دينه، بل كثيراً من الناس قد يفتي نفسه، أو يسمع بعض المستهترين البطالين يقول: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فيأخذ بقوله ويترك البحث والسؤال.

ولعمركم الله، إن هذا ممن لا قدر لدين عنده، وليس هو من المتقين، بل هو من المحرّفين المتلاعيبين بكلام الله تعالى؛ وذلك أن هذه الآية التي جعلها مسوغاً لقعوده عن السؤال والتعلم، المخاطب بها الصحابة رضي الله عنهم زمن نزول القرآن؛ خشية أن يترتب على أسئلتهم تشديد في الشرع، يُخرج الأمة، أما بعد انقطاع الوحي وذهاب المحذور فالواجب على كل من جهل مسألة من مسائل الدين، أو أشكل عليه أمر في دينه أن يسأل أهل العلم،

(١) سورة المائدة (١٠١).

قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الأخطاء: أن بعض الآباء والأمهات لا يعلمون أولادهم وجوب الصيام وبعض أحكامه، فقد يبلغ الابن أو البنت ولا يؤمر بالصيام، ويكثر هذا في البنات؛ إذ إن البنت قد تبلغ بالحيض أو غيره، فتستحي أن تخبر أهلها، فتقع في أحد محظورين: إما أن تفطر الشهر، إن كانت معتادة الفطر قبل البلوغ؛ بناء على أنها صغيرة، وإما أن تصوم أيام الحيض إذا كانت اعتادت الصيام من الصغر، بناء على أنها صغيرة، وكلا هذين الفعلين خطأً وإثم، فالواجب على الأم تعليم بناتها، وعلى الأب تربيته أولاده على الصيام، منذ نعومة أظفارهم.

رزقنا الله وإياكم علماً نافعاً وعملاً صالحاً ودعوة مجابة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سورة النحل (٤٣).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فإن من الأخطاء الظاهرة المنتشرة بين كثير من الناس في شهر الصيام الإسراف في المأكولات والمشروبات والمطعومات، فترى كثيراً من الناس يضع على موائد الإفطار والسحور ما يكفي الجماعة من الناس، فيسرف في الأكل والشرب في إفطاره وسحوره، وما بين ذلك حتى يشعر بالامتلاء والضيق بسبب ذلك، ولهذا الفعل أضرار كثيرة دينية ودنيوية، وإليك بعض هذه الأضرار:

**أولاً:** أن هذا الإسراف نهى عنه النبي ﷺ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (كُلُوا واشربوا وتصدقوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة)<sup>(١)</sup>.  
**ثانياً:** إن هذا الإسراف يناقض المقصود من الصيام، إذ المقصود من الصيام أن يكسر الجوع والظمأ من حدتها، فيتذكر حال الأكباد الجائعة، من المساكين والمحاويج، ويقصد منه أيضاً تضييق مجاري الشيطان من العبد، وذلك بتضييق مجاري الطعام والشراب، وقد قال النبي ﷺ: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)<sup>(٢)</sup>.

**ثالثاً:** إن الإكثار من المطعومات يفوت على العبد خيرات كثيرة؛ وذلك أنه (ما ملأ ابن

(١) أخرجه البخاري معلقاً جازماً به، وأخرجه أحمد موصولاً (٦٦٦٩) والحاكم (١٥٠/٤) ح (٧١٨٨)، وقال: "صحيح الإسناد".

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٩)، ومسلم (٢١٧٥) من حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي، ويروى من حديث أنس.

آدم وعاء شراً من بطنه<sup>(١)</sup>، فإن العبد إذا ملاً بطنه عند الإفطار ثقل عن العبادة، وكسل عن الطاعة، فيفوته عمل الليل، ثم إذا جاء السحور أعاد الكربة وملاً جوفه بصنوف الأطعمة، فيثقل عن عمل النهار، وهكذا دواليك، حتى تفوته نفحات هذا الشهر ومواسم الخير.

رابعاً: إن الإكثار من المطعومات، فيه أيضاً إشغال للأهل وإرهاق لهم، وتفويت لمواسم الخيرات عليهم، حيث تذهب أكثر أوقاتهم في إعداد الإفطار والسحور وغيرهما.

خامساً: فيه أيضاً مخالفة لهديه ﷺ، الذي كان يتقلل من الطعام، ويقول: (بحسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)<sup>(٢)</sup>.

أيها الإخوة المؤمنون.

إن من الأخطاء التي يقع فيها كثير من أولياء الأمور في هذا الشهر تضييع أولادهم، والتفريط فيما يجب عليهم، من رعايتهم وحفظهم، فكثير من الآباء والأمهات ينشغل عن أولاده في هذه الأيام والليالي، إما بعبادة، أو عمل يستغرق أكثر الليل، أو دوائر واجتماعات، يمضي فيها أغلب وقته وتأخذ اهتمامه، أما أولاده فلا تسأل عنهم!!

(١) أخرجه أحمد (١٣٢/٤)، والترمذي (٢٥٥٤)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، من حديث المقداد بن معديكرب

وقال: "حسن صحيح".

(٢) نفس التخريج السابق.

فالأبناء في الشوارع أو البراري أو الأحواش إلى وقت السحور، وما أدراك ماذا يدور في هذه الأماكن من الشرور، التي يتعرّض لها هؤلاء الأحداث؟

فلك أن تتخيل جماعة من الصغار، صغار الأسنان، أو صغار العقول يجمعهم مكان، قد توفرت لهم فيه أسباب الفساد، من قنوات البث المباشر، أو غيرها من وسائل

الإعلام، التي تنشر الحنا والفساد، ما هو حالهم؟ وماذا سيكون مستقبلهم؟

وغالباً ما ينتشر بين هؤلاء التدخين بصورة سريعة وكبيرة، وقد ينزلق بعضهم إلى ما هو أعظم وأخطر، فإن لم يكن هذا كله، فلا ريب أن هؤلاء سيكونون صيداً ثميناً للمفسدين المتربصين.

أما البنات، فإن كثيراً من الآباء والأمهات لا يدري عنهن شيئاً، لا من يكلمن، ولا مع من يخرجن، ولا من يصادقن، ولا ماذا يشاهدن أو يتابعن من البرامج والمسلسلات والأفلام.

وبعض الأولياء تخرج بناته إلى السوق في ساعات متأخرة، أو يتأخرن في الرجوع، يتسكعن في الشوارع والأسواق، مائلات مميلات، وهو لا يعلم عنهن شيئاً.

ولا شك أن هذا التفريط وهذا الاستهتار من الأولياء عاقبته وخيمة على الأسرة والمجتمع، في الدنيا والآخرة.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وقوموا بما أوجب الله عليكم من حفظ أولادكم ذكوراً وإناثاً، واعلموا أن سلوك أولادكم غداً هو ثمرة تربيبتكم اليوم، كما قال الأول:

وينشأ ناشئُ الفتيانِ مِنَّا  
على ما كانَ عودَه أبوه<sup>(١)</sup>

فإذا فرطتَ اليومَ وأهملتَ تربيةَ فلذاتِ كبدك، فلا تلُومنَّ إلا نفسك

فكلُّ امرئٍ لآقي الذي كانَ قَدِّمًا  
وجلُّ حصادِ المرءِ ما كانَ يزرَعُ

اللهم أصلح أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا وأولادنا.



(١) ديوان أبي العلاء المعري (١٤٥٨).

## ٨٢ - ختام رمضان

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى بالإكثار من الطاعات، والتخفيف من المعاصي والسّيئات، فوالله ما  
أعماركم إلا كشهركم هذا، أطلّ هلاله، ثم تكامل بدره، ثم انصرم حبله، وها هو  
يؤذنكم بالرحيل، فلا إله إلا الله، ما أسرع انصرام الليالي، وانقضاء الأيام، إن في هذا -  
يا عباد الله- لعلبة لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكوراً، فالرابع أيها المؤمنون في هذا  
العمر القصير، من عمره بطاعة الله، واستعمله في مرضاة مولاه، فبادروا عباد الله  
بالأعمال الصالحات أعماركم، وتزوّدوا، فإن خير الزاد التقوى.

أيها المؤمنون.

إن شهركم قد أذن بالرحيل، ربح فيه أقوام، وخسر فيه آخرون، فاحمدوا الله أيها  
المؤمنون الصائمون الذاكرون، القائمون الراكعون الساجدون على ما وفقكم الله فيه  
من الأعمال الصالحات، واجتهدوا في سؤال القبول، فإن الله تعالى لا يتقبل إلا من  
المتقين، الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، وإياكم يا عباد الله

والركونَ إلى أعمالكم، والاعتزازَ بها والإعجابَ، فإنه لن يُدخَلَ أحداً منكم عملُهُ الجنةَ، ولكن الله يجزي الإحسانَ على الإحسانِ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾<sup>(١)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن من شعائرِ الدِّينِ التي يتعبدُ اللهَ بها في نهايةِ هذا الشهرِ المباركِ ذكره وشكره وتكبيره جل وعلا، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup> ثم قال جل وعلا في آخر الآية: ﴿وَلِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فيُسُنُّ للمسلمين أن يكبِّروا الله تعالى على ما هداهم، وعلى ما أتمَّ لهم من نعمةٍ وإحسانٍ.

ووقتُ هذا التكبيرِ يبدأ من غروبِ شمسِ آخرِ يومٍ من رمضان، ويستمرُّ هذا التكبيرُ إلى صلاةِ العيد، وهذا التكبيرُ تكبيرٌ مطلقٌ، فيكبِّرُ في البيتِ، وفي السوقِ، وفي المسجدِ، قبلَ الصلاةِ وبعدها، وفي كلِّ مكانٍ: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، هذا أجودُ ما جاء في الصحيحِ عن الصحابةِ رضي الله عنهم، فاحرصوا على الذكرِ والتكبيرِ، فإن فيه خيراً كثيراً.

إن من شعائرِ الدِّينِ في نهايةِ هذا الشهرِ الكريمِ زكاةَ الفطر، التي فرضها رسولُ الله ﷺ على العبدِ والحُرِّ، والذكرِ والأنثى، والصغيرِ والكبيرِ من المسلمين، فرضها ﷺ طهرةً

(١) سورة الرحمن (٦٠).

(٢) سورة البقرة (١٨٥).

(٣) سورة البقرة (١٨٥).

للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين، فرضها رسول الله ﷺ صاعاً من طعام، وأمر بها ﷺ أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وأدوا زكاة الفطر على الوجه الذي فرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أدوها صاعاً من غالب قوت البلد الذي تعيشون فيه، وغالب قوت البلد عندنا الأرز، فأخرجوا صاعاً من الأرز، والصاع يعادل كيلوين وأربعين جراماً بالوزن الحديث. أيها المؤمنون.

اعلموا أنه لا يجزئ إخراج هذه الزكاة نقوداً؛ لأن النبي ﷺ فرضها على صفة معينة، فيجب التزام الصفة التي فرضها صلى الله عليه وسلم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنا نعطيهما على زمن رسول الله ﷺ صاعاً من طعام، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من زبيب)<sup>(١)</sup>، فحدث في عهد رضي الله عنه بعض التغيير من بعض الناس، فقال رضي الله عنه: "أما أنا فلا أزال أخرجها كما كنت أخرجها في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وإياكم ومحدثات الأمور، ولا بأس أيها المؤمنون في توكيل من يشتريها ثم يوزعها عنكم، إلا أنه ينبغي أن يتأكد من توزيعها قبل صلاة العيد، فإنها قبل صلاة العيد زكاة مقبولة، وهي بعد العيد صدقة من الصدقات.



(١) أخرجه البخاري (١٥٠٦)، مسلم (٩٨٥).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤١٨).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من دلائل توفيق الله للعبد ألا يدع العبد عمله الصالح، وألا ينقطع عنه، فإن الله تعالى أمرنا بإدامة الطاعة والعبادة، فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(١)</sup> وقد قال ﷺ: (أحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوُمُهَا، وَإِنْ قُلَّ)<sup>(٢)</sup>، وقد قال ﷺ: (يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فَلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ)<sup>(٣)</sup>. فاحرصوا -أصلح الله قلوبكم- على ألا يكون آخر عهدكم بالطاعة والإحسان ما قدمتموه في شهر رمضان، بل صلوا ذلك وأديموه، فإن الله عز وجل ما خلقكم إلا لتعبدوه.

أيها المؤمنون.

إن الله قد امتنَّ عليكم بأن جعل لكم عيداً تفرحون فيه، وتشكرون الله فيه على أن هداكم للإيمان.

أيها المؤمنون.

إن العيد في هذه الشريعة المباركة عيدان: عيدُ الفطرِ وعيدُ الأضحى، فالأعيادُ شريعةٌ

(١) سورة الحجر (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

محكمة، ليس لأحد أن يزيدَ فيها أو ينقصَ منها، فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قدم رسولُ الله صلى الله عليه وآله المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال صلى الله عليه وآله: (قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يومُ الأضحى ويومُ الفطر)<sup>(١)</sup>، فاخرجوا أيها المؤمنون إلى صلاةِ العيدِ حيث تصلى، اخرجوا بأنفسكم وأولادكم وأهليكم إلى صلاةِ العيد، البسوا أحسنَ ما تجدون من الثيابِ، متطيئين متطهرين مكبرين مهللين، مُرُوا نساءكم بالحشمة والاحتجابِ، فإنكم تخرجون إلى شعيرةٍ من شعائرِ الدينِ صلى الله عليه وآله ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٢)</sup>.

واعلموا أيها المؤمنون أن من السنة الأكل قبل الخروجِ إلى الصلاة، فإن النبي صلى الله عليه وآله كان لا يغدو يومَ الفطرِ حتى يأكلَ تمراتٍ، ومن السنة أيضاً مخالفةُ الطريقِ يومَ العيد، ومن السنة أيضاً أن يخرج إليها ماشياً.



(١) أخرجه أبو داود (١١٣٤)، والنسائي (١٥٥٦)، والحاكم (٤٣٤/١) ح (١٠٩١)، وقال: "صحيح على شرط مسلم"، وصححه الحافظ في البلوغ (٤٩٩).

(٢) سورة الحج (٣٢)

## ٨٣- الحجُّ وأعمالُ عشرِ ذي الحِجَّةِ.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله، وقوموا بما فرض الله عليكم من حجِّ بيته الحرام، فإن الحجَّ ركنٌ من أركان الإسلام ومبنى من مبانيه العظام، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان)<sup>(١)</sup> فرضه الله عليكم يا عباد الله مرةً في العمر، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (خطبنا رسولُ الله ﷺ، فقال: يا أيها الناس قد فرضَ اللهُ عليكم الحجَّ فحُجُّوا فقال رجلٌ: أكلُّ عامٍ يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم)<sup>(٢)</sup>.

ففريضةُ الحجِّ أيها المؤمنون ثابتةٌ بالكتابِ والسنةِ وبإجماعِ المسلمين قاطبةً إجماعاً قطعياً. أيها المؤمنون.

إن الله تعالى أوجبَ الحجَّ إلى بيته الحرامِ على كلِّ مسلمٍ عاقلٍ بالغٍ حرٍّ مستطيعٍ بماله

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧).

وبدنه، فمن لم يكن مستطيعاً بهاله فلا حجَّ عليه لقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، ومن كان أيها المؤمنون عاجزاً عن الحجِّ بنفسه مستطيعاً بهاله، فإن كان عجزه دائماً مستمراً لا يرجى زواله كالمريض مريضاً لا يرجى الشفاء منه، أو الكبير الذي لا يستطيع الحجَّ بنفسه فليئيب من يحجُّ عنه فريضة الحجِّ، فعن ابن عباس رضي الله عنه: (أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن فريضة الحجِّ أدركتُ أبي، شيخاً كبيراً، لا يثبتُ على الراحلة، فأحجُّ عنه؟ قال: نعم)<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، وقوموا بهذه الشعيرة العظيمة من شعائر الدين إذا تمت شروط وجوبها.

أيها المسلمون بادروا إلى حجِّ بيتِ الله قبل أن تعرض لكم العوارض، وتمنعكم الموانع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: (تعجلوا إلى الحجِّ، فإنَّ أحدكم لا يدري ما يعرض له)<sup>(٣)</sup>، وقد غلظ عمرُ رضي الله عنه في تأخير الحجِّ بلا عذرٍ

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري (١٥١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٦٤) من طريق إسماعيل عن أبيه أبي إسرائيل وقال البوصيري في "الزوائد" (١٧٨/٢): "هذا إسناد فيه مقال، إسماعيل بن خليفة أبو إسرائيل الملائي قال فيه ابن عدي: عامة ما يرويه يخالف الثقات، وقال النسائي: ضعيف، وقال الجوزجاني: مفترى زائغ".

لكن يتقوى بحديث ابن عباس عند أبي داود (١٧٣٢) والحاكم (١/٤٤٨) وأحمد (١/٢٢٥) من طرق عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن مهران أبي صفوان عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: (من أراد الحج فليتعجل).

بعد تمام شروطه، فقال فيما رواه سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح: "لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جِدَّةٌ - أي: سعة من المال - ولم يَجِّحْ ليضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين"<sup>(١)</sup>.  
وعن علي رضي الله عنه أنه قال: "من قَدَرَ على الحجِّ فتركه فلا عليه أن يموتَ يهودياً أو نصرانياً"<sup>(٢)</sup>.

فليت شعري كيف تطيبُ نفسُ رجلٍ يؤمن بالله واليوم الآخر، يسمع هذه النصوص وهذا الوعيد في حق من ترك الحجَّ مع استطاعته عليه، ثم لا يبادر إلى ما افترضه الله عليه.

أيها المؤمنون.

إن حجَّ بيتِ الله الحرام من أعظم القربات وأعظم الطاعات، وقد ورد فيه فضائل كثيرةٌ تدلُّ على عظيم مكاتبته وكبير فضله، فمن ذلك ان الحجَّ سببٌ لتكفير الذنوب والسيئات والخطايا، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من حج حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)<sup>(٣)</sup>، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في قصة إسلام أبيه لما اشترط أن يغفر له، فقال له النبي ﷺ: (أما علمت

(١) عزاه الحافظ في التلخيص إلى سنن سعيد بن منصور ٤٨٨/٢.

(٢) أخرجه الترمذي (٨١٧) وقال: "وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَفِي إِسْنَادِهِ مَقَالٌ وَهَلَالٌ بِنُ عَبْدِ اللَّهِ مَجْهُولٌ، وَالْحَارِثُ بَضْعَفٌ فِي الْحَدِيثِ"

(٣) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ<sup>(١)</sup>.

ومن فضائله أيها المؤمنون: أنه سببٌ لدخول الجنة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنة)<sup>(٢)</sup>.

ومن فضائله يا عباد الله: أن الله تعالى يدنو من أهل الموقف يوم عرفة، ويباهي بهم الملائكة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من يومٍ أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول ما أراد هؤلاء؟)<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم رحمه الله في وصف ما في ذلك اليوم من الفضائل:

ويدنو به الجبارُ جل جلاله يُبَا	هي بهم أملاكه فهو أكرمُ
يقول عبادي قد أتوني محبةً	وإني بهم برُّ أجودُ وأكرمُ
فأشهدكمُ أني غفرتُ ذنوبهم	وأعطيْتهم ما أمْلؤوه وأنعمُ
فبشراكمُ يا أهلَ ذا الموقفِ الذي	به يغفرُ اللهُ الذنوبَ ويرحمُ

فلا تفتكم عباد الله هذه الفضائل والمواهب، استبقوا الخيرات وسارعوا إلى المبرات، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واعلموا أن انقطاع السفر عن قريب، بل الأمر أعجل

(١) أخرجه مسلم (١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

من ذلك.

فلا ترَجَّ فعلَ الخيرِ يوماً إلى غدٍ  
لعلَّ غداً يأتي وأنت فقيدٌ<sup>(١)</sup>  
أيها المؤمنون.

يا من عزمتُم على حجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ، إليكم أموراً مهمّةٌ لها أثرٌ بالغٌ في تحصيلِ  
الفضائلِ المترتبة على حجِّ بيتِ اللهِ تعالى:

أولها: إخلاصُ العملِ لله تعالى فإنَّ الحجَّ خاصّةُ الحنفيّةِ، وشعارُكم فيه: لبيك اللهم  
لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه  
وسلم: (إن الله لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه)<sup>(٢)</sup>.

ثانيها: الحرصُ على متابعةِ النبي ﷺ في أقوالكم وأعمالكم وأحوالكم الظاهرةِ  
والباطنةِ، وقد حثنا ﷺ على متابعته والأخذِ عنه فقال في حجةِ الوداعِ: (خذوا عني  
مناسككم)<sup>(٣)</sup>.

ثالثها: الحرصُ على تعلّمِ أحكامِ المناسكِ قبل الدخولِ فيها، حتى تعبدوا الله تعالى  
على بصيرةٍ وهدى، فتعلموا من أحكامِ المناسكِ ما يمكنكم من فعلها على الوجهِ  
الصحيحِ، وقد يسّرَ اللهُ سبحانه وتعالى سُبُلَ تحصيلِ ذلك، فالكتبُ والدروسُ

(١) دواوين الشعر العربي ١١/١٨٥.

(٢) أخرجه النسائي (٣١٤٠)، والطبراني (١٤٠/٨) ح (٧٦٢٨) قال الحافظ في "الفتح" (٢٨/٦): "إسناده  
جيد".

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٧).

والأشرطة التي تعتنى بذلك كثيرة مشهورة، فاحرصوا على مطالعتها ودراستها وإذا أشكل عليكم شيء فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون.

**رابعها:** تخيروا لسفركم صحبةً طيبةً، تعينكم على الخير وتدلكم عليه فإن صاحب ساحبٌ، وقد قال الأول:

عن المرء لا تسأل وسأل عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمقارن يهتدي<sup>(١)</sup>

**خامسها:** تجنبوا في حجكم الرفث والفسوق والجدال، كما أمركم الله تعالى بذلك: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ﴾<sup>(٢)</sup> والرفث الذي نهى الله عنه من فرض الحج -أي: من تلبس بالحج- هو الجماع والكلام فيه ودواعيه، والفحش في القول، وأما الفسوق فهو المعاصي عموماً، وأما الجدال فهو المماراة والخصام، فإن هذه الأمور مما ينقص الأجر ويبدد عظيم الفضل.

**سادسها:** وطنوا أنفسكم على حصول المشاق، وأن يحتسب ذلك عند الله تعالى، فإن الحج جهادٌ لا قتال فيه، كما أخبر النبي ﷺ.



(١) ديوان طرفة بن العبد (٢٠).

(٢) سورة البقرة: ١٩٧.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إنكم تستقبلون بعد أيامٍ قلائلٍ موسماً كريماً من مواسمِ الخيراتِ، تستقبلون أيامَ عشرِ ذي الحجةِ المباركِ، الذي جعله اللهُ محلاً لكثيرٍ من المواهبِ والنفحاتِ، حتى غداً أفضلَ مواسمِ الخيراتِ، فعن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهُ صلى اللهُ عليه وسلم: (ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ من هذه الأيامِ قالوا: ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ، إلا رجلٌ خرَّجَ بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيءٍ)<sup>(١)</sup>.

فهذه الأيامُ العشرةُ أفضلُ أيامِ السنةِ وقد فضلها كثير من العلماءِ على أيامِ عشرِ رمضانِ الأخيرِ وأما لياليها فهي من أفضلِ الليالي، ويكفيها فخراً وشرفاً وفضلاً إقسامُ اللهُ تعالى بها، حيث قال: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيْلِ عَشْرِ﴾<sup>(٢)</sup> وقد حثنا رسولُ اللهُ ﷺ على العملِ الصالحِ بأنواعه وصنوفه في هذه الأيامِ، فأكثرُوا عبادَ اللهِ من الأعمالِ الصالحةِ في هذه الأيامِ، واغتنموها بالأعمالِ الصالحةِ بما يعودُ عليكم بالأجرِ والمثوبةِ يومَ القيامةِ فبادروا فيها بالأعمالِ الصالحةِ مادامَ في العمرِ مهلةً، وفي الوقتِ متسعٌ.

أيها المؤمنون..

(١) أخرجه البخاري (٩٦٩) حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) سورة الفجر: ١-٢ .

إن أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه تعالى في هذه الأيام الإكثار من ذكره جلّ وعلا قال الله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الأيام المعلومات أيام العشر" وهو قول جماعة من المفسرين، وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد)<sup>(٢)</sup>.

فأكثروا أيها الأحباب من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن، وقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر والله الحمد، في كل أوقات هذه العشر، وفي جميع الأماكن، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أنهما كانا يخرجان إلى السوق في أيام العشر، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما<sup>(٣)</sup>.

واعلموا أن الذكر في هذه الأيام أفضل الأعمال، بل هو أفضل من الجهاد غير المتعين. ومن الأعمال الصالحة المتأكدة في هذه الأيام الصيام، خاصة صيام يوم عرفة، فقد روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده)<sup>(٤)</sup>.

ومن الأعمال المشروعة في هذه الأيام الاستعداد للأضحية، فإن النبي ﷺ قد قال:

(١) سورة الحج: ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد (٥٤٢٣)، وصححه أحمد شاكر.

(٣) علقه البخاري في فضل العمل أيام التشريق قبل حديث (٩٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه

(من كان له ذبْحٌ يذبحه، فإذا أهْلٌ هلالٌ ذي الحجة، فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحى) (١).

وفي لفظ: (إذا دخلت العشر، وأراد أحدكم أن يضحّي فلا يمَسَّ من شعره وبشره شيئاً) (٢)، وهذا الحكم يخص المضحّي نفسه دون أهل بيته من الأولاد والنساء، فاحرصوا أيها المسلمون على مواسم الخير فإنها سريعة الانقضاء

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ويصبح ذو الأعمال فرحاناً جاذلاً

وأكثرها فيها من الأعمال الصالحة وتعرضوا لنفحات الله ومواهبه، فإن عجز أحدكم عن ذلك فلا أقل من أن يكف شره، وينتهي عن المعاصي، فإن رجلاً سأل النبي ﷺ عن أفضل أعمال البر، فذكر له ﷺ أعمالاً ثم قال الرجل: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق، قال: يا رسول الله، رأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال صلى الله عليه وسلم: تكف شرّك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك) (٣).

واعلموا أيها الإخوان أن هذه الأيام هي من أفضل الأيام، فالحسنات فيها مضاعفة والسيئات مغلظة معظمة، فسارعوا إلى مغفرة من ربكم ورحمة.

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٨) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

## ٨٤- الحجُّ وأحكام الأضحية.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، وافعلوا الخيرَ لعلكم تفلحون، فإنكم في موسمٍ من مواسمِ البرِّ العظيم، كثيرةٌ خيراته ورحماته، فيه خيرٌ أيامِ الزمانِ وأفضلها، العاملُ فيها بالبرِّ والإحسانِ أفضلُ عند الله الملكِ الديانِ من الجهادِ، إلا مجاهدًا خرجَ في سبيلِ الله، فعقرَ جواده، وأهريقَ دمه لله العظيمِ الرحمنِ.

عباد الله، يا من ترجون الله والدارَ الآخرةَ، يا من تؤملون جنةً عرضها السماواتُ والأرضُ، أنتم في أيامِ عشرِ ذي الحجةِ المباركِ، التي قال فيها صلى الله عليه وسلم: (ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيامِ - يعني أيامَ العشرِ - قالوا: ولا الجهادُ في سبيلِ الله؟ قال: ولا الجهادُ في سبيلِ الله، إلا رجلٌ خرجَ بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيءٍ)<sup>(١)</sup>.

فالله الله أيها المسلمون، أكثرُوا فيها من الأعمالِ الصالحةِ، التي ترفعُ درجاتكم وتقرِّبكم من مليكم، فإن الله جل وعلا فتحَ لكم في هذه العشرِ أبوابَ الخيرِ كلِّها،

(١) أخرجه البخاري (٩٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وندبكم إلى الاجتهاد في جميعها.

إن من أخص ما تميّزت به أيام العشرِ ذكرُ الله تعالى في كلِّ حالٍ وحينٍ، فقال تعالى: ﴿وَيَذُكُّرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾<sup>(١)</sup> قال حبرُ الأمةِ وترجمانُ القرآنِ عبدُ الله بنُ عباسٍ رضي الله عنهما: "الأيامُ المعلوماتُ هي أيامُ العشرِ".

فمن خيرِ أعمالِكُم -يا عبادَ الله- ذكرُ الله تعالى في هذه الأيامِ، فعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: (ما من أيامٍ أعظمُ عندَ الله، ولا أحبُّ إليه من العملِ فيهن من هذه الأيامِ العشرِ، فأكثرُوا فيهن من التهليلِ والتكبيرِ والتحميدِ)<sup>(٢)</sup>.  
فيا أيها المؤمنون.

اذكروا الله ذكراً كثيراً، وسبّحوه بكرةً وأصيلاً، اذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبِكُم، اذكروه بقلوبِكُم وألسنتِكُم، فإن الذكرَ حياةُ القلوبِ ونعيمُها، كما قال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الَّذِي يَذُكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذُكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)<sup>(٣)</sup>.

فأكثرُوا أيها المؤمنون من قول: "الله أكبر اللهُ أكبر، لا إله إلا اللهُ، والله أكبر اللهُ أكبر والله الحمد"، اجهرُوا بهذا الذكرِ وأظهروه في مساجدِكُم ومجالسِكُم وأسواقِكُم وبيوتِكُم، وعند أهليكم وأولادِكُم، فاذكروا الله حين تمشون وحين تصبحون، وعشياً

(١) سورة الحج: ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد (٥٤٢٣) وصححه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وحين تظهرون، ففي البخاري عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أنها كانا نخرجان إلى السوق في أيام العشر، فيكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما<sup>(١)</sup>.

فاحرصوا أيها المؤمنون على ذكر الله تعالى، واجتهدوا في ذلك، فإن الذكر في هذه الأيام أفضل من الجهاد بالسيف والسنان، قال ابن القيم رحمه الله: "والذكر في هذه الأيام - أي أيام العشر - أفضل من الجهاد غير المتعين"<sup>(٢)</sup>.

عباد الله، إن الذكر في هذه الأيام على نحوين:

**النحو الأول:** ذكر مطلق، يكون في كل وقت، ولا يقيد بما بعد الصلوات، وهذا وقته من دخول شهر ذي الحجة إلى آخر يوم من أيام التشريق.

**النحو الثاني:** ذكر مقيد، وهو الذي يكون بعد الصلوات، يكون من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق، ففي هذه الأيام: يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق، يجتمع الذكر المطلق والمقيد، فيذكر المرء ربه في كل حين، كما يذكره بعد فراغه من الصلوات، فإذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثاً، ثم قال: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم يقول بعد ذلك: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر والله الحمد، يكرر ذلك ما شاء، ثم يأتي بعد ذلك بالأذكار المشروعة بعد الصلاة، من التسبيح والتحميد والتكبير وغير ذلك.

فيتلخص من هذا أيها المؤمنون: أن الذكر المطلق يكون من دخول العشر إلى آخر يوم

(١) أخرجه البخاري معلقاً في باب فضل العمل في أيام التشريق.

(٢) مدارج السالكين (١/٨٩).

من أيام التشريق، وأما المقيد فيكون من فجر يوم عرفة إلى آخر يوم من أيام التشريق، فاعتنموا الفرصة يا عباد الله، وأكثروا من ذكره وشكره والثناء عليه، وأبشروا فإن الله العظيم الجليل قد وعدكم على ذكره خيراً كثيراً، فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقد قال صلى الله عليه وسلم: (سبق المفردون، قالوا: ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: الذَّاكِرُونَ اللهُ كثيراً والذَّاكِرَاتُ)<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من الأعمال الصالحة، التي ندب إليها أهل العلم في هذه الأيام، الصيام، الذي قال فيه الباري جلّ ذكره وعزّ جنابه: (الصَّيَامُ لِي، وأنا أجزي به)<sup>(٣)</sup> فاحرصوا على الاستكثار من صيام هذه الأيام، لا سيما يوم عرفة، فإنه: (يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده)<sup>(٤)</sup>.

وقد كثر السؤال أيها المؤمنون عن قول بعض الناس: "إن من الأخطاء في هذه العشر صيامها كلها؟"

فالجواب: أن هذا القول غير صحيح، فإن صيام هذه الأيام من العمل الصالح الذي حثّ عليه النبي ﷺ في عموم قوله: (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من

(١) سورة البقرة: ١٥٢.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

هذه الأيام)، والصيام من خير الأعمال وأعظمها أجراً، ولعلَّ مرادَ صاحبِ هذه المقالة التحذيرُ من صيامِ يومِ العيد، لنهي النبي ﷺ عن ذلك، أما غيرُ يومِ العيد من أيامِ العشرِ، فلا إشكالَ في أن صيامه مندوبٌ إليه في الجملة؛ إذ هو من خيرِ الأعمالِ الصالحة.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إِنَّ رَبَّكُمْ جَلُّ وَعَلَا قَالَ فِيمَا تَقَدَّمُونَهُ مِنَ الضَّحَايَا وَالْهُدَايَا: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن مقصودَ الشارعِ الحكيمِ من إِرَاقَةِ دَمِ الْهُدَايَا وَالضَّحَايَا التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَجَلِّ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، أَعْلَاهَا قَدْرًا، وَأَعْلَاهَا ثَمَنًا وَأَنْفُسَهَا، فَإِنَّهُ جَلُّ وَعَلَا لَنْ يَنَالَ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا، وَإِنَّمَا يَنَالُهُ مِنْكُمْ تَقْوَاكُمْ لَهُ، وَمَحَبَّتُكُمْ لَهُ، وَإِثَارُكُمْ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِأَحَبِّ الْأَشْيَاءِ لَدَيْكُمْ، وَتَعْظِيمُكُمْ شَعَائِرَهُ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٢)</sup> وقد جعل الله هذه الضحايا والقرايين من شعائره، فقال: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> فعظّموها يا عباد الله، فإن أفضل الضحايا أعلاها ثمنًا، وأنفسها عند أهلها.

أيها المؤمنون.

إن من الشروط الواجبة في الضحايا أن تبلغ السنّ المعتمدة شرعاً، وهي ستة أشهر في الضأن، وستة في المعز، وستان في البقر، وخمس سنوات في الإبل، قال صلى الله عليه

(١) سورة الحج: ٣٧.

(٢) سورة الحج: ٣٢.

(٣) سورة الحج: ٣٦.

وسلم: (لا تذبحوا إلا مُسِنَّةً، إلا إن تعسّر عليكم، فتذبحوا جَذَعَةً من الضأن)<sup>(١)</sup> ،  
والمسِنَّة هي الثنية، فما فوقها من الإبل أو البقر أو الغنم.  
أيها المؤمنون.

إن من الشروط في الضحية أن تكون سليمة من العيوب، فعن البراء بن عازب رضي  
الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع لا تجوز في الضحايا: العوراء  
اليئن عورؤها، والمريضة اليئن مرضها، والعرجاء اليئن عرجها، والكبيرة التي لا تنقي،  
أي: التي لا مُخَّ في عظمها)<sup>(٢)</sup>.

فهذه العيوب مانعة من صحة التضحية، ويلحق بها ماشاها أو كان أشد منها،  
كالعمياء أو مقطوعة الرجل، ومما ينبغي تجنبه في الضحايا والهدي عضباء الأذن، وهي  
التي قُطِعَ نصفُ أذنها، أو كان في أذنها شقوقٌ أو خرووقٌ؛ لحديث علي رضي الله عنه  
قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن)<sup>(٣)</sup> أي: أن نكشف ونفحص  
ونتأمل سلامة العين والأذن، وهذه العيوب من شقوقٍ أو خرووقٍ أو قطعٍ في الأذن  
ليست مانعة من صحة الأضحية، ولكنها تنقص من أجرها.

فاحرصوا -ياعباد الله- على سلامة ضحاياكم وقرايبكم؛ فإن الله سبحانه وتعالى

(١) أخرجه مسلم (١٩٦٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٠٧١)، وأبو داود (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧)، والنسائي (٤٣٧١)، وابن حبان

(١٠٤٦)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

(٣) أخرجه الترمذي (١٤٩٨)، والنسائي (٤٣٧٦)، وابن ماجه (٣١٤٣) من حديث علي بن أبي طالب

رضي الله عنه، وصححه الترمذي.

طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، وعلى أهلِ سوقِ الماشية أن يتقوا الله سبحانه وتعالى، فلا يغلُّوا على الناسِ الأسعارَ، ولا يكذبوا عليهم، ولا يدلُّسوا، ولا يخفوا شيئاً من العيوبِ، بل عليهم بالصَّدقِ والبيانِ، فإنهما من أعظمِ أسبابِ البركةِ في المالِ، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (البِيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدَّقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركةُ بيعهما)<sup>(١)</sup>.

فألله الله، يا أهلِ المواشي بالصدقِ والبيانِ.

عباد الله، يا أمة محمد، أكثرُوا من الأعمالِ الصالحةِ في هذه الأيامِ، وتعرَّضوا لنفحاتِ الله ومواهبِهِ، وتزوَّدوا فإن خيرَ الزادِ التقوى، فاستكثرُوا من الطاعاتِ، وتخفَّفوا من المعاصي والموبقاتِ، فإن الحسناتِ تضاعفُ في هذه الأيامِ، والسيئاتُ تعظَّمُ وتغلَّظُ. أيها المؤمنون.

احرصوا على ذبحِ ضحاياكم بعد صلاةِ العيد؛ فإن من ذبحَ قبلَ أن يصليَ فلا ذبيحةَ له، قال صلى الله عليه وسلم: (من ذبحَ قبلَ أن يصليَ فليذبحْ أخرى مكانها، ومن لم يذبحْ فليذبحْ باسمِ الله)<sup>(٢)</sup>. أيها المؤمنون..

إن من الأعمالِ الصالحةِ في هذه الأيامِ صلاةُ العيدِ، فاحرصوا على صلاتها وشهودها، فإنها سنةٌ نبيكم ﷺ، فاخرجوا أيها المؤمنون إلى صلاةِ العيدِ حيثُ تُصلى، اخرجوا

(١) أخرجه البخاري (٢١١٠)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٨٥) من حديث جندب رضي الله عنه.

بأنفسِكُمْ وأولادِكُمْ وأهليكم، فعن أمّ عطية رضي الله عنها قالت: (أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نخرِجَ في العيدِ العواتقَ وذاتِ الخدورِ، حتى نخرِجَ الحيضَ، فيكُنَّ خلفَ الناسِ، فيكبرنَ بتكبيرِهم، ويدعون بدعائِهِم، يرجون بركةَ ذلكَ اليومِ وطهرته<sup>(١)</sup>)، فاخرجوا إلى المصليات، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون.




---

(١) أخرجه البخاري (٩٨٠).

## ٨٥- ذكرُ اللهِ تعالى وفضائله.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً، وسبحوه بكرةً وأصيلاً؛ فإنه سبحانه أظهر لكم في الآفاقِ والأنفسِ في السماواتِ والأرضِ من العجائبِ والآياتِ، ما يذكركم بالله ربكم، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، أظهر لكم سبحانه قدرته وبديع مصنوعاته لتذكروه وتشكروه، فجعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمراتِ رزقاً لكم، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، خلقكم أيها الناس من عدم، وأعطاكم العقولَ والأسماعَ والأبصارَ، سخر لكم الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ، فالتق الحب والنوى، قدر فهدى، وخلق فسوى، فلا إله إلا هو له الأسماء الحسنى فادعوه بها.

أيها المؤمنون! اذكروا الله تعالى، واعتبروا بهذه الآياتِ، تفكروا فيها فإن التفكر يعقبه التذكر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

عباد الله! إن أفضل أعمالِ أهلِ الإيمانِ ذكرُ الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ

(١) سورة ق (٣٧).

بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١﴾، روى الإمام أحمد وغيره بسندٍ صحيحٍ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَلَا أُنبئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ) (١).

فإذا ذَكَرَ العبدُ اللهَ تعالى بلسانٍ يخفِقُ معه القلبُ محبةً وتعظيماً لله تعالى، حصلَ بذلك أجراً عظيماً وسبقاً بعيداً، فإن الذكرَ الصادقَ يحيي القلوبَ ويطيّبها ويزكيها، ففي "صحيح البخاري" من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ) (٢).

وذكرُ الله أيها المؤمنون: سببٌ لذهابِ المخاوفِ أو تبديدها، وحصولِ الأمنِ والاطمئنانِ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٣)، فكلما ازداد العبدُ ذكراً لله انشرح صدره واطمأن فؤاده، وذهب عنه همُّه وغمُّه.

أيها المؤمنون! إن ذكر الله تعالى باللسانِ والقلبِ من أعظمِ أسبابِ تثبيتِ القلوبِ على الحقِّ والهدى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

(١) سورة الرعد (٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢١١٩٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، والحديث حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٤٣).

(٣) "صحيح البخاري" (٦٤٠٧).

(٤) سورة الرعد (٢٨).

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

وذكرُ الله أيها المؤمنون سببَ عظيمٍ من أسبابِ الانتصارِ على الشيطانِ، وإضعافِ كيده، وإبطالِ مكرِه، فإن الشيطانَ يهربُ من ذكرِ الله ويخنس ويضمحلُّ، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الشيطانَ إذا نودي للصلاةِ ولَّى وله ضُراط) <sup>(٢)</sup>، وشواهد هذا كثيرة في السنة النبوية المطهرة.

أكثرُوا أيها المؤمنون من ذكرِ الله تعالى في كلِّ حينٍ، سواءً بقراءة القرآن، أو بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والاستغفار، وسواءً بتعلم العلم أو تعليمه والدعوة إلى الله، فإنَّ ذلك كله من ذكرِ الله تعالى.

عباد الله! إن أقلَّ قدرٍ يلازمه العبدُ من ذكرِ الله تعالى الأذكارُ المؤقتة، كأذكارِ أدبارِ الصلواتِ، وأذكارِ الصباحِ والمساء، وأذكارِ النومِ والاستيقاظ، والأذكارِ المقيدة مثل ما يقال عند الأكلِ والشربِ واللباسِ والجماع، ودخولِ المنزلِ والمسجدِ والخلاءِ والخروجِ من ذلك، وعند المطرِ والرعدِ وما أشبه ذلك.

ومن أفضلِ ما جمع في ذلك من الكتبِ: كتابُ "الكلمِ الطيب" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

﴿١﴾ ﴿٢﴾

(١) سورة الأنفال (٤٥).

(٢) "صحيح البخاري" (٣٨٩)، ومسلم (٣٢٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

روى مسلمٌ في "صحيحه" من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسولُ الله ﷺ يذكرُ الله تعالى على كلِّ أحيانه".<sup>(١)</sup>

فاجتهدوا أيها المؤمنون في ذكرِ الله تعالى كثيراً كثيراً، واذكروا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فكان ﷺ أكملَ الخلقِ ذكراً لله تعالى، فكان ذكرُ النبيِّ لله تعالى يجري مع أنفاسِهِ صلى الله عليه وسلم، قائماً وقاعداً وعلى جنبِهِ، في مشيه وركوبِهِ ومسيره ونزوله وسفرِهِ وإقامته، فكان إذا استيقظَ من نومِهِ قال: ( الحمدُ لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشورُ )<sup>(٣)</sup>، ثم إذا صلى الفجرَ جلسَ في مصلاه يذكرُ الله تعالى حتى تطلعَ الشمسُ<sup>(٤)</sup>، وكان ﷺ يذكرُ الله تعالى عند دخول البيتِ والخروجِ منه، ويذكرُ الله تعالى على طعامِهِ وشرابه ولباسِهِ وجماعِهِ لأهلِهِ، وكان ﷺ يذكرُ ربَّهُ ومولاه إذا دخلَ الخلاءَ وإذا خرجَ منه، وكان ﷺ يفرغُ إلى ذكرِ الله عند المصائبِ والنوازل، وإذا غشاه كربٌ أو

(١) أخرجه مسلم (٣٧٣).

(٢) سورة المنافقون (٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣١٢) ومسلم (٢٧١١).

(٤) كما في مسلم (٦٧٠) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

غمٌّ أو حزنٌ أو همٌّ، وكان يذكر ربّه إذا أوى إلى فراشه، فكانت حياته كلها ذكراً لله تعالى، وفي المحفوظ من هديه وسنته من الأذكار والدعوات ما يشهد على أن ذكر الله تعالى استوعب شؤون حياة النبي ﷺ كلها، دقها وجلّها، صغيرها وكبيرها.

فاتقوا الله عباد الله واذكروا الله ذكراً كثيراً لعلكم تفلحون.



## ٨٦- العلم وفضله

## الخطبة الأولى

الحمد لله الذي شيّد منارَ الدِّينِ وأعلامه، وأظهر للخلق شرائعَه وأحكامه، وشرح صدورَ من أراد هدايتهم للإسلام ونورَ بالعلوم والمعارفِ الإلهية بصائرَ ذوي العقول والأفهام.

أحمده تعالى وأشكره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهد بذلك لنفسه في كتابه، واستشهد على ذلك بالملائكة الأبرارِ وأولي العلمِ الراسخين الأخيارِ، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>.

والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمةً للعالمين يتلو عليكم آياته ويزكيكم، ويعلمكم الكتابَ والحكمةَ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون. فصلي الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين وعلى سائر عباد الله الصالحين..

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، واعلموا أن أفضل ما اكتسبته النفوسُ وحصلته القلوبُ وعمرت به الأوقاتُ ونال به العبدُ الرفعةَ في الدارينِ هو العلمُ الذي يورثُ الإيمانَ؛ ولذا قرن الله سبحانه وتعالى بينهما فقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

(١) سورة آل عمران: ١٨.

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿١﴾ فالعلمُ حياةُ القلوبِ ونورُ البصائرِ وشفاءُ الصدورِ، وهو الميزان الذي يوزن به الرجالُ، وتوزن به الأقوالُ والأعمالُ.

به يتمكن العبد من تحقيق العبودية لله الواحد الديان. فهو الكاشف عن الشبهات والمزيل للشهوات. مذاكرته تسييح والبحث عنه جهاد وطلبه قرابة وبذله صدقة ومدارسته تعدل الصيام والقيام.

فالحاجة إلى العلم فوق كل حاجة فلا غنى للعبد عنه طرفة عين قال الإمام أحمد رحمه الله: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه وكيف لا تكون هذه منزلة العلم؟ وهو الذي به يعرف العبد ربه أسماؤه وصفاته وأفعاله وأمره ونهيه وبهذه المعارف يحصل العبدُ أكملَ السعادات وأشرفَ الغايات به يُخرج الله العباد من الظلمات إلى النور قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ ﴿٢﴾.

ولما كانت هذه منزلة العلم ومكانته جاءت نصوص الوحيين متضافرةً في الحث عليه وبيان فضله وفضل أهله وشحذ المهتم إليه.

فمما ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٢.

دَرَجَاتٍ ﴿١﴾ وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٢﴾ فما ثم إلا عالم أو أعمى وأهل العمى هم أهل الجهل والضلال.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ﴿٣﴾ قال ابن كثير رحمه الله: أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم أكمل؛ كانت الخشية له أعظم وأكثر.

وقال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤﴾ ففيها أن أفضل ما يعطى المرء القرآن والسنة.

وأما ماورد عن النبي ﷺ في بيان فضل العلم والحث عليه فأكثر من أن نحيط به في هذه العجالة، فمن ذلك ما أخرجه الشيخان عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ﴿٥﴾ وهذا يدل على أن من لم يفقهه الله في

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) سورة الرعد: ١٩.

(٣) سورة فاطر: ٢٨.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٥) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٧٣) من حديث معاوية رضي الله عنه.

الدين؛ فإنه لم يرد به خيراً، وأن من أراد به خيراً رزقه فقهاً في الدين مصاحباً للعمل بهذا الفقه.

ومن أعظم ماورد في بيان فضل العلم والحث عليه ما رواه أصحاب السنن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العبد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)<sup>(١)</sup>.

وهذه الفضائل والمناقب التي جعلها الله تعالى للعلم توضح مدى أهميته وأثره في تحقيق عبودية الله سبحانه وإصلاح أحوال الخلق.

والعلم الذي وردت فيه هذه المزايا إنما هو علم الوحيين الكتاب والسنة.

قال ابن القيم رحمه الله:

العالم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس

بالتمويه<sup>(٢)</sup>

وأمتنا اليوم هي أشد ما تكون حاجةً إلى العلم النافع الصحيح وإلى العلماء الذين يذبون عن أركان الشريعة، وهم أمناء الله من خلقه، وهم الواسطة بين النبي ﷺ وأمتيه،

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٢) من حديث أبي الدرداء ؓ.

(٢) "الفوائد" ص (١٠٥).

المجتهدون في حفظ ملته الذين هم بالشرع مستمسكون ولآثار الصحابة والتابعين مقتفون، لا يُعرجون على الأهواء ولا يلتفتون إلى الآراء. يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله.

فيا أمة العلم والقرآن هلا شمرنا عن سواعد الجد والاجتهاد وهجرنا السنة والرقاد وجفونا الملاهي والملذات، في سبيل تحصيل العلم الذي به تسمو الأقدار وتشرئب إلى أهله القلوب والأبصار، وتُحصل به الدرجات الكبار إذ العلم عز لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تتحيفه الدهور والأعوام فهو هبة بلا سلطان وغنى بلا مال ومنعة بلا أعوان.

فعليكم أيها الإخوة الكرام بميراث الأنبياء فاطلبوه من مظانّه واجتهدوا في تحصيله الليلي والأيام، وابدلوا في سبيل ذلك الأنفس والأموال، واسألوا الله سبحانه التوفيق إلى التمام والكمال واستعينوا على ذلك بالإخلاص والذكر اللذين بهما تُجتاز هذه المفاوز والقفار.

ومما يؤزنا إلى العلم أزا ويدفعنا إليه دفعا: أن نعلم أنه بالعلم يعبدُ المرءُ ربه على بصيرة وهدى، وبالعلم يدعو أهل الدعوة الخلق إلى الله على مناهج أولي الأبصار والنهى وبالعلم نميز الحق من الباطل ونفرق بين الهدى والضلال.

وبالعلم الصحيح الصادق والدعوة الخالصة المثابرة والجهاد الدائم في سبيل الله، تخرج أمتنا من أفناق التعاسات والظلمات والانتكاسات، إلى ساحات السعادات والأنوار والانتصارات، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ

الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيَّةٌ لِّتَهْتُمُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ  
بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ ولن يكون إيمان وعمل صالح إلا بعلم نافع، ولا

استخلاف ولا تمكين إلا بدعوة وجهاد.

وفضلاً وعنوان لكل المحامد

تعلم فإن العلم زين لأهله

إلى البر والتقوى وأعدل قاصد

تفقه فإنَّ الفقه أفضل قائد

هو الحصن ينجي من جميع الشدائد

هو العلمُ الهادي إلى سنن الهدى



## ٨٧- أهمية العلم الشرعي

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، واعلموا  
أيها المؤمنون أنه لن تستقيم لكم عبادةٌ صحيحةٌ، ولا تقوى نافعةٌ، إلا بالعلم الشرعي.

فعلم الكتاب والسنة أفضل ما اكتسبته النفوس، وعمرت به القلوب، وشغلت به  
الأوقات، فبه يرفع الله أقواماً ويضع آخرين، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>، فعلم الكتاب والسنة حياة القلوب ونور

البصائر وشفاء الصدور، هو الميزان الذي توزن به الرجال والأقوال والأعمال، به  
يتمكن العبد من تحقيق العبودية لله الواحد الديان، فهو الكاشف عن الشبهات  
والمهذب للشهوات، مذاكرته تسيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قرينة، وبذله صدقة،

ودراسته تعدل الصيام والقيام.

فالحاجة إليه فوق كل حاجة، فلا غنى للعبد عنه طرفة عين، قال الإمام أحمد رحمه

الله: "الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب، فالرجل يحتاج إلى الطعام

(١) سورة المجادلة: ١١.

والشرابِ مرةً أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعددِ أنفاسِه" (١).  
 وبالعلمِ الشرعيِّ أيها المؤمنون تعرفون ربِّكم، أسماؤه، وصفاته، وأفعاله، وبه تعرفون  
 أمره ونهيه وحدوده وشرعه، وبهذا كله تتحقَّق لكم خشيةُ الله سبحانه وتعالى، قال جلَّ  
 ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٢) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:  
 "أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة له أتم والعلم به  
 أكمل؛ كانت الخشية أعظم وأكثر" (٣).

عباد الله، وبالعلمِ تخرُّجون من الظلمات، وتُحصِّلون أكملَ السعاداتِ وأتمَّ اللذاتِ،  
 قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ  
 فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ  
 الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٥).

فيا بشرى ويا طوبى ويا سعادةً من اشتغل بالعلمِ الشرعيِّ تحصيلاً وطلباً، وعلماً  
 وعملاً، وتبليغاً وتعليماً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ  
 الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ عَمَلًا ظَاهِرًا  
 بِلَا عِلْمٍ فَهُوَ كَالضَّالِّ الضَّالِّينَ وَمَنْ يَفْعَلْ عَمَلًا ظَاهِرًا بِلَا عِلْمٍ فَهُوَ كَالضَّالِّ الضَّالِّينَ

(١) انظر "مدارج السالكين" (٢/٤٧٠).

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٤٤/٦.

(٤) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٥) سورة الرعد: ١٩.

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ .

وفي "الصحيحين" من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«مَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup> ، وفي جامع الترمذي بسندٍ لا بأسَ به: «الدُّنْيَا

مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَا وَآلَاهُ، وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا»<sup>(٢)</sup> .

ومن فضائل الاشتغال بعلم الكتاب والسنة يا عباد الله: ما رواه أصحاب السنن عن

أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ

اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ

لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ

الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا

وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»<sup>(٤)</sup> .

أيها المؤمنون.

إن أمتنا اليوم هي أشد ما تكون حاجة إلى العلم الصحيح، المبني على الكتاب

والسنة، وهي أشد ما تكون حاجة إلى العلماء الراسخين، الذين هم أركان الشريعة

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٢) "صحيح البخاري" (٧١)، وأخرجه مسلم (١٠٣٧).

(٣) "سنن الترمذي" (٢٢٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث حسنه الترمذي.

(٤) "سنن الترمذي" (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣)، وقال الترمذي: "ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث

عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل هكذا حدثنا محمود بن خدّاش بهذا الاسناد".

وأمناء الله من خلقه، والواسطة بين الأمة ونبينا ﷺ، العلماء المجتهدين في حفظ ملته، الذين هم بالشرع متمسكون، ولآثار السلف مقتفون، لا يصغون إلى الأهواء ولا يلتفتون إلى الآراء، يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله. أيها المؤمنون.

إن طلب العلم الشرعي واجب على كل أحد بحسبه، فإن من علم الشريعة ما لا يُعذر العبدُ بجهله وتركه، وذلك العلم الواجب هو الذي يستقيم به دين العبد، ويتمكن به من القيام بحق الله، سواء كان ذلك في العقائد أو الأحكام.

ويجمع أصول هذا العلم الواجب على كل أحد تعلمه في العقائد والأحكام حديث جبريل الطويل، والذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وعن أمارات الساعة، وفي آخره قال ﷺ لأصحابه: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)<sup>(١)</sup>.

فيا أمة السنة والقرآن، هلا شمّرنا عن سواعد الجد والاجتهاد، وهجرنا السنة والرقاد، وجفونا الملهي والملدات، وبدلنا خالص أوقاتنا ونفيس زماننا في تحصيل العلم النافع وبذله والدعوة إليه، فبالعلم وبذله ونشره تُرفعُ رايات الدين وأعلامه، وتنقمعُ رايات الشبهات والشهوات.

فعلیکم یا عبادَ الله بعزّ الدنيا والآخرة، علیکم بمیراث النبوة وتركة نبيكم محمد ﷺ، اطلبوها من مظانها واجتهدوا في تحصيلها الليالي والأيام، وابدلوا في سبيل ذلك الأنفس والأموال، فإن العلم من الجهاد في سبيل الله، أخلصوا لله سبحانه وتعالى

(١) أخرجه مسلم (٩) من حديث أبي هريرة ؓ.

نِيَاتِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتِغَىٰ بِهِ وَجْهَهُ.

وَفَضْلٌ وَعَنْوَانٌ لِّكُلِّ الْمُحَامِدِ

تَعَلَّمَ فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ

إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَأَعْدَلُ قَاصِدِ

تَفَقَّهُ فَإِنَّ الْفَقْهَ أَفْضَلُ قَائِدِ



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فإن العلم الشرعيَّ يُعدُّ إحدى أهمِّ الضرورات التي تحتاجها الأمة اليوم، فبالعلم الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة، وبالتعليم والدعوة الخالصة المثابرة تخرج أمتنا من أفناق التعاسات والظلمات والانتكاسات إلى ساحات السعادة والعزِّ والانتصارات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>، ولن يكون إيمان صادق ولا عمل صالح ولا عبادة صحيحة ولا سلامة من الشرك، إلا بالعلم النافع الصحيح، والدعوة المثابرة، والتعليم الناصح.

والعلم الشرعيُّ هو السبيل القويم لإصابة نهج الوسطية والاستقامة، فالعلم هو الضمانة الأولى التي تحفظ مسيرة العبد من الغلو في دين الله، أو التقصير فيه، فما أمر الله تعالى بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله سبحانه وسطٌ بين الجافي عنه والغالي فيه، وكلا الأمرين خطيرٌ، فكما أن الجافي عن الأمر مضيعٌ له، فالغالي في أمر الله مضيعٌ له كذلك<sup>(٢)</sup>.

فتعلموا العلم يا عباد الله، واجتهدوا في تحصيله، وعليكم بهدي السلف الصالح،

(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) مدارج السالكين ٢/٤٩٦.

الذين هم خيرُ القرون، وإيّاكم والجهل، فإن الجهل أصلُ كلِّ انحرافٍ وضلالٍ، قال ابن القيم رحمه الله:

والجهلُ داءٌ قاتلٌ وشفاءُؤه  
أمران في التركيبِ متفقانِ  
نصٌّ من القرآنِ أو من سنةٍ  
وطيبُ ذاك العالمِ الرِّبانِ<sup>(١)</sup>

فأقبلوا أيها الناسُ على كتابِ ربِّكم، وعلى سنةِ نبيِّكم، واسترشدوا بآراءِ أهلِ العلمِ الأثباتِ، وخذوا عنهم، فإن هذا العلمَ يحمله من كلِّ خَلْفٍ عدوُّه، وخذوا العلمَ يا عبادَ الله قبلَ ذهابِهِ، فإن ذهابَ العلمِ بذهابِ أهلهِ وحملتهِ، قال أبو الدرداءِ رضي الله عنه: "مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون، فتعلموا قبلَ أن يُرفعَ العلمُ، فإن رفعَ العلمِ ذهابُ العلماءِ"<sup>(٢)</sup>.

واحذروا يا عباد الله الذين يزهدونكم في العلمِ الشرعيِّ وأهلهِ، ويهونون من شأنه بأقوالهم أو بأفعالهم، فإن الذين يزهدون في العلمِ وأهلهِ إنما يزهدون في الدينِ والدعوةِ التي يحملها هؤلاء، وهذا الفعلُ لا يكونُ إلا من جاهلٍ أو صاحبِ هوى، فإن علمَ الشريعةِ قال الله، قال رسوله، قال الصحابة، فمن زهدَ فيه أو هوّنَ من شأنه، فقد زهدَ الناسَ في الكتابِ والسنةِ وهدى السلفِ الصالحِ.

فحثوا أيها المؤمنون أنفسكم وأهليكم وأولادكم على طلبِ العلمِ، وحضورِ حلِّقه، وقراءةِ كُتُبِهِ، وسماعِ أشْرطته، قال أبو الدرداءِ رضي الله عنه: "اغد عالماً أو متعلماً أو

(١) القصيدة النونية (٢٦٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣١٣/١٣.

مستمعاً أو محبباً، ولا تكن الخامس فتهلك" (١).

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا إِلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.



---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٧١/١.

## ٨٨- لماذا نتعلم العلوم الدينية؟

### الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

أيها الإخوة الكرام، غداً القريبُ يبدأ عامٌ دراسيٌّ جديدٌ، تفتح فيه دورُ التعليمِ أبوابها، وتستقبل رُؤادها من الطلابِ والدَّارسين، ذكوراً وإناثاً، ليتعلموا العلومَ والمعارفَ بشتى صنوفها وفروعها الدينية والدنيوية، ولا يخفى أن ذلك يكلفُ كثيراً من الدُّولِ والأممِ أموالاً طائلةً وجهوداً مضنيةً وأوقاتاً طويلاً.

فمن الجدير بنا مع إشراقةِ شمسِ هذا العامِ الدراسيِّ الجديدِ أن نسأل أنفسنا طلاباً ومعلمين، لماذا كلُّ هذه الجهودِ المسخرةِ والأموالِ المبذولةِ في التربية والتعليم؟ وفي الجوابِ على هذا السؤالِ نقول: إن العلومَ التي يتلقاها الطلابُ في جميعِ مراحلِ دراستهم نوعان:

**الأول:** علومٌ دينيةٌ وشرعيةٌ بها يعرفُ العبدُ ربَّه ومولاه، فيعرفُ الله تعالى وما يجبُ له من الربوبية والألوهية والأسماءِ والصفاتِ، ويعرفُ بها نبيه محمدًا ﷺ وحقوقه، ويعرفُ ما يحتاجه من الأحكامِ الشرعية، كأحكامِ الطهارة والزكاة والصيام والحجِّ والمعاملات وغير ذلك.

وهذا القسطُ من العلمِ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، إذ حاجةُ الناسِ إلى العلومِ الشرعيةِ فوقَ كلِّ حاجةٍ، وهذا النوعُ من العلمِ هو الذي جاءت النصوصُ الشرعيةُ

بإيجابه والحث عليه وبيان فضله.

**الثاني:** من العلوم التي يدرسها الطلاب في مراحل تعليمهم علومٌ مدنيةٌ دنيويةٌ، بها يتعلمُ الدارسون ما يصلحون به معاشِ الناسِ، ويسيّمون دُنياهم، ويحصلُ به عمارةُ الأرضِ، كعلومِ الطبِّ والحسابِ والفلكِ والصناعةِ والهندسةِ والزراعةِ وغير ذلك. وتعلمُ هذا النوعِ من العلومِ فرضٌ كفايةٌ على المسلمين، فإنه لا يشكُّ ناصحٌ بصيرٌ ولا عالمٌ خبيرٌ بأن تعلمَ العلومِ المدنيةِ الدنيويةِ العصريةِ أضحى اليومَ ضرورةً حياتيةً، ومسألةٌ مصيريةٌ بالنسبةِ لأمةِ الإسلامِ، فإننا أيها المؤمنون في سباقِ حضاريٍّ مع أُممٍ لا تعرفُ النومَ، أممٌ تصلُ الليلَ بالنهارِ، تسابقُ الريحَ عزيمةً ونشاطاً وجدّاً في جمعِ العلومِ وتحصيلِها، ثم الاستفادةِ منها وتسخيرِها في خدمةِ أهدافِها وغاياتِها ومصالحِها، فما أشدَّ حاجتنا أيها المؤمنون إلى إدراكِ هذه الحقيقةِ والعملِ على إشاعتِها بين المعلمين والمربين والطلابِ والمتعلمين، لئُدركوا الغايةَ من هذه الجهودِ المضنيةِ والأموالِ المبذولةِ في التعليمِ والتربيةِ.

أيها الإخوة الكرامُ، إن هذه الجهودَ الضخمةَ التي تبذلها الدولُ والأممُ ومؤسساتُ التعليمِ ليس غايتها أن يكون العلمُ تجارياً، تنتزَعُ بواسطتهِ الوظائفَ وتكتسبُ الأموالَ، بل غايتها الحقيقيةُ إصلاحُ دينِ المتعلمين ودنياهم، والارتقاءُ بالأمةِ والارتقاءُ بالبلادِ إلى درجاتِ العزِّ ومراتبِ الشرفِ، والسبقِ والسيادةِ.

أيها المعلمون وأولياءُ أمورِ المتعلمين، اتقوا الله تعالى فيمن استرعاكم الله إياهم، واحرصوا على تربيتهم وتعليمهم العلومَ النافعةَ، حببوا إليهم العلمَ والمعرفةَ، ورغبوهم فيها، اغرسوا في نفوسهم أنه لا سبيلَ للرفعةِ في الدينِ والدُّنيا إلا بالعلمِ .

فالعلمُ يرفعُ بيتاً لا عمادَ له والجهلُ يهدمُ بيتَ العِزِّ والشَّرَفِ<sup>(١)</sup>  
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

إن دينَ الإسلامِ دينٌ يعظّمُ العلمَ النافعَ، سواء كان علماً دينياً أو علماً مدنياً دنيوياً، ولا عجبَ في ذلك، فإن أولَ كلمةٍ ابتدأ بها الوحيُّ المنزَّلُ على محمدٍ النبي المرسل ﷺ هي قولُ الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>(٢)</sup> والقراءةُ مفتاحُ العلومِ وبابُها الأعظمُ.



(١) جواهر الأدب ٥١/٢.

(٢) سورة العلق: ١.

## ٨٩- العملُ بالعلم

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن العلم الذي حُمد في الكتاب والسنة أمره، وكثرت فضائله، وتعددت مناقبه، وسمت مراتب أهله، وأشهر سيرهم، وأبرز مآثرهم هو العلم النافع الذي يعرف به العبد ربه، فتورثه هذه المعرفة خشية الله ومحبة والقرب منه والأنس به والشوق إليه والعمل بشرعه والدعوة إلى دينه، قال الحسن رحمه الله: "العلم علمان: فعلم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع"، الذي تعلق به الدرجات وتوضع به السيئات، إذ إن العلم إذا رسخ في القلب صدقته الجوارح بالأعمال، قال الخطيب البغدادي رحمه الله في بيان منزلة العمل بالعلم: "إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه وإجهاد النفس على العمل بموجبه فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يعدُّ عالماً من لم يكن عاملاً.. فإذا كان العمل قاصراً عن العلم كان العلم كلاً على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كلاً، وأورث ذلاً، وصار في رقية صاحبه غلاً.. فلولا العمل لم يطلب علم ولأن أدع الحق جهلاً به أحب إلي من أن أدعه زهداً فيه".

عباد الله اعلموا أن نصوص الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة قد تواردت وتواطت على ذم ترك العمل بالعلم، قل العلم أو أكثر، فمن ذلك ما ذكره الله تعالى عن

اليهودِ عليهم لعنةُ الله حيث أعرضوا عن العملِ بالعلم، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ هَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> فحظُّ من لم يعمل بعلمه كحظِّ الحمار من الكتبِ التي أثقلت ظهره، قال ابن القيم رحمه الله عن هذه الآية: "فهذا المثل قد ضرب لليهود، فهو متناولٌ من حيثُ المعنى لمن هَمَل القرآنَ فترك العملَ به ولم يؤدِّ حَقَّهُ ولم يرعه حقَّ رعايته" (٢).

ومما ورد في ذمِّ ترك العمل بالعلم: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يبغضُ بغضاً شديداً أن تخالفَ الأعمالُ الأقوالَ.

وقد توعد الله ﷻ من ترك العمل بالعلم بعقوبةٍ شديدةٍ، ففي "الصحيحين" من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتابه - يعني أمعائه - فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: يا فلان! ما شأنك؟ ألسنتك كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت أمركم بالمعروف ولا آتية، وأناكم عن الشر وآتية)<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الجمعة: ٥.

(٢) الأمثال في القرآن الكريم (٢٧).

(٣) سورة الصف: ٢-٣.

(٤) "صحيح البخاري" (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

فيا له من موقفٍ عظيمٍ، تُعلنُ فيه الأسرارُ، وتشهرُ فيه الأخبارُ، فيظهر للخلق ما أضمرت ويبدى ما أخفيت، ويكشف ما أكننت، فالسرُّ يومئذٍ علانيةٌ، فمن طوى قلبه على البرِّ والإحسانِ فازَ برضا الرحيمِ الكريمِ الرحمنِ، ومن طواه على الفسقِ والعصيانِ والكفرانِ فضحَّه العليمُ الخبيرُ الديانُ.

ومما ورد في الحثِّ على العملِ بالعلم: ما أخرجه الترمذي وغيره عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ: عن عُمرِهِ فيمَ أفناه، وعن علمِهِ ما فعلَ فيه، وعن مالِهِ من أين اكتسبه و فيمَ أنفقهُ، وعن شبابِهِ فيمَ أبلاه) <sup>(١)</sup>.

وقد أدرك الصحابةُ رضي الله عنهم هذا المعنى، فهذا أبو الدرداء رضي الله عنه يقولُ فيما أخرجه البيهقي وغيره بسندٍ جيدٍ: "إنما أخشى من ربي يومَ القيامة أن يدعوني على رؤوسِ الخلائقِ فيقولَ لي: يا عويمر، فأقول: لبيك ربي فيقول: ما عملتَ فيما علمت" <sup>(٢)</sup>.

وقد قال ﷺ: "لن تكونَ بالعلمِ عالماً حتى تكونَ به عاملاً" <sup>(٣)</sup>.

وقد كان الصحابةُ رضي الله عنهم يحتفون بالعملِ ويعتنون به ويهتمون له، حتى إنهم كانوا إذا تعلموا عشرَ آياتٍ لم يجاوزوها حتى يعملوا بها فيها من العملِ، فتعلموا القرآنَ

(١) تقدم تخريجه في ص (٥٤٥).

(٢) شعب الإيمان (١٧١١).

(٣) أخرجه الدارمي (٢٩٣)، بإسناد حسن.

والعمل جميعاً.

وإليك ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حملة العلم، فقال رضي الله عنه:  
"يا حملة العلم، اعملوا به فإنما العالم من علمه ووافق عمله علمه"<sup>(١)</sup>.

وما منا إلا ومعه شيء من العلم قل أو كثر فلا تتوهم أخي أننا نريد غيرك أو نخاطب سواك، فعلينا أيها المؤمنون أن ننشغل بتحقيق ما علمناه من دين الله سبحانه، فكم هم الذين يعلمون أشياء من شرائع الدين وأحكامه وهم عن العمل بها معرضون وعنهما مشتغلون؟! غرهم ما معهم من العلوم والمعارف، فليت شعري هل علم هؤلاء أن العبرة بالعمل، إذ العلم بلا عمل حجة على صاحبه وقد صاح ابن الجوزي رحمه الله واعظاً نفسه لما رآها أقبلت على التشاغل بصورة العلم عن حقيقته وثمرته فقال - مخاطباً نفسه -: "فصحت بها: فما الذي أفادك العلم؟ أين الخوف؟ أين القلق؟ أين الحذر؟ أو ما سمعت بأخبار أخابر الأخابر في تعبدهم واجتهادهم؟ أما كان النبي ﷺ سيد الكل، ثم إنه قام حتى ورمت قدماه؟ أما كان أبو بكر شجياً الشيخ كثير البكاء؟ أما كان في خد عمر بن الخطاب خطان من آثار الدموع؟!"

ومضى- رحمه الله مع نفسه مذكراً، ولها واعظاً أما كان، أما كان؟ ثم قال موصياً نفسه: "احذري الإخلاق إلى صورة العلم مع ترك العمل به، فإنها حالة الكسالى"<sup>(٢)</sup>.  
وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل هي حالة والله في غاية الخسران ومنتهى الخبال،

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٣١).

(٢) صيد الخاطر (٢٢).

فإن أشدَّ الناسِ حسرةً رجلٌ نظرَ إلى علمِهِ في ميزانِ غيرِهِ، سعدَ به الناسُ وشقيَّ هو به، فالمسكينُ من ضاعَ عُمرُهُ في تحصيلِ علومٍ لم يعملْ بها ففاته لذاتُ الدنيا وزينتها وخسرَ. خيراتِ الآخرةِ ونعيمها، فقدم على الله مفلساً من كلِّ خيرٍ مع قوةِ الحجَّةِ عليه.

وهذا يصدِّقُ فيه ما قاله سفيانُ بن عيينةَ رحمه الله: "العلمُ إن لم ينفعك ضرَّك" (١).

ولو لم يكن من فوائدِ العملِ بالعلمِ إلا أنه يقِي المرءَ مصارعَ السوءِ ودركاتِ الشرِّ.

ومقاماتِ الخزيِ لكفى به حائلاً على الاستكثارِ منه والانشغال به والاهتمام به.

إذا العلمُ لم يعمل به كان حجةً عليك ولم تُعذرْ بما أنت حاملٌ

فإن كنتَ قد أبصرتَ هذا فإنها يُصدِّقُ قولَ المرءِ ما هو فاعلٌ (٢)



(١) جامع بيان العلم وفضله ١/٣٢٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٨.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاعلموا بارك الله فيكم أن العمل بالعلم من أعظم أسباب ثبوت العلم وحفظه ورسوخه؛ إذ العمل بالعلم يوجب تذكّره وتدبّره ومراعاته والنظر فيه، فإذا أهمل العبد العمل بعلمه كان ذلك سبباً لنسيانه واضمحلاله، فالبئر التي لا تُنرَحُ تنضب، وكان بعض من فقّه هذا يثبت علمه بالعمل، قال الشعبي رحمه الله: "كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به"<sup>(١)</sup>.

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله: "كنا نستعين في طلب العلم بالصوم".

فالعمل بالعلم من أبرز أسباب زيادته ونمائه وثباته؛ إذ العمل بالعلم من تقوى الله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>.

والعمل بالعلم والأخذ به أدعى لقبول الناس قول العالم، فإن قولاً أوّل من يخالفه قائله، شمسُه آفلة، ونجمُه زائل، وتأثيرُه غائب، وإنما يعرف الناس صدق الدعوات بثبات أصحابها عليها، وعمَلهم بها، فامتثال العلم في الواقع وترجمته في حياة الناس وإحيائه بالعمل به أبلغ وسائل الدعوة والتأثير، إذ النائحة الثكلي ليست كالنائحة المستأجرة، والعالم العامل يأخذ بمجامع العقول والألباب، وفي فلكه تدور

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢٥/٢.

(٢) سورة الأنفال: ٢٩.

قلوبُ العبادِ، إذ القولُ يحسُّه كلُّ أحدٍ، وإنما يتمايزُ الناسُ ويتفاضلون بالأعمالِ، والخلقُ إلى أن يوعظوا بالأعمالِ أحوجُّ منهم إلى أن يوعظوا بالأقوالِ، فعلى أهلِ العلمِ وطلبتهِ وأهلِ الصحوةِ والدعوة أن يتحسَّسوا أنفسهم، وأن يداووا ما قد يكون بنفوسِهِم من عِللٍ تصدُّ عن الحقِّ، وتصرفُ عن الهدى، فإنَّ الناسَ لا يأخذون عَمَّن اكتفوا من العلمِ بالانتسابِ، وارتضوا الخروجَ عنه بالأعمالِ؛ ولذا عابَ اللهُ على الذين يأمرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسُونَ أَنْفُسَهُمْ، فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان سفيان الثوري رحمه الله يردد قول الشاعر:

فإن كنتَ قد أوتيتَ علماً فإنما يُصدِّقُ قولَ المرءِ ما كان فاعله  
وقد امتدح اللهُ الصادقين في أقوالهم وأعمالهم فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> والناظرُ في سيرِ الأئمةِ الأعلامِ الذين سَمَتِ أقدارُهُم، وكان لهم لسانُ صدقٍ في الأمةِ يلاحظُ أن سِمةَ العملِ بالعلمِ انتظمتِ جميعَهُم، فلا تكادُ ترى رجلاً ممن أحيا اللهُ به ما اندرسَ من معالمِ الدِّينِ، أو ممن كُتِبَ لهم القبولُ لهجَتِ السُّنَنِ النَّاسِ بِذِكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، إلا وقد ضَرَبَ في العملِ بنصيبٍ وافٍ، فالعملُ بالعلمِ من أبرزِ ما يبلغُ الرجالَ منازلَ الرَّبَّانِيِّينَ، فالرَّبَّانِيُّ هو الذي علمَ وعملَ وعلمَ، فإنَّ العالمَ العاملَ هو من كان بعلمِهِ عاملاً ولعلمِهِ معلماً، قال الحسن

(١) سورة البقرة: ٤٤ .

(٢) سورة فصلت: ٣٣ .

رحمه الله في وصف العالم الرباني: "هذا حبيب الله، هذا وليُّ الله، هذا صفوةُ الله، هذا أحبُّ أهلِ الأرضِ إلى الله، أجاز الله في دعوتِهِ، ودعا الناسَ إلى ما أجاز اللهُ فيه من دعوتِهِ وعملِ صالحاً في إجابته، وقال إنني من المسلمين فهذا خليفة" (١).

والعملُ بالعلمِ سببٌ لتحصيلِ الحسناتِ ورفعِ الدرجاتِ؛ لذا قرَنَ اللهُ بينَ الإيمانِ والعملِ في كثيرٍ من النصوصِ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (٣).

ونظائرُ هذا في كتابِ الله كثيرةٌ، وفَقَّنا اللهُ وإياكم إلى علمٍ نافعٍ راسخٍ وإلى عملٍ

صالحٍ دائمٍ.



(١) الزهد لابن المبارك ٥٠٧/١.

(٢) سورة المائدة: ٩.

(٣) سورة البروج: ١١.

## ٩٠ - حقوق القرآن العظيم

### الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيها أيها المؤمنون.

اتقوا الله واشكروه على نعمة إنزال القرآن، الذي جعله الله ربيع قلوب أهل البصائر والإيمان، فهو كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصفه: "هو كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾" (١) من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم" (٢).

(١) سورة الجن: ١-٢.

(٢) سنن الترمذي (٢٩٠٦)، وقال: "حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال".

## أمة القرآن

هذه بعض أوصاف كتابكم الحكيم، وقد ذكر الله كثيراً من أوصافه في القرآن العظيم، بين في تلك الأوصاف وظيفة الكتاب ومهمته وعمله، وما يجب له من الحقوق والواجبات.

فمن ذلك أيها المؤمنون: أن الله وصف كتابه الحكيم بأنه روح، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾<sup>(١)</sup> فالقرآن العظيم روح، يحيي به الله قلوب المتقين، فله كم من ميت لا روح فيه ولا حياة، أحياء الله تعالى بروح الكتاب، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾<sup>(٢)</sup> فاطلبوا أيها المؤمنون حياة قلوبكم من كتاب ربكم، فلا أطيّب ولا أكمل من الحياة بروح القرآن. عباد الله.

إن من أوصاف القرآن العظيم: أنه نور، قال تعالى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ

(١) سورة الشورى: ٥٢ .

(٢) سورة الأنعام: ١٢٢ .

(٣) سورة التغابن: ٨ .

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾ فالقرآنُ يا عبادَ الله نورٌ تُشْرِقُ به قلوبُ المؤمنين، ويُضيءُ السبيلَ للسالِكين المتقين، وذلك لا يكونُ إلا لمن تَمَسَّكَ به، فعملٌ بأوامره وانتهى عن زواجره.

أيها المؤمنون.

إن من أوصافِ القرآنِ العظيمِ: أنه فرقانٌ، قال اللهُ تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿٢﴾ فالقرآنُ فرقانٌ، يفرِّقُ بين الحقِّ والباطلِ، وبين الهدى والضلالِ، وبين الغيِّ والرَّشادِ، وبين العمى والأبصارِ، وهو فرقانٌ، فرَّق اللهُ فيه وبه بينَ المؤمنين الأبرارِ، وبين الكافرين الفجارِ، فاحرصوا عبادَ الله على التَّحَلِّيِ بصفاتِ المؤمنين، والتخلي عن صفاتِ الكافرين والفاستقين.

أيها المؤمنون.

إن من أوصافِ القرآنِ العظيمِ: أنه موعظةٌ وشفاءٌ وهدى ورحمةٌ للمؤمنين، كما قال اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾.

فالقرآنُ يا عبادَ الله أبلغُ موعظةٍ، لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ، وهو أنجعُ الأدويةِ لما في القلوبِ من الآفاتِ والأمراضِ، ففي كتابِ الله تعالى شفاءُ أمراضِ

(١) سورة المائدة: ١٥-١٦ .

(٢) سورة الفرقان: ١ .

(٣) سورة يونس: ٥٧ .

الشبهات، وشفاء أمراض الشهوات، وهو هدى ورحمة لمن تمسك به، يدل على الصراط المستقيم، ويبيّن له المنهاج القويم، ويوضح سبيل المؤمنين. أيها المؤمنون.

هذه بعض الأوصاف التي وصف الله تعالى بها القرآن العظيم، وهي أوصاف عظيمة جليّة، تبيّن عظم قدر هذا الكتاب المجيد، الذي جعله الله خاتمة كتبه إلى أهل الأرض، فهو أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو أعظم آيات الأنبياء، فلم يؤت نبيّ مثل هذا القرآن العظيم، الذي أعجز نظامه الفصحاء، وأعيّت معانيه البلغاء، وأسّر قلوب العلماء، فصدق والله ربنا حيث قال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُقُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾<sup>(١)</sup>.



(١) سورة الزمر: ٢٣.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إن لهذا الكتاب العظيم حقوقاً كثيرة، وله علينا واجبات عديدة، فاتقوا الله عباد الله، وأدوا حقوقه وقوموا بواجباته.

فمن حقوقه أيها المؤمنون: وجوب الفرح به، فكتاب الله المجيد خير ما يُفرح به، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٥) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال أبو سعيد رضي الله عنه في هذه الآية: "فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله"<sup>(٢)</sup>، ومقتضى هذا الفرح يا عباد الله هو تعظيم هذا الكتاب، وإيثاره على غيره، فإنه والله خير من كل ما يجمعه الناس من أعراض الدنيا وزينتها. أيها المؤمنون.

إن من حقوق هذا الكتاب المجيد: تلاوته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوفِّيَهُمْ

(١) سورة يونس: ٥٧ - ٥٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٣٥٣.

أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾ وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ) (٣٢)، فحافظوا أيها المؤمنون على تلاوة القرآن، واستكثروا من ذلك، فإن تلاوة القرآن تجلي القلوب وتطهرها وتزكيها، وتحمل المرء على فعل الطاعات، وترك المنكرات، وترغبه فيما عند الله رب البريات. أيها المؤمنون.

إن من حقوق هذا الكتاب العظيم، والفرقان المبين: تدبر معانيه، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾، وقد ذم الله تعالى المعرضين عن تدبر كتابه، فقال جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٣٤).

فاتقوا الله عباد الله، وتدبروا كتابه العظيم، فإنه لا يحصل الانتفاع بالقرآن إلا لمن جمع قلبه عند تلاوته وسماحه، واستشعر أنه خطاب ربه جل وعلا إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد جاء عن بعض السلف رحمهم الله أنهم كانوا يقيمون الليل بآية واحدة، يرددونها ويتدبرون ما فيها.

أيها المؤمنون.

(١) سورة فاطر: ٢٩ - ٣٠.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٣) سورة ص: ٢٩.

(٤) سورة محمد: ٢٤.

إن من حقِّ هذا القرآنِ المجيدِ تعظيمه وإجلاله وتوقيره، فإنه كلامُ ربِّنا العظيمِ الجليلِ، وقد أجمع العلماء على وجوبِ تعظيم القرآنِ العزيزِ، وتنزيهه، وصيانته، فمن استخفَّ بالقرآنِ، أو استهزأ به أو بشيءٍ منه فقد كفر بالله العظيم، وهو كافرٌ بإجماعِ المسلمين، فعظّموا هذا الكتابَ يا عباد الله، واحفظوه من عبثِ العابثين.

عباد الله.

وإن من تعظيمِ القرآنِ ألا يمسه إلا طاهرٌ -أي: متوضئ-، ولا يقرأه جنبٌ، أي: من كانت عليه جنابة، ولا يجوز استدبارُه، أو مدُّ الرِّجلِ إليه، أو وضعه حيث يمتهن، فاتقوا الله وعظّموا كتابه ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من حقوقِ هذا الكتابِ الاستمساك به، كما أمر الله تعالى بذلك نبيّه صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> والاستمساك به يكون باتباعه، بإحلالِ حلاله وتحريمِ حرامه، والافتدائه به، والتحاكم إليه، وعدم الكفرِ بشيءٍ منه، كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

فاتقوا الله عبادَ الله، وتمسكوا بكتابِ ربِّكم تمسكاً صادقاً، تُرى آثاره في أعمالكم وأقوالكم وأخلاقكم، وأقبلوا عليه تلاوةً وحفظاً وتدبراً وفكراً وعِلماً وعملاً، فإنه من

(١) سورة الحج: ٣٢ .

(٢) سورة الزخرف: ٤٣ .

(٣) سورة الأعراف: ٣ .

اعتصم به فقد هُدي، فاعتصموا بحبل الله جميعاً أيها المؤمنون.



## ٩١ - صفات القرآن.

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فصدق رسول الله ﷺ لما كان يرددُ في خطبته: إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار، كيف لا يكون كذلك والمتأمل المتبصر - في كلام الفصحاء وأحاديث وأقاويل البلغاء يشهد بأن أصدق الحديث كتاب الله.

عباد الله، اتقوا الله الذي أمركم بتقواه واصطفاكم وخصصكم وأكرمكم بالقرآن العظيم، الذي تحدى به الإنس والجان، وأفحم به أهل الزيغ والطغيان، جعله ربيع قلوب أهل البصائر والعرفان، وقال في وصفه أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "هو كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكّر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى

قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾<sup>(١)</sup> من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم<sup>(٢)</sup>.

أمة القرآن، إن كتاباً هذه صفته حريٌّ بأن يتعرف عليه الألباء، ويتأمله ويتدبره الحكماء والعلماء، وأن يستمسك به كلُّ راغبٍ في النجاة، وخير ما يُعين على ذلك ما ذكره الله سبحانه له من الأوصافِ والأسماء، التي تعرّف بمهمته ودوره ورسالته، فإليك بارك الله فيك بعض هذه الأوصافِ والأسماء.

فمن تلك الأوصافِ: أن هذا الكتابَ رُوحٌ - مما وصف الله به تعالى كتابه المجيد - قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾<sup>(٣)</sup> فهو رُوحٌ يحيي به الله من يشاء من عباده، الأفراد والأمم والجماعات، فكم ميت لا روح فيه ولا حياة أحياءه الله تعالى بروح الكتاب، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الحياة بروح هذا الكتاب هي أسعد وأكمل وألذ أصناف الحياة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ

(١) سورة الجن: ١-٢ .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦) وتقدم ذكره.

(٣) سورة الشورى: ٥٢ .

(٤) سورة الأنعام: ١٢٢ .

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾، فالحياةُ بغيرِ هذه الروحِ، مهما توفّرت فيها أسبابُ المتعِ والراحةِ الأرضيةِ الماديةِ، إن لم تدب فيها روحُ القرآنِ وحياةُ الفرقانِ فهي أتعسُ وأنكدُ وأضيقُ حياةً، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من صفاتِ هذا الكتابِ العظيمِ -مما وصف الله به تعالى كتابه المجيد- أنه نورٌ، كما قال تعالى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالقرآنُ نورٌ تشرقُ به قلوبُ المؤمنين، ويضيءُ السبيلَ للسالكين المتقين، فبالقرآنِ يُخْرِجُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالتَّعَاسَاتِ إِلَى النُّورِ وَالسَّعَادَاتِ.

عباد الله! إنَّ هذا الكتابَ فرقانٌ، يميّزُ اللهُ به الخبيثَ من الطَّيِّبِ، قال اللهُ تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>، فالقرآنُ فرقانٌ يفرِّقُ بين الحقِّ والباطلِ، وبين الهدى والضلالِ، وبين الغيِّ والرشادِ، وبين العمى والإبصارِ،

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) سورة طه: ١٢٤.

(٣) سورة التغابن: ٨.

(٤) سورة المائدة: ١٥-١٦.

(٥) سورة الفرقان: ١.

وهو فرقانُ فرَّق اللهُ فيه وبه بين المؤمنين الأبرارِ وبين الكافرين الفجارِ، ميَّزَ به وفيه بين المصلِّحين والمفسدين والمفلِّحين عن الخاسرين، وبيَّن فيه وبه المهتدين من الضالين، وهو فرقانُ فرَّقَ فيه بين صفاتِ أهلِ الجناتِ وسبيلهم، وبين صفاتِ أهلِ النيرانِ وسبيلهم.

ومن أوصافه: أنه برهانٌ - أي: حجة - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾<sup>(١)</sup>، فهو برهان من الله لعباده المؤمنين وحزبه المفلِّحين، وهو حجةٌ على الضالِّين والزائغين، فالقرآنُ هو البرهانُ القاطعُ والدليلُ الواضحُ الساطعُ على الحقِّ والهدى؛ ولذلك كان وقعُه على أعدائه أشدَّ من وقعِ السيفِ والسَّنانِ.

أمَّةَ القرآنِ، إنَّ من أوصافِ هذا الكتابِ المبيِّنِ أنه موعظةٌ وشفاءٌ، وهدى ورحمةٌ للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالقرآنُ أبلغُ موعظةٍ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ، وهو أنجعُ الأدويةِ لما في الصدورِ والقلوبِ من الآفاتِ والأمراضِ والأدناسِ، ففيه الشفاءُ من أمراضِ الشبهاتِ والشهواتِ، وفيه علاجُ أمراضِ الأفرادِ والأممِ والمجتمعاتِ.

وهو هدى ورحمةٌ للمؤمنين، يبيِّنُ لهم الصِّراطَ المستقيمَ، ويدلُّهم على النهجِ القويمِ، ويوضِّحُ لهم معالمَ طريقِ الفائزينِ بجنَّاتِ أرحمِ الراحمينِ.

ومن أوصافه: أنه النُّبأُ - أي: الخبرُ العظيمُ - قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ \* أَنْتُمْ عَنْهُ

(١) سورة النساء: ١٧٤.

(٢) سورة يونس: ٥٧.

مُعْرُضُونَ ﴿١﴾ فهو عظيمٌ في وعده ووعيده وترغيه وترهيبه وأحكامه وأخباره، وهو عظيمٌ في أمثاله وأقاصيصه.

أيها المؤمنون.

هذه بعض الأوصاف التي وصف الله تعالى بها كتابه الحكيم، وهو العليم الخبير. والمتأمل في هذه الصفات وحقيقة انطباقها على الموصوف، يدرك إدراكاً لا مريّة فيه، ولا شك أنه أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم، بل أعظم آيات الأنبياء، كيف لا يكون كذلك، وهو الذي أعجز نظامه الفصحاء، وأعيت معانيه البلغاء والحكماء، فلم يأتوا بسورةٍ من مثله.

وكيف لا يكون كذلك وهو الذي أحدث الانقلاب العظيم والتغيير الكبير في عقائد العرب وتصوراتهم وعباداتهم وأفكارهم وأخلاقهم وسياساتهم وجميع شؤونهم، فبينما كان العربيُّ يعبد الأحجار والأشجار ويعاقر الخمر ويعاشر النساء ويقطع الأرحام ولا يعرف لوجوده غايةً، ولا يحمل بين جنبيه رسالةً أنزل الله على نبيه محمد ﷺ الفرقان، فانثقت من بين دفتيه خير أمةٍ أخرجت للناس، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

إن هذه الأمة التي ذكرها الله تعالى خرّجت من بين هدى، فتساقطت بين يديها أمم

(١) سورة ص: ٦٧-٦٨.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

الكفر والظلام، فأصبح ذلك العربي المغمورُ يَحمِلُ مشاعِلَ الأنوارِ، ليُخرِجَ الناسَ من عبوديَّةِ الطواغيتِ والأوثانِ إلى عبوديةِ الملكِ الدِّيَّانِ.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فإن الأوصاف التي ذكرها الله تعالى لكتابه الكريم لم يذكرها عبثاً ولا لمجرد التمدح والإطراء فحسب، بل ذكرها وكررها ونوعها ليبيّن لنا السبيل المستقيم والطريق القويم في التعامل مع القرآن الحكيم.

أيها الإخوة المؤمنون.

إن من أبرز أسباب تدهور الأمة وتخلّفها وتأخرها في مجالات الحياة كلّها هو ضعف أخذها بهذا الكتاب، وسوء تعاملها معه، فعلى سبيل المثال لذلك أقول:

كم هم الذين يعدّون القرآن الكريم هو مصدر التلقّي والتوجيه، وهو مصدر صياغة وبناء العقائد والعبادات والأخلاق والأفكار، ليعرفوا عدوّهم من صديقهم؟!

كم هم الذين يعدّون للقرآن ليميّزوا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؟!

كم هم الذين يجعلون القرآن إماماً لهم في جميع شؤون حياتهم، صغيرها وكبيرها، خاصّها وعامّها؟!

إنهم وللأسف نزر قليل وعدد يسير.

فالأكثر قد قنعوا من العمل بالقرآن والأخذ به بمجرد الدعوى، وقد صدق

القائل:

الدّعاوى إن لم تُقيموا عليها  
بينات أبنائها أذعيا

فأكثر الأمة اختزلوا مهمّة القرآن العظيم من موجه للأمة وقائد لها، إلى كتاب يرتله المرتلون ويترنّم به المترنّمون، ويتلوّنه آناء الليل وآناء النهار، يهدّونه هذا الشّعير،

وينثرونه نثر الدقل، هم أحدهم آخر السورة.

ومنهم الذين جعلوه تائمًا وتعاويدًا يضعونها في جيوبهم أو صدورهم أو مراكبهم أو فرشهم، يتبركون به ولا يلتفتون إليه في غير ذلك من الشؤون.

ومنهم الذين لا يعرفون كتاب الله إلا في المناسبات، في الأفراح أو الأتراح. وأما عقائدهم وعبادتهم وأخلاقهم وتصوراتهم وسياساتهم وشرائعهم واقتصادياتهم، فإن القرآن منها بريء، ومصادرهم فيها الشرق أو الغرب، أو قول القائل: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون.

أمة القرآن، إن الواجب علينا أن نأخذ هذا الكتاب بقوة وحزم، فنصوغ به قلوبنا وسلوكياتنا وحياتنا، وأن نستمسك به فنعالج مسائل اليوم، وننير به طريق الغد، بهذا تخرج الأمة فرادى وجماعات إلى حياة الناس، كما وصفها الله في كتابه، فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.



(١) سورة آل عمران: ١١٠

## ٩٢- من صفات المتقين .

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد .

فيا أيها المؤمنون.

أوصيكم بتقوى الله تعالى في السرِّ والعلنِ ، والغيبِ والشهادة، فإن تقوى الله تعالى  
أكرم ما أسررتم، وأزين ما أظهرتم، وأفضل ما ادخرتم، وخير ما تزودتم ﴿وَتَزَوَّدُوا  
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾<sup>(١)</sup>.

عباد الله! إن تقوى الله جل وعلا حقيقتها العملُ بطاعةِ الله تعالى إيماناً واحتساباً،  
أمراً ونهياً.

فالتقوى يا عباد الله، هو من يفعل ما أمر الله به إيماناً بالله وتصديقاً بوعدِهِ، وهو من  
ترك ما نهى الله عنه إيماناً بالله وخوفاً من عقابه، فالتقوى: هي التزام ما أمر الله، وترك  
ما نهى الله عنه؛ رجاء ثوابه، وخوفاً من عقابه، فتقوى الله جل وعلا ليست شعوراً  
فارغاً جامداً، لا أثر له ولا ثمر، بل هي مراقبة الله تعالى في السرِّ والعلنِ، قال عمر بن  
عبد العزيز رحمه الله: "ليس تقوى الله بصيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين

(١) سورة البقرة (١٩٧).

ذَلِكَ، لَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، فَمَنْ رَزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ" (١).

أيها المؤمنون.

إن للتقوى صفاتٍ وخصالاً وسماً وآداباً، جعلها الله سبحانه وتعالى دلائل على أهلها وعلاماتٍ يهتدى بها، تجمع أصول الاعتقاد وفضائل الشيم ومحاسن الأعمال وطيب الخصال.

فمن تلك الصفات: قول الله جل وعلا: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ وَسِعَ الْعَرْشَ جُودًا﴾. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ ثم وصفهم سبحانه وتعالى فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٢).

ومن صفات المتقين: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ

(١) الزهد الكبير للبيهقي (٩٧٠).

(٢) سورة البقرة (٢).

(٣) سورة البقرة (٣-٤).

وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾.

أيها المؤمنون.

إن من أبرز صفات المتقين: إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٢) قال تعالى في وصف عباده وأوليائه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (٣)، فحبُّهم وخوفُهم ورجاؤُهم وعبادتهم كلها لله وحده لا شريك له.

عباد الله! إن من صفات عباد الله المتقين: أنهم إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان، فقَصَّروا في الطاعات، أو انتهكوا شيئاً من المحرمات تذكروا فإذا هم مبصرون، فلا إصرار على الخطأ، ولا مُضِيٍّ في الغيِّ، بل إذا زلُّوا تابوا، وإلى ربِّهم أنابوا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٤)، وقال تعالى في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

أيها المؤمنون.

إن من صفات المتقين تعظيم شعائر الله - أي: تعظيم حدوده وشرائعه وأحكامه -

(١) سورة البقرة (١٧٧).

(٢) سورة البينة (٥).

(٣) سورة الفرقان (٦٨).

(٤) سورة الأعراف (٢٠١).

(٥) سورة آل عمران (١٣٥).

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>، فالمتقون يعظّمون طاعة الله وأوامره، فيحملهم ذلك على طاعته واتباع شرعه، ويعظّمون نهيّه فيمنعهم ذلك من معصيته ومخالفة أمره.

أيها المؤمنون.

إن من صفات المتقين: العفو عن المخطئين، والإعراض عن الجاهلين، والصفح عن المسيئين، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من صفات المتقين: العدل في الأمر كله، فهم عادلون في أقوالهم وأعمالهم وأهلهم وحكمهم وما وُلُّوا، عدلٌ مع القريب والبعيد والصديق والعدو والمسلم والكافر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾<sup>(٥)</sup>.

عباد الله.. إن من صفات المتقين: الصدق في الأقوال والأعمال، فإن الصدق يهدي إلى البرّ، والبرّ يهدي إلى الجنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

(١) سورة الحج (٣٢) .

(٢) سورة البقرة (٢٣٧) .

(٣) سورة الفرقان (٧٢) .

(٤) سورة الفرقان (٦٣) .

(٥) سورة المائدة (٨) .

الصَّادِقِينَ ﴿١﴾.

ومن صفاتهم: تركُ الشُّبُهَاتِ والملتبسَاتِ التي لم يتضح أمرُها، هل هي حلالٌ أو حرامٌ؟ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "لا يبلغُ العبدُ حقيقةَ التقوى حتى يدعَ ما حَاكَ في الصدرِ" (٢)، فلا يبلغُ العبدُ أن يكونَ من المتقين حتى يدعَ ما لا بأسَ به حذراً مما به بأسٌ.

فالملتقون يتورَّعون عن الشبهاتِ بتركها فإنه من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، أي: سلم له دينه وعرضه، وحمله ذلك على تركِ ظاهرِ الإثمِ وباطنه، ففي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: (فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَنْ تَرَكَ) (٣) عبادَ الله.. هذه بعضُ صفاتِ المتقين، الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، فأستغفر الله الذي لا إلهَ إلا هو، مِنْ وَصَفِ حَالِهِمْ وَعَدَمِ الْأَخْذِ بِأَعْمَالِهِمْ.



(١) سورة التوبة (١١٩).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان.

(٣) هو جزء من حديث النعمان السابق تخريجه، وهذه الزيادة عند البخاري (٢٠٥١).

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله الذي عمَّرَ بتقواه قلوبَ المتقين، وجَعَلَ تقواه سبيلَ النجاةِ للأولين  
والآخرين وبعده،

فإن تقوى الله أيها المؤمنون إذا استقرت في القلوب، وارتسمت بها الأقوال والأعمال  
أثمرت أحسن الثمار، وأعقت أطيب الآثار في الدنيا، وفي الآخرة دار القرار.  
فمن فوائدها يا عباد الله: أنها سببٌ لتيسير العسير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ  
لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وتقوى الله تعالى سببٌ لتفريج الكروب وإيجاد المخارج والحلول عند اشتباك  
الخطوب.

وهي سببٌ لفتح سبُل الاكتساب والازتراق، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ  
مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾<sup>(٢)</sup>.  
أيها المؤمنون..

إن من فوائده تقوى الله: الفوز بمعية الرحيم الرحمن؛ معية نصر. وحفظ وتمكين ﴿إِنَّ  
اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن فوائدها: أنها سببٌ للسلامة والنجاة من كيد الفجار ومكر الكفار، قال تعالى:

(١) سورة الطلاق (٤).

(٢) سورة الطلاق (٢-٣).

(٣) سورة النحل (١٢٢).

﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد تقوى الله جل وعلا: أن الله يعطي بها العبد نورا، يميّز به الحق عن الباطل، فهي فرقان يضيء المسالك والدروب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون..

اتقوا الله تعالى، فإن تقوى الله سبب لتعظيم الأجور ومضاعفتها وتكفير السيئات ورفع عواقبها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿﴾

(١) سورة آل عمران (١٢١) .

(٢) سورة الأنفال (٢٩) .

(٣) سورة الحديد (٢٨)

(٤) سورة الطلاق (٥)

## ٩٣ - أسباب القلق والفرح.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إن هذه الدار التي نحيا ونعيش فيها ليست دار قرار، بل هي دار زوالٍ وارتحالٍ، كثيرةٌ آلمها عديدهٌ همومها وغمومها، فأسباب الضجر والكدر والضيق والقلق في هذه الدنيا كثيرةٌ متنوعةٌ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾<sup>(١)</sup> أي: معاناةٍ وشدةٍ ومشقةٍ، والناظر في أحوال الناس يرى صدق هذا في واقعهم ومعاشهم، فالدنيا مجبولةٌ على الأكدار والشدائد:

جُبلت على كدرٍ وأنت تريدها صفاً من الأقدار والأكدار<sup>(٢)</sup>

وإنما يتمايز الناس ويفترقون في التعامل مع هذه الحقيقة، والتخلص من أسباب الضيق والكدر. أيها الإخوة الكرام.

(١) سورة البلد (٤) .

(٢) الكشكول ٢٠٦/٢ .

رغم ما نعيشه في هذا العصر. من وسائل الراحة وأسباب رغد العيش وهنائه، إلا أن معدل الضجر والقلق في ازديادٍ وعلوٍّ، وهذا يوجب على كل من رغب في السعادة أن يبحث عن أسبابها الحقيقية، التي يحصل بها سكون الفؤاد وصلاح البال واستقامة الحال وزوال الضجر والقلق.

أيها المؤمنون.

إن أعظم الأسباب التي تحصل بها طمأنينة النفس وتحمل مشاق هذه الحياة: الإيمان الصادق والعمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فبالإيمان الراسخ يهون على العبد ما يلقاه: «إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له»<sup>(٢)</sup> فهو في خير في كل ما يطرقه من المسرات والمكاره، فكل شيء بقضاءٍ وقدرٍ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(٣)</sup> فعلام الضجر والقلق؟! فالله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فالمؤمن الذي يبصر قضاء الله وقدره في كل ما يحدث له ويصيبه؛ يسلم من التخبط الناجم عن تقلب الأحوال.

أيها الإخوة الكرام.

إن مما يعين الإنسان على إزالة القلق والهَم من حياته أن يوطن نفسه على ملاقة ما

(١) سورة النحل (٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣١٨).

(٣) سورة القمر (٤٩).

يكرهه، فإن ذلك يهوّنه عليه ويزيلُ عنه شدّته ويعينُ الإنسانَ على الخروجِ مما حلَّ به ونزلَ. أما إذا كان الإنسانُ مقدّراً في كلِّ أموره أكملَ الأحوالِ وأحسنَ النتائجِ؛ فإن ذلك يوقّعه في كثيرٍ من الأزماتِ والضوائقِ. أيها المؤمنون.

إن مما يزيلُ القلقَ والضعفَ: أن يتخلّى الإنسانُ عن الأوهامِ والخيالاتِ، فإن الاستسلامَ للأوهامِ والخيالاتِ من أعظمِ المنغصاتِ.

ومن أبرزِ هذه الخيالاتِ التي يعاني منها كثيرٌ من الناسِ التخوّفُ من المستقبلِ والمجهولِ، والاشتغالُ بذلك عن معالجةِ الواقعِ والحاضرِ، فيخسر. بذلك إصلاحَ يومه بسببِ همٍّ يومٍ لم يدركه، بل قد لا يدركه، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> فإياكم أيها الإخوة والاستسلامُ للأوهامِ والخيالاتِ، بل ثَقُّوا باللهِ تعالى واركنوا إليه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ إن كنتم مؤمنين<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إنَّ مما يساعدُ المرءَ على اجتيازِ المشكلاتِ والأزماتِ أن لا يعطيَ المشكلةَ أكبرَ من حجوها، فإن ذلك يخلقُ القلقَ والاضطرابَ، وهذا سببٌ لتشتتِ أفكاره وغرقه في مشكلاتٍ متعاقبةٍ لا مخرجَ له منها.

(١) سورة محمد (٢١، ٢٠).

(٢) سورة المائدة (٢٣).

ومما يعين على الخروج من القلق والضيق أن يستشعر المرء أن الشدة والضيق مهما طالا فهما إلى زوال، فدوام الحال من المحال؛ وهذا الشعور يفتح له أبواب الأمل ويعينه على الصبر؛ وبالصبر يتخطى المرء الصعاب، فما أعطي أحد عطاء خيراً ولا أوسع من الصبر.

ومما يعين على حصول السعادة وزوال الكدر كثرة ذكر الله تعالى.



## الخطبة الثانية

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث إلى عامة الورى بالحق والهدى والنور والضياء، وعلى آله وأصحابه الأطهار الأنقياء، وعلى سائر عباد الله الأتقياء.

أما بعد.

عباد الله، اعلموا أننا عندما نتحدث ونتكلم عن العلم وفضله ومنزلة أهله؛ فإننا لا نخاطب بذلك فئة من الناس، أو شريحة من المجتمع، بل نتحدث ونخاطب الجميع الصغير والكبير، الذكر والأنثى، فالعلم ليس وقفاً على طائفة من الناس، لا يرده غيرهم، بل هو مباح للجميع، إذ العلم يحتاجه كلُّ أحد، فحريُّ بنا -كباراً وصغاراً ذكوراً وإناثاً- أن نبذل قُصارى جهدنا في تحصيل العلم وكسبه. فلا يمتنع كبيراً كِبَرُ سنه أن يطلب العلم ويتفقه ويستدرك ما فات من عمره؛ فإن استدرك المعالي فضيلة، ولأن تكون كبيراً متعلماً أولى من أن تكون كبيراً جاهلاً، وقد حُكي أن بعض العلماء رأى شيخاً كبيراً يحب العلم ومجالسه، إلا أنه يستحي من كبر سنه فقال له: يا هذا أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل منك في أوله؟

والمطالع في سير العلماء الفضلاء والأئمة النبلاء، يرى أن بعض كبار من ذاع صيتهم وعلا ذكرهم وترددت أسماؤهم في مجالس الذكر وكتب العلم ودواوين السنة؛ لم يبدؤوا رحلتهم في طلب العلم وتحصيله، إلا بعد أن تقدمت بهم السن، ومع هذا كله حازوا الفضائل وبلغوا الأمانى وكان لهم من الأثر في زمانهم وبعده ما حفظه التاريخ لهم، والسر في هذا أن العلم فضلٌ من الله تعالى ومنه ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ فليست الفضائل العلمية والمراتب العلية مرهونة  
بالأسباب المادية من حضور الحلق وقراءة الكتب وثني الركب فحسب، بل الأمر  
أعظم من ذلك، فالعلم حقيقته ما قاله الأول:

فتلك مواهبُ الرحمنِ ليستُ تحضُّلُ باجتهادٍ أو بكسبٍ  
ولكن لا غنى عن بذلِ جهدٍ بإخلاصٍ وجدِّ لا بلعبٍ ﴿٢﴾

فعلیکم -یا من سلکنتم دروب العلم وركبتم مناهج الطلب- بصدق التوجه إلى الله  
تعالى، ودعائه بذلٌ وخضوع أن يرزقكم علماً نافعاً، قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ  
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣﴾ .

أيها المؤمنون.

اعلموا أن من العلم ما لا يعذر العبد بجهله وتركه، وضابط هذا العلم أنه هو الذي  
يستقيم به دين العبد، سواءً كان ذلك في العقائد أو الأحكام، ويجمع أصول ما يجب  
معرفته في العقائد والأحكام حديث جبريل الطويل، والذي فيه أنه سأل النبي ﷺ عن  
الإسلام والإيمان والإحسان وعن أمارات الساعة، فإن في آخر الحديث قال النبي ﷺ

(١) الحديد: ٢١.

(٢) "مدارج السالكين" (٢/٥٠٨).

(٣) فاطر: ٢.

لأصحابه: (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)<sup>(١)</sup> وقد تيسرت للأمة في هذه الحقبة من التاريخ سبيل العلم ووسائل تحصيله، فالدروس قائمة والمحاضرات متوافرة والأشرطة العلمية والكتب الدينية منتشرة ميسرة. فهل بعد هذا من عذر أم هل بعد ذلك من مبرر لتفشي الجهل بين الأمة؟ لا، ولكنه الإعراض عن الخير والزهد في البر والرضا بالجهل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فمن كانت هذه حاله فإنه يُحشى أن لا يُرجى فلاحه، ولا يؤمل صلاحه، فإن من أعرض عن العلم أعرض الله عنه، ومن تركه وأدبر عنه كان ضلاله مستحكماً ورشاده مستبعداً، وكان هو الخامس الهالك الذي قال فيه أبو الدرداء رضي الله عنه: (اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محبباً ولا تكن الخامس فتهلك)<sup>(٢)</sup>. وقال ابن القيم رحمه الله:

والجهل داء قاتل وشفاءؤه أمران في التركيب متفقان

نص من القرآن أو من سنة وطيب ذلك العالم الربان<sup>(٣)</sup>

وفقنا الله وإياكم إلى العلم النافع الراسخ ورزقنا أوفر الحظ والنصيب.



(١) أخرجه مسلم في الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٩.

(٢) رواه البيهقي في المدخل "٣٨١" ص ٢٦٩، والفسوي ٣ / ٣٩٨، وانظر "جامع بيان العلم وفضله" (٧١/١).

(٣) "متن القصيدة النونية" ص (٢٦٥).

## ٩٤ - أنواع من الابتلاءات والفتن

### الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها الناس.

اتقوا الله ربكم، وراقبوه في جميع أحوالكم، فيما تسمعون وتبصرون وتقولون، واتقوه فيما تأتون وفيما تدرؤن ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

عباد الله، إن هذه الدار التي تسكنون ليست دار قرار ولا مقام، بل هي دار ابتلاء وامتحان واختبار، كلنا فيها مختبر ممتحن، قال الله تعالى: ﴿الْم. أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُرْكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فأنت يا عبد الله في امتحان واختبار، ابتداءً من حين جريان قلم التكليف عليك ببلوغك سن الرشد، وينتهي هذا الابتلاء والاختبار بموتك وخروج الروح منك:

(١) سورة الإسراء (٣٦).

(٢) سورة العنكبوت (١-٣).

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

فمن منّا يا عبادَ الله يستصحبُ هذا الأمرَ معه؟! من منّا يستحضرُ أنه في اختبارٍ عظيمٍ، فيحسنُ العملَ لله ربِّ العالمين؟!!

إنَّ أكثرنا أيها الناسُ عن هذا لغافلون، وبغيره مشغولون ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن ابتلاءَ الله لعباده له صُورٌ عديدةٌ مختلفةٌ، يميزُ الله بها الخبيثَ من الطيبِ والصادقَ من الكاذبِ.

مما يبتلي الله به عباده السراءَ والرَّخاءَ، لينظرَ جلَّ وعلا أتشكرون أم تكفرون؟ أتحفظون النعمَ بقبولها وشكرها والثناءِ على المنعمِ بها، واستعمالها في طاعةِ ربِّكم، أم تكفرونه بالطغيانِ والاستكبارِ والجحودِ وإنكارِ إحسانِ المنعمِ بها، واستعمالها فيما يغضبُ الله المتفضلَ بها؟

فاتقوا الله عبادَ الله، واشكروا الله على نِعَمِهِ.

أيها المؤمنون.

إنَّ مما يبتلي الله به عباده: الشدةُ والضراءُ لينظرَ أتصبرون أم تجزعون؟ أتتضرعون وتنبون أم تُصرون وتستكبرون؟ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ

(١) سورة الإنسان (٢).

(٢) سورة المؤمنون (٦٣).

جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠﴾. ﴿وَلِنَبْلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ  
وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿١١﴾.

أيها المؤمنون.

إن مما ابتلى الله به عباده: شرائع الدين من الواجبات والمنهيات، فإن الله تعالى أمركم بأشياء، ونهاكم عن أشياء، لينظر أطيعون أم تعصون؟ أتستجيبون أم تعرضون؟ فيا أيها المؤمنون ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

عباد الله، إن مما ابتلاكم الله به: الشهوات من النساء والأولاد والأموال. ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ﴿١٣﴾، فإن الله قد حدَّ فيها حدوداً، وفرض فرائض؛ ليرى من يخاف مقام ربّه وينهى النفس عن الهوى، ممن اتَّبَعَ هواه وآثر الحياة الدنيا؛ فأقبل على الشهوات، لا يراعي فيها لله تعالى أمراً ولا نهياً، فالحلّال من المال ما حلَّ في يده ولو كان بغير حقٍّ، أقبل على المحرمات فرزنت عينه بالنظر المحرّم، وزنت أذنه بسمع المحرم، وزنت يده بالمسّ المحرّم، وزنت رجله بالمشي إلى المحرمات، والفرج يصدّق ذلك أو يكذبه.

(١) سورة آل عمران (١٤٢).

(٢) سورة محمد (٣١).

(٣) سورة الأنفال (٢٤).

(٤) سورة التغابن (١٥).

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واتقوا الدنيا، واتقوا النساء، وإياكم والُولُوعَ في الشهواتِ المحرمةِ، فإن النار قد حُفَّتْ بالشهواتِ، والجنةُ حُفَّتْ بالمكاريه. أيها المؤمنون.

إن من أعظم ما يتلي الله به عباده الشُّبُهَاتِ التي يقدِّفها شياطينُ الإنس والجن في قلوب الخلق ليشكِّكُوهم في الله ربِّ العالمين، وفي صدقِ محمدٍ خاتمِ النبيين، ويصدوهم عن السبيلِ، ويُزيغوا قلوبهم عن الهدى والحقِّ المبين، فيخفُّ في قلوبهم تعظيمُ الله ربِّ العالمين، فيكذبون أخباره، ولا يسلمون لأحكامه، فالحذرَ الحذرَ يا عبادَ الله من هؤلاء المشبِّهين المشكِّكين، فلا تسمعوا لأحاديثهم، ولا تقرؤوا كتاباتهم، ولا تغشوا مجالسهم، بل فرُّوا منهم فراركم من الأسدِ ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون! إنه لا نجاةَ لكم من أهلِ الزَّيغِ والشُّبُهَاتِ والشُّكوكِ إلا بالاستمساكِ بالكتابِ المبين، والرجوعِ إلى سنةِ خاتمِ النبيين في دقيقِ الأمرِ وجليه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واحذروا الشبهاتِ وأهلها، فإنهم في هذه الأزمانِ كثيرٌ، فاحذروهم سواءً في كتاباتهم أو براجمهم أو قنواتهم.

(١) سورة المنافقون (٤).

(٢) سورة النساء (٦٥).

فإن تنج منها تنج من ذي عزيمة وإلا فإنني لا إخالك ناجياً  
فكلُّ شبهةٍ يثيرها هؤلاء إنما ترجعُ إلى جهلٍ أو سوءِ قصدٍ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(١)</sup> ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فقولوا أيها المؤمنون لهؤلاء: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً.  
عباد الله، هذه بعضُ الابتلاءاتِ والامتحاناتِ التي يمتحنكم اللهُ بها، فخذوا للأمرِ  
عَدَّتَهُ، فإن نتيجةَ هذه الاختباراتِ فريقٌ في الجنةِ وفريقٌ في السعيرِ.  
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ.

﴿﴾

(١) سورة محمد (٢٤).

(٢) سورة النساء (٨٢).

## ٩٥- من مظاهر اتباع الهوى وانتشار الجهل.

الخطبة الأولى.

الحمد لله الذي أبان معالم الحق وأوضعه، وأنار مناهج الدين القويم وبينه، أحده جل جلاله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بين السبيل، ودعا إلى الصراط المستقيم، حتى ترك الأمة على بيضاء نقية، فالحلال بين والحرام بين، والسنة ظاهرة والبدعة بيّنة فذ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»<sup>(١)</sup> فصلى الله على نبينا محمد .

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، فإنه قد ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ. وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن لاقتراب الساعة علامات كثيرة، منها:

أن يقل العلم ويظهر الجهل ويكثر القراء ويقل الفقهاء، ويتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فيسألون فيمتون بغير علم، فيضلون ويضلون.

كل هذا مما جاءت به الأخبار الصحاح عن النبي ﷺ ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

(١) تقدم تخرجه.

(٢) سورة القمر (١-٤).

تَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

أيها المؤمنون.

إن مما يؤرِّقُ أصحابَ القلوبِ الحيَّةِ، الذين يغارون على شريعةِ ربِّ العالمين ظهورَ هذه العلاماتِ في واقعٍ كثيرٍ من الناسِ اليومَ، فإن قطاعاً عريضاً من المسلمين يعيشون جهالاتٍ عظيمةً، جهلوا فيها كثيراً من أصولِ الدِّينِ وقواعدهِ مع كثرةِ القراءِ وتوفيرِ أسبابِ العلمِ، وقد صدقَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه حيث قال: "كيف بكم إذا قلَّ فقهاؤكم وكثُرَ قراؤكم؟" (١).

أيها المؤمنون.

إن ظهورَ هذه العلاماتِ، نذيرٌ شرٌّ يوجبُ على كلِّ ناصحٍ للأمةِ مشفقٍ على الملةِ أن يحذرَ من الجهلِ، وأن يبينَ صورَه وينبئه على مظاهرِ هذه العلاماتِ وصورِها في حياةِ الناسِ، ليهلكَ من هلكَ عن بينةٍ ويحيى من حيَّ عن بينةٍ.

أيها الناس.

إن في حياةِ الناسِ اليومَ صوراً عديدةً، ينظمها سلكٌ واحد، وهو صدقُ ما أخبرَ به النبي ﷺ من قلةِ العلمِ وظهورِ الجهلِ واتباعِ الهوى وإعجابِ كلِّ ذي رأيٍ برأيه.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ

(١) سورة النحل (٤٣).

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/١.

فُرْقَانًا وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠﴾ .

أيها المؤمنون.

إن من صورِ قلةِ العلمِ وظهورِ الجهلِ، إعراضِ كثيرٍ من الناسِ عن تعلُّمِ ما يجب عليهم تعلُّمه من أحكامِ الدين التي يحتاجونها في عباداتهم أو معاملاتهم أو غير ذلك من شؤون حياتهم، فكثيرٌ من المسلمين يعيشُ حياته ويزاولُ نشاطه وأعماله دون مراجعةٍ لكتابِ الله أو سنةِ رسوله صلى الله عليه وسلم، ليعلم حكمَ الله فيما يأتي ويذرُّ، فكثيرٌ من الناسِ يقدم على فعلٍ ما يشكُّ في تحريمه أو صحته أو حكمه، دون بحثٍ ولا سؤالٍ عن حكمِ الله تعالى في ذلك، فيقعُّ في آثامٍ عديدةٍ وأزماتٍ كثيرةٍ، قد لا يحسن الخروجَ منها، ولو أنه أخذَ بقولِ الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> لجنَّب نفسه الإثم والردى، ولكن الشيطان زين له تركَ السؤالِ لبقية في مستنقعِ الجهلِ والظلماتِ، وليكثر عليه من الآثامِ والسيئاتِ.

أيها المؤمنون.

إن بعضَ الناسِ ممن ضعف قدرُ الدين في قلوبهم، يسوِّغ لنفسه تركَ السؤالِ عما يحتاجه من مسائلِ العلم والدين، بحجة أن الدين يسرُّ، أو بأن الله قد قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> أو غير ذلك من الشبهاتِ

(١) سورة الأنفال (٢٩).

(٢) سورة النحل (٤٣).

(٣) سورة الأنبياء (٧).

الباردة والأوهام الفاسدة، التي تدلُّ على ضعف الإيمان وخفَّة قدر الدين في القلب.  
أيها المؤمنون.

إن الدِّينَ - والله الحمد والمنة - دين يسرٍ، لا حرج فيه ولا ضيق، لكنه دينٌ شاملٌ عظيم شرع الله فيه ما تحصل به مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وفرض على أهله أن يتعلَّموا ما يقوم به دينهم، فطلَّب العلم فريضةً على كلِّ مسلم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلا يسوغ لمؤمن صادق الإيمان أن يُعرض عن السؤال والتعلم بحجة أن الدين يُسر.

أيها المؤمنون.

إن من صورِ ظهورِ الجهل: أن يعتذر بعضُ الناس عن تركِ السؤالِ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾<sup>(١)</sup> فإن هذه الآية نزلت في أقوام كانوا يسألون النبي ﷺ تعتُّوا واستهزاءً، فنهى الله عز وجل أهل الإيمان عن ذلك لعدم نفع هذه الأسئلة وشوْم عاقبتها، أما السؤال عن الأحكام الشرعية والعلوم الدينية، فإنه مما أمر الله به وحثَّ عليه في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فيا أيها الأخ المبارك، إياك وترك السؤال عما تحتاجه من أمور دينك، فإنه لا عذر لك عند الله تعالى، إذا تركت السؤال عما تحتاجه، مع وجود من يجيبك ويدلُّك على الحق والهدى.

أيها المؤمنون.

إن من صورِ ظهورِ الجهلِ واتباعِ الهوى، ما يقعُ فيه بعضُ الناسِ من تبريرِ ما هم عليه من المعصية والإثم، وتسويغِ ما هم عليه من الخطأ، بأن فيما يواقعونه من المعاصي خلافاً بين أهلِ العلمِ، فإذا قيل للواحدِ من هؤلاء: اتقِ اللهَ واتركِ المعازفَ والغناءَ. أجاب بأن العالمِ الفلاني يرى جوازَ الغناءِ والموسيقا. وإذا قيل له: اتقِ اللهَ ودعِ الربا. قال: إن العالمِ الفلاني أباح الفوائدَ الربويةَ. وإذا قيل له: اتقِ اللهَ وصلِّ مع الجماعة. قال: في المسألةِ خلافٌ بين أهلِ العلمِ والأثرِ.

فله حجةٌ على كل سيئةٍ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فلا شكٌ عندي أن هذا ممن اتخذوا دينهم هُزُواً ولعباً، لم يقصدوا اتباعَ الدليلِ، وإنما يفتشُ عما يسوِّغُ له معصيةَ اللهِ الجليلِ، ولذلك فهو مجتهد في جمع الهفواتِ وتتبعِ الزلاتِ التي يقعُ فيها هذا العالمُ أو ذاك؛ ليحلَّ بها لنفسه المحرمات، أو يسقط عنها الفروضَ والواجباتِ، فيختار في كلِّ مسألةٍ ما يوافق هواه.

أما علم هذا المتهوِّكُ أن اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو عالمُ الغيبِ والشهادة، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ؟! فليتنقِ اللهَ كلُّ واحدٍ منَّا فإنه لا يجوز لنا العملُ بقولٍ من أقوالِ أهلِ العلمِ في إباحةِ محرمٍ اشتهر الإفتاءُ بتحريمه، أو تركِ واجبٍ شاعَ القولُ بوجوبه بلا بينةٍ ولا برهانٍ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الجاثية (٢٣).

(٢) سورة النحل (٤٣).

أيها المؤمنون.

إنَّ الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بينَ وبينهما أمورٌ مشتبهُاتٌ، فالواجبُ في الحلالِ إحلالُه، والواجبُ في الحرامِ تحريمُه واجتنابُه، والواجبُ في المشتبهُاتِ اجتنابُها، فمن تركَ الشبهُاتِ فقد استبرأَ لدينِه وعرضِه، ومن وقعَ في الشُّبُهاتِ فقد وقعَ في الحرامِ

: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، واحذروا أن تقولوا في دينه وشرعه ما ليس لكم به علم، فإن من الناس من إن قيل له: افعلْ أو لا تفعلْ كذا قال: إن هذا حلالٌ أو ذاك حرامٌ بلا بينةٍ ولا برهانٍ، أو: إن العالم أو الشيخ الفلاني يبيحه أو لا يوجبُه، وهو كاذبٌ في قوله .

فاتقوا الله عبادَ الله، واحذروا الكذبَ على الشَّرعِ أو على أهلِ العلمِ، فإن الكذبَ على الشَّرعِ أو على أهله ليس كالكذبِ على غيرهما، فلا تنسبْ إلى الشَّرعِ حكماً أو إلى عالمٍ قولاً، إلا إذا كنت قد علمته وعقلته عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾<sup>(١)</sup>. ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

أيها المؤمنون.

إن من صورِ ظهورِ الجهلِ واتخاذِ الناسِ رؤوساً جهالاً: ما يقعُ فيه كثيرٌ من الناسِ من سؤالِ كل من هبَّ ودبَّ عن أحكامِ الشَّرعِ، ومسائلِ الدِّينِ، فتجدُ الواحدَ من هؤلاءِ إذا وقعتْ له واقعةٌ احتاجُ إلى السؤالِ عنها، سألَ أيَّ أحدٍ ولم يتحرَّرْ في سؤاله أن يسألَ أهلَ العلمِ الأثباتِ، الذين قال الله فيهم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ . فكثيرٌ من الناسِ يسألُ أئمةَ المساجدِ والجوامعِ، أو من يتوسَّمُ فيهم صلاحاً أو يسألُ من قرأ شيئاً يسيراً من العلمِ لم يبلغْ به درجةَ الفقهِ والإفتاءِ، ومثل هؤلاءِ إن لم يكونوا

(١) سورة الإسراء (٣٦) .

من أهل العلم المشتغلين به فإن الذمة لا تبرأ بسؤالهم، فلا بد للمسلم مع كثرة المدّعين للعلم المتصدّرين للإفتاء، من أن يميز بين العالم والقارئ، بين الفقيه والمفكّر أو الواعظ، فإننا في زمنٍ كثر خطبأؤه وقراؤه، وقلّ علمأؤه وفقهاؤه.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، فإن الأمر دينٌ، فليُنظر أحدكم عما يأخذ دينه ﴿فاسألوا

**أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.**

وإنني أحذركم أيها المؤمنون ممن يروج وساقط الآراء، وغريب الفتاوى، فليس صواباً أنه إذا اختلف العلماء فلنا الأخذ بأسهل الأقوال وأخفّها، دون النظر إلى أدلّتها، بل الواجب أن يطلب المؤمن أقرب الأقوال إلى الحق والصواب ﴿يا أيها الذين آمنوا إن

تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ ﴿فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

## ٩٦- جنایات الموضه.

الخطبة الأولى.

الحمد لله الذي كرم بني آدم ذكرهم وأنشأهم، وفضلهم على كثير ممن خلق ورفعهم، فشرع لهم من الشرائع ما يصونهم ويحفظهم ويحقق في الدارين سعادتهم، أحمدته تعالى وأشكره على عظيم فضله وسابغ نعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بأحسن الشرائع وأكملها، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين وهو على ذلك، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر عباد الله الصالحين.

أما بعد.

فيا أيها الناس.

اتقوا الله حق تقاته، واعلموا أن الله من عليكم بلباسين عظيمين: لباس تزينون به بواطنكم، وهو لباس التقوى، ولباس تجملون به ظواهركم وتسترون به عوراتكم، وهو لباس الظاهر من الثياب وغيرها، قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> فلباس التقوى يستر عورات القلب ويزينه، ولباس الظاهر يستر عورات الجسم ويجمله، فعن تقوى الله تعالى والحياء منه، ينبثق الشعور باستقباح التعري

(١) سورة الأعراف: ٢٦.

والتكشّف، فمن لا يستحي من الله ولا يتقيّه، لا يُهمُّه أن يتعرى وأن يدعو إلى العري .  
وقد حذّر الله سبحانه بني آدم ذكرهم وأثامهم، من اتّباع خطوات الشيطان وأعوانه،  
التي تسعى إلى تحطيم حياء الناس وأخلاقهم، وتدعو إلى العُرْي والتَهْتُك والتكشّف  
باسم الزينة والحضارة والتقدّم والموضة وغير ذلك من الشّعارات البرّاقة، قال الله  
تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا  
لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾<sup>(١)</sup>، وما هذا إلا وسيلة لإشاعة الفساد والمعاصي والرذائل، والتلطيح  
بأوضار الدنيا والخطايا، والمتأمل في واقع الناس اليوم وخاصة النساء يؤمن بصدق ما  
ذكرنا، فإن شياطين الإنس والجن سعوا بكل وسيلة، وأخذوا بكل سبب لنشر التعري  
والتهتك بين نساء المسلمين، فسمّوا التكشّف أناقّة والعري حضارة، وبنوا لهم صنماً  
جعلوه قبلتهم سموه الموضة التي هي أكبر ما يفسد الأديان ويهدم البنيان، فاستباحوا  
بهذه الموضة المحرمات واستحلوا الموبقات، فاستنزفوا الأموال واستهلكوا الأوقات،  
وضيعوا الأهداف والغايات، حتى صارت الموضة همّ كثير من نساينا وشغلها  
الأوحد، يلاحقنها ويتابعنها هنا وهناك، وقد جاءتنا هذه الفتنة الكبرى بألوان من  
البلايا والرزايا التي ظهرت في ألبسة كثير من نساينا، فإننا لله وإنا إليه راجعون .  
فمن ذلك: أن هذه الموضة التي تعظّمها كثير من نساينا، أباحت لهنّ التعري  
والتكشّف وإظهار المفاتن، فانتشر بين بناتنا ونساينا لبس الأزياء والثياب التي تظهر  
الصدور والبطن والظهور، وغير ذلك من المفاتن .

(١) سورة الأعراف: ٢٧ .

وشاعَ بينَ كثيرٍ من نساءنا وأخواتنا لبسُ القصيرِ الذي يعرِّي أكثرَ الساقين، وقد بيدي ما فوقَ الركبتين، وفشا بين نساءنا لبسُ الضيقِ الذي يحجِّمُ الجسمَ ويفصِّلُ مقاطعَ البدنِ ويظهرُ مفاتنه، كالبنطلوناتِ وغيرها من الألبسةِ الضيقة.

وظهرَ عند كثيرٍ من نساءنا لبسُ الخفيفِ الذي لا يسترُ ما خلفه، فينكشفُ ما تحت الثيابِ، ودرجَ كثيرٌ من نساءنا على لبسِ الثيابِ والأزياءِ التي تكثرُ فيها الفتحاتُ من الأمامِ والخلفِ، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المؤمنون.

اعلموا أن كلَّ هذه الألبسةِ محرمةٌ لا يجوزُ لبسُها للنساءِ، لا عندَ الرجالِ ولا بينَ النساءِ، بل إن لبسَها ملعونةٌ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفانِ من أهلِ النارِ لم أرهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربون بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مائلاتٌ رؤوسهن كأسنمةِ البُختِ المائلة، لا يدخلن الجنةَ، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجدُ من مسيرةِ كذا وكذا»<sup>(١)</sup>.

فقوله ﷺ: "كاسيات عاريات" ينطبقُ على جميعِ الصورِ التي فشت وشاعت وانتشرت في ألبسةِ كثيرٍ من نساءنا، فالويلُ الويلُ لمن عصى اللهَ وتعدَّى حدوده.

ومن بلايا هذه الفتنةِ العظمى التي يسمونها الموضة: أن سوَّغت لكثيرٍ من نساءنا وبناتنا التشبُّهَ بالرجالِ، فلبست كثيرٌ من النساءِ ملابسَ الرجالِ، كالبنطلوناتِ الضيقةِ أو الواسعةِ وغيرها، وقصَّت بعضُ نساءنا شعورهن على هيئةِ قصاتِ الرجالِ، وهؤلاء

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

المتشبهات بالرجال ملعونات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرَّجُلَ يلبسُ لبسةَ المرأةِ والمرأةَ تلبسُ لبسةَ الرجلِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن رزايا متابعة الموضة والافتتان بها: تشبه كثير من نساينا بالكافرات الفاجرات أو بالفاسقات من المسلمات، في الأزياء والموديلات وفي الألبسة والقصات.

حتى رأينا من بعض نساينا، من تلبس لباساً فاضحاً قبيحاً وتحتج بالموضة، وسمعنا عن بعض النساء المفتونات بالموضة من تقص شعرها حتى قد تبدو فروة رأسها، أو تقص قصةً يسمونها الفرنسية، وتبلغ السفاهة وقلّة الدين والعقل متتهاها عند بعض نساينا فيستسغن قص شعورهن قصةً تسمى قصة كلب فلانة، يريدون إحدى الكافرات!!

فكل صرعة تُصدرها دور الأزياء الغربية أو الشرقية يتلقفها بعض نساء المسلمين بلا تردد ولا تفكير ولا مراجعة قيم ولادين، بل حالهن كما قال الأول:

إذا قالت حذام فصدّقوها      فإن القول ما قالت حذام<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٠٩٨) والحاكم (٢١٥/٤) ح (٧٤١٥)، وقال: "صحيح على شرط مسلم".

(٣) المستقصى في أمثال العرب ١/٣٤٠.

ولا شك أن التشبه بالكفار أمرٌ خطيرٌ عظيمٌ قد يوصلُ إلى الكفرِ بالله، قال النبي ﷺ فيما أخرجه أحمد وأبو داود بسند جيد عن ابن عمر رضي الله عنهما: (من تشبه بقوم فهو منهم) <sup>(١)</sup>.

وقد تعتذرُ بعضُ المتشبهاتِ بالكافراتِ في لباسهنَّ، بأنها لا تقصدُ بهذا الزيِّ، وبهذا اللباسِ التشبهَ بالكفارِ، فالجوابُ عن هذه الشبهة ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ما نهيَ عنه من مشابهتهم - أي الكفارِ - يُعمُّ ما إذا قصدت مشابهتهم أو لم تقصد" <sup>(٢)</sup>.

فالحدَرُ الحذرُ من التشبهِ بهم وتقليدِهم.

ومن ويلاتِ الموضةِ وبلائها: أن جعلت بعضُ نسائنا يلهثُ وراءَ الاشتهارِ بين الناسِ بلباسٍ مميزٍ أو بقصةٍ غريبةٍ ملفتةٍ، وقد ورد التحذيرُ عن هذا الفعلِ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من لبس ثوبَ شهرةٍ في الدنيا؛ ألبسه الله ثوبَ مذلةٍ يومَ القيامةِ، ثم ألهبَ فيه ناراً) <sup>(٣)</sup>، والمرادُ بلباسِ الشهرةِ ما يميزُ به لابسُه عن ألبسةِ الناسِ بلونٍ أو بشكلٍ أو بهيئةٍ، بحيث يجذبُ انتباهَ الناسِ ويسرقُ

(١) أخرجه أحمد (٥٠٩٣)، وأبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والحديث صحيحه العراقي في تخریج الإحياء ٢١٨/١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٢٠/١.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٢٩) وابن ماجه (٣٦٠٧) وحسنه المنذري، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٨٩).

أَنظَارَهُمْ إِلَى اخْتِيَالِ لَابِسِهِ وَعُجْبِهِ عَلَى النَّاسِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! إِنَّا لَا نَحَارِبُ التَّجْمُلَ أَوْ نَنْهَى عَنِ التَّزْيِينِ، وَلَكِنَّا نَدْعُو إِلَى ضَبْطِ التَّجْمُلِ  
والتَّزْيِينِ بِضَابِطِ الشَّرْعِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنْ شَتَّانَ بَيْنَ التَّجْمُلِ وَالتَّزْيِينِ، وَبَيْنَ  
التَّكْشُفِ وَالتَّعَرِّيِّ وَالتَّهْتِكِ.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فقد سمعنا شيئاً مما جتته الموضه على نساتنا، ولا شك أيها المؤمنون أن هذا الأمر خطرٌ داهمٌ، يجب أن نتعاون جميعاً على سد منافذه وإغلاق أبوابه وعلاج أعراضه وقمع دُعائه، وإلا فإن دائرته ستتسع وتعم البلوى به، وهذا يهدد بفساد المجتمع وخرابه؛ إذ أن المستهدف الأول في هذه الفتنة هم نساؤنا وبناتنا وأخواتنا، وهؤلاء هن المصنعة الأساسي للرجال والأجيال، فإذا فسد هؤلاء فسدت الأُسُر وتلوها فساد المجتمع، وهذا هو السر وراء اهتمام كثير من أعداء الأمة وعملائهم بإفساد المرأة، وقد حذر النبي ﷺ من فساد النساء، فقال: (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في بعض الآثار أن فتنتهن كانت المبالغة في التزيين وإغواء الرجال بذلك. أيها المؤمنون.

إن من حقوق نساتنا علينا أن نصونهن من شرور الافتتان بالموضه، التي أفسدت كثيراً من النساء، فإن هذا من حقوقهن على أوليائهن، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾ .

ومن ضروريات القيام بواجب الوقاية والحماية لنسائنا وبناتنا: قطع أسباب الفتنة والفساد التي تغري بالوقوع في الرذائل والخطايا والموبقات.

ومن أبرز هذه الأسباب: ما تبثه بعض وسائل الإعلام وقنوات البث المباشر التي تنشر صور النساء المتبرجات من الكافرات أو الفاسقات.

ومن أسباب هذا البلاء: المجلات التي تصدر صفحاتها صور النساء الفاتنات أو الفاسقات، وخاصة ما يسمى بمجلات الأزياء الشرقية منها أو الغربية، فعلى أولياء الأمور أن يمنعوا ذويهم من هذه المجلات، ومن تلك البرامج.

ومن أسباب هذه الفتنة أيضاً: بعض المحلات التجارية ومحلات الخياطة التي تتسابق في عرض آخر التقلبات وأحدث الموضات، دون أن يراقبوا الله تعالى فيما يحل من هذه المعروضات وما يجرم، فعلى هؤلاء أن يتقوا الله، وليعلموا أن فعلهم هذا من إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وعلى أولياء الأمور أن يمنعوا نساءهم من التعامل مع هؤلاء، وليذكروهن بأن من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه، وعلى الجهات المسؤولة أن تأخذ على أيدي هؤلاء التجار حماية للمجتمع من أخطارهم وشرورهم، ومن واجب أولياء الأمور تجاه

(١) سورة التحريم: ٦.

(٢) سورة النور: ١٩.

أبنائهم وبناتهم: تنبيههم على الأخطاء وتفقدتهم في البيوت وعند الخروج، فيمنعوا نساءهم وأهلهم عن كل ما يخالف الحشمة والحياء، أما ما يفعله كثير منا وللأسف من عدم المبالاة بملابس نسائهم، ولو كان عليه ملاحظات، فإن هذا من التفريط والغش لهم، وقد توعد النبي ﷺ من فعل ذلك بحرمان الجنة، نعوذ بالله من الخذلان.

فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»<sup>(١)</sup> وفي رواية للبخاري: «فلم يحطها لم يجد رائحة الجنة»<sup>(٢)</sup>.

فاتقوا الله أيها المؤمنون.

وقوموا بما أوجب الله عليكم، من المحافظة على بناتكم ونسائكم وأهلكم، فإنكم غداً بين يدي الله تعالى موقوفون، وعن هذه الأمانة مسؤولون، واعلموا أن حسن تربية البنات سبب للنجاة من النار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن؛ كنَّ له ستراً من النار»<sup>(٣)</sup>.

وأعظم الاحسان إليهن: تربيتهن على الطهر والعفاف والحياء والحشمة والدين، أعاننا الله وإياكم على القيام بهذه الأمانة.



(١) أخرجه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢).

(٢) صحيح البخاري (٧١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩).

## ٩٧- أَشَدُّ النَّاسِ عداوَةً لِأَهْلِ الْإِيمَانِ

### الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، ولدينه وأوليائه يحاربون، أحمده تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله رحمةً للعالمين على حين فترة من الرسل، فدعا الناس كافةً إلى توحيد رب العالمين والانقياد إلى شرعه القويم، بعث بين يدي الساعة بالسيف بشيراً ونذيراً، فبلغ الرسالة أحسن البلاغ وأدى الأمانة أتم الأداء، وجاهد في الله الأعداء من اليهود والمشركين والنصارى والمنافقين، حتى أتاه اليقين وهو على ذلك، فﷺ وعلى آله وأصحابه وعلى سائر عباد الله الصالحين.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله سبحانه سُنناً في الأمم والمجتمعات، لا ينخرم نظامها ولا يضطرب ميزانها ولا يتغير سيرها ولا يتأخر وقوعها، دائمة دوام الليل والنهار، مطردة على مر العصور والأعوام، لا يعترها ارتباك ولا اختلال، قال الله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾<sup>(١)</sup>

ومن هذه السنن: أن الله سبحانه وتعالى قضى بأن يكون لكل نبيٍّ عدوٌّ من المجرمين، يحاربه ويعمل على إبطال رسالته، وإطفاء أنوار شريعته، ودخض حجته وتبديد دعوته

(١) سورة فاطر: ٤٣.

وإفسادِ مِلَّتِهِ وتمزيقِ أُمَّتِهِ وتشويهِ سَمْعَتِهِ لِيَصِدَّ النَّاسَ عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup> وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ، وَذَكَرَ كَثِيرًا مِنْ أَوْصَافِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَقَصَصِهِمْ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ وَأَتْبَاعِهِمُ الْمَصِدِّقِينَ.

بَيِّدَ أَنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْقَصَصِ، يَلَاحِظُ أَنَّ فِئَةً مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ قَدْ شَغَلَتْ أَخْبَارُهُمْ وَاحْتَلَّتْ أَنْبَاؤُهُمْ رَقْعَةً مِنَ الْقُرْآنِ وَقَصَصِهِ، فَبَيَّنَّ أَعْمَالَهُمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَادِقِيهِمْ، وَأَظْهَرَ مَوَاقِفَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى تَوَالِي السِّنِينَ، وَأَمَاطَ اللَّثَامَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ صِفَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَخِصَالِهِمْ الَّتِي اخْتَصَّوْا بِهَا، دُونَ سَائِرِ الْأَعْدَاءِ وَالْمَعَانِدِينَ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ شِدَّةِ عِدَاوَتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ عَامَّةً، وَلِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَأَتْبَاعِهِ خَاصَّةً، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾<sup>(٣)</sup> فَأَشَدُّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدِينِهِ وَأَتْبَاعِهِ هُمُ الْيَهُودُ، الَّذِينَ مَرَنُوا عَلَى تَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَقَتْلِهِمْ، وَدَرَبُوا بِالْعُتُوِّ وَالْكَفُورِ وَالْمَعَاصِي وَالْفُجُورِ، عَانَدُوا اللَّهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَرَّفُوا كُتْبَهُ، مَرَدُّوا عَلَى اللَّعْنَةِ وَالذُّلَّةِ

(١) سورة الفرقان: ٣١.

(٢) سورة الأنعام: ١١٢.

(٣) سورة المائدة: ٨٢.

والمسكنة، طويت قلوبهم على الكفر والفسوق والعصيان فحاربوا الإسلام وأهله منذ أول وهلة، وسعوا بكل وسيلة، وطرقوا كل باب، وسلكوا كل درب لإطفاء نور الله وإحباط دعوته ورسالته، فباؤوا باللعنة والخبية والغضب والحسار ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَكَوَّكِرَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد حفظت آيات الكتاب ودواوين السنة وكتب السيرة ألواناً وصوراً من مكاييد هؤلاء ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم، فإنه ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً عاهد من فيها من اليهود وسألهم، وأقرهم على البقاء فيها ما أقاموا العهود وحفظوا المواثيق، إلا أن اليهود لما رأوا ظهور الدين وانتصارات خاتم النبيين ملاً الحسد والحقد قلوبهم، فتفجرت ينابيع الشر والغدر والخيانة في أفعالهم وأقوالهم، فناصروا رسول الله ﷺ وأصحابه العداة المستحكم المير، وأخذوا ضده كل كافر ومنافق أثيم، فرحوا واستبشروا بما نزل برسول الله ﷺ وأصحابه من المنكرات والأزمات، وتألّموا لما أحرزه من الفتوحات والانتصارات، فطفقوا يخططون وأخذوا يمكرون برسول الله ﷺ أنواعاً من المكر والكيد، فمن ذلك أنهم أكثروا على رسول الله ﷺ الأسئلة تعنتاً وتعجيزاً ليحرّجوا رسول الله ﷺ ويشكّكوا في صدقه ونبوته، فأحبط الله عملهم وخيب سعيهم وفلّ قصدهم فأجابهم عمّا كانوا يسألون، وأسمعهم ما يكرهون، فقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِعَافِلٍ عَمَّا

يَعْمَلُونَ ﴿١﴾، ومما آذوا به رسول الله ﷺ أنهم سحره، فقد أوعزت يهود عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى لبيد بن الأعصم اليهودي، فسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، فأبطل الله كيدهم وأفسد مكرهم، فكف الله عن رسوله ﷺ السحر وشفاه.

ومما آذت به يهود رسول الله ﷺ أنهم نقضوا العهود ونكثوا بالمواثيق وسلكوا دروب الغدر والخيانة والغش والاحتيال، فألبوا القبائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغروهم بقتاله وحرّضوا على حربيه، ووعدوهم بالمساندة والمنصرة عليه، فلما بان نكثهم وظهر نقضهم أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة طائفة تلو أخرى، حتى كان آخرهم خروجاً بنو قريظة، الذين أجلاهم النبي ﷺ بعد غزوة الأحزاب، كما قص الله علينا نبأهم في سورة الأحزاب.

وقد بلغ الحقد والغل والكفر في يهود منتهاه بعد انتصارات رسول الله ﷺ وأصحابه، وبعد انحساراتهم وانكساراتهم، فحاولوا أن يحيوا سنة آبائهم وأسلافهم، فدبروا عدداً من المؤامرات لقتل النبي صلى الله عليه وسلم، وكان آخر محاولاتهم أن امرأة منهم دسّت السمّ لرسول الله ﷺ في شاة صنعتها، فتناول ﷺ الذراع فلاك منها مضغاً ولم يسغها، فما زال لهذه الأكلة التي أكل ﷺ أثر، حتى إذا كانت ساعة وفاته قال لعائشة رضي الله عنها كما في البخاري معلقاً بصيغة الجزم: (يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام

الذي أكلتُ بخير، فهذا أو أن وجدت انقطاعَ أبهري من ذلك السمِّ) <sup>(١)</sup> والأبهر عرقٌ في الظهر، متصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه، وقد ورد عددٌ من الروايات بهذا المعنى، وهي تفيد أنه ﷺ مات شهيداً من أثر السمِّ الذي وضعته اليهودية، كما قال بعض أهل العلم، وقد ذكر بعض أصحاب السير أن النبي ﷺ قال في وفاته: (قتلتني يهودٌ) ومهما يكن من أمرٍ في ذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد قصَّ علينا أخبارَهم مع أنبيائهم وكيف فعلوا بهم، فقال عنهم سبحانه: ﴿أَفَكَلَّمْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>، ومع هذه المكاييد كلها فقد ردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله رسوله والمؤمنين شرَّ أعدائهم، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>، فقد أخبر الله سبحانه أنه كافي نبيه، وكافي أتباع نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا حاجة للمؤمنين مع كفاية الله سبحانه وتعالى إلى أحدٍ، فمن كفاه الله وقاه، ومن كان الله معه خاب كلُّ من ضاده وعاداه.



(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي معلقاً / باب في مرض النبي ﷺ.

(٢) سورة البقرة: ٨٧.

(٣) سورة الأنفال: ٦٤.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

الحمد لله الذي وعدَ بإظهارِ دينه على كلِّ دينٍ، ووعدَ بنصرِ عباده المؤمنين على كلِّ عدوٍّ أفاكٍ مبین، والصلاة والسلام على المبعوثِ رحمةً للعالمين، نبينا محمدٍ الأمينِ وعلى آله وأصحابه الطيبين.

أما بعد.

فقد استعرضنا صفحةً من تاريخِ يهودٍ مع هذه الأمة، ممثلةً بنبيها صلى الله عليه وسلم، وقد رأينا ما اجتمعَ في هؤلاء القومِ من الكفرِ والاستكبارِ والعنادِ والظلمِ والغدرِ والحسدِ والبغْيِ؛ ورأينا كيفَ آلَ بهم الأمرُ فأجلاهم النبيُّ ﷺ عن المدينةِ وغزاهم في خيبر، آخرَ معاقليهم في الجزيرة، وأنزلَ بهم ألواناً من العذابِ بسببِ ما اجتمعَ فيهم من خلالِ الكفرِ وصفاته، فصدقَ الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والم تأملُ في ماضي الأمةِ وحاضرِها يُدركُ أن بليَّةَ الإسلامِ وأهلِهِ باليهودِ عزيمةٌ شديدةٌ، فكم من معقلٍ للإسلامِ قد سعوا في هدمه، وكم من حصنٍ راموا هتكه، وكم من علمٍ عملوا على طمسِهِ، ضربوا بمعاولِ الشبهاتِ في أصلِهِ، وروجوا الإباحيةَ والفسادَ ليصدوا الناسَ عن عبادةِ ربِّ العبادِ تحالفوا مع شياطينِ الإنسِ والجنِّ ضدَّه،

(١) سورة الأنفال: ٣٦.

عملوا على إحداثِ الفرقةِ في أمتهِ وإثارةِ الفتنِ بينِ أهلِ ملَّتِهِ، وعكفوا على ترويحِ وإشاعةِ وإنشاءِ الأقوالِ المبتدعةِ والآراءِ الضالَّةِ والمذاهبِ المنحرفةِ.

فهل السبئيةُ إلا من بناتِ أفكارِهِمْ؟!!

وهل الباطنيةُ إلا ثمرةُ جهودِهِمْ؟!!

وهل الماسونيةُ والعلمانيةُ إلا نتاجُ مؤامراتِهِمْ ومخططاتِهِمْ؟!!

فعداوةِ القومِ للإسلامِ وأهلِهِ لم ترَضْ محلاً لها إلا سويداءَ قلوبِهِمْ.

وعداوةُ يهودِ للأمةِ ليست رهينةَ فترةٍ زمنيةٍ ثم تنتهي، بل عداوتُهُمْ للإسلامِ وأهلِهِ دائمةٌ إلى آخرِ الزمانِ، ممتدةٌ عبرَ اللياليِ والأيامِ، متوارثةٌ جيلاً بعدَ جيلٍ، أوصى بها الأكابرُ والأصاغرُ، وحملها سلفُهُمْ خلفَهُمْ؛ لذا فإنَّ اليهودَ حلفاءُ كلِّ من عادى الأمةَ، فبالأمسِ حالفوا مشركي العربِ ضدَّ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم، واليومَ حالفوا النصارى وغيرَهُمْ ضدَّ أهلِ الإسلامِ، وغداً يحالفونَ الدجالَ ويتبعونه ضدَّ أمةِ الإسلامِ، ففي صحيحِ مسلمٍ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: (يتبعُ الدجالُ من يهودَ أصبهانَ سبعونَ ألفاً عليهم الطيالةُ)<sup>(١)</sup> وقد قال ﷺ في حديثِ عثمانَ بنِ أبي العاصِ رضي اللهُ عنه: (وأكثرُ تبعِهِ اليهودِ والنساءُ)<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٣٣) من حديثِ عثمانَ بنِ أبي العاصِ رضي اللهُ عنه، قال الهيثمي: فيه علي بن زيد وفيه ضعف وقد وثق، وبقية رجالها رجال الصحيح. مجمع الزوائد (١٢٥٢٠).

إلا أن هذا الكيدَ والمكرَ الكبَّارَ إلى زوالٍ واضمحلالٍ، إذا صبرت الأمةُ وانتقت ربَّها وتمسَّكت بدينه، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ولا نشكُّ أن الله سبحانه وتعالى سينصرُ دينه، ويُعلي كلمته، ويؤيِّد أوليائه طالَ الزمنُ أو قصرَ، فإن العاقبة لله ولرسوله وللمؤمنين، ويصدقُ هذا ما وعدَ به رسولُ الله ﷺ أمته، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا اليهودَ، حتى يقولَ الشَّجرُ والحجرُ: يا مسلمُ، يا عبدَ الله، هذا يهوديٌّ ورائي، فتعالَ فاقتله)<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديثُ يفيدُ أن الصراعَ بين أمةِ الإسلامِ وبينَ يهودَ لن يضعَ أوزاره حتى يُقتلوا عن آخرهم، كما أخبرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فما دامَ في اليهودِ عِرْقٌ ينبُضُ وعينٌ تُلحظُ وقلبٌ يخفِقُ، فلن تزولَ هذه العداوةُ فإن معرَكتنا معهم معركةُ إبادةٍ. فكل من حاولَ إزالةَ هذه العداوةِ أو رفعها فإنها يركضُ وراءَ السرابِ، ويحترثُ في الماءِ ويضادُّ ما قضاه اللهُ سبحانه، كوناً وقدرأً وشرعاً، واللهُ غالبٌ على أمره ولكن أكثرَ الناس لا يعلمون.

(١) سورة آل عمران: ١٢٠.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ لمسلم.

## ٩٨ - مَنْ هُمْ أَعْدَاؤُنَا؟

### الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد .

فيا أيها المؤمنون.

لا يشكُّ متأملٌ عارفٌ، ولا مراقبٌ منصفٌ، لتاريخ الأمة الإسلامية العريق أن الأمة اليوم تعاني أشدَّ أحوالها، وتمرُّ بأصعب أيامها، فإنه وإن كان قد نزلت بالأمة نكباتٌ كبارٌ، وحلَّت بها كوارثٌ جسامٌ، وأحدقت بها أزماتٌ عظامٌ، إلا أنها على مرِّ تلك الدهورِ، وعبرَ تلك العصورِ لم تنزعزُعْ ثقتها بدينها ولم تفقد الثقةَ بربها، فهي لم تنزلْ رغم شدة الكربِ والبلاءِ، وتوالي وتنوع الأعداءِ معتزةٌ بدينها فخورةٌ بإسلامها راضيةٌ بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً؛ لذا فإنها سرعان ما وثبتت من رقادها، وأفادت من سكرتها، فانشقت كروبها وتبددت همومها بمراجعة دينها والتوبة لربها.

أما اليوم فإن الأمة مغزوةٌ من داخلها ومحاربةٌ من خارجها، أما غزوها من داخلها فبححافلِ المنافقين المتربصين من العلمانيين وأشياعهم، الذين أضعفوا إيمان الأمة بربها وتمسكها بدينها بإثارة الشبهات وبثها، وبالترويج للشهوات وتزيينها وإشاعتها، فأصيب قطاعٌ كبيرٌ من أبناء الأمة في دينهم وإيمانهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد أجاد من قال:

## وكلُّ كسرٍ فإنَّ اللهَ يجبرُهُ وما لكسرٍ قنَاةَ الدِّينِ جُبرانٌ<sup>(١)</sup>

أما حربها من خارجها فهذا التداعي العالمي لأمم الكفر والإلحاد من اليهود والنصارى والوثنيين والملحدين على أمة الإسلام، كما أخبر النبي ﷺ في حديث ثوبان **ﷺ: «تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها قالوا: أو من قلة يا رسول الله؟ قال: لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله مهابتكم من صدور أعدائكم، وليلقين في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهية الموت»<sup>(٢)</sup>.**

وصدق رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، فأعداد المسلمين اليوم كثيرة، ولكنها لا تُفرح صديقاً، ولا تُخيفُ عدواً، فهم غثاء كغثاء السيل. وأما أعداء الأمة فقد تنادوا عليها وتداعوا، كما أخبر النبي ﷺ.

فالوثنيون والملحدون ممثلين بالعالم الشرقي، يسومون المسلمين سوء العذاب، ويسحقون من قدرُوا عليه منهم بالحديد والنار، يتربصون بكم الدوائر، ويكيدون لكم المكائد، ولا يجدون فرصةً ينفسون بها عن أحقادهم وضغائنهم إلا بادروا إليها، وما تخفي صدورهم أكبر، وخير شاهد على صدق ما نقول ما يعانیه إخوانكم المسلمون من إبادةٍ وتنكيل على أيدي هؤلاء المجرمين في كشمير والهند وبورما والشيشان، ويشهد

(١) حياة الحيوان الكبرى ١/١٦٧.

(٢) تقدم تخريجه في ص (٢٥١).

لهذا أيضاً الدعمُ الروسيُّ الصليبيّ الشيوعي للصَّربِ الظالمين المعتدين، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أما اليهودُ ممثلين بدولة إسرائيل، فحدّثُ عن عدائهم ولا حرج، فهم سماسرةُ الكيدِ والمكرِ، وأربابُ الحقدِ والخبثِ والكفرِ، زرعوا دولتهم في قلبِ العالمِ الإسلاميِّ وضربوا أفضعَ الصُّورِ في تشريدِ المسلمين وإذلالهم والتسلُّطِ عليهم والتلاعبِ بهم وانتهاكِ حرماهم ومقدساتهم والهيمنةِ عليهم، وشاهدُ هذا ما يجري على المسلمين في أرضِ فلسطين وغيرها على أيدي هؤلاء الأنجاسِ الأرجاسِ، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أما النصارى الصليبيُّون ممثلين بالعالمِ الغربيِّ والأوربيِّ الكافرِ، فهم ورثةُ الأحقادِ وحملةُ الضغائن على أمةِ الإسلامِ، فهم ضائقون بالإسلامِ منذ ظهوره، وقد خاضوا ضدَّ أمةِ الإسلامِ حروباً مُضنيّةً طويلةً، سالت من جرّائها أنهارُ الدماءِ، إلا أن تاريخَ حروبنا معهم لم يشهدْ ضراوةً في العداءِ، ولا خبثاً في الأداءِ، ولا إصراراً وتصميماً على تدميرِ الأمةِ وإفنائها، كما يجري منهم اليومَ، فهاهم خبِراؤهم وكبِراؤهم وساستهم ورؤساؤهم يتنادون لحربِ الإسلامِ وإبادةِ أهلهِ والتنكيلِ بهم، تارةً باسمِ محاربةِ الإرهابِ والتطرفِ، وتارةً باسمِ حمايةِ حقوقِ الإنسانِ، وأخرى باسمِ الحفاظِ على المصالحِ الحيويةِ أو الأمنِ القوميِ، تعددت الأعذارُ والقصدُ واحدٌ، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المؤمنون! هؤلاء أعداءُ دينكم عملوا على إبادتكم ومحوِ دينكم بكلِّ ما أوتوا من طاقةٍ وجُهدٍ، وصلوا لذلك الليلَ بالنهارِ، طرّفوا كلَّ بابٍ وسلكوا كلَّ سبيلٍ، ورفعوا

كَلَّ شَعَارٍ لِإِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى، فَبَاؤُوا بِالْفِشْلِ وَجَنُّوا الْحَسَارَ، فَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فرغم ضراوة هذا العداء وكثرة أهله وتنوع راياته واختلاف وتوالي خطوبه وشدة بأسه، إلا أن دين الأمة محفوظ، ولا يزال فيها طائفة بأمر الله قائمة كما وعد الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد قال النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»<sup>(٣)</sup>.

فالأمة الإسلامية محفوظة بحفظ رسالتها ودينها وكتابها، فهي باقية ما بقي الليل والنهار، ولا نشك في ذلك، ولا يتابنا فيه أدنى ريب، ولو اجتمع على الأمة أهل الأرض جميعاً، وما ذاك بحولنا وقوتنا، بل والله ثم والله ثم والله

لولا الله حافظ دينه                      لتهدمت منه قوى البنيان<sup>(٤)</sup>

(١) سورة الصف ٨.

(٢) سورة الحجر ٩.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٤١) وأخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

(٤) "متن القصيدة النونية" ص(٢٥).

فالحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً ملءَ السموات وملءَ الأرض وملءَ ما شاء من شيء بعد، والحمدُ لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً على نِعَمِهِ الكثيرةِ وآلائِهِ العديدةِ التي من أجلِّها وأعظمِّها حفظُ الملةِ والدينِ.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إن أمتكم الإسلامية قد بُليت على مدار تاريخها بمحنٍ وحروبٍ وكروبٍ ونكباتٍ ونكساتٍ، أحدثها وأجدها هذه الكارثة المؤلمة والمأساة الفظيعة الموحجة، التي يمر بها إخوانكم في الملة والدين في بلاد البلقان والبوسنة والهرسك.

كارثةٌ حديثها يطوي الأحاديث، وخبرها يأكل الأخبار، وتاريخها يُنسي التواريخ، مأساةٌ داميةٌ ونكبةٌ فاجعةٌ حلّت بأمةٍ مسلمةٍ، كارثةٌ نزلت بقومٍ عزّل حُرِموا كلَّ شيءٍ، حتى حقّ الدفاع عن أنفسهم، مأساةٌ رفعَ بها الاضطهادُ والظلمُ أعلامه، وراجتَ فيها سوقُ الإبادة الجماعية والتمثيل بالقتلى، نازلةٌ جرّت فيها شلالاتُ الدماء، نكبةٌ هتكتَ فيها أعراضُ المسلمات الحرائر وبقرتَ فيها بطونُ الحوامل ودُمّرتَ فيها البنية الأساسية لشعبٍ مسلم آمنٍ، فاجعةٌ هجّرَ فيها المسلمون عن بلادهم وهُدّمتَ فيها المساجدُ ودُمّرتَ المنابرُ، نكسةٌ رفعتَ فيها الكنائسُ صلبانها ودقّتَ فيها المعابدُ أجراسها، أزمةٌ كسّرَ فيها الصليبُ الأوربي والغربي الكافر عن أنيابه، كارثةٌ أشاحت اللثامَ عن وجهِ الأممِ الغربية الكافرة القبيح، التي تتشددُ برعاية حقوقِ الإنسان وحفظِ كرامته، فاجعةٌ تهاوتَ فيها كلُّ الدعاوى الكاذبة والشعاراتِ الفارغة كالنظام العالمي الجديد أو الشرعية الدولية التي طالما عرّوا بها عدداً غيرَ قليلٍ من أبناءِ أمةِ الإسلام، كارثةٌ بدا فيها عوارُ أمتنا وضعفُ قوتنا وتفرُّقُ كلمتنا وتمزُّقُ صفِّنا واستخفافُ أعدائنا بنا وهواننا على الناسِ، نازلةٌ ليس فيها لأمةِ الإسلامِ لاناقةٌ ولا جملٌ، كما قال الأول:

ويقضى الأمر حين تغيب تيمم ولا يُستأمرُون وهم شهودٌ<sup>(١)</sup>

كارثةٌ لمُنَّا فيها أعداءنا على ما يفعلونه بنا، كارثةٌ عقدَ فيها فِئامٌ من الأمةِ الآمالَ على جَلادِيهم وأعدائهم، يرجون منهم الفرجَ ويؤمّلون منهم النصرَ.

فاجعةٌ تساقطت فيها مُدُنُ المسلمين في أيدي الصرب، مدينةٌ تلوَ مدينةٍ، تحتَ سَمعٍ ونظرٍ أمةِ الإسلام، ولم نسمعْ إلا الشجبَ والاستنكارَ.

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كَمَدٍ إن كانَ في القلبِ إسلامٌ وإيمانٌ<sup>(٢)</sup>

فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.

أيها المؤمنون! إننا رغم قساوة هذه الفواجعِ وفداحة تلك المآسي والنوازلِ نعلنُها صريحةً مدويةً واضحةً بينةً لا غشَّ فيها ولا لبسَ: أن ما أصابنا إنما هو بسببِ ذنوبنا وأعمالنا، وليس هذا تهميشاً للقضية ولا تهويناً للكارثة ولا مهرباً نفسياً نلجأ إليه، بل هو والله منهُجٌ قرآنيٌّ نبوي، فقد قال الله تعالى مخاطباً خيرَ القرون وأفضلَ الأجيال بعدَ أن هزموا في غزوةِ أحدٍ: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فما أصابنا من تسلُّطِ أعدائنا علينا إنما هو بسببِ ذنوبنا وإِعراضنا عن دينِ ربِّنا، وما يعفو عنه اللهُ تعالى أعظمُ وأكبرُ، كما قال

(١) البيان والتبيين (٥٠٥).

(٢) نفع الطيب ٤/٤٨٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٥.

جل ذكره: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون! إن ما يجري في بلادِ البلقانِ ليس قضيةً لأهلِ البوسنةِ فحسب، بل هو والله قضيةٌ كلٌّ من رَضِيَ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ نبياً، فإن الصربَ ومن ورائهم دولُ الغربِ -عليهم غضبُ الله ولعنته وعاجلُ عقوبتهِ وسخطه- ما نقموا من أهلِ البوسنةِ إلا أنهم آمنوا باللهِ العزيزِ الحميدِ.

فقوموا بارك الله فيكم بما تستطيعون من نصرَةٍ إخوانكم في الملةِ والدينِ، وذلك بتقديمِ الدعمِ الماديِ والمعنويِ، كلٌّ حسبِ طاقتهِ وقدرتهِ وإمكانياته، ولا تبخلوا من ذلك شيء، فإن عُدْتُمْ ما تقدّمونه لإخوانكم فلن تُعدّموا دعاءً صادقاً وتضرّعاً لله منكسراً: أن يرفعَ عن أمتنا الذلَّ والصُّغارَ، وأن يعجّلَ لأهلِ البوسنةِ خاصةً بالفرجِ، فإنهم في محنةٍ وبلاءٍ.

أيها المؤمنون! حُثُّوا أنفسكم وشيوخكم وأطفالكم وفقراءكم ومساكينكم على الدعاءِ، فإن دعاءَ هؤلاء من الله بمكانٍ؛ لذا قال النبي ﷺ: (ابغوني ضعفاءكم، فإنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم)<sup>(٢)</sup> رواه أبو داود بسند جيد، وفي رواية: (إنما ينصرُ اللهُ هذه الأمةَ بضعفائها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم)<sup>(٣)</sup>.



(١) سورة الشورى: ٣٠.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه النسائي (٣١٧٨) من حديث سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه.

## ٩٩ - أَهْمِيَّةُ الدُّعَاءِ .

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واشكروه جل وعلا حق شكره، أجاب دعاءكم، ورحم ضعفكم، وفرج كربكم، وأغاث بلاءكم، فله الحمد على ذلك حمداً كثيراً، له الحمد سبحانه حمداً نلتزم فيه شرعه، ونقف عند أمره ونهيه، فاعملوا عباد الله شكراً، فقليل من عباد الله الشكور.

أيها المؤمنون.

إن من عظيم فضل الله تعالى ورحمته بعبادته أن جعل دعاءه وسؤاله عبادةً من أفضل العبادات، وقربةً من أجل القربات، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»<sup>(١)</sup>، فجعل الله سبحانه بمحض فضله وعظيم إحسانه وبره سؤال عباده ودعاءهم لبَّ عبادته وأساسها: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أيها المؤمنون.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الترمذي.

(٢) سورة غافر (١٤).

إن الله سبحانه وتعالى أمركم بدعائه، ووعدكم الإجابة فضلاً منه ومنّاً، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فاستجيبوا لربكم أيها المؤمنون، بدعاء الله وسؤاله، فإن الله قد توعد من أعرض عن دعائه بالعقاب الأليم، والعذاب المهين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي - أَي دَعَائِي وَمَسْأَلَتِي - سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)<sup>(٢)</sup>.

فاسألوا الله أيها المؤمنون، واطلبوا منه كل حاجاتكم، دقيقها وجليلها، قريبها وبعيدها، فإن الأمر كله بيد الله، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup> قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "سلوا الله كل شيء، حتى الشسع - أي: حتى سير النعل - فإن الله لو لم ييسره لم ييسره"<sup>(٤)</sup>.

فسلوا الله عباد الله كل شيء، فإن الله يحب عبده الذي يسأله ويتملقه، وينزل به حوائجه، ويلح في سؤاله وطلبه، فإنه سبحانه جواد كريم، يده مبسوطان، ينفق كيف يشاء، فتبارك الله رب العالمين، بيده الملك وهو على كل شيء قدير.  
أيها المؤمنون.

(١) سورة غافر (٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢ / ١١٤)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد (٢ / ٤٤٣، ٤٧٧) وقال الترمذي: (لا نعرفه إلا من هذا الوجه).

(٣) سورة يونس (١٠٧).

(٤) أخرجه أبو يعلى ٣١٢/٤.

إن من تمامِ جودِ الله تعالى وكرمِهِ، ومن كمالِ غناه وقِيُومِيَّتِهِ، أنه سبحانه وتعالى يعرِّضُ على عباده مسألتَهُ وطلبَهُ، ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ينزلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حينَ يبقى ثلثُ الليلِ الآخرِ، فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفرَ له؟»<sup>(١)</sup>.

فيا عبد الله، أي غيبٍ، وأي خسارةٍ، في تَرْكِ سُؤالِ ربِّ جوادٍ كريمٍ، بيده الخيرُ كُلُّهُ، وإليه يرجعُ الأمرُ كُلُّهُ؟!!

ربُّ بلعِ جودِهِ وغناه أنه يستدعي عباده ليسألوه من كلِّ ما يريدون، قال وهب بن منبه رحمه الله لرجلٍ كان يأتي بعضَ الأغنياءِ ليعطوه: ويحك، تأتي من يغلقُ عنك بابَهُ، ويظهرُ لك فقرَهُ، ويواري عنك غناه، وتركُ من يفتحُ لك بابَهُ، ويظهرُ لك غناه، ويدعوكُ إلى مسألتِهِ: ادعني أستجب لك؟!!!<sup>(٢)</sup>

فاجتهدوا عباد الله في سؤالِ مولاكم جَلَّ وعلا من كلِّ ما تشاؤون، فإنكم لا تَعدُمون خيراً ما سألتموه ورجوتموه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (ما من مسلمٍ يدعو ليس بإثمٍ ولا قطيعةٍ رحمٍ، إلا أعطاه الله إحدى ثلاثٍ: إما أن يعجلَ له دعوتَهُ، وإما أن يدخِرَها له في الآخرةِ، وإما أن يدفعَ عنه

(١) "صحيح البخاري" (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) حلية الأولياء ٤٣/٤.

من السوء مثلها) فقال أحد الصحابة: إذا نكثرت يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (الله أكثر)<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن دعاء الله تعالى وسؤاله والتضرع والشكوى إليه من أنفع الأدوية، فالدعاء عدو البلاء، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه ويخففه، فلا يهتك مع الدعاء والتضرع أحد، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء»<sup>(٢)</sup>.

فيا أيها المؤمنون.

ادعوا الله واسألوه، واحرصوا على الأخذ بآداب الدعاء، التي تزيد في أجره، وتغلب إجابته، فإن للدعاء آداباً واجبة ومستحبة، لها أثر بالغ في تحصيل المطلوب، والأمن من المرهوب.

فمن آداب الدعاء الواجبة: أن يخلص العبد في دعائه لله تعالى، فلا يدعو معه أحداً، بل يدعو وحده لا شريك له، كما أمر الله بذلك: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ

(١) أخرجه أحمد (١٨/٣)، والحاكم (٦٧٠/١)، رقم (١٨١٦) وقال: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٣٩)، والطبراني (٢٥١/٦)، والبخاري (٥٠٢/٦)، وقال الترمذي: "حسن

غريب".

أحداً<sup>(١)</sup>.

فدعاء غير الله وسؤاله كدعاء الأموات مثلاً أو الأحياء شرك، تحبّط به الأعمال، ويجنى به غضب الله الواحد القهار، فاتقوا الله عباد الله، ووحدوه بالسؤال والدعاء والطلب: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن من آداب الدعاء: دعاء الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلىا، والثناء عليه وحمده، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(٣)</sup>.

ثم بعد ذلك الصلاة على خاتم الرسل ﷺ، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ"<sup>(٤)</sup>.

ومن آداب الدعاء أيها المؤمنون: الدعاء بالخير، والبعد عن الإثم وقطيعة الرحم والاستعجال، ففي "صحيح مسلم" قال ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ

(١) سورة الجن (١٨).

(٢) سورة الرعد (١٤).

(٣) سورة الأعراف (١٨٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٤٨٦)، قال الحافظ في "نتائج الأفكار": "أخرجه موقوفاً، وفي وسنده أبو قرّة الأسدي لا يعرف اسمه ولا حاله، وليس له عند الترمذي ولا أصحاب السنن إلا هذا الموقوف، وهو من رواية النضر بن شميل عنه، وقد رواه معاذ بن الحارث عن أبي قرّة مرفوعاً، أخرجه الواحدي، ومن طريقه عبد القادر الرهاوي في الأربعين، وفي سنده أيضاً من لا يعرف".

«رحم»<sup>(١)</sup> ، وفيه أيضاً: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يُستجب لي»<sup>(٢)</sup> ، ويقول: «قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»<sup>(٣)</sup>.

ومن آداب الدعاء أيها المؤمنون: حسن الظن بالله تعالى، فإن الله يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، قال ﷺ: « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة »<sup>(٤)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: "أنا لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فمن ألهم الدعاء فإن الإجابة معه".

عباد الله، إن من الأسباب المهمة التي يحصل بها إجابة الدعاء إطابة المأكَل والمشرب والملبس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!»<sup>(٥)</sup>.

فاتقوا الله عباد الله، وذروا كل كسب حرام، فإن ما يفوتكم من خير الدنيا والآخرة،

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذی (٣٤٧٩) وقال: حديث غريب . والحاكم (٦٧٠/١) ، وقال: " مستقيم الإسناد " ،

وتعقبه الذهبي في التلخيص بأن فيه صالح المري متروك .

(٥) أخرجه مسلم (١٠١٥) .

بسبب الكسبِ الحرامِ، أضعافَ أضعافَ ما تحصّلونه من لذةٍ زائلةٍ، أو فرحةٍ كاذبةٍ،  
ويكفيك من هذا قوله جل وعلا: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾<sup>(١)</sup>




---

(١) سورة البقرة (٢٧٦).

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون! أكثرُوا من سؤالِ الله تعالى ودعائه في الشدةِ والرَّخاءِ، والسراءِ والضراءِ، فإن الدعاءَ عبادةٌ جليَّةٌ، يرفعُ اللهُ بها الدرجاتِ ويحطُ بها الخطيئاتِ، وتحصلُ بها المأمولاتُ والمطلوباتُ، وقد قال ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: ( تعرَّف على الله في الرَّخاءِ يعرفُك في الشدةِ )<sup>(١)</sup>.

فاجتهدوا يا من ترجون النوالَ، وتؤملون جوابَ السؤالِ، اجتهدوا في دعاءِ الله تعالى، تحرَّروا أوقاتِ الإجابةِ، كساعةِ يومِ الجمعةِ، وجوفِ الليلِ الآخرِ، وبين الأذانِ والإقامةِ، وأدبارِ الصلواتِ المكتوباتِ، وغير ذلك من الأوقاتِ الفاضلةِ.

ادعوا الله بقلوبٍ حاضرةٍ خاشعةٍ منكسرةٍ ذليَّةٍ، ألحُّوا في الدعاءِ رغبةً ورهبةً، توسَّلوا إليه جل وعلا بأسمائه وصفاته، ارفعوا أيديكم حالَ دعائكم، إلا في الأحوالِ التي لم يرد فيها رفعُ اليدينِ.

استقبلوا القبلةَ حالَ الدعاءِ، احمداً لله تعالى وأثنوا عليه بكلِّ خيرٍ، صلُّوا في دعائكم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وأحسِنوا الظنَّ باللهِ تعالى، وأمَّلوا منه الخيرَ، ثم اعلَموا باركِ اللهُ فيكم أن دعاءً، توفرت فيه هذه الصفاتُ، لا يكاد يُردُّ أبداً.



(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٠) بإسناد صحيح.

## ١٠٠ - عداوة الشَّيْطَانِ وَطَرُقُ الْحِمَايَةِ مِنْهَا

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها الإخوة المؤمنون.

إن من سنة الله تعالى الجارية في الرُّسُلِ وأتباعهم أن جعلَ لهم أعداءً يترَبَّصون بهم الدوائرَ، وينسجون لهم المكائدَ، يصدونهم عن سبيلِ الله تعالى ويبغونها عوجاً، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقد فرضَ اللهُ تعالى على الرُّسُلِ وأتباعهم مراغمةَ أعدائِهِ ومجاهدَتِهِم، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ولا شيء أحبُّ إلى الله من مراغمةٍ وليِّه لعدوِّه وإغاظته له"<sup>(٢)</sup>.

وأولى أعداءِ اللهِ ورسولِهِ بالمراغمةِ والمجاهدةِ هو إبليسُ عليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، فإنه أشدُّ الأعداءِ فتكاً وأمضاهم كيداً وأقدمهم عداوةً ومكراً، فكلُّ أعداءِ اللهِ ورسولِهِ عنه يصدُّرون، وبأمرِهِ يأترون، فإنها هم جندهُ وحزبُهُ ﴿أُولَئِكَ

(١) سورة الأنعام (١١٢).

(٢) مدارج السالكين (٢٤٩/١).

حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١١﴾.

عباد الله، إن المتأمل للكتاب المبين والسنة النبوية يلاحظ شدة اعتناء الكتاب والسنة بذكر عداوة الشيطان وكيدِه ومحاربتِه ووجوب مجاهدتِه، فإن الله تعالى قد ذكره في مواضع كثيرة، وقد أفردت له سورة خاصة تامة، فتحذير رب العالمين لعباده من هذا العدو المبين كثيرٌ مستفيضٌ في كتاب الله تعالى، وما ذلك إلا لما لهذا العدو القوي من صولة وجولة، فإنه لعنه الله مصدر كل فتنة وبلاء ومنبع كل شر وعناء، وقد أخذ على نفسه الميثاق أن يضل بني آدم، وأن يطرق لذلك كل باب، وأن يسلك كل سبيل قال الله تعالى حاكياً عنه: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقال في موضع آخر: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فيا عباد الله ما من طريق من طرق البر والطاعة إلا والشيطان قاعدٌ لكم عليه بالمرصاد يزهلكم فيه ويفرركم عنه، وما من سبيل من سبل الشر والمعصية إلا وعدوكم منتصبٌ عليه يدعوكم إليه ويزينه لكم ويجمله في أعينكم، فإياكم، إياكم، إياكم، أن تطيعوه أو تصغوا إليه؛ فإن عاقبة ذلك إلى الخسران في الدنيا والآخرة، قال

(١) سورة المجادلة (١٩).

(٢) سورة الأعراف (١٦-١٧).

(٣) سورة ص (٨٢).

الله تعالى عن الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى بيّن لنا عداوة الشيطان، كما أنه سبحانه بيّن وسائله وطرقه، وكشف مكره وكيدته، وحذّر من ذلك كله.

أيها المؤمنون.

إن الله تعالى قد دلّنا برحمته وفضله إلى الأسلحة التي يُواجهُ بها كيد هذا العدو المتربص، وهي أسلحة كثيرة منتشرة في كتاب الله وسنة رسوله، فمن أخذ بها فقد سلك سبيل النجاة، ومن أعرّض عنها أو تهاون بها فإنما حاله كما قال الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها  
إن السفينة لا تجري على اليبس<sup>(٢)</sup>

فلا نجاة للعبد إلا بهذه الأسلحة القرآنية النبوية، فاحرصوا ببارك الله فيكم على معرفتها والأخذ بها.

فمن أكثر هذه الأسلحة وأمضاها فتكاً وأعظمها أثراً: اعتقاد واستحضار ضراوة عداوة هذا العدو المبين، الذي لا يرجى زوال عداوته، فإنها عداوة قد أعلنها لآدم وذريته من أول لحظات وجودهم وخلقهم، فهي معركة قديمة دائمة لن تضع أوزارها ولن يجبو أوارها إلا حين يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها المؤمنون.

(١) سورة فاطر (٦).

(٢) زهر الأداب وثمر الأبواب ٢٠٦/٢.

ولأهمية هذا السلاح - وهو اتخاذُه عدوًّا - أمر الله تعالى بذلك في كتابه في غير ما آية، من ذلك قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾<sup>(١)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن دعوة الله تعالى لنا أن نتخذ الشيطان عدوًّا ليس المرادُ منها لعنه باللسان وبغضه بالقلب مع طاعته فيما يأمر، واتباع خطواته والاعتذار بعوده والاسترسال مع وساوسه وأكاذيبه، بل المراد بهذه الدعوة بغضه بالقلوب ولعنه بلعنة الله ومخالفة أمره بالجوارح، والإعراض عن تزيينه وتضليله وزخرفته، فإن هذا من أجل القربات وأفضل الطاعات، قال ابن القيم رحمه الله: "والأمر باتخاذ عدوًّا تنبيهٌ على استفراغ الوسع في محاربتة ومجاهدته كأنه عدوٌّ لا يفتر - ولا يقصر - عن محاربة العبد على عدد الأنفاس"<sup>(٢)</sup>.

فإن كلَّ من أطاع الشيطان في معصية الله تعالى فقد اتخذها وليًّا، قال الله تعالى في سورة مريم في قصة دعوة إبراهيم لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن القيم رحمه الله: "فكلُّ راكبٍ وماشٍ في معصية الله فهو من جنِّ إبليس"<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة فاطر (٦).

(٢) زاد المعاد ٥/٣.

(٣) سورة مريم (٤٤-٤٥).

(٤) مدارج السالكين ١/١٣٧.

فاحذروا أيها المؤمنون الدعاوى الكاذبة، فكم هم الذين يدعون عداوة الشيطان وبغضه وهم من أخلص أحبائه وأخص أوليائه.

عباد الله.. إن من أعظم الأسلحة التي تنجي العبد من غوائل الشيطان وشره وعداوته: الإخلاص لله تعالى، فإن أهل الإخلاص محفوظون بحفظ الله تعالى، قال تعالى مخاطباً إبليس لما أخذ على نفسه الميثاق في إضلال بني آدم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فمن تحقق أيها المؤمنون بهذه الصفات من الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه والإخلاص له، فقد أغلق على عدوه الأبواب وسدَّ عليه كل باب.

والإخلاص الذي يعصم العبد من كيد الشيطان ومكره هو أن يصرف العبد العبادة لله وحده لا شريك له، فلا يعبد إلا الله، ولا يحب إلا الله، ولا يعظم إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا يدعو غير الله، ولا ينذر غير الله، ولا يتحاكم لغير شرعه، فمن وقع في شيء من ذلك فقد وقع في بعض شعب الكفر أو الشرك، ويكون بذلك ممن اتخذ الشيطان ولياً من دون الله، نعوذ بالله من الخذلان.

أيها المؤمنون.

إن من وسائل رد كيد عدوكم وإفساد سعيه في إضلالكم الاستعاذة بالله العظيم، ذي الوجه الكريم والسلطان العظيم من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ

(١) سورة الإسراء (٦٥).

(٢) سورة النحل (٩٩).

مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ ، وهذه الاستعاذة التي تتردّد على ألسنتنا هي طلبُ العوذِ من الله تعالى، أي: طلبُ الامتناعِ بالله والاعتصامُ به والالتجاءُ إليه من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ، قال ابن كثير رحمه الله: " ومعنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم لا يضرني في ديني ودنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله " (٢)؛ لذلك أنزل الله علينا في كتابه سورتين خاصتين بطلبِ الحفظِ من كيده وشر عداوته: سورة الفلق، وسورة الناس، قال ابن القيم رحمه الله: " والناس محتاجون إلى هاتين السورتين " .

ولذا فإن الأذكارَ الواردةَ عن النبي ﷺ كثيراً ما تتضمنُ الاستعاذةَ بالله تعالى من الشيطانِ وشرِّه، فاحرصوا بارك الله فيكم على الاستعاذةِ بالله من هذا العدوِّ المبينِ، فإنه لا حول ولا قوة لنا إلا بالله العظيم، قال الشاعر:

العبْدُ في كنفِ الإلهِ وحفْظِه      من كلِّ شيطانٍ غويٍّ ساهِ  
إن عادَ بالرحمنِ عند صباحِه      وكذلك إن أمسى بذكرِ الله (٣)

فنعوذُ بالله العظيم من الشيطان الرجيم من نفخه ونفته وهمزه .



(١) سورة فصلت (٣٦) .

(٢) تفسير ابن كثير ١١٤/١ .

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين (١١) .

الخطبة الثانية

أما بعد.

فإن مما يردُّ عنكم كيدَ الشيطانِ ويبطلُ عمله كثرةُ ذكرِ اللهِ تعالى فإن ذكرَ اللهِ تعالى  
دواءً لكلِّ داءٍ:

إِذَا مَرَضْنَا تَدَاوِينَا بِذِكْرِكُمْ وَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَفَنْتَكِسُ<sup>(١)</sup>

فذكرُ اللهِ تعالى من أعظمِ أسبابِ دفعِ تسلطِ الشياطينِ، فإن الشيطانَ يَخْسُ عندَ ذكرِ  
اللهِ تعالى، ويتضاءلُ ويضمحلُّ، بل يهربُ وينهزمُ، فذكرُ اللهِ تعالى أثقلُ شيءٍ على  
عدوِّه، فهو الحرزُ المتينُ والحصنُ الحصينُ الذي يحفظُ به العبدُ نفسه من الشيطانِ  
الرجيمِ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من)  
قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ في  
يومٍ مائةً مرةً كانت له عدلٌ عشرِ رقابٍ، وكتبت له مائةً حسنةً، ومحيت عنه مائةً سيئةً،  
وكانت له حرزاً من الشيطانِ يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا  
أحدٌ عملَ أكثرَ من ذلك)<sup>(٢)</sup>.

فإذا قلَّ نصيبُك يا عبدَ الله من ذكرِ اللهِ تسلطَ عليك إبليسُ بالوساوسِ وأجلبَ  
عليك بنخيلِهِ وَرَجَلِهِ وَزَيْنَ لِكَ المعاصيِ والموبقاتِ، وزهدك في الطاعةِ والقُرْبَاتِ؛ ولذا  
فإن ذكرَ اللهِ تعالى من أعظمِ المنجياتِ، فأكثرُوا عبادَ الله من ذكرِ اللهِ تعالى، كما أمركم

(١) مدارج السالكين ٢/٤٢٣

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

الله بذلك، حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

فأكثرُوا من ذكرِ الله لاسيما تلاوةُ القرآن، فإنه من أشدِّ الأشياءِ على الشيطانِ، ففي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً؛ فإنَّ الشيطانَ ينفرُ من البيتِ الذي تُقرأ فيه سورةُ البقرة)<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيح أيضاً في قصةِ أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطانِ أن عدوَّ الله قال له: دعني أعلمك كلماتٍ ينفعك اللهُ بها. قلت: وما هن؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشِك لن يزالَ عليك من الله حافظٌ ولا يقربُك شيطانٌ حتى تصبحَ، فقال النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه لما أخبره: (أما إنه قد صدَّقك وهو كذوبٌ)<sup>(٣)</sup>.  
أيها المؤمنون.

إن من أسبابِ النجاةِ من الشيطانِ وكيدِهِ معرفةُ خطواتِهِ ومداخلِهِ، فإن الله تعالى قد نهى المؤمنين عن اتباعِ خطواتِ الشيطانِ، كما قال الله تعالى: ﴿ولا تتبعوا خطواتِ الشيطانِ إنه لكم عدو مبين﴾<sup>(٤)</sup> ولا يتمكَّنُ العبدُ من اجتنابِ خطواتِ الشيطانِ إلا بمعرفتها، فصارت معرفةُ خطواتِهِ واجبةً على كلِّ مسلمٍ، فإنه ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ، وقد بيَّن اللهُ تعالى خطواتِهِ حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا

(١) سورة الأحزاب: آية (٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣١١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠١٠).

خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿١﴾.

فكلُّ فحشاءٍ وكلُّ منكرٍ فهي من خطواته وأعماله.

أيها المؤمنون.

هذه بعض الوسائل التي ذكرها الله تعالى لمواجهة هذا العدوَّ المارد، فاحرصوا عليها

واستزيدوا منها، أعاننا الله وإياكم على ذلك.



## ١٠١ - وسائل الإعلام

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى، واحذروا أسباب الشرِّ وسبله، فإن الشيطانَ قاعدٌ لكم بالمرصاد، يؤزُّكم إلى المعاصي أزا، ويزهِّدكم في الطاعات والقربات، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا

أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن من أبرز سمات هذا العصر ثورة كبرى في الإعلام والاتصالات، غدا بها عالمنا اليوم شبكة متداخلة، متصلة الأطراف، فيما يجري في أقصى العالم يعلمه ويطلع عليه من في سائرهِ، ولم تعد بقعة من العالم في منأى عن هذا الاشتباك والاتصال، الذي يكاد يطبق على الأرض، فوسائل الإعلام والاتصال على اختلافها وتنوعها، تطرُق كل باب، وتدخل كل بيت، وتنزل في كل وادٍ، فيطالعها الصغير والكبير، والعالم والجاهل، والذكر والأنثى، والحاضر والباد.

(١) سورة الأعراف (١٦).

فليت شعري!! كيف هي الحال لو سُخِّرَت هذه النعمة الكبرى في هداية الناس، ودلالتهم على سعادة الدنيا وفوز الآخرة؟!  
أيها المؤمنون.

إن لوسائل الإعلام على اختلافها قوةً، لها شأنها وأثرها الكبير في تشكيل الآراء والأفكار، وصياغة العقول وتربية الأجيال، وإن مما يُفزع العقلاء، ويُقلق الحكماء، ويقض مضاجع العلماء أن هذه الوسائل الخطيرة - التي لا يخفى أثرها في تغيير الأمم والمجتمعات - ما تزال في معظمها في يد حفنة من أعداء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ويريدون أن نميل ميلاً عظيماً، ومما يزيد الأمر شدةً، والطين بلةً أن أكثر الناس في غفلة عن خطورة هذه الوسائل، حتى أن فئاماً من الناس أقبلوا على هذه الوسائل إقبال الجائع الصادي على طعامه وشرايه، لا سيما قنوات البث المباشر، التي تسمى الدشوش، فأسلموا لهذه القنوات قيادهم، وعطّلوا عقولهم وفطرهم، فتحوا لها أبوابهم، بل أفقدتهم وقلوبهم، فأعنا أعداءنا على أنفسنا، فغدا بسبب كثير من هذه الأجهزة المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المؤمنون! إن لوسائل الإعلام والاتصال على اختلافها وتنوعها، صحافةً أو إذاعةً أو تلفازاً أو قنوات بث مباشر أو غيرها مما شابهها، إن لها أضراراً وأخطاراً عظيماً، يتلاشى أمامها ما قد يوجد فيها من المنافع إن وجدت، فالواجب توقي هذه الأخطار، وتلك الأضرار، والحذر منها، والانتباه لها، وليس الخبر كالمعاينة.

أيها المؤمنون! إن من أكبر أخطار هذه القنوات، وتلك الوسائل الإعلامية: أنها

عَدَّت من أهمِّ أدواتِ أعدائنا، في تحقيقِ مآربهم وأهدافهم ومخططاتهم، في التسلطِ على الأمة، ونهبِ خيراتها، وسلبِ إرادتها، والتشكيكِ في دينها وثوابتها.

ومن أخطارِ هذه الوسائلِ أيضاً: إضعافُ العقيدة، بإظهارِ شعائرِ الكفرِ وتمجيدِها، والقضاءِ على مفهومِ البراءةِ من الكفرِ وملِّه وأهلِه، فإنَّ نَشْرَ صورِ الكفارِ وديانتهم وشعائرهم وأعمالهم، تُذهبُ من النفوسِ استنكارَها، وتُقرُّ استساغتها، وتزِيلُ من النفوسِ البغضَ لها ولأهلها.

أيها المؤمنون! إن من مفسدِ الإعلامِ وأجهزته: أنها تروِّجُ وتدعو إلى التشبُّه بالكفارِ في أخلاقهم وأفكارهم وآدابهم ونُظُمهم وعاداتهم، وملابسهم وقصَّاتِ شعورهم، بل وفي معتقداتهم.

أيها المؤمنون.

إن من مفسدِ قنواتِ الشرِّ، ووسائلِ الإفسادِ: أنها تقتلُ الفضيلةَ، وتحيي الرذيلةَ، وتشيعُ الفاحشةَ، وتحاصرُ الحسنةَ وتمجدُ الفسادَ والإلحادَ، وتزهدُ في طاعةِ ربِّ العبادِ، تثيرُ الشهواتِ والغرائزَ، وتزيِّنُ السيئاتِ والفواحشَ، فهي سببُ كثيرٍ من الانحرافِ، الذي يعانيه كثيرٌ من الناسِ في أبنائهم وبناتهم، وهو نتاجُ تلكِ المسموعاتِ والمرئياتِ.

أيها المؤمنون.

إنَّ من مفسدِها: أنها تعودُّ المرءَ على رؤيةِ المنكراتِ وعدمِ إنكارِها، وهذا من أخطرِ مفسدِها، وإنه لمن المؤسفِ المؤلمُ حقاً أن ترى كثيراً ممن يحبُّون الخيرَ، ويحضرونِ جماعَ البرِّ فضلاً عن غيرهم من الخلقِ، قد استمروا وجلوسَ الساعاتِ الطوالِ أمامَ أجهزةِ الإعلامِ، لمتابعةِ برامجٍ تعجُّ بالمنكراتِ، فيها النساءُ المتبرجاتُ، والكلماتُ

القييحات، والعقائدُ الفاسداتُ، وفيها الشرورُ والموبقاتُ، ملؤوا بها أبصارَهم وأسماعَهم، بل وأفئدتَهم وقلوبَهم، دون إنكارٍ لها، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، ألا يظنُّ أولئك أنهم مبعوثون، وعن هذه المناظرِ مسؤولون، وعلى تلك الساعاتِ محاسبون، أما يخشى هؤلاء على قلوبهم الفسادَ والعطبَ، من تلك المناظرِ القاتلةِ، والمشاهدِ الفاتنةِ، التي تخرُجُ فيها المرأةُ بكاملِ زينتها، قد ارتدت أبهى ملبسها، وأكثرها فتنةً، وأصرَحها ألواناً، تحكي على الملاءِ كلاماً، يبعثُ في القلوبِ الشهواتِ، ويميجُ في النفسِ الغرائزَ والنزواتِ، مع ما يصاحبُها من مجملاتٍ ومحسناتٍ، أين هؤلاء من قوله ﷺ: (النظرةُ سهمٌ من سهامِ إبليسِ) <sup>(١)</sup>.

أيها المؤمنون، إن من مفسدها تقليلُ الخيرِ، وهدمُ بناءِ أهله، وتكثيرُ الشرِّ، وإفسادُ أهله، فإن ما تبنيه وسائلُ الإصلاحِ، ومنابعُ الخيرِ في المساجدِ والمدارسِ وغيرها، تهدمه الأغنيةُ الماجنةُ، وتبغُّضُ فيه الأفلامُ الخليعةُ، أو الصحفُ والمجلاتُ المتبدلةُ، أو القصصُ الرخيصةُ أو القنواتُ الخبيثةُ، وما أجودَ ما قاله الأوَّلُ في وصفِ هذا الواقعِ، حيث قال :

متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامه إذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدمُ

ولو أَلَفُ بانٍ خلفهم هادمٌ كفى فكيف بيانٍ خلفه أَلَفُ هادمٍ <sup>(٢)</sup>

(١) أخرجهُ الحاكم (٧٨٧٥)، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) ديوان بشار بن برد (١٠٣١).

## الخطبة الثانية

أما بعد .

فإن من واجبنا تجاه ما ذكرناه من أخطارِ حفظِ النفسِ والأهلِ، من هذه الوسائلِ،

لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾<sup>(١)</sup> .

التواصيِ بالحقِّ، وذلك بإشاعةِ الوعيِ بأخطارِ هذه الوسائلِ، والتذكيرِ بها.

الاحتسابَ عليها بالإنكارِ على ما تبثُّه من شرورٍ، وتشرُّه بين المسلمين، بالمهاتفةِ أو

المكاتبةِ، أو غير ذلك من الوسائلِ المتاحةِ الممكنةِ.



(١) سورة التحريم: (٦).

## ١٠٢ - الحثُّ على النكاح

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

الحمدُ لله الذي من آياته أن خلقَ من الماءِ بشراً، فجعله بحكمته وقدرته نسباً  
وصهرأً، أحمدهُ جلَّ وعلا حمداً يليقُ بعظيمِ قدرته، وبالغِ حكمته، وأشهدُ أن لا إله إلا  
الله، وأن محمداً عبده ورسوله، صاحبُ المقامِ المحمودِ والحوضِ المورودِ، صلى الله  
عليه وسلم، وبعد .

فاتقوا الله عباد الله بامثالِ شرعه وتركِ مغاضبه، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته  
ويعظم له أجراً.

عباد الله، إن من آياتِ الله العظيمةِ ونعمه الجليلةِ أن خلقَ لكم من أنفسكم أزواجاً  
لتسكنوا إليها، وجعلَ بينكم مودةً ورحمةً، ففي النكاحِ يا عبادَ الله خيراتٌ كثيرةٌ،  
ومصالحٌ عظيمةٌ؛ ولذلك أمرَ اللهُ تعالى به، فقال تعالى ذكره: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ  
مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وحتَّ عليه النبي ﷺ، فقال: (يا معشرَ الشبابِ، من استطاعَ منكم الباءةَ فليتزوج؛ فإنه

(١) سورة النساء (٣) .

أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصِنُ لِلْفَرْجِ<sup>(١)</sup>، والباءُ هُي القُدْرَةُ عَلى التَزْوِجِ بِالمَالِ وَالبَدَنِ.  
 فَالنِّكَاحُ يَا عِبَادَ اللَّهِ سُنَّةُ الأنْبِيَاءِ، وَقَدْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالاقتداءِ بِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى:  
 ﴿فَبَهَادِهِمْ اقْتَدِهْ﴾<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ ﷺ: (إِنِّي أَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ  
 رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ شَدَّدَ السَّلْفُ رَحْمَهُمُ اللَّهُ فِي تَرْكِ النِّكَاحِ مِنْ غَيْرِ عَذْرِ، فَقَالَ عَمْرُ بْنُ الخَطَّابِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا يَمْنَعُ مِنَ النِّكَاحِ إِلَّا عَجْزٌ أَوْ فُجُورٌ"<sup>(٤)</sup>، فَبَيَّنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَا  
 يَمْنَعُ مِنَ النِّكَاحِ، إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ المَذْمُومَيْنِ.

فَلِلنِّكَاحِ مَنزَلَةٌ عَظِيمَةٌ، لِمَا لَهُ مِنَ العَوَائِدِ الجَمِيلَةِ وَالفَوَائِدِ الجَلِيلَةِ.  
 وَالنِّكَاحُ يَا عِبَادَ اللَّهِ حَصْنٌ حَصِينٌ، يَتَّقَى بِهِ المَرْءُ وَالمُجْتَمَعُ شَرًّا كَثِيرًا وَفَسَادًا عَرِيضًا،  
 لَا سِيَّمَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَيَّامِ، الَّتِي كَثُرَتْ فِيهَا الفِتْنُ وَالشَّهَوَاتُ، فَالنِّكَاحُ مُعِينٌ عَلَى  
 الاِسْتِقَامَةِ وَالدِّينِ، وَهُوَ مَبْطَلٌ لِكَيْدِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَجُنُودِهِ المَفسِدِينَ، السَّاعِينَ فِي  
 الغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ المَبِينِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِهِ لآيَاتِ النِّكَاحِ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ  
 عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا. يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٧)، ومسلم (٢٤٨٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) سورة الأنعام (٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤١١٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٩١).

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿١﴾.

فالإنسان أيها المؤمنون ضعيفٌ من جميع الوجوه، ولا يتخلص من عاقبة هذا الضعف الخلقى، إلا بالتزام الشرع واتباع الأمر. أيها المؤمنون.

إن من الواجب علينا جميعاً الاهتمام بموضوع النكاح، والتعاون على تسهيله وتحقيقه، وإزالة العوائق من طريقه، وإن مما يحزن القلب ما نشاهد في واقع الناس اليوم، من كثرة العراقيل والعقبات، التي وُضعت في طريقه، مع كثرة الفتن وقيام سوق الشهوات، فمن العقبات التي يجب حلُّها وإزالتها غلاء المهور، وارتفاعها إلى حدٍّ أصبح النكاح معه عسيراً على كثيرٍ من الناس.

فاتقوا الله أيها الأولياء، يسروا ولا تعسروا، فإن قلة المهر أدعى لحصول البركة والخير، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا تغالوا في صدق النساء -أي: في مهورهن- فإنها لو كانت مكرومةً في الدنيا، أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأةً من نسائه، ولا امرأةً من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية"<sup>(١)</sup>، يعني ما يساوي اليوم مائة وعشرين ريالاً سعودياً، فهذا صدقٌ خير الأزواج وخير البنات.

(١) سورة النساء (٢٧-٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٥)، والترمذي (١١١٤)، ابن حبان (٤٦٢٠)، الحاكم (١٩١/٢)، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم.

فاتقوا الله أيها الأولياء، فإن نساءكم أمانة في أيديكم، والله سائلكم عنها، فأعدوا للسؤال جواباً.

أيها المؤمنون.

إن مما بُلي به بعض من خان الأمانة من الأولياء عضل البنات، الذي نهى الله عنه حيث قال: ﴿فَلَا تَعْضَلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾<sup>(١)</sup>، فإن بعض ضعاف العقول والنفوس من الأولياء يمنع نساءه من النكاح، لأسبابٍ واهية، وحجج باطلة، فيكون سبباً في فسادهن أو فواتهن، وقد حذر النبي ﷺ من هذا الفعل أشد التحذير، فقال ﷺ: (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)<sup>(٢)</sup>. أتدرون ما الفتنة والفساد الكبير يا عباد الله؟ إنه ظهور الزنى والفاحشة، الذي قال الله فيه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فياكم أيها الأولياء من العضل والمنع، فإنهما من أعظم الخيانة لهذه الأمانة. أيها المؤمنون.

إن من العقبات التي احتفت بالنكاح في هذه العصور المتأخرة الإسراف البالغ في أمور النكاح، في الولائم والهدايا وغير ذلك، ولا يشك عاقل أن هذا الأمر له عواقب وخيمة، من الإسراف والتبذير والمباهاة والمفاخرة، والتعقيد لأمر الزواج، وعجز

(١) سورة البقرة (٢٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١١٠٨) وحسنه.

(٣) سورة الإسراء (٣٢).

الكثيرين عنه.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واقتصدوا في هذه الأمورِ، فليس هذا الفعل والله من الكرمِ  
والإحسانِ، بل هو من البطرِ والطغيانِ، ونعوذ بالله الجليل من الخسران.  
اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ، اللَّهُمَّ إنا نسألك البر والإحسان  
والصالح من الأعمال.



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، وقوموا بما فرضَ اللهُ عليكم من حفظِ الأمانةِ وأدائها، واعلموا أن نساءكم أمانةٌ في أيديكم، فاتقوا اللهَ فيهن، مُرُوهُنَ بالمعروفِ وانهُوهُنَ عن المنكرِ، رَغَّبُوهُنَ فِي الخيراتِ، وحثُّرُوهُنَ من السيئاتِ، بادروا في إعفائهن بتزويجهن الصالحين من إخوانكم، لا تمنعهن الزواجَ من أجلِ الدراسةِ أو الوظيفةِ، ولو رغبن في ذلك فإن ذلك لا يفوتُ، ولكن سنُّ الزواجِ إذا فات فإنه لا يمكن إدراكه، ويصعب تعويضه.

عباد الله أيها الأولياء، إن مسؤوليتكم عظيمة، فاتقوا الله واستعينوا به في القيام

بهذه الأمانة، فإنه جلّ وعلا نعم المولى ونعم المعين.



## ١٠٣ - وقفات مع قضية النكاح

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون، عبادَ الله، إنَّ من رحمةِ اللهِ تعالى بكم، ومن لطيفِ إحسانه إليكم أن خلقَ لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعلَ بينكم مودةً ورحمةً، فأحلَّ بفضله النكاحَ، بل أمركم به، ورغبكم فيه، وحثَّكم عليه، فقال سبحانه: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقال جل ذكره: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال رسولُ الله ﷺ: (يا معشرَ الشبابِ، من استطاعَ منكم الباءةَ فليتزوّجْ؛ فإنه أغضُّ للبصرِ وأحصنُ للفرجِ)<sup>(٣)</sup> والباءةُ هي القدرةُ على النكاحِ بالمالِ والبدنِ.

أيها المؤمنون.

(١) سورة النور (٣٢).

(٢) سورة النساء (٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٨٥) من حديث عبد الله بن مسعود ؓ.

إن منزلة النكاح في الشرع عظيمة، وفوائده جليلة، فإنه من أعظم ما يعين على الاستقامة، ويحنب المؤمن الضلال والغواية، فبه يحصل قضاء الوطر، وسرور القلب، وتحصين الفرج، وغض البصر، وغير ذلك من الفوائد ونفائس الغرر. فتعاونوا أيها المؤمنون جميعاً على تكثير النكاح وتيسيره، وإشاعته وتذليل سبيله وإزاحة عوائقه.

أيها المؤمنون.

إننا بحاجة ماسة إلى أن نقف مع قضية النكاح والزواج وقفات عديدة، نعالج فيها بعض أخطائنا، ونصوب فيها سيرنا، ونقوم معوجنا، وننبه غافلنا، فإن موضوع النكاح موضوع حساس، اختلطت فيه العادة بالعبادة، حتى التبس الأمر فيه على كثير من الناس.

أيها المؤمنون.

إن أهم مسألة نبدأ بها وقفاتنا مع النكاح هي ضرورة المبادرة إليه، عند قيام دواعيه، استجابةً لنداء الفطرة التي فطر الله الناس عليها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾<sup>(١)</sup> وطاعةً لأمر الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز لمؤمن تأخير النكاح مع الحاجة إليه، وتوافر أسبابه وشروطه، سواء كان التأخير لأجل إكمال الدراسة، أو تحصيل الوظيفة، أو زواج الأخ، أو البنت الكبرى قبل الصغير أو الصغرى، أو غير ذلك من الحجج والدعاوى الباردة الواهية.

(١) سورة الروم: ٢١.

أيها المؤمنون.

إن مما يدعو إلى القلق، وينذرُ بالأخطارِ والفتنِ ظاهرة تأخيرِ نكاحِ الذكورِ والإناثِ، لا سيما في هذه الأوقاتِ، التي راجت فيها سوقُ الشهواتِ، وتيسرت أسبابُ الوقوعِ في الفواحشِ والموبقاتِ.

عباد الله، إن سلف الأمة الصالح قد شدّدوا في تركِ النكاحِ مع قيامِ دواعيه وانتفاءِ موانعه، فهذا الفاروقُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه يقول: "لا يمنع من النكاحِ إلا عجزٌ أو فجورٌ" (١).

فاتقوا الله عباد الله، اتقوا الله أيها الشباب، اتقوا الله أيها الأولياء، وامثلوا أمره في المبادرة إلى النكاحِ، فإنه حصن حصين، يقي الأمة شرًّا كبيراً، وفساداً عريضاً ﴿والله يُريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذين يتبعون الشهواتِ أن تميلوا ميلاً عظيماً يريدُ الله أن يخففَ عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ (٢).

عباد الله، إن مما يُوقفُ عنده في قضيةِ النكاحِ اختيارَ الزوجةِ، فإن اختيارَها له أهميةٌ فائقةٌ، وعاقبةٌ عظيمةٌ، يُحتاجُ معها إلى تروٍّ وبعُدِ نظرٍ، ففي الصحيحين من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفرْ بذاتِ الدينِ تربت يداك) (٣).

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٩١).

(٢) سورة النساء: ٢٧.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦١).

عباد الله، إن أهم الصفات التي يجب أن يعتنى بها عند اختيار الزوجة استقامة الدين والخلق، فإن المرأة كلما كانت أدين وأكمل خلقاً كانت أحب إلى النفس، وأقرب إلى حسن العشرة، فالمرأة ذات الدين قائمة بأمر الله، حافظة لحقوق زوجها وفراديه وماله، راعية لأولادها، قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>، والمرأة ذات الخلق -أيها المؤمنون- تتودد لزوجها وتحترمه، وتتلطف له وتحسن معاشرته، فافظر بذات الدين تربت يداك .

أيها المؤمنون.

وإن مما يجب أن يهتم به، ويعتنى به عند اختيار الزوجة أن تكون حسنة المنظر، محصلاً بها مقصود النكاح، من إعفاف النفس والفرج والبصر، دون غلو ولا إجحاف، فإن بعض الشباب هداهم الله يبالغون في الشروط والمواصفات، حتى لا تكاد ترى تلك الصفات مجتمعة في امرأة واحدة، فترى هذا المسكين معطلاً عن النكاح سنوات، يطلب هذه الأوصاف العزيزة، التي لا توجد إلا في النوادر من النساء، فليتيق الله هؤلاء الشباب، فإن جمال الصورة سريع الزوال، والذي يبقى هو جمال الباطن، قال الله تعالى: ﴿وَلِيَأْسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فلو اكتفى هذا ببعض الجمال الذي يحصل به المقصود لكان خيراً له، وأحسن تأويلاً.

أيها المؤمنون! إن من الواجب على أولياء النساء أن يطلبوا لنسائهم من الرجال كل ذي

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) سورة الأعراف: ٢٦.

خلقٍ فاضلٍ، ودينٍ مستقيمٍ، فقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض، وفسادٌ كبيرٌ)<sup>(١)</sup>.

فانظروا أيها الأولياءُ في هذه الأمانةِ العظيمةِ، التي حملتموها، تحرَّروا في حالٍ من يتقدَّم لكم طالباً النكاحِ من نسائكم، سلوا عن دينه واستقامته، ابحثوا عن أخلاقه ومعاملته، انظروا في أصحابه وأقرانه، ولا تغرَّبكم المظاهرُ أو المناصبُ أو الأموال.

واعلم أيها الأبُّ، وأيها الوليُّ على المرأةِ أن الله الوليُّ الكبيرُ، العليُّ العليمُ، الغالبُ الطالبُ، الذي يعلمُ السرَّ وأخفى، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ، اعلم أن الله تعالى سألَكَ عن هذه الأمانةِ يومَ القيامةِ، كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته، فأعدَّ -بارك الله فيك- للسؤالِ جواباً، وإياك إياك أن تزوجَ ابنتك، أو أختك من لا يصلي، أو من يشربُ الخمرَ، أو يأكلُ الرِّبَا، أو يأتي الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ، أو من لا تُرضى أخلاقُه وسجاياه، فإن هذا خيانةٌ للأمانةِ وغشٌّ للرعية.

أيها الأولياءُ، إن من أداءِ الأمانةِ أن تشاورَ النساءَ فيمن يتقدَّمُ لهن، فإنه لا يجوزُ لكم أن تُكرهوا النساءَ على نكاحٍ من لا يرِدُن نكاحه، فإن النبيَّ ﷺ قد نهاكم عن ذلك، سواءً كانت المرأةُ بكرًا أو ثيبًا، ففي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: (والبكرُ يستأذنها أبوها)<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (١١٠٨) وحسنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأما الشيب فقال ﷺ: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر)<sup>(١)</sup>.

ولينتبه الأولياء إلى أن هذه المشاورة إنما تكون بعد التحقق من استقامة دين المتقدم للخطبة، وصلاح أخلاقه، فإن المرأة لا حيلة لها في معرفة أحوال الرجال وصلاحيهم، فإذا ثبت لك استقامة دين المتقدم وخلقه، فشاور ابنتك أو أختك، ويين لها حاله تمام البيان، وحثها على قبوله، فإن أبّت فالأمر إليها.



(١) أخرجه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٥٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، واحذروا أسبابَ سخطِهِ، وموجِبَاتِ عُقُوبَتِهِ.

أيها المؤمنون.

إن من الخيانة التي وقعَ فيها بعضُ أولياءِ النساءِ عضلَهُن، ومنعَهُن من نكاحِ الصالحين الأكَفَاءِ من الرجالِ، إما طمعاً في المهورِ العالِيَةِ، أو الرواتبِ الجاريةِ، إن كانت المرأةُ موظفةً أو عاملةً أو غيرَ ذلك من الأسبابِ الواهيةِ.

أيها المؤمنون.

إن عضَلَ النساءِ، ومنعَهُن مِن نكاحِ مَنْ يُرضى دينُهُ وخلقهُ كبيرةٌ من الكبائرِ، وسببٌ لشورٍ وفتنٍ وعظائمٍ، فاتقوا اللهَ أيها الأولياءُ، واعلموا أن أهلَ العلمِ قد قالوا: إنه إذا عضَلَ الوليُّ الأقربُ بدونَ مسوِّغٍ شرعيٍّ، فإن الولايةَ تنتقلُ عنه إلى الوليِّ الأبعدِ، فإذا امتنعَ الأبُّ مثلاً من تزويجِ ابنته كُفُؤاً في دينه وخلقه، وقد رغبت فيه المرأةُ ورضيت، فإنه يزوّجُها أولى الناسِ بها بعده، من إخوتها أو أعمامِها وبنينها إن كان لها أبناءٌ، فإن امتنعَ هؤلاء، فإن السلطانَ -أي: الحاكمَ الشرعيَّ- وليٌّ من لا وليَّ له.

فاتقوا اللهَ أيها الأولياءُ، وأصلحوا أعمالكم، وسارعوا إلى إعفافِ نسائكم بنكاحٍ من يُرضى دينُهُ وخلقهُ.

أيها المؤمنون.

إن من أعظمِ العضلِ وأشدِّ الظلمِ ما تفعله بعضُ القبائلِ، من تحجيرِ المرأةِ على ابنِ عمها أو قريبها، فلا تتزوجُ للأبدِ، ولو كانت كارهةً له ولا تريدهُ، وإذا تزوجت من

غيره هُدِّد بالقتل والإفساد، وهذه العادة الجاهلية عادةٌ قبيحةٌ باطلةٌ، تأبأها النفوسُ السويةُ، والعقولُ الراجحةُ، فيجب علينا جميعاً أن نتخلى عن هذه العادةِ الباطلةِ، وغيرها من العوائدِ القبيحةِ المحرمةِ.

أيها المؤمنون.

تعاونوا جميعاً على تكثيرِ النكاحِ بين المسلمين، بتسهيلِ أسبابهِ والإعانةِ عليه والدعوةِ إليه، فإنه من نعمِ اللهِ الجليلةِ التي يُصلحُ اللهُ بها العبادَ والبلادَ.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والرشد والغنى.

## ١٠٤ - التَّهَاؤُنْ بِأَمْرِ الطَّلَاقِ.

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إن مما وقع فيه كثيرٌ من الناسِ التهاؤنَ بأمرِ الطلاقِ؛ جهلٌ بأحكامِهِ، تلاعبٌ به، غفلةٌ عن عواقبِهِ، إيقاعٌ له في غير محله، استخفافٌ وتهوُّرٌ وطيشٌ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المؤمنون.

اتقوا الله في أمرِ الطلاقِ، فإن الطلاقَ شريعةٌ محكمةٌ، وليس أهواءٌ متحكمةٌ، ولا انفعالاتٌ طائشةٌ، ولا كلماتٌ فارغةٌ.

أيها المؤمنون! إن التلاعبَ بالطلاقِ، والتهاؤنَ بأمرِهِ تلاعبٌ بكتابِ الله، يوجبُ سخطَهُ وعقوبتَهُ، ففي الحديث أن النبي ﷺ أخبرَ أن رجلاً طَلَّقَ امرأته ثلاثَ تطليقاتٍ جميعاً، فقام ﷺ وهو غضبانٌ، ثم قال: (أَيْلَعِبُ بكتابِ الله وأنا بينَ أظهرِكُم؟! فقام رجلٌ فقال: يا رسولَ الله ألا أقتله؟<sup>(١)</sup>).

فاتقوا الله أيها الأزواجُ، واعرفوا لهذا الأمرِ حقَّهُ، فإن الله جل وعلا قد فرضَ فيه

(١) أخرجه النسائي (٣٣٤٨) وصححه ابن حجر في بلوغ المرام (١٠٧٢).

فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها.

أيها المؤمنون! إن من المؤسف المحزن أن كثيراً من سفهاء الأحلام تهاون في أمر الطلاق، فترى الواحد من هؤلاء يجري الطلاق على لسانه عند أدنى استفزاز، ولأوهى سبب، لا يراعي في ذلك لله أمراً ولا نهياً، ولا يقيم فيه لشرع الله وزناً.

ومن هؤلاء الرجال من يطلّق الطلقات الكثيرة، في مناسبات عديدة، دون أن يلتزم بمقتضى هذه الكلمات، فتجدّه يعاشر المرأة ويبقيها معه، مع أنه طلقها مراراً وتكراراً، وهي لا تحلّ له! زنا وسفاح، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن صور التهاون في أمر الطلاق: ما يفعله بعض الجهلة وضعفاء العقول من الحلف بالطلاق؛ فما أكثر ما تسمع من أحدهم قوله: "عليّ الطلاق" عند تأكيده لأمر؛ أو نفيه له؛ أو حثّ عليه؛ أو منع منه، وبعضهم يقول: عليّ الطلاق بالثلاث! ولا شك أيها المؤمنون أن من جعل الطلاق يمينه على طرف لسانه، يردّه عند كل تأكيد أو نفي أو حثّ أو منع، أنه مستهين بهذا العقد، متلاعب به، وأنه على خطر كبير. أيها المؤمنون.

إن من صور الاستهانة بالطلاق: تهديد المرأة به عند كل عارض، فتجد الواحد من هؤلاء المستهترين يهدّد زوجته بالطلاق بكرة وعشياً، ولا شك أن هذا ليس من العشرة بالمعروف، وأنه ضرب من التهاون والتلاعب، فإما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. فإياها الأزواج، اتقوا ربكم واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم، وعظّموا حرمة الله وشعائره لعلكم تفلحون.

الخطبة الثانية:

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

إن الله تعالى قد شرع الطلاق لحكمةٍ بليغةٍ، فإن هذه الكلمة بقدر ما تكون مؤلمةً موجعةً قاسيةً، إذا كانت في غير محلها، تكون عذبةً مفرحةً مفرجةً إذا كانت في محلها، على الوجه الذي شرعه الله تعالى.

إذا أراد أحدكم الطلاق في الحال التي يجوز فيها الطلاق، فليطلق مرةً واحدةً لا أكثر، فإن ما زاد على الطلقة الواحدة طلاقٌ بدعيٌّ محرّمٌ، وإن من العجب أن بعض ضعفاء العقول يطلق ثلاث تطليقاتٍ جميعاً، ثم يتندّم بعد ذلك فيشرّق ويغرّب؛ بحثاً عما يفتيه بعدم الوقوع، سفهٌ وحمقٌ وجهلٌ وطيشٌ.

أيها المؤمنون.

إن على من أراد الطلاق أن يطلق زوجته في طهرٍ لم يجامعها فيه، فلا يحل له أن يطلقها وهي حائضٌ، ولا في طهرٍ جامعها فيه، إلا إن كان قد تبين حملها، فإن الطلاق في الحمل جائزٌ واقعٌ، لا حرج فيه.

أيها المؤمنون! إذا طلق الرجل امرأته طلاقاً له فيه رجعةٌ، فإن الواجب عليه ألا يخرج المرأة من البيت، حتى تنتهي عدتها، فهي زوجته ما دامت في عدة الطلاق الرجعي.

فاتقوا الله عباد الله في أمر الطلاق، وتأنوا فيه، فعسى أن تکرهوا شيئاً ويجعل

الله فيه خيراً كثيراً.

## فهرس الموضوعات.

- ١- الإخلاص وفوائده..... ٤
- ٢- أهميَّة الإخلاص..... ١٣
- ٣- فضائل لا إله إلا الله..... ٢٠
- ٤- التقوى..... ٢٨
- ٥- نظرات في الأسماء والصفات..... ٣٦
- ٦- التوكُّل على الله..... ٤٤
- ٧- من مظاهرِ ضعْفِ التوكُّل..... ٥٣
- ٨- التشاؤم..... ٥٨
- ٩- السِّحْرُ وشؤْمُه..... ٦٤
- ١٠- تحقيق العبوديَّة..... ٧٠
- ١١- البدع في الدين..... ٧٩
- ١٢- عموم رسالة النبي ﷺ..... ٨٣
- ١٣- محبة الرسول ﷺ..... ٨٨
- ١٤- الإيمان باليوم الآخر..... ٩٤
- ١٥- أحوال الناس عند الموت وفي البرزخ..... ١٠١
- ١٦- فتنة المسيح الدجال..... ١٠٦
- ١٧- التَّشْبُه بالكفار..... ١١٣
- ١٨- حقوق ولاة الأمور ووجوب طاعتهم..... ١١٩

- ١٩- ربناً لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا. .... ١٢٤
- ٢٠- أسباب زيادة الإيمان. .... ١٣٢
- ٢١- الخوف من الله. .... ١٣٦
- ٢٢- وجوب مراقبة الله. .... ١٤٤
- ٢٣- الارتباط الوثيق بين الأخلاق والدين ..... ١٥٠
- ٢٤- حُسْنُ الخُلُقِ ..... ١٥٦
- ٢٥- بُرُّ الوَالِدَيْنِ ..... ١٦٣
- ٢٦- صَلََةُ الرَّحِمِ ..... ١٧٢
- ٢٧- حَقُّ الجَارِ ..... ١٧٨
- ٢٨- صُحْبَةُ الأَخْيَارِ ..... ١٨٦
- ٢٩- حُرْمَةُ المسلمِ ووجوبُ الأُلْفَةِ ..... ١٩٣
- ٣٠- أهْمِيَّةُ الصَّبْرِ ..... ٢٠١
- ٣١- آفَاتُ اللِّسَانِ - الغَيْبَةُ ..... ٢١٣
- ٣٢- رسالةٌ إلى حاسِدٍ ..... ٢٢٣
- ٣٣- أزمَةُ التَّقْلِيدِ ..... ٢٣٣
- ٣٤- احذروا الظُّلْمَ ..... ٢٤٢
- ٣٥- التَّقْصِيرُ فِي تَرْبِيَةِ الأَوْلَادِ ..... ٢٥٥
- ٣٦- وجوبُ رعايَةِ الأَوْلَادِ ..... ٢٦٢
- ٣٧- منْهَجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّرْبِيَةِ والتَّعْلِيمِ ..... ٢٦٨

- ٣٨- الإسرافُ والتبذير ..... ٢٧٧
- ٣٩- حقوقُ علماءِ الشريعةِ ..... ٢٨٦
- ٤٠- قصةُ موسى عليه السلام ..... ٢٩٢
- ٤١- مبدأ التاريخ الهجريِّ، وخطورةُ تركه ..... ٢٩٩
- ٤٢- نبأ الهجرة ..... ٣١٠
- ٤٣- الإسراء ..... ٣١٨
- ٤٤- غزوةُ أحدٍ ..... ٣٢٦
- ٤٥- غزوةُ الأحزابِ ..... ٣٣٥
- ٤٦- صلح الحديبية ..... ٣٤٣
- ٤٧- غزوةُ تبوك ..... ٣٤٨
- ٤٨- وفاةُ النبي ﷺ ..... ٣٥٦
- ٤٩- أبو بكرٍ الصديق ﷺ ..... ٣٦٦
- ٥٠- صلاحُ القلوبِ ..... ٣٧٢
- ٥١- سلامة الصدر ..... ٣٨١
- ٥٢- أسباب انشراح الصدر ..... ٣٩٠
- ٥٣- آلام وآمال ..... ٣٩٥
- ٥٤- وجوب الخوف من الذنوب ..... ٤٠٣
- ٥٥- أسباب المغفرة ..... ٤١٠
- ٥٦- ظلال المحبة ..... ٤١٨

- ٥٧- مبطلات الأعمال ..... ٤٢٦
- ٥٨- مهلا يا دعاة التحرر ..... ٤٣٥
- ٥٩- الثبات وأسبابه ..... ٤٤٣
- ٦٠- ألا بذكرِ الله تطمئنُّ القلوبُ ..... ٤٥٤
- ٦١- الزنى ..... ٤٦٣
- ٦٢- الخمرُ والمخدِّراتُ ..... ٤٦٩
- ٦٣- استقبال شهر الخير (رمضان) ..... ٤٨٠
- ٦٤- شهرُ النَّصْرِ ..... ٤٨٧
- ٦٥- العبرةُ في تعاقبِ الليلِ والنهارِ ..... ٤٩٩
- ٦٦- مخاطرُ المراكبِ والسياراتِ ..... ٥٠٢
- ٦٧- آيةُ كُسوفِ الشَّمسِ والقمرِ ..... ٥٠٤
- ٦٨- بمناسبةِ تأخُّرِ نزولِ المطرِ ..... ٥١٤
- ٦٩- وجاءَ الشِّتَاءُ ..... ٥٢١
- ٧٠- وقفات مع الإجازة الصيفية ..... ٥٢٩
- ٧١- الإجازةُ ..... ٥٣٧
- ٧٢- وقفةٌ مع المخيمَّاتِ ..... ٥٤٥
- ٧٣- يومُ الجمعةِ سيِّدُ الأيامِ ..... ٥٥٣
- ٧٤- الصلاةُ الصلوةُ ..... ٥٦٣
- ٧٥- إضاعةُ الصلاةِ ..... ٥٧٦

- ٧٦- زكاةُ ثمرَةِ النخيلِ ..... ٥٨٣
- ٧٧- أحكامُ الصَّيامِ ..... ٥٨٥
- ٧٨- شهرُ الصَّيامِ ..... ٥٩٤
- ٧٩- شهرُ النَّصرِ ..... ٦٠٢
- ٨٠- صُنُوفُ البرِّ في رمضانَ ..... ٦١٣
- ٨١- من أخطاءِ الصَّائمينَ ..... ٦٢١
- ٨٢- ختامُ رمضانَ ..... ٦٣١
- ٨٣- الحجُّ وأعمالُ عشرِ ذي الحِجَّةِ ..... ٦٣٦
- ٨٤- الحجُّ وأحكامُ الأضحيةِ ..... ٦٤٥
- ٨٥- ذكرُ اللهِ تعالى وفضائله ..... ٦٥٤
- ٨٦- العِلْمُ وفضله ..... ٦٥٩
- ٨٧- أهميَّةُ العلمِ الشرعيِّ ..... ٦٦٥
- ٨٨- لماذا نتعلَّمُ العلومَ الدِّينيةَ؟ ..... ٦٧٣
- ٨٩- العملُ بالعلمِ ..... ٦٧٦
- ٩٠- حقوقُ القرآنِ العظيمِ ..... ٦٨٤
- ٩١- صفاتُ القرآنِ ..... ٦٩٢
- ٩٢- من صفاتِ المتقينَ ..... ٧٠٠
- ٩٣- أسبابُ القلقِ والفرحِ ..... ٧٠٧
- ٩٤- أنواعُ من الابتلاءاتِ والفتنِ ..... ٧١٤

- ٧١٩ ..... ٩٥- من مظاهر اتباع الهوى وانتشار الجهل .
- ٧٢٧ ..... ٩٦- جنایاتُ المَوْضَةِ .
- ٧٣٦ ..... ٩٧- أَشَدُّ النَّاسِ عداوَةً لِأَهْلِ الإِيمَانِ .
- ٧٤٤ ..... ٩٨- مَنْ هُمْ أَعْدَاؤُنَا؟
- ٧٥٢ ..... ٩٩- أَهْمِيَّةُ الدُّعَاءِ .
- ٧٦٠ ..... ١٠٠- عداوَةُ الشَّيْطَانِ وطُرُقُ الحِمَايَةِ مِنْهَا .
- ٧٦٩ ..... ١٠١- وسائلُ الإعلامِ .
- ٧٧٤ ..... ١٠٢- الحُثُّ عَلَى النِّكَاحِ .
- ٧٨٠ ..... ١٠٣- وَقَفَاتٌ مَعَ قَضِيَةِ النِّكَاحِ .
- ٧٨٨ ..... ١٠٤- التَّهَاوُنُ بِأَمْرِ الطَّلَاقِ .
- ٧٩١ ..... فهرس الموضوعات .